أسباب نزول القرآن

دراسة وتحليل

٢٨٥٤

اعداد الطالب : عبد الرحيم فارس ابو علبة

اشراف الدكتور : احمد فريد

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التفسير
في قسم الدراسات العليا - كلية الشريعة بالجامعة الأردنية
١٤١٠ هـ - ١٩٨٩م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد :

فلقد أدرك المسلمون أن حياتهم إنما هي من أجل الإسلام ، وأن وجودهم إنما هو من أجل حمل الدعوة الإسلامية ، وأن الإسلام وحده هو أساس وحدتهم ، وسبب نهضتهم ، وأنه هو وحده عزهم ومجدهم ورجاؤهم ، لذلك ملك عليهم نفوسهم وعقولهم فأخلصوا له ، وأقبلوا عليه يدرسونه ويتفهمونه ، وعكفوا على القرآن - المصدر الأول للتشريع - يفهمونه ويفسرونه وينقبون عن علومه ، ويدرسونها بشغف واهتمام ، ويحررونها مما علق بها عبر العصور لتبقى صافية كما نزل بها الوحي على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- فنالت علوم القرآن حظاً كبيراً من اهتمام المسلمين ، وتوسعوا في بحثها ، وتعمقوا في دراستها ضمن قواعد محددة حتى لا تخرج عن دائرة ما يهدف اليه الوحي من تشريع ، وأسباب التنزيل من أهم هذه الموضوعات فهي تؤدي خدمة جليلة لفهم القرآن الكريم . وبحثها شاق وشائك لقلة المصادر في القرون الثلاثة الأولى الهجرية إن لم نقل بانعدامها ، ولأنها تتأرجح بين التاريخ وبين الوحي . فهل هي تاريخ لا يستحق هذا الاهتمام البالغ ؟ أو هي وحي يجب أن يدرس كما يدرس علم الحديث ؟! أو هي شيء آخر ؟ كل ذلك يجعل المرء حائراً في دراسة هذا الموضوع لا سيما أنه لم تشتهر دراسة واحدة تبحث في سند ومتن روايات أسباب التنزيل ، فنجد الروايات مبعثرة في كتب التفسير ، وكتب الحديث ، وكتب السيرة ، حتى في بعض كتب الفقه [1] .

ولا تكاد تجد صيغة قطعية تدل على سبب التنزيل مما يزيد في تعقيد الأمر [2] وقد اختلف المتقدمون والمتأخرون حول تعدد روايات أسباب تنزيل لآية واحدة فزاد الطين بِلَّةً . قال الشيخ أحمد حسن الباقوري : " إن معرفة أسباب النزول من المواضع الصعبة ، ووجه الصعوبة فيها اختلاف المتقدمين والمتأخرين حولها " [3] .

---

(١) انظر كتاب : المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات الشرعيات لأمهات مسائل المشكلات لأبي الوليد محمد بن أحمد بن يوسف بن رشيد قاضي الجماعة بقرطبة متوفى سنة ٥٢٠ هـ .ج١ ص١٥٣ ، ١٥٤ فقد ذكر سبب نزول قوله تعالى [**وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة**] ثم انقطع الوحي فصلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الظهر ثم تآمر المشركون على المسلمين فانزل الله بين الصلاتين [**وان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا**] إلى آخر الآية فنزلت آية الخوف وفي ص ٤٤٦- ص٤٧٧ ساق سبب نزول آية الظهار طبعة دار صادر بالافست. وانظر كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لأبي بكر بن مسعود الكاساني المتوفى ٥٨٧ هـ ج١ ص٤٤ ذكر سبب نزول آية التيمم في غزوة ذات الرقاع عندما فقدت عائشة -رضي الله عنها- قلادة لأسماء ، طبعة دار الكتاب العربي بيروت ط٢ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٢) انظر المبحث الثاني من الفصل الأول : بحث الألفاظ التي قيل عنها أنها تدل على سبب التنزيل .

(٣) معاني القرآن بين الرواية والدراية للشيخ أحمد حسن الباقوري ص٧٦ ط١ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م مطبعة مركز الأهرام للترجمة والنشر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد لجأ آخرون للقول بتكرر نزول بعض الآيات او السور من القرآن تبعاً لاختلاف هذه الروايات . قال الشيخ الباقوري : (إن تعدد أسباب نزول هذه الآية فيما رواه الرواة عن السلف جعل بعض العلماء يذهبون الى القول بأن الآية نزلت عدة مرات ولا مانع عند بعضهم من نزول الآية مرة او مرتين او مرات حسب مقتضى الاحوال ، وهذا المذهب فيما يبدو لا يسهل الأخذ به ، والإنقياد إليه ولا بدّ للنفس أن تتلفت إلى مذهب أيسر قبولاً ، وأقوى حجة وأوضح محجة وهو ما ذكره الإمام الدهلوي) (١) .

هذا وقد نهجت في بحث هذا الموضوع منهج الباحثين، فقد مزجت في منهجي بين منهج الدراسة التاريخية والدراسة المنهجية، فعمدت إلى دراسة الكتب التي جمعت روايات أسباب التنزيل في مكان واحد ككتابيْ أسباب نزول القرآن للواحدي ، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ، ثم أخذت أنظر في روايات أسباب نزول الآية الواحدة في كتب التفسير المختلفة ، وعلى رأسها تفسير الطبري . وكتب شرّاح الحديث وعلى رأسها كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري . وكتب السيرة . وكان سبر غور الروايات هو طريقي للوصول الى النتائج التي توصلت اليها ، وكان جلّ اهتمامي منصباً على البحث في إشكالات أسباب التنزيل ، وإزالة هذه الإشكالات ، محاولاً إبراز سمات وقسمات أسباب التنزيل لعلّي استطيع تكوين حس وذوق معينين عند القارئ أو السامع يميز بهما روايات أسباب التنزيل عن غيرها . ولم أهدف في هذا البحث جمع جميع روايات أسباب التنزيل والحكم عليها فهذا أمر يحتاج إلى جهد كبير ، ولكني تناولت قدراً أطمئن الية من الروايات حررتها ونخلتها ووجهتها توجيهاً يزيل الإشكال الذي يَرِدُ عليها ؛ وبلورت القواعد الأساسية في أسباب التنزيل لتكون منطلقاً لمن يريد أن يتم تنخيل رواياتها .

هذا وقد جعلت البحث في مقدمة ، وتمهيد ، وأربعة فصول ، وخاتمة . أما المقدمة فقد اشتملت على مسألتين :

الأولى : المسوغات لاختيار الموضوع .

الثانية : بيان أهمية أسباب التنزيل وقد ضمنته ثلاث قضايا :

الأولى : أقوال بعض العلماء في أهمية أسباب التنزيل .

الثانية : فوائد معرفة أسباب التنزيل .

الثالثة : مناقشة بعض الفوائد المنسوبة لأسباب التنزيل .

وأما التمهيد فقد ادرجت تحته ثلاثة مباحث هي :

الأول : بعض جهود القدماء في هذا الفن .

الثاني : بعض جهود المعاصرين في هذه المسألة .

الثالث : أسباب دخول الدخيل إلى أسباب التنزيل .

ثم جاء الفصل الأول فجعلته في أربعة مباحث . المبحث الأول: عن معنى سبب التنزيل لغة واصطلاحاً ، وعن معناه عند الصحابة ، والتابعين والمفسرين .

وقد حددت في المبحث الثاني طريقة معرفة أسباب التنزيل وضمنته :

أ- بحث الألفاظ التي قيل عنها أنها تدل على سبب التنزيل .

ب- اطر لا بدّ منها لاعتماد رواية سبب التنزيل ، وهي :

١- تزامن نزول الآية مع زمن حدوث الواقعة او السؤال .

٢- ضرورة تناسب الرواية مع منطوق ومفهوم النص .

(١) معاني القرآن للشيخ احمد حسن الباقوري ص ٧٦ (المصدر السابق) أو مع القرآن للمؤلف نفسه ص١٥٦ المطبعة النموذجية ١٩٧٠م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- ضرورة تناسق الرواية مع سياق الآية أو الآيات في السورة .
٤- ان لا تناقض الرواية نصاً آخر أقوى منها ، قرآناً، سنةً ، او روايةً .
٥- تحقيق صحة سند الرواية .

جـ- عموم لفظ الآية وخصوص سبب نزولها وعلاقته ببحثنا .

وجاء المبحث الثالث لندرس فيه أسباب ورود الحديث وصلته بأسباب تنزيل القرآن فعرضت الى معنى سبب ورود الحديث، والى أهم الإشكالات الواردة عليه. وعقدت موازنة سريعة بين أسباب نزول القرآن وبين أسباب ورود الحديث. وفي المبحث الرابع أشرت الى الفرق بين سبب التنزيل ومناسبة الآيات والعلاقة بينهما.

وقد خصصت الفصل الثاني لدراسة تطبيقية لبعض مرويات أسباب التنزيل التي وردت في بعض آي القرآن في سور متعددة في ضوء الدراسة السابقة مبرزاً دراسة المتن والسند . ثم يأتي دور الإشكالات الواردة على روايات أسباب التنزيل فأفردتها في الفصل الثالث وحصرتها فيما يأتي :

١- عدم مزامنة الرواية لنزول الآية او الآيات .
٢- القول بتكرار نزول الآية او الآيات او السورة ، او تجزئة نزول الآية الواحدة .
٣- تعدد روايات أسباب التنزيل .
٤- عدم إرتباط سبب التنزيل بالآية او الآيات .
٥- أسباب نزول الآيات المصدرة ب (يسألونك ويستفتونك ويقولون). هل لا بدّ لها من سبب نزول أو لا ؟
٦- عدم مزامنة الآية للحكم المستنبط منه (تقدم الحكم أو تأخره عن نزول الآية) .

وفي الفصل الرابع والأخير عمدت إلى أصول وقواعد مستخلصة من دراسة أسباب التنزيل وسجلت كثيراً من روايات أسباب التنزيل ممّا صحّ عندي . وفي نهاية المطاف جاءت الخاتمة لتسدل الستار على البحث ، وقد اشتملت خلاصة ما توصلت إليه من نتائج . وقد أثبتّ المصادر والمراجع في نهاية الرسالة مع مجموعة فهارس أخرى .

ولا يسعني في هذا المقام الاّ ان اتقدم بالعرفان وحفظ الجميل للدكتور أحمد فريد الذي قدّم لي جهداً كبيراً في إسداء النصح والتوجيه لتجنب التكرار وعدم الاستطراد . وقد كان متعاوناً إلى حد كبير دون أن يفرض عليّ أيّ رأي علمي ، بل كان يقرّ الرأي في الرسالة وهو يرى خلافه محترماً بذلك رأيي ، ومحافظاً على شخصيتي العلمية فبارك الله له في جهده ، وجزاه الله عني خيراً . وأدعو الله أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، فإنه سبب كل توفيق ، كما أسأله أن يحميني من الزلل والعثار ، وعذري أنني قدمت قصارى جهدي . وما كان من حق فمن الله وما كان من باطل فمنّي ومن الشيطان ، وكل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون .

اللهم اجعلني من التوّابين والحمد لله رب العالمين .

الباحث
عبد الرحيم فارس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسوغات لاختيار الموضوع

يمكن أن تُجْمَلَ الدوافع التي حفزتني لاختيار هذا الموضوع فيما يلي :

إن أسباب التنزيل لبعض آي القرآن يتعدى كونها علماً من علوم القرآن ، إلى أنها تعد بحق أصلاً من أصول التفسير ، التي لا يستغني عنها مفسر مهما أوتي من سعة في العلم. إلى جانب ذلك ؛ فإن قضية أسباب التنزيل تشكل قضية خطيرة على فهم بعض آي القرآن ، ففهم بعضها يتوقف على معرفة سبب التنزيل ؛ فمثلاً قوله تعالى : [**يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم**] [1] . فإن معنى [**راعنا**] و [**انظرنا**] واحد ، فلماذا جاء النهي عن استعمال لفظ دون آخر . وأمرهم بالتنفيذ [**واسمعوا**] وجعل عاقبة الكافرين العذاب الأليم ؟ ليدل ذلك كله على النهي الجازم عن استعمال الفعل [**راعنا**] والأمر باستعمال الفعل [**انظرنا**] ، فإن العقول تتحير وترتبك في تفسير هذا الامر . ولكن الامر سرعان ما ينجلي ، ويزول الإشكال بمعرفة سبب التنزيل . روى القرطبي (قال ابن عباس : كان المسلمون يقولون للنبي -صلى الله عليه وسلم- : راعنا على جهة الطلب والرغبة - من المراعاة - أي التفت الينا . وكان هذا بلسان اليهودي سباً، اي اسمع لاسمعت ، فاغتنموها وقالوا : كنا نسبّه سراً فالآن نسبّه جهراً ، فكانوا يخاطبون بها النبي -صلى الله عليه وسلم- ويضحكون فيما بينهم ، فسمعها سعد بن عبادة [2] وكان يعرف لغتهم ، فقال لليهود : عليكم لعنة الله! لئن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبي -صلى الله عليه وسلم- لأضربنّ عنقه ، فقالوا : أولستم تقولونها ؟ فنزلت الآية [3]. وهكذا فإن سبب التنزيل أفاد تحريم استعمال مصطلحات الكفار ، فلا يجوز أن نقول إن رئيس الدولة في الإسلام هو رئيس الجمهورية او الملك بدل الخليفة ، ولا يجوز أن نقول : بإطلاق الحريات العامة لأن الأصل هو التقيد بالحكم الشرعي ، ولا يجوز أن ننادي بالديمقراطية لأنها مصطلح للكفار له مدلول خاص وهكذا

ومثال آخر قد كثر الاستشهاد به من الجهلة والجبناء والمضللين والمتخاذلين فيقولون [**ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة**] [4] . يستشهدون بهذا الجزء من الآية في معرض الدفاع عن أنفسهم حينما يطالبون أن ينكروا على الحكام الظالمين . وأن يتصدوا لأفعال المسؤولين الفسقة وذلك ببيان زيف اعمالهم، وكشف تصرفاتهم للأمة ، وإبداء حكم الأسلام في تلك الأفعال والتصرفات قائلين بأن المطلب فيه هلاك وتهلكة وقد نُهينا عن ذلك ، وليتهم وقفوا عند هذا الحد واكتفوا بإثم السكوت ، وفساد هذا الاستشهاد الذي في غير محلّه ،

---

(١) سورة البقرة الاية ١٠٤

(٢) سعد بن معاذ وكذلك وردت في لباب النقول للسيوطي والصواب ابن عباده كما صححها ابن حجر في مخطوطه العُجاب في الأسباب ورقة ٣٦ ب وذلك حسبما رواه ابن ظفر ومقاتل .

(٣) تفسير القرطبي ص٥٧ م٢ طبعة دار الفكر ، وانظر اسباب نزول القران للواحدي ص٣١ تحقيق السيد احمد صقر ، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص١٥ ، تفسير الطبري م٢ ص٤٦٠ طبعة شاكر الاثر ١٧٢٨, ١٧٢٩ , ١٧٣٠ وغيرها من الاثار .

(٤) سورة البقرة اية ١٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل توغل بعضهم في هذا الاثم فلاموا وأنكروا على من يقوم بمهمته الشرعية ، وواجبه الشرعي نحو هؤلاء الحكام . وإذا تعرض حامل الدعوة للأذى من حماة الكفر وأهله قالوا: أذى نفسه وعرضها للتهلكة. واستشهدوا بجزء الآية الكريمة [**ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة**] . ولكن سبب التنزيل يبدد هذا الظلام في فهم الآية . والآية هي [**وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين**] وسبب التنزيل كما ذكره الترمذي عن أسلم أبي عمران قال: كنّا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم ، فخرج إليهم من المسلمين مثلُهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر ، وعلى الجماعة فَضَالَةُ بنُ عُبَيْد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل عليهم ، فصاح الناس ، وقالوا : سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة ، فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: يا أيها الناس إنّكم لَتُأوّلون هذه الآية هذا التأويل ؛ وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه . فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها ، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه -صلى الله عليه وسلم- يَرُدُّ علينا ما قلنا (الآية)

فكانت التهلكةُ الإقامةَ على الأموال وإصلاحَها وتركَنا الغزو ، فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم : هذا حديث حسن غريب صحيح [1] ~~وهكذا فإن~~ سبب التنزيل يقربنا الى معرفة ما تضمنه الآيات من هدايات ويبعدنا عن عبادة الله على جهل .

والدارس لمرويات أسباب التنزيل يجد إشكالات كثيرة ، فقد نقرأ سبب نزول وقع بمكة لآية مدنية أو العكس ، وربما تجد سبب نزول آية وقع قبل نزول القرآن . وأكثر من ذلك تجد من يقول بتكرار نزول الآية ، أو السورة لتعدد الروايات ، وإن كانت غير ثابتة ، أو ربما يقال بتكرار النزول توفيقاً بين هذه الروايات ودون أن يذكر سنداً لهذا القول

والموضوع فضلاً عن تعلقه بمصادر التشريع - الكتاب والسنة - فإنه يكشف النقاب عن زيف كثير من الروايات التي تمس صحابة رسول الله -صلى عليه وسلم- كالرواية الواردة في أسباب نزول آية الحجر [**ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين**] [2] . فهي تصور فريقاً من الصحابة يشهدون صلاة الجماعة جرياً وراء غريزتهم الجنسية ليسترقوا النظر إلى حسناء أثناء ركوعهم وسجودهم وهي تصلي في الصف الخلفي . ومثل ما اشتهر عن الصحابي الجليل - زوراً وبهتاناً - ثعلبة بن حاطب حتى أدخلوه في زمرة المنافقين والعياذ بالله فجعلوا آية التوبة قد نزلت فيه [**ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصّدّقن ولنكونن من الصالحين**] [3] . إلى غير ذلك من الأكاذيب التي لا تليق بمن نزل فيهم

---

(١) سنن الترمذي الأثر ٤٠٥٣ ابواب التفسير ج٤ طبعة دار الفكر ، وانظر لباب النقول للسيوطي وقال واخرج ابو داود والترمذي وصححه وابن حبان والحاكم وغيرهم عن أبي أيوب الأنصاري ص٢٩ ، وانظر أسباب النزول للواحدي ص٥٠ - ص٥٢ ، وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري الاثر ٤٥١٦ م ٨ كتاب التفسير وقال ابن حجر وحديث ابي ايوب اخرجه مسلم والنسائي وابو داود والترمذي وابن حبان والحاكم من طريق اسلم بن عمران ص١٨٥.

(٢) اية ٢٤ سورة الحجر .

(٣) اية ٧٥ سورة التوبة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرآن يمدحهم [1] ، وبمن نقلوا إلينا ما جاء به الوحي بأمانة وإخلاص لم يشهد التاريخ له مثيلاً . هذا ولم ينج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من هذا الافتراء فجعلوه زير نساء في قصة زواجه من زينب بنت جحش -رضي الله عنها - وما نسج حولها من حكايات ملفقة [2] .

إلى جانب ذلك كله ، فإن دراسة أسباب التنزيل تلقي ضوءاً في الحياة والبيئة التي نزل فيها قرآن وجاء الوحي ليصحح المعوّج منها ، ويرسم معالم صورة واضحة للحياة التي يريدها الإسلام للناس ، كما تساعد على فهم صور الصراع بين دعوة الإسلام وأعدائها كتلاً ودولاً ، أفراداً وجماعات . فترسم حدود السياسة الخارجية لدولة الإسلام مثال ذلك ما ورد في سبب نزول آية الحشر [**ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين**] [3] . فقد نزلت عندما قطع المسلمون نخيل المدينة وشجرها الخاص بيهود بني النضير ، وحَرَّقُوا بعضه عندما اعترض سبيل المسلمين في اقتحام حصن اليهود الذين رفضوا الخضوع لامر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بداية الأمر ، وتحصنوا في بيوتهم ، وقد حاولوا أن يوجدوا رأياً عاماً ضد المسلمين على هذا الفعل . فهدم الله تعالى بهذه الآية العرف الدولي الذي كان سائداً يومئذ* ، وكشف حقيقتهم ، وعلّم المسلمين درساً مهماً في التعامل مع المحاربين وهو نبذ الأعراف الدولية التي تحول دون تحقيق مصلحة الدعوة الإسلامية ، ومصلحة دولتهم [4] .

بالإضافة إلى ذلك كله فان اسباب التنزيل قد شابتها الشوائب واختلطت بواقع الحال الذي يفهم من الآية الكريمة . وقد رأيت عزوف العلماء القدامى والمحدثين عن بحث الإشكالات الواردة في أسباب التنزيل ، ولم يقم أحد بتصنيفها في بحث مستقل مع أهميتها وحاجتنا إليها ، ولم أعثر على دراسة واحدة في نقد متن الروايات . ووجدت في نفسي الرغبة الملحة لخوض عباب هذا البحر لعلّي أخرج بما يروي الغليل ويشفي العليل ، والموضوع صعب وشائك ، ولكنه شائق ورائق أسال الله أن يعينني على نوال شرف خدمة هذا الموضوع .

---

(١) انظر ما لفقه بعض الشيعة على سيدنا علي -رضي الله عنه- من تَصَدُّقِه بخاتمه وهو في الصلاة جاعلين ذلك سبباً لقوله تعالى [**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**] المائدة ٥٥ . وانظر ما زور على الصحابي الجليل الوليد ابن عقبة بن أبي معيط حيث جعلوه فاسقاً وسبباً لنزول قوله تعالى [**يا ايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** ..] الحجرات اية ٦.

(٢) انظر كتاب الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للدكتور محمد بن محمد ابو شهبة ص٣٢٣ - ٣٢٨ مكتبة السنة ط٢ ، ١٤٠٨ وفحوى الاكذوبة عن عبد الرحمن بن زيد ان الرسول -صلى الله عليه وسلم- ذهب الى بيت زيد اثناء غيبته فرأى زينب في زينتها فاعجبته .. الخ . رواها الطبري والزمخشري والنسفي وغيرهم.

(٣) سورة الحشر آية ٥ .

(٤) انظر صحيح مسلم ص٥٠- ص٥١ ج١١ شرح النووي وقد عقد عنوانا (جواز قطع اشجار الكفار وتحريقها) وانظر أسباب النزول للواحدي ص٤٤٢ - ٤٤٥ . وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري م ٨ ص٤٤٥ . وانظر اللباب للسيوطي ص٢١٤ وغيرها . وانظر ما ذكر في سبب نزول قوله تعالى **ايسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله** ..] الآية ٢١٧ من سورة البقرة.

* يقر الإسلام هذا العرف وكذلك السلم في الأشهر الحرم ومع ذلك فقد خرقها لأنها تعارضت مع مصلحة حمل الدعوة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اهمية اسباب التنزيل

ان واقع سبب التنزيل يعرب عن موقعه من التفسير . فقد درسه كثير من العلماء كمقدمة لتفسير الآية فعده أصلاً من أصول التفسير ، وقد ذكره آخرون في العلوم الواجب معرفتها قبل الخوض في التفسير فأدرجوه في علوم القرآن ، وأفرده بعضهم في مؤلف مستقل ، وهذا يدل على مدى اهتمام العلماء بهذا الفن ، وعلى مدى تقديرهم لموقعه من التفسير ، ولكن الأمر لم يخل من نعيق الغربان ، ولكل قاعدة شواذ ، فقد نقل إلينا صاحب البرهان في علوم القرآن [1] العبارة التالية : (وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ) دون أن ينقل إلينا من هو صاحب هذه المقولة .

القضية الاولى

أقوال بعض العلماء القدامى والمحدثين في بيان أهمية هذا العلم.فمن الأقدمين :

قال الواحدي ت ٤٦٨ هـ : (فآل الأمر بنا إلى افادة المبتدئين بعلوم الكتاب ، ابانه ما أنزل فيه من الاسباب ، اذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها ، وأولى ما تصرف العناية لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها) [2] .

قال الشيخ أبو الفتح القشيري : ت ٥٢١ هـ (بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز) [3]

وقال ابن تيمية : ت ٧٢٨ (ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب) [4]

قال الشاطبي : ت.٧٩٠ هـ (*معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن والدليل على ذلك أمران :*

أحدهما : إن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال حال الخطاب من جهة نفس الخطاب ، أو المُخاطَب ، أو المُخاطِب ، أو الجميع ، إذ الكلام الواحد

---

(١) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن توفي سنة ٧٩٤ هـ وكتابه يُعَدُّ أمام كتب علوم القرآن.

(٢) هو ابو الحسن علي بن احمد الواحدي ، صاحب كتاب اسباب نزول القران ت٤٦٨ هـ وكتابه يعد اساسا في هذا العلم ومن تبعه عالة عليه وقد ذكر هذه المقولة ص٥ طبعة دار القبلة وقد حققها سيّد احمد صقر.

٣ (٣) نقل هذه العبارة بدر الدّين الزركشي في كتابه البرهان في علوم القران ج١ ص٢٢ وقد نقلت نفس العبارة عن ابن دقيق العيد ت ٧٠٢هـ . وانظر الإتقان في علوم القران للسيوطي ج١ ص٣٨ ، وكذلك لباب النقول ص٣ للسيوطي كذلك.

٤ (٣) انظر مجموعة فتاوى ابن تيمية ص٣٣٩ ج١٣ مقدمة التفسير تصوير الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ ، وانظر المقدمة بتحقيق د. عدنان زرزور طبعة دار القران الكريم الكويت ص٤٧ ، وانظر الاتقان في علوم القران للسيوطي ص٣٨ ج١ ، وابن تيمية هو تقي الدين احمد بن عبد الحليم من دمشق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يختلف فهمه بحسب حالين ، وبحسب مخاطبين ، وبحسب غير ذلك ، كالإستفهام لفظه واحد ويدخله معان أخر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك . وكالأمر يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها ، ولا يدل على معناها المراد إلاّ الأمور الخارجية ، وعمدتها مقتضيات الأحوال ، وليس كل حال ينقل ، ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول ، وإذا فات نقل بعض القرائن الدّالة فات فهم الكلام جملة أو فهم شيء منه ، ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط ، فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بد . ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال ، وينشأ عنه هذا الوجه .

الوجه الثاني : هو أن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشُبَه والإشكالات ، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف ، وذلك مَظنّةُ وقوع النزاع ، " ويوضح هذا المعنى ما روى أبو عبيد عن ابراهيم التّيمي قال : خلا عمر ذات يوم ، فجعل يحدث نفسه : كيف تختلف هذه الأمة ونبيّها واحد وقبلتها واحدة ؟ فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيمَ نزل ، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيم نزل ، فيكون لهم فيه رأي ، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا ، فإذا اختلفوا اقتتلوا ، قال : فزجره عمر وانتهره ، فانصرف ابن عباس ، ونظر عمر فيما قال فعرفه ، فأرسل اليه فقال : أعد عليّ ما قلت ، فأعاده عليه ، فعرف عمر قوله واعجبه .

وما قاله صحيح في الاعتبار ، ويتبين بما هو أقرب ، فقد روى ابن وهب عن بكير ، أنه سأل نافعاً : كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية ؟ قال : يراهم شرار خلق الله أنهم انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين ، فهذا معنى الرأي الذي نبه ابن عباس عليه ، وهو الناشيء عن الجهل بالمعنى الذي نزل فيه القرآن " [1] .

هذا وقد جعل الزركشي [2] والسيوطي [3] أسباب التنزيل من الأمور التي لا بد منها للمفسر .

ومن المحدثين الشيخ محمد حسين الذهبي حيث قال في معرض حديثه عن ادوات الاجتهاد في التفسير عند الصحابة : (ومعرفة أسباب النزول ، وما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات ، تعين على فهم كثير من الآيات القرآنية) [4]

---

(١) الموافقات في أصول الأحكام للشاطبي ج٣ ص٢٢٥،ص٢٢٦ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده القاهرة. والشاطبي هو أبو اسحاق ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي ت ٧٩٠هـ.

(٢) بدر الدين الزركشي ت ٧٩٤ قال في البرهان في علوم القران ج١ ص١٣ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم واستمداده (أي التفسير) ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان واصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

(٣) جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ت٩١١هـ وقد سار على درب الزركشي وتبعه في ذلك . انظر الاتقان في علوم القران ج٢ ص٢٣٢ ط٤، ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨م طبعة دار المعرفة.

(٤) التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبي ج١ ص٥٨ مطبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة ط١ ، ١٣٨١هـ ١٩٦١م .

٣٨٤٦٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور : (إن من أسباب النزول ما ليس المفسر بغنى عن علمه لأنه فيها بيان مجمل أو إيضاح خفي وموجز ، ومنها ما يكون وحده تفسيراً) [1] .

القضية الثانية

فوائد معرفة أسباب التنزيل

مما تقدم من أقوال العلماء ندرك أن لأسباب التنزيل فوائد جمة ، وأن لها مكانة مميزة في التفسير ، ومن واقع أسباب التنزيل ندرك أن الظروف والملابسات والمكان والزمان والناس والاسئلة التي جاءت الآية او الآيات أو السورة لتعطي حكمها عليها هي التي تساعدنا على فهم النص القرآني بكل أبعاده فهماً صحيحاً . فهي أوضح سبيل وأقصرها لفهم معاني بعض الآيات ، ومن فوائدها أنها تعين على معرفة الزمان والمكان الذي نزلت فيه الآية فنميز المكي من المدني ، ويفصل الخطاب في دعوى النسخ حيث يعرف المتقدم من المتأخر .

وإلى جانب هذا كله فانها تعطي صورة واضحة عن السياسة الخارجية في الإسلام فتبين كيف كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعامل الكيانات الأخرى ، التي كانت في عهده ، كاليهود وقريش والقبائل الأخرى ، وكيف تعامل مع الدول الكبرى آنذاك - الفرس والروم - وما هو موقفه منها . فأسباب التنزيل لسورة الفتح وما جرى في صلح الحديبية ، وفي غزوة تبوك وما صاحبها من أحداث ، وإجلاء بني النضير والحكم الذي نزل في بني قريظة كل ذلك يوضح السياسة الخارجية لدولة الخلافة ، كما بينت لنا أسباب التنزيل كيف تعامل الرسول -صلى الله عليه وسلم- بصفته رئيس دولة مع الأعراف الدولية فحطم منها ما تعارض مع مصلحة حمل الدعوة الإسلامية ، وداس على ما وقف حاجزاً أمام الدولة الإسلامية في نشر الإسلام وقد ظهر هذا جلياً في ما نزل بشأن سرية عبد الله بن جحش وفي قطع الرسول -صلى الله عليه وسلم- لنخيل وشجر يهود بني النضير المحيط بديارهم .

ونظرة فاحصة وشاملة لأسباب التنزيل يزيدنا يقيناً أن عقيدتنا الإسلامية عقيدة روحية سياسية[2] ، وأن عقيدة فصل الدين عن الحياة ، والدين عن الدولة

---

(١) توفي الشيخ ابن عاشور سنة ١٣٩٣هـ وهذا القول اثبته في تفسيره التحرير والتنوير في المقدمة الخامسة من الجزء الاول ص٤١ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٤م ١٩٦٤م.

(٢) النصرانية عقيدة روحية، والاشتراكية ومنها الشيوعية عقيدة سياسية، والرأسمالية عقيدة سياسية. والاسلام وحده عقيدة روحية سياسية.

والعقيدة الروحية هي اساس البحث عن رعاية شؤون الآخرة. ولا تشكل وجهة النظر في الحياة لأنها تتعلق بما قبل الحياة وما بعدها ولا علاقة لها بالحياة ولا يضيرها ان تطبق عليها اي عقيدة سياسية.

والعقيدة السياسية هي اساس البحث عن رعاية شؤون الدنيا. والاسلام وحده الذي يجمع بين العقيدتين الروحية والسياسية. ومقياسه في الحياة هو الحلال والحرام، وليس النفعية ولا التطور او ما يسمى بالتقدمية. والمشكلة عند المسلمين تكمن في كون العقيدة عندهم لم تعد عقيدة سياسية، ولكنها ظلت عقيدة روحية. ووجهة النظر في الحياة وهي الحلال والحرام لم تعد موجودة في واقع الحياة. وإن كانت موجودة فردياً. وطريقة العلاج لا بد ان تبدأ بالعقيدة ببيان أنها عقيدة سياسية والتركيز على ذلك بشكل مؤثر. وأما الناحية الروحية التي فيها فهي معروفة عند الجميع ، وكذلك بربط الناحية الروحية بالأفكار عن الحياة وبرعاية شؤون الدنيا متخذين مقياس الحلال والحرام اساساً في تصور الحياة وليست النفعية ولا التطور.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عقيدة كفر يبنى عليها نظام كفر فيجب محاربتها بكل طاقات المسلمين وإنها أخطر عقيدة على الإسلام لأنه يمكن أن يدخل منها على المسلمين ، فهي عقيدة المنافقين من ابناء جلدتنا فسمحوا للناس أن يؤدوا الصلاة ، وزينوا لهم الربا والميسر والزنا والخنوع للكافر المستعمر تحت شعارات شتّى ، وبألفاظ قد تنطلي على السّذج الذين أفرغوا من ثقافتهم الإسلامية ، وأبقوا على عقيدة روحية منفصلة كل الانفصال عن الحياة . فأسباب التنزيل ترينا أن الإسلام عقيدة عقلية ينبثق عنها نظام لجميع نواحي الحياة ، فهو ينظم علاقة الإنسان بربه كالعقائد والعبادات ، وعلاقة الإنسان بنفسه كالمطعومات والملبوسات والأخلاق ، وعلاقة الإنسان بغيره كالعقوبات وعلاقة الدولة الإسلامية بغيرها كالسياسة الخارجية والمعاهدات ، فقد جاء الوحي يعالج كل هذا وإلى يوم القيامة على نفس المستوى ومن مشكاة واحدة .

وهناك فوائد أخرى لأسباب التنزيل منها أنها تيسر الحفظ وتساعد على تثبيت الآيات في ذهن القارئ أو السامع إذا عرف سبب نزولها لأن ربط الأسباب بالمسببات من شأنه أن يمكن العلم في القلوب، ويعين الأذهان على استظهار العلم ، فضلاً عن ذلك فهي تدل على إعجاز القرآن من زاويتين :

- الأولى ، نزول بعض آي القرآن على حوادث ، ووقائع معينة يقطع دعوى أن القرآن أساطير الأولين ، أو أنه من عند غير الله تعالى .
- الثانية : أن مدار علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن هو مقتضيات الأحوال وهي أسباب التنزيل نفسها .

القضية الثالثة

مناقشة بعض الفوائد المنسوبة لأسباب التنزيل

وفي هذا المقام يحسن بنا أن نقف عند بعض الفوائد التي ذكرها بعض العلماء ونناقشها من حيث كونها فوائد لأسباب التنزيل أم لا . وإليكها مع نقدها :

الفائدة الأولى : " إن أسباب النزول تفيد وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم " (١)

ولم يمثلوا لها بأي مثال . ومن المعروف أن تعبير " الحكمة " و " الباعث على تشريع الحكم " من مصطلحات علم أصول الفقه ، ولها معان محددة ، والأخير يعني العلّة ، ولا تؤخذ العلّة الاّ من نص شرعي ، أي من وحي ، وأسباب التنزيل هي حوادث وأسئلة من البشر وليست نصوصاً شرعية ، وليست وحياً من عند الله . فكيف تؤخذ منها العلّة ؟! أما الحكمة فهي مقصد الشارع ولا تؤخذ كذلك الاّ من وحي . وهناك مقاصد عامة للقرآن الكريم ، وأخرى خاصة ببعض الأحكام وردت نصوص بها . وبدون النصوص فإن البشر أعجز من أن يدركوا مقصد الله تعالى من تشريع حكم معيّن ، فضلاً عن معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم . وبمعنى آخر : لماذا شرّع الله هذا الحكم ؟ أو ما هو الدافع للشارع من تشريع هذا الحكم ؟

---

(١) انظر البرهان في علوم القران للزركشي ج١ ص٢٢ ، والاتقان في علوم القران للسيوطي ج١ ص٣٨ ، ومناهل العرفان للزرقاني ج١ ص١٠٢ ، ومباحث في علوم القران لمناع القطان ص٧٩ وقد طبع ما يربو على عشرين مرة ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده ج٢ ص٣٤٩ وغيرها كثير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمقصد العام من تنزيل القرآن يظهره قول الله تعالى [**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**] (١) .

والمقصد العام من بعثة سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- يوضحه قوله تعالى : [**وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين**] (٢) .

فهذه الآيات تدل على أن الشريعة جاءت رحمة للعباد . أي أن الحكمة من الشريعة هي رحمة الله لعباده . وهذا لا يعني أنها الباعث على تشريعها فلم تكن الرحمة هي الباعث على تنزيل الإسلام ، وكون الشريعة ، رحمة هو غاية الشارع التي يهدف إليها من تشريع الشريعة ، وليست السبب الذي من أجله شرّعت . وهذه النصوص لا تفيد العليّة وهي مثل قوله تعالى [**فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً**] (٣) . ولا يوجد أي نص من النصوص يدل على علّة تشريع الشريعة . والآيات دلّت على الغاية التي يمكن أن تنتج من إنزال الشريعة ولكنها لم تدل على الباعث على تشريع الحكم ؟ ومثال آخر قال تعالى : [**وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون**] (٤) فهذا مقصد الشارع من خلق الجن والإنس ، والمشاهد المحسوس أن كثيراً من الإنس لا يعبدون الله . وقال تعالى في شأن الحج : [**ليشهدوا منافع لهم**] (٥) ، والمشاهد المحسوس أن أكثر الحجاج لا ينتفعون بشيء . وقال تعالى في شأن الخمر والميسر : [**إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر**] (٦) والمشاهد المحسوس أن كثيراً ممن يعاقرون الخمر متآلفون متحابون . وعليه فلا يصلح أن يجعل مقصد الشارع هذا باعثاً على تشريع الحكم . فلا يكون علّة له ولو جاز أن يكون مقصد الشارع في هذه الآيات باعثاً على تشريع الحكم ، أي علّة لكان إيقاع العداوة والبغضاء علّة في تحريم الخمر والميسر ، فاذا وجدت حرّماً والاّ فلا . ولكان شهود المنافع هو علّة الحج ، فإذا وجدت وجد الحج وإلاّ فلا وهكذا ... وهذا غير صحيح . وعليه فالحكمة غير العلّة ، والحكمة أي مقصد الشارع من الشريعة ككل ، ومن الأحكام الجزئية قد يتحقق في الواقع وقد لا يتحقق ، فهي من قبيل الأخبار من الله تعالى باشياء لا بأحكام فتأخذ في النصوص الشرعية حكم القصص والأخبار والمواعظ والإرشاد ، ولا يصح أن تكون غير ذلك . فلا تدخل في التشريع ولا في استنباط الأحكام ولا بوجه من الوجوه ، نقول هذا في نصوص القرآن . فماذا نقول إذن في غير الوحي مما يصدر عن البشر من أقوال وأفعال كأسباب التنزيل ، فهل تدل على حكمة الشارع أو على العلّة الباعثة على تشريع الحكم ؟!! اللهم إني أبرأ إليك من هذا الزعم . وأسباب التنزيل تعد مناط الحكم أي الواقع الذي جاءت تعالجه الآيات . فلا تَرِدُ ان تكون حكمة ولا علّة . وبذلك تسقط دعوى هذه الفائدة المنسوبة لأسباب التنزيل .

---

(١) سورة الاسراء اية ٨٢ وهي مكية.

(٢) سورة الانبياء اية ١٠٧ وهي مكية.

(٣) سورة القصص اية ٨ وهي مكية.

(٤) سورة الذاريات اية ٥٦ وهي مكية .

(٥) سورة الحج اية ٢٨ وهي مدنية .

(٦) سورة المائدة اية ٩١ وهي مدنية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفائدة الثانية: (دفع توهم الحصر عما يفيد بظاهره الحصر) [1]

وقد مثلوا كلهم لهذه الفائدة بنفس المثال ، وهو قول الشافعيّ كما رواه صاحب البرهان (قال الشافعيّ ما معناه في معنى قوله تعالى [**قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلاّ أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم**] [2] . إن الكفار لما حرّموا ما أحلّ الله ، وأحلوا ما حرّم الله ، وكانوا على المضادّة والمحادّة جاءت الآية مناقضة لغرضهم ، فكأنه قال : لا حلال إلاّ ما حرّمتموه ، ولا حرام إلاّ ما أحللتموه ، نازلاً منزلة من يقول : لا تأكل اليوم حلاوة ، فيقول : لا آكل اليوم الاّ الحلاوة ، والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة ، فكأنه قال : لا حرام إلاّ ما حللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به ، ولم يقصد ما وراءه ، إذ القصد بإثبات التحريم لا إثبات الحلال .

وقال إمام الحرمين : (وهذا في غاية الحسن ، ولولا سبق الشافعيّ إلى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية . وهذا قد يكون من الشافعيّ أجراه مجرى التأويل) [3] .

هذه هي عبارة الزركشي ، ونظرة فاحصة في العبارة تجد ان الشافعيّ لم يذكر قوله هذا على أنه سبب نزول للآية ؛ وإنما هو تفسير (قال الشافعيّ ما معناه في معنى قوله تعالى) وقال إمام الحرمين : (وهذا قد يكون من الشافعيّ أجراه مجرى التأويل) . وموضوع البحث هو في فوائد أسباب التنزيل . وعليه فالتمثيل لهذه الفائدة لا يعتد به لعدم صحة المثال ، ولعدم وجود مثال آخر عليه . وقد اطلعت على ما يربو على عشرين تفسيراً من أمهات كتب التفسير فلم أعثر على سبب نزول لهذه الآية ؛ هذا عدا عن الكتب المتخصصة في أسباب التنزيل [4] . فضلاً عن كتب الشافعيّ نفسه كالرسالة والأم وما جمع عنه في التفسير وهو كتاب أحكام القرآن ، وهذه الكتب مظنّة وجود رأي الشافعيّ فيها فلم أعثر على مثال آخر أو سبب نزول لهذه الآية . ولما كان هذا هو المثال الوحيد الذي ساقه مَنْ كَتَبَ في هذه المسألة فبالتالي تسقط دعوى القول بأن هذه من فوائد أسباب التنزيل .

وقال ابن العربي في احكام القرآن رداً على أصحاب الشافعيّ : (الجواب الثاني : دعوى ورود الآية على سؤال لا يُقْبَلُ من غير نقل يعوّل عليه) [5]

---

(١) انظر البرهان في علوم القران للزركشي ج١ ص٢٣ والاتقان في علوم القران للسيوطي ج١ ص٣٩ ، مباحث في علوم القران ، د. قصبي زلط ص٦١ طبعة دار القلم دولة الامارات العربية ط٢، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م . أسباب النزول عند الصحابة والمفسرين لعبد الفتاح القاضي ص٨ طبعة دار الندوة الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م وغيرها.

(٢) سورة الانعام ١٤٥ وهي مكية .

(٣) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ج١ ص٢٣ ، والاتقان للسيوطي ج١ ص٣٩

(٤) كتاب أسباب نزول القرآن للواحدي ، لباب النقول للسيوطي ، ومخطوط إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن لعطية الله بن البرهان الأجهوري ت ١١٩٠هـ ، ١٧٧٦ ، ومخطوط العُجاب في الأسباب لابن حجر العسقلاني.

(٥) أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ج٢ ص٧٥٨ تحقيق علي محمد البجاوي ط٢ عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال القرطبي (وقيل إن الآية جواب لمن سأل عن شيء بعينه فوقع الجواب مخصوصاً . وهذا مذهب الشافعي . وقد روى الشافعي عن سعيد بن جبير أنه قال : في هذه الآية أشياء سألوا عنها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأجابهم عن المحرمات من تلك الأشياء) ثم عقب بعد المناقشة فقال (والحصر فيها ظاهر فالأخذ به أولى) [1] ونفيد من مناقشة ابن العربي والقرطبي أن الآية لم تنزل جواباً عن سؤال معين . أي أنه ليس لها سبب نزول خاص بها . وقد تعقبت رواية الشافعي عن سعيد بن جبير (كما روى القرطبي) في ما جمع من تفسير سعيد بن جبير فلم أعثر لسعيد بن جبير على قول في هذه الآية . وإذا أنعمنا النظر في الآية وما قبلها وما بعدها نجد أن الآيات ١٤٢ - ١٤٧ تبحث في موضوع واحد ، فهي تهدم التشريعات الجاهلية بشأن المأكولات من الذبائح وتبين فساد الحكم وفساد المعتقد ، وتوضح تشريع الإسلام الذي يجب أن يحل محل ذلك التشريع الفاسد المبني على الأهواء ، قال الفخر الرازي : (إعلم أنه تعالى لما بيّن فساد طريقة أهل الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطعومات اتبعه بالبيان الصحيح في هذا الباب فقال الآية ...) [2] وعليه تكون الآية قد وصفت ما عليه مجتمع قريش بشأن الذبائح ولا يوجد سبب خاص نزلت بشأنه .

وإذا علمنا أن الآية مكية وقد نزلت جملة واحدة أو متقاربة في السنة الخامسة للبعثة ، ولم تثبت رواية تسند لها سبب نزول تأكدنا من صحة قولنا أنها جاءت ابتداء لتهدم مفاهيم الجاهلية وتحطمها وتبيّن عوارها بشأن المطعومات من الذبائح .

وأما قول الشافعي - رحمه الله - إن صحّ عنه - (فهي سبيل المضادّة والمحادّة) فهو فهم لمعنى الآية خاص به ولا يعدّ حجة في موضوعنا ، وهو قول يقال عن البشر ، وقياساً على العقل البشري ، أما عن الخالق فلا يقبل إلاّ بدليل من الله تعالى . وأكثر العلماء على غير رأيه كما هو مثبت في كتب التفسير المختلفة . عدا عن أن هذه المقولة تُخرج اللغة العربية عمّا وضعت له . فهذا اسلوب من أساليب القصر بالنفي والاستثناء فهو يفيد الحصر ، ولا يجوز أن يخرج عن معناه إلاّ بقرينة ترد في النص . وقد ورد القصر في سورة البقرة بإنما وهي مدنية متأخرة في النزول قال تعالى : [**إنما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله**] [3] .

وخلاصة القول إن هذه الفائدة المنسوبة إلى أسباب التنزيل دعوى ينقصها الدليل فلا يؤخذ بها .

الفائدة الثالثة : " تخصيص الحكم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ " [4]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي ٧ ص١١٦ مصورة عن طبعة ١٩٥٢ مصحح الطبعة أحمد عبد العليم البردوني.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٣ ص٢١٩ ط٢ دار الكتب العلمية طهران.

(٣) سورة البقرة اية ١٧٣.

(٤) انظر البرهان للزركشي ج١ ص٢٢ ، الإتقان للسيوطي ج١ ص٣٨ مناهل العرفان للزرقاني ج١ ص١٠٥ ، أسباب نزول القران د. حمّاد عبد الخالق حلوة ج١ ص١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن أهم كتب علوم القرآن التي بين أيدينا هي البرهان في علوم القرآن للزركشي ، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، ومناهل العرفان لعبد العظيم الزرقاني وكلها ترى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وتُخَطِّئُ من يقول بأن العبرة بخصوص السبب ولا يتعداه إلاّ بقرينة القياس أو بالحديث الشريف " حكمي على الواحد حكمي على الجماعة "[1] ومع ذلك تجدهم يتصيّدون فوائد لأسباب التنزيل من أجل آراء المخالفين لرأيهم مبالغين في الرد على من قال إنه لا فائدة في أسباب النزول لجريانها مجرى التاريخ . فذكر هذه الفائدة مع قناعتهم بعدم صحة أساسها أمر غير مقبول . فضلاً عن أن بحث هذه المسألة في مكانها المناسب (وهو أصول الفقه) أولى . وقد كانوا بغنى عن ذكر هذه الفائدة في هذا المقام . وعليه فلا وجه لذكر هذه الفائدة لأسباب التنزيل لأنها قاعدة أصولية من جهة ولأن القائلين بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب يُخَطِّئون القول بأن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ * .

الفائدة الرابعة : " معرفة أن سبب النزول غير خارج عن حكم الآية إلاّ إذا ورد مخصصاً لها "[2]

وهذه الفائدة من القواعد التي يجمع عليها من يعتد برأيهم في أصول الفقه ، وهي متفق عليها عند الجمهور . وقد ذكر الإجماع نفس علماء علوم القرآن الثلاثة ، وهي صحيحة ولا كلام عليها ، وقد أوردها علماء الأصول في كتبهم كالآمدي والشاطبي وغيرهم كثير . غير أن هذه الفائدة محلها قواعد أصول الفقه وليست في أسباب التنزيل ، فهي قاعدة أصولية تتعلق بروايات أسباب التنزيل . لذلك لا أرى ان تدرج هذه القاعدة هنا كفائدة ، ويكتفى بموضوعها في علم أصول الفقه . فهي صحيحة من حيث كونها قاعدة أصولية ، وتتعلق بأصول الفقه ، ولا يعدّ وجودها في فوائد أسباب التنزيل صحيحاً .

تنبيه: ان القواعد الأصولية تلزم للمجتهد الذي يريد استنباط الأحكام الشرعية من النصوص الشرعية. والمفسر يحتاج الى روايات أسباب التنزيل ليوضح معاني الألفاظ في القرآن الكريم. وليس كل مفسر مجتهداً حتى يحتاج الى القواعد الأصولية.

---

(١) الحديث هذا لا أصل له كما قال نور الدين علي بن محمد بن سلطان المشهور بالمُلاّ على القاري المتوفي ١٠١٤هـ في كتاب الاسرار المرفوعة في الاخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى ص١١٤ طبعة دار الكتب العلمية بيروت تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول وقال : لا أصل له كما قال العراقي وانكره المزّي والذهبي أيضا وقال الزركشي لا يعرف) قول الزركشي هذا في كتاب الدرر كما قال العجلوني في كشف الخفاء ٣٦٤/١ وإن كان هذا الحديث موضوعاً إلاّ أن معناه قد صحت فيه أحاديث أخرى ليس هنا مجالُ بحثها.

(٢) انظر البرهان للزركشي ص٢٢ ج١، الاتقان للسيوطي ص٣٨ ج١ ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده ج٢ ص٣٥٠.

* انظر ص ١٠٩ في هذه الرسالة عموم لفظ الآية وخصوص سببها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد

ويشمل ثلاثة مباحث :

الأول : بعض جهود القدماء في هذا الفن.
الثاني : بعض جهود المعاصرين في هذه المسألة.
الثالث : أسباب دخول الدخيل إلى أسباب التنزيل.

المبحث الأول
بعض جهود القدماء في هذا الفن

يعد علي بن المديني شيخ البخاري المتوفى سنة ٢٣٤ هـ [١] أول من دوّن كتاباً في هذا العلم ، ولم يعثر على مؤلّفه حتى الآن . ومن أشهر المصنفات التي وصلتنا كتاب الواحدي [٢] المتوفى سنة ٤٦٨هـ : أسباب نزول القرآن . ثم جاء برهان الدين الجعبري [٣] فاختصره وحذف اسانيده ولم يزد عليه شيئاً . وممن أفرده بالتصنيف كذلك ابو الفرج - ابن الجوزي [٤] - المتوفى سنة ٥٩٧ هـ وسماّه (أسباب نزول القرآن) .ثم جاء ابن حجر العسقلاني [٥] المتوفى ٨٥٣ هـ فشرع في تأليف كتاب سمّاه (العُجاب في بيان الأسباب) وقد مات عنه مسودة ولم يكمله فقد بلغ لنهاية قوله تعالى : [**أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة**] سورة النساء ٨٧ .

---

(١) هو علي بن عبد الله بن جعفر السعدي شيخ البخاري ولد سنة ١٦١هـ ٧٧٨م وتوفي سنة ٢٣٤هـ ٨٤٨ م بصري معروف بابي الحسن بن المديني . محدث حافظ . انظر معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ج٧ ص١٣٢.

(٢) ابو الحسن علي بن احمد بن محمد بن علي الواحدي ت ٤٦٨هـ ١٠٧٦م من نيسابور اللغوي اخباري ، مفسر صاحب كتاب اسباب نزول القرآن استاذه الثعلبي صاحب الكشف والبيان انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج ٧ ص٢٦.

(٣) ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن خليل الجعبري من مدينة الخليل المعروفة بفلسطين ويقال له ابن السراج واشتهر بالجعبري (تقي الدين ، برهان الدين ، ابو العباس) ولد سنة ٦٤٠هـ ١٢٤٢م وتوفي ٧٣٢هـ ١٣٣٢م صاحب مختصر اسباب النزول للواحدي معجم المؤلفين ج١ص٦٩.

(٤) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد معروف بابن الجوزي (جمال الدين ، ابو الفرج) ولد ببغداد سنة ٥١٠هـ ١١١٤م وتوفي ٥٩٧هـ ١٢٠١م محدث ، حافظ ، مفسر ، انظر معجم المؤلفين ج٥ ص١٥٧.

(٥) احمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني . مصري المولد والمنشأ والدار والوفاة ولد ٧٧٣هـ ١٣٧٢م وتوفي سنة ٨٥٢هـ ١٤٤٩م ومشهور بابن حجر (شهاب الدين ، ابوالفضل) محدث ،مؤرخ اشهر كتبه ، فتح الباري شرح صحيح البخاري والاصابة في تمييز الصحابة . انظر معجم المؤلفين ج٢ ص٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم جاء جلال الدين عبد الرحمن السيوطي [1] المتوفى سنة ٩١١ هـ . وجمع كتابه (لباب النقول في اسباب النزول) . وكذلك ابن عطية الأجهوري [2] المتوفى سنة ١١٩٠ هـ . خط مخطوطة في ذلك سماها (ارشاد الرحمن لاسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويدالقرآن) . والكل عالة على كتاب الواحدي بلا ريب ، وسأتحدث عن بعض هذه المصنفات المطبوعة والمخطوطة .

١- كتاب الواحدي : أسباب نزول القرآن

وهو اهم كتاب متخصص بروايات أسباب التنزيل ، واقدمها تاريخاً مما وصل إلينا ويمتاز أنه يذكر اسانيد روايات لأسباب التنزيل . ويمكن تسجيل الملحوظات الآتية عليه :

١- ذكر الواحدي أنه جمع روايات أسباب النزول في كتابه فقال بعد الديباجة (ثم نفرغ للقول مفصلاً في سبب نزول كل آية روي لها سبب مقول ، مروي منقول) [3] . وهذا اوقعه في جمع الغث والسمين . وقد يفهم من عبارته (روي لها سبب مقول) :انه ذكر الروايات التي اوردها القصصيون والاخباريون دون اسناد وهذا يتجلى في قوله : قال الضحاك ، قال الكلبي ، قال مقاتل ، قال السدّي ... الخ [4] . وقد يفهم من قوله (مروي منقول) : ما ذكره من الروايات مشفوعة بالسند - وان لم يكن السند صحيحاً - لا سيما ان الواحدي قليل البضاعة في الحديث كاستاذه الثعلبي ، وهو غني بالقصص والتاريخ . وبتحقيق الاسانيد يمكن تمييز الصحيح من السقيم ، والخبيث من الطيب .

٢- الكتاب يعج بالاخطاء في النقل والطبع فجاء الاستاذ سيّد صقر - جزاه الله خيرا - وحققه ، وخرّج بعض احاديثه ولكنه لم يحكم على الروايات ، فالكمال لله وحده ، ومن الامثلة على الاخطاء ص٣ في المقدمة بعد الحمد لله (ومرسل الهبـاب) والصواب (ومرسي الهضاب) ، وفي الصفحة نفسها (يزيد بن ابي كثير) والصواب : (يزيد بن ابي بكير) . وفي ص ٤٢ (عمرو بن الحسين) والصواب (عمرو بن حبش) وفي ص ١٧٦ (واخبرني الساهر... عن القاسم بن نجيد) والصواب : (واخبرني الشريف ... عن القاسم بن مخيمرة) . وفي ص ٢٥٠ (فقال نبي الله : اجلسوا على الركب) والصواب : (احبسوا عليّ الرُكب) [5]

---

(١) عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد ، مصري مشهور (بجلال الدين ابو الفضل) ولد ٨٤٩هـ ١٤٤٥م وتوفي سنة ٩١١هـ ١٥٠٥م ، نافت مؤلفاته عن الخمسمئة انظر معجم المؤلفين .

(٢) هو عطية بن الاجهوري الشافعي البرهاني الضرير ت.١١٩٠هـ ١٧٧٦م مشارك في الحديث والاصول ، والتفسير ، انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج٦ ص٢٨٧.

(٣) اسباب النزول للواحدي ص٦ طبعة دار القبلة تحقيق سيّد احمد صقر.

(٤) انظر على سبيل المثال ص١٩ ما قاله في اية ٦ من سورة البقرة [**ان الذين كفروا سواء عليهم**] وص٢١ في اية ٢٦ من سورة البقرة [**ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا**] ص٢٥ في الآية ٧٥ [**افتطمعون ان يؤمنوا لكم**] سورة البقرة . وهذا تجده بكثرة في كتابه من اوله الى آخره.

(٥) انظر ما جمعه د. سيد احمد صقر من اخطاء مصححة ذكرها على سبيل المثال من ص٣٤ - ٣٧ وليست على سبيل الحصر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- إن حقيقة تأثر الواحدي بأستاذه الثعلبي ، ونقله عنه الروايات غير المسندة تحتاج الى إثبات ، ولبيان الحقيقة نقول : لقد ورد في أسباب نزول الآية التاسعة عشرة من سورة الانفال [**ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح**] ما نصه : (وقال السدّي والكلبي : كان المشركون حين خرجوا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- من مكة أخذوا بأستار الكعبة وقالوا : اللهم انصر أعلى الجندين ، واهدى الفئتين ، وأكرم الحزبين ، وأفضل الدينيْن ، فأنزل الله هذه الآية .

وقال عكرمة : قال المشركون : اللهم لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق ، فأنزل الله تعالى [**ان تستفتحوا ... الآية**] وردت الروايتان بالترتيب عند الواحدي [١] . وبالرجوع الى تفسير الطبري - حيث كان سابقاً للواحدي - وجدنا النص الآتي : (حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا احمد بن المفضل ، قال : ثنا اسباط ، عن السدّي قال : كان المشركون حين خرجوا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- من مكة ، أخذوا بأستار الكعبة واستنصروا الله ، وقالوا : اللهم انصر اعز الجندين ، واكرم الفئتين ، وخير القبيلتين ، فقال الله [**ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح**] يقول : نصرت ما قلتم وهو محمد -صلى الله عليه وسلم- [٢] ، وبالموازنة بين النصين نجد أن الواحدي لم يأخذ من الطبري ، وإن كان التشابه موجوداً بين النصين ؛ وذلك لاختلاف النصين : (أعلى الجندين ، واعز الجندين) ، و (أكرم الحزبين ، واكرم الفئتين) و (اهدى الحزبين ، وحذفها من الثاني) و (افضل الدينين ، وخير القبلتين) و (فأنزل الله ، وقال الله) واخيراً ذكر الواحدي الرواية عن السدّي والكلبي دون ان يذكر السند ، وقام الطبري كعادته بذكر السند واسنده الى السدّي فقط .

وقد قام سيّد صقر بتخريج الروايتين فذكر موقعهما في تفسيري البغوي والخازن ، وقوله صحيح فقد وجدت الروايتين تامتين وبنفس النص [٣] كما قال الواحدي غير ان الخازن قدّم الثانية وأخّر الاولى في الذكر . وهذا التخريج من سيّد صقر تنقصه الدقة لأن البغوي والخازن كلاهما متأخر عن الواحدي فلا يعقل ان يكون المتقدم أخذ عن المتأخر والعكس هو الصحيح . وعند الرجوع الى مخطوط الكشف والبيان للثعلبي [٤] وجدنا نفس النص ونفس الترتيب ونفس الرواة وبدون اسناد .

---

(١) اسباب نزول القران للواحدي . انظر طبعة مؤسسة الحلبي وشركاه ١٩٦٨ ص١٥٧ ، وطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٨ ط٢ ص١٣٤ . وطبعة عالم الكتب وبهامشه الناسخ والمنسوخ لابي القاسم هبة الله بن سلامه ص١٧٥ توزيع مكتبة المثني بالقاهرة ومكتبة سعد الدين بدمشق، بالاضافة الى طبعة دار القبلة بالرياض تحقيق سيد صقر ص٢٣١.

(٢) جامع البيان عن تأويل اي القران لابن جرير الطبري ج٩ ص٢٠٨ م ٦ طبعة دار الفكر ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.

(٣) تفسير البغوي المسمى (معالم التنزيل، طبعة دار المعرفة بيروت ، تحقيق خالد العك ومروان سوار ج٢ ص٢٣٩ ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م وتفسير الخازن المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل) لعلي بن محمد بن ابراهيم البغدادي المعروف بالخازن ص١٨٦ ، ج٢ وبهامشه تفسير النسفي طبعة دار الكتب العربية.

(٤) مخطوط بدار الكتب القومية بالقاهرة تحت رقم ٢٥٦ تفسير . وتوجد نسخة اخرى بمكتبة الاسد بدمشق ص١٦٨ ج٣ برقم ٧٨٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والواحدي ينقل عن استاذه الثعلبي كثيراً [1] وكذلك نقل عنه في سبب نزول اية الحجر ٨٧ [**ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم**] رواية حدثت بالمدينة مع أن السورة والآية قطعاً نزلتا بمكة .

وحاول الثعلبي التدليل على صحتها بنص الآية التي وردت بعدها ، مع ان الاستدلال يبقى ضعيفاً لنزول النص قبل وقوع ما زعم انه سبب بسنوات كثيرة . والقصة هي : (قال الحسين بن الفضل : إن سبع قوافل وافت بصرى ، واذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد ، فيها انواع من البز وأوعية الطيب والجواهر وأمتعة البحر ، فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها فأنفقناها في سبيل الله . فانزل الله تعالى هذه الآية وقال : لقد اعطيتكم سبع آيات هي خير لكم من هذه السبع القوافل . ويدل على صحة هذا قوله تعالى على إثرها : [**لا تمدّنّ عينيك الى ما متّعنا به ازواجاً منهم**] [2] .

٤- ذكر الواحدي في ديباجته انه لا يحل القول في أسباب النزول الاّ بالرواية والسماع ، وقد حوى كتابه روايات دون إسناد . فيكون قد وقع في المحظور الذي حذّر منه وانظر على سبيل المثال ص ١٩٣ قال ابن عباس ، قال الكلبي ، قال السدّي وقال آخرون ... في أسباب نزول الآيات ٥٧ ، ٥٨ من سورة المائدة ولا تكاد تخلو صفحة من هذه النقول غير المسندة ، وربما يكون الواحدي يرى أن ما نقله عن استاذه الثعلبي (وهو يثق به كثيراً) من الروايات الصحيحة ، فهذا العذر ان قبل منه فانه يدرأ عنه الأثم ولكن لا يعفيه من الجهل .

٥- حوى الكتاب روايات تفسيرية وليست أسباباً للتنزيل ويمكن تمييزها بسهولة فمثلاً ذكر في آية البقرة ٤٥ [**واستعينوا بالصبر والصلاة**] قال (عند اكثر اهل العلم : ان هذه الآية خطاب لأهل مكة ، وهو مع ذلك أدب لجميع العباد ، وقال بعضهم : رجع بهذا الخطاب الى خطاب المسلمين ، والقول الاول اظهر) [3] ، ومثله ما ذكره في سبب نزول سورة الفيل في انها نزلت في قصة اصحاب الفيل [4] .

٦- اشتمل الكتاب على روايات إسرائيلية تفوح منها ظاهرة الوضع وتجد ذلك في مواطن متعددة ، منها ما ذكره في سبب نزول قوله تعالى [**واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان**] ..الآية [5] .

---

(١) ومثال اخر ما ذكره الواحدي في سبب نزول اية ٣٣ من سورة النور [**ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا** ٠٠] وقال مقاتل : نزلت في ست جوار لعبد الله بن ابي كان يكرههن على الزنا ويأخذن اجورهن .. الواحدي ص٣٣٩ وعن الزهري ان رجلا من قريش اسر يوم بدر وكان عند عبد الله بن ابي اسيرا ،وكان لعبد الله جارية يقال لها معاذه ، وكان القرشي الاسير يراودها عن نفسها ، وكانت تمتنع منه لاسلامها ، وكان ابن ابي يكرهها على ذلك ويضربها رجاء ان تحمل من القرشي .. ص٣٤٠ وهي نفس الروايات التي وردت في الكشف والبيان للثعلبي ص١٣٧ ، ص١٣٨ ج٣ نسخة مكتبة الاسد برقم ٧٨٨١ .

(٢) اسباب النزول للواحدي ص٢٨٢ ومخطوط الكشف والبيان للثعلبي ج٣ ص٢٢١ ب مكتبة دار الكتب القومية بالقاهرة تفسير ٧٩٧.

(٣) اسباب نزول القران للواحدي . ص٢٢ . طبعة دار القبلة تحقيق سيد صقر .

(٤) انظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٠٠ طبقة دار القبلة تحقيق سيّد صقر .

(٥) سورة البقرة آية ١٠٢ وانظر القصة ص٢٩ - ص٣١ من اسباب نزول القرآن للواحدي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخلاصة الخرافة : أن سيدنا سليمان دفن تحت كرسيه كذب الشياطين ، وبعد موته عليه السلام دلّ الشيطان الناس على مكان هذا السحر ، وكذلك الحوار الذي جرى بين سيدنا سليمان وبين شجرة الخرنوبة الى غير ذلك من الخرافات الاسرائيلية [1] .

وانظر الى ما اورده في سبب نزول قوله تعالى [**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها** ..] [2] الآية . وفحوى القصة : أن رجلاً من مدينة الجبارين مع امرأة جميلة دعت على زوجها الدعوات المستجابة الثلاثة وهي : أن تكون المرأة اجمل نساء بني اسرائيل ، ثم مُسخت كلبة لانها نقضت العهد ، ثم اعادها .وهي المرأة التي يُضرب بها المثل " أشأم من البسوس " .

٧- ترى سند سلسلة الكذب في روايات الواحدي وهو محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . قال ابن حجر : (ومن روايات الضعفاء عن ابن عباس التفسير المنسوب لابي النضر محمد بن السائب الكلبي فانه يرويه عن ابي صالح مولى أم هانيء عن ابن عباس .والكلبي اتهموه بالكذب ، وقد مرض فقال لأصحابه في مرضه كل شيء حدثتكم عن ابي صالح كذب . ومع ضعف الكلبي فقد روى عنه تفسيره مثله أو أشدّ ضعفاً وهو محمد بن مروان السدّي الصغير ، ورواه عن محمد بن مروان مثله أو أشد ضعفاً وهو صالح بن محمد الترمذي) [3] .

كما أورد الواحدي اسانيد منقطعة منها . رواية عطاء عن ابن عباس - والمقصود بعطاء في سوى الزهراوين عطاء الخراساني . وهو لم يسمع من ابن عباس . قال ابن حجر (ومن طريق ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس) لكن فيما يتعلق بالبقرة وآل عمران ، وما عدا ذلك يكون عطاء هو : الخرساني وهو لم يسمع من ابن عباس ، فيكون منقطعاً) [4] ومن أمثلة هذا الانقطاع ما ذكره الواحدي في الآية ٥٨ من سورة الأحزاب [**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا**] ص ٣٨٢ وانظر ص ٣٤٧ السند الذي ذكره في سبب نزول الآية ٢٧ من سورة الفرقان [**ويوم يعَضُّ الظالم على يديه**] [5] .

---

(١) انظر القصة الواردة في ص٢٢٢ - ص٢٢٤ من أسباب نزول القرآن للواحدي بشأن قوله تعالى **[واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه فانسلخ منها**] الأعراف ١٧٥ . وانظر ماقيل في سبب نزول آية ٢٦٠ من سورة البقرة [**واذ قال ابراهيم ربّ ارني كيف تحيي الموتى**] ص٧٩ وما بعدها .

(٢) سورة الاعراف آية ١٧٥ .

(٣) انظر مقدمة مخطوط العجاب في الأسباب لابن حجر ص٤ وانظر مقدمة أسباب النزول للواحدي من تقديم سيد صقر ص٢٥. ومن هذه الأمثلة ما ذكره الواحدي ص٢٠ في سبب نزول آية ١٤ من سورة البقرة ، والآية ٤٤ من نفس السورة ص٢٢ والآية ٧٩ من نفس السورة ص٢٤، ص٢٧٦ والآية ١٣من سورة الرعد . وغيرها كثير .

(٤) انظر مقدمة مخطوط العجاب في الأسباب لابن حجر ص٤ وانظر مقدمة أسباب النزول للواحدي من تقديم سيد صقر ص٢٥

(٥) وانظر ص٢٩٧ من أسباب نزول القرآن للواحدي في الآية ٧٣ من سورة الإسراء [**وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك**] وانظر ص٢٤٤ في سبب نزول الآية ٣٤ من سورة التوبة [**والذين يكنزون الذهب والفضة** ..] وانظر رواية سبب نزول الآيات ٦٨-٧٠ من سورة الفرقان ص٣٤٩ ففي احدى الروايات عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ... الخ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأسانيد الواهية التي استعملها الواحدي كذلك : (جويبر بن سعيد الضحاك عن ابن عباس . قال ابن حجر : ومنهم (اي الضعفاء) جويبر بن سعيد . وهو واهٍ . روى التفسير عن الضحاك بن مزاحم وهو صدوق عن ابن عباس ، ولم يسمع منه شيئاً [١] .

ومن أمثلة ذلك عنده : سند رواية سبب نزول الآية ٢٨ من سورة الكهف : [**ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا**] عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس [٢] . ومنه سند الآية ١٠ من سورة الفرقان [**تبارك الذي ان شاء جعل لك خيراً من ذلك**] الآية : حدثنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس [٣] : ومختصر الخرافة العجيبة أن جبريل عليه السلام ذاب حتى صار مثل الهُرَدَة* اي العدسة . وذلك لانه فتح باب من السماء لاول مرة خشي جبريل من ذلك ان ينزل العذاب بقوم محمد -صلى الله عليه وسلم- ... الخ .

ومن الأسانيد المشهورة ما نقله عن مقاتل بن سليمان الذي قال فيه الشافعي : مقاتل قاتله الله لأنه كان يقول بالتجسيم بالإضافة الى نقلِه الاسرائيليات [٤] .

وأكتفي بذكر هذا القدر من الأسانيد التي لا يعتد بها وقد أكثر منها الواحدي ، وبقية الأسانيد ذكرها مفصلةً ابن حجر في مخطوطه العجاب في الأسباب كما اشرنا سابقاً ونقلها سيّد صقر في مقدمة كتابه تحقيق أسباب النزول للواحدي فليرجع اليه من شاء المزيد .

هذه الملحوظات التي تظهر لدى المدقق في قراءة هذا الكتاب ، وقد اعذر سيّد صقر محقق الكتاب كُلاً من الواحدي واستاذه الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ هـ برواية الاحاديث الغريبة المريبة لمشاركة جمهرة المفسرين بنقلها وقال ان المشكلة اقوى من الجميع ، وشبه الاحاديث المدخولة لكثرتها بالغابة الكثيفة التي لا يقوى على الضرب بها الاّ أولو العزم من العلماء وقليل ما هم [٥] . وخلاصة القول ان كتاب الواحدي هذا يعد احسن كتاب في أسباب التنزيل على الرغم من ان جل رواياته لا تصلح ان تكون سبباً للتنزيل ويمكن الاستفادة بقسم منها في باب التفسير [٦] .

---

(١) مخطوط العجاب في الاسباب ص٥ .
(٢) اسباب النزول للواحدي ص٣٠٧ طبعة دار القبلة.
(٣) اسباب النزول للواحدي ص٣٤٥ ،٣٤٦ طبعة دار القبلة
(٤) ومما نقله عن مقاتل انظر ص٢٥ سبب نزول الاية ٧٥ من سورة البقرة [**أفتطمعون ان يؤمنوا لكم**] الآية وانظر ص٢٨ ص ١٠٤ وص١١٣وص١٢٨وص١٤٤ .. الخ ومن الجدير بالذكر انه ينقل عن مقاتل دون ذكر اي سند ويكتفي بالقول قال مقاتل .
(٥) انظر ص٣٢ من مقدمة كتاب اسباب النزول وهي لسيد صقر.
(٦) هذه النتيجة توصلت اليها بعد الدراسة والبحث والمقارنة وبعد قياس رواياته على الاطر التي لا بد منها لاعتماد صحة الرواية وقد اثبتها في الفصل الاول المبحث الثاني من هذه الرسالة.

* الهُرَدَة: هَرَتَ وهَرَدَ. وهَرَدَ الثوب هَرْداً وهَرَتَهُ هَرْتاً: شقّه، وهَرَدَ اللحم: انشوى انظر ص ١٦٧ ج١ كتاب الأفعال للمعافري السرقسطي تحقيق د. حسين شرف اصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧٥م.

العدسة: داء بثرة تخرج بالإنسان وربما قتلته ص ٢٣٧ ج١ ديوان الأدب للفارابي تحقيق د. احمد مختار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- مخطوط العجاب في بيان الأسباب [١] لأحمد بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ . وهو مخطوط كبير يقع في صفحتين واربعمائة صفحة موجود في خزانة ابن يوسف العمومية بمراكش رقم ٢٥٨ وهي نسخة قديمة ناقصة البسملة وجزء من الديباجة من أولها، والخط جزء منه بيد المؤلف والباقي بخط عالم اسمه كمال الدين ، ولم يوضح بقية الاسم . وقال الناسخ : (وكان الفراغ من كتابة ذلك في الليلة المسفر صباحها عن السادس من شهر شوال المبارك سنة تسع وثمانين وثمانمائة) . اي بعد وفاة المؤلف بسبع وثلاثين سنة . والكتاب ذكر فيه الروايات التي ذكرها الواحدي اولاً ثم يعلق عليها المؤلف . هذا وقد جعل المؤلف فصلاً جامعاً في مقدمة المخطوط بيّن فيه حال من نقل عنه التفسير من التابعين ومن بعدهم ليغني عن التكرار ، ثم بدأ بالفاتحة وسورة البقرة وآل عمران والنساء وقد توفي ولم يكملها وقد بلغ الى قوله تعالى [**أينما تكونوا يدرككمُ الموت ولو كنتم في بروج مشيدة**] [٢] . وكان الرجل ينوي اكماله بدليل انه في اثناء المخطوط تجده يقول سيأتي الاثر أتمّ منه في سورة سبحان ، وقال سيأتي في سورة القمر .. الخ . ولمزيد من الفائدة اقتطع جزءاً من مقدمته مما له علاقة باعطاء صورة عن المخطوط فقال عن كتاب أسباب النزول للواحدي :

(فوجدته - رحمه الله - قد وقع في ما عاب من ايراد كثير من ذلك بغير اسناد مع تصريحه بالمنع الاّ فيما كان بالرواية والسماع وفيما اورده بالرواية والسماع ما لا يثبت لوهاء بعض رواته ، ثم ما اقتضاه كلامه ان الممنوع من سياق الخبر من غير رواته دون استيثاق برواية او سماع لا يكون فيه ذلك ليس بمسلم طرداً ولا عكساً بل المحذور ان يكون الخبر من رواته من لا يوثق به سواء ساق المصنف سنده ام لم يسقه . فكم من سند موصول من رواية كذّاب او متروك ، او فاحش الغلط ، وكم من خبر يذكر بغير اسناد وينبه على انه من مصنف فلان مثلاً سند قوي افيرتاب من له معرفة ان الاعتماد على الثاني هو الذي يتعيّن قبوله ، او شك عالم ان الاعتماد على الاول هو الذي يتعيّن اجتنابه ، ثم ان ظاهر كلامه انه استوعب ما تصدّى له وقد فاته منه شيء كثير ، ولما رأيت الناس قد عكفوا على كتابه وسلموا له الاستبداد بهذا الفن من فحوى خطابه تتبعته مع تلخيص كلامه ما فاته محذوف الأسانيد غالباً لكن مع بيان حال ذلك الحديث من الصحة والحسن والضعف والوهاء ، قصد النصح للمسلمين وذباً عن حديث سيد المرسلين ولا سيما فيما يتعلق بالكتاب المبين فابدأ غالباً بكلام الواحدي ،ثمّ بما استفدته من كلام الجعبري ، ثم بما التقطته من كتب غيرهما من ارباب التفاسير ، وكتب المغازي ، وكتب المسانيد

---

(١) انظر مفتاح السعادة و مصباح السيادة لطاش كبرى زاده ص٣٤٩ ج٢. وانظر هدية العارفين ص ١٢٨ ،ص١٢٩ وقد حصلت على نسخة من المخطوط في مكتبتي الخاصة.

(٢) الآية ٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والسنن وغير ذلك من الاجزاء [1] ناسباً كل رواية لراويها وكل مقالة لمخرجها ثم لا اذكر من الروايات الاّ ما هو سبب نزول بادى الرأي لا ما يكون من هذا القبيل بضرب من التأويل وقد اورد الواحدي من ذلك اشياء ليست بكثيرة فلم احذف منها شيئاً بل جعلت علامة ما ازيده (ز) تكتب على اول القول . واما ما ازيده في اثناء كلامه فهو بغير علامة ، لكن ربما عرف اذا كان في صورة الاعتراض مثلاً ، وقبل الخوض في المقصود اقدم فصلاً جامعاً لبيان حال من نقلت عنه التفسير من التابعين ومن بعدهم يغني عن التكرار) [2] .

والمخطوط لو قدّر له ان يتم لجاء سفراً ضخماً ، فقد اكثر من ذكر روايات في أسباب التنزيل لم يذكرها الواحدي . ففي سورة البقرة مثلاً ذكر الواحدي تسعاً وعشرين آية لها سبب نزول لغاية آية ١٥٣ في حين ذكر ابن حجر اربعاً وستين آية ، اي بزيادة ما يربو على الضعفين مما ذكره الواحدي . ومن هذا النموذج الاحصائي نرى ان ابن حجر قد خالف ما وعد به وهو ان لا يذكر من الروايات الا ما هو سبب نزول لا ما يكون من هذا القبيل بضرب من التأويل . وقد كانت المخالفة منذ البداية ففي سورة البقرة في فاتحة السورة قال [**الم**] : قال شيخ شيوخنا ابو حيان في البحر ، قال قوم : ان المشركين لما اعرضوا عن سماع القرآن نزلت ليستغربوا ذلك فيفتحون لها اسماعهم يستمعون القرآن لتجب عليهم الحجة . قلت وقد حكى نحو ذلك ابو جعفر الطبري وتبعه ابن عطية حيث جمع الاختلاف في المراد بالحروف المقطعة اول السور . قال مقاتل بن سليمان لما دعا النبي -صلى الله عليه وسلم- كعب بن الاشرف وكعب بن اسد الى الاسلام فقالا : ما انزل الله تعالى من بعد موسى كتاباً انزل الله تعالى [**الم ذلك الكتاب**] يعني هذا الكتاب الذي جحدتم نزوله لا ريب فيه انه أنزل من عند الله تعالى على محمد ، وقال الطبري يحتمل ان تكون الاشارة لما انزل قبل سورة البقرة ، وقيل الاشارة الى التوراة والانجيل ، وحكى ابن ظفر في تفسيره المسمى ينبوع الحياة ما نصه : قيل ذكر في كتب الله السالفة ان علامة القرآن الموعود بانزاله ان في اوائل سور منه حروفاً غير منظومة فنزل القرآن كما قيل لهم واشار بقوله [**ذلك الكتاب**] الى ما وعدهم .

---

(١) المسانيد : هي الكتب الحديثية التي صنفها مؤلفوها بان جمعوا احاديث كل صحابي على حدة مثل مسند احمد بن حنبل . السنن : هي الكتب الحديثية التي صنفها مؤلفوها مرتبة على الابواب الفقهية وتشتمل على الاحاديث المرفوعه فقط وليس فيها شيئا من الموقوف او المقطوع لان هذا لا يسمى سنة في اصطلاحهم ويسمى حديثا مثل سنن الترمذي والنسائي والشافعي وغيرها. الاجزاء : جمع جزء ، وهو الجزء الحديثي في اصطلاح المحدثين يعني كتابا صغيرا يشتمل على احد امرين : اما جمع الاحاديث المروية عن واحد من الصحابة ، او مَن بعدهم/واما جمع الاحاديث المتعلقة بموضوع واحد على سبيل البسط والاستقصاء مثل جزء رفع اليدين في الصلاة للبخاري وجزء القراءة خلف الإمام له ايضا . انظر هذه التعريفات في الرسالة المستطرفة للكتّاني . وكتاب اصول التخريج ودراسة الاسانيد للدكتور محمود الطحان الصفحات ص٤٠، ص١٣١،ص١٣٧ على التوالي.

(٢) مخطوط العجاب في الاسباب لابن حجر ص ٣ب ،ص٤أ من مقدمة المخطوط وتوجد صورة عن المخطوط في مكتبة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وقد حصلت على صورة عنها . واما الفصل الجامع لبيان حال من نقل عنهم فقد سجله الدكتور صقر في مقدمته لكتاب الواحدي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال ابو جعفر بن الزبير : (يحتمل انهم لما أمروا في الفاتحة ان يقولوا اهدنا الصراط المستقيم ، سألوا ما السراط المستقيم ؟ فقيل لهم ذلك الصراط هو الكتاب لا ريب فيه) [1] .

ولا يخفى ما نقله ابن حجر عن سبب نزول فاتحة سورة البقرة انه ليس سبباً ، وإنما هو من باب التفسير وأدخل فيه علم مناسبة النزول أي الربط بين سورتي الفاتحة والبقرة على الرأي القائل إن ترتيب سور القرآن توقيفي . وهذا جلي في قول شيخ شيوخه (أبو حيان) وفي قول ابي جعفر بن الزبير ، وفي قول ابن ظفر ، وأما رواية الطبري ومن تبعه كابن عطية فواضح أنها تفسير حيث جمع المراد بالحروف المقطعة . وكلمة (يحتمل) تدل قطعاً على أنها ليست سبباً في النزول وإنما هو اجتهاده في علم المناسبة في ربط السور مع بعضها . ومن الملحوظات التي يمكن تسجيلها على المخطوط بالإضافة إلى ما سبق [2] :

١- اكثر نقول ابن حجر دون اسناد واكتفى بذكر الراوي ، ويذكر مخرج الحديث ويعطي الحكم عليه ، غير ان الملاحظ انه يكثر من النقول عن مقاتل بن سليمان وما ورد في تفسيره ، رغم انه نقل في مقدمة المخطوط انه من الضعفاء [3] . ولكن التفسير لهذه الظاهرة هو ان ابن حجر خلط كمن سبقه التفسير بأسباب التنزيل ، ولا يخفى ان التفسير يجوز ان يؤخذ عن امثال مقاتل فانه له آراء جيدة في التفسير . ومثاله قوله في تفسير فاتحة سورة البقرة الوارد في الصفحة السابقة . أما أسباب التنزيل فلا يعتد الاّ بما كان مرفوعاً أو في حكم المرفوع .

---

(١) انظر مخطوط العجاب في بيان الأسباب لابن حجر ص٧ أ،ب.

(٢) ملحوظة: لقد عاب على الواحدي لذكره روايات تفسيرية ولكنه وقع فيما عاب به على الرجل. ومن الأمثلة على ذلك انظر ما قاله في سبب نزول الآية ١١ من سورة البقرة [**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض ..**] الآية قال : قال الجمهور : نزلت في الكفار وفسادهم بالكفر ، وفي المنافقين وفسادهم بالمعصية ، وأخرج الطبري عن سلمان قولا آخر انها لم يأت اصحابها بعد وفي سنده مقال) ص٨ . وقال في اية ٢١ من نفس السورة [**يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون**] قال : (ساق الواحدي سندا صحيحاً إلى الاعمش عن ابراهيم هو النخعي عن علقمة هو ابن قيس أحد كبار التابعين قال : كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فهو مكي . وكل شيء نزل فيه يأيها الذين آمنوا فهو مدني . قلت : وقد وصله بذكر ابن مسعود عن البزار والحاكم وابن مردويه قال الواحدي أراد ان يأيها الناس خطاب لأهل مكة ، ويأيها الذين آمنوا خطاب لأهل المدينة . فقوله تعالى [**يا ايها الناس اعبدوا ربكم ..**] خطاب لمشركي أهل مكة الى قوله [**اعدت للكافرين**] انتهى . وقال القرطبي : قال علقمة ومجاهد : كل اية اولها يا ايها الناس نزلت بمكة . وكل اية اولها يا ايها الذين امنوا نزلت بالمدينة . وقال ابو حيان روي عن ابن عباس وعلقمة ومجاهد انهم قالوا : كل شيء نزل فيه [**يا ايها الناس**] فهو مكي ، وكل شيء نزل فيه [**يا ايها الذين آمنوا**] فهو مدني . وحكى الماوردي في المراد بالناس هنا قولين : احدهما انه على العموم في اهل الكفر . قال وبه جزم مقاتل . والثاني : انه على أعمّ من ذلك ويتناول المؤمنين ايضا والمطلوب منهم الدوام على ذلك انتهى .وما نقله عن مقاتل وجد في تفسيره رواية الهديل بن حكيم عنه ما يخالفه ..) وهكذا اضاف صفحة زيادة على هذه النقول في نفس الموضوع . وما ساقه يغني عن التعليق ان هذا كله ليس من اسباب النزول في شيء وانما هو من باب التفسير . انظر ص ٩ب ، ص ١٠ أ ، ب من المخطوط .

(٣) ورغم تنبيه ابن حجر عن مقاتل إلاّ أنه أكثر من النقول عنه انظر الصفحات ٧ب، ٩ب، ١٠أ، ١١أ ١١٢أ ، ١١٣أ وقد كثرت النقول حتى آخر المخطوط ص ١٤٠٢أ . ولم يسق روايات مقاتل ليفندها بل كان أحياناً يجزم بها انظر ص ٧٩ لدرجة انه روى أضعاف أضعاف ما روى الواحدي عنه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- لم يَسْلم ابن حجر في مخطوطه من نقل الإسرائيليات التي لا ينبغي ان تخفى على امثاله وعلى من دونه ، بل ربما دافع عن صحة هذه الروايات كما فعل فيما نقل عن سبب نزول الآية ١٠٢ من سورة البقرة [**واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ..**] فقد استمر ابن حجر بنفسه الطويل المعروف يذكر الروايات من ورقة ٢٥ حتى ورقة ٣٦ أي ما يقرب من اثنين وعشرين صفحة ، وذكر من أنكر هذه الروايات من العلماء كالقاضي أبي بكر بن العربي في أحكام القرآن ، وأبي محمد بن عطية في تفسيره ، وأبي محمد بن حزم ، والقاضي عياض في الشفاء ، وردّ على كل واحد منهم ، بل تعجّب من إنكارهم لهذه القصص مع أنهم ينتسبون للحديث ويسمى بعضهم بالحافظ . وملخص القصة : ان امرأة مُسخت كوكباً في السماء ، وهو المعروف بالزهرة ، حيث أرسل الله ملكين هما : هاروت وماروت ليَريا ما يفعل بنو آدم بعد ان احتجت الملائكة على الله لخلق آدم واستخلافه في الأرض بعد المعصية ومُثلت لهما الزهرة امرأة من احسن البشر فجاء هاروت وماروت فسألاها نفسها فاشترطت عليهما الكفر فأبيا ، ثم قتلَ صبي ، فأبيا ، ثم الخمر، فأبيا ، وفي النهاية استجابا لطلبها فشربا الخمرَ فقتلا وزنيا بها .. الخ . هذا ملخص هذه الخرافة التي نافح عن صحتها ابن حجر . وأقول لكل عالم هفوة وهذه هفوة ابن حجر ، فكونها سبب نزول لا يعقل ان يكون لأن ما قيل في القصة كان في بداية خلق الله للبشر أي قبل نزول القرآن بآلاف السنين التي لا يعلمها الاّ الله تعالى . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن القصة تردّ دراية لأنها تخالف القطعي في الثبوت القطعي في الدلالة حيث قال الله تعالى عن الملائكة [**... لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**] [(١)] هذا ناهيك عن سقوط الأسانيد التي ذكرت القصة مما جعل ابن العربي وابن الجوزي وابن عطية والقاضي عياض وغيرهم ينكرها . ومن امثلة ذلك ايضاً ما ذكره في تفسير قوله تعالى [**واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً**] [(٢)] قال : تقدم قوله تعالى [**واذ بوانا لإبراهيم مكان البيت**] الآية ٢٦ من سورة القمر ، قال عبد الرزاق انا معمر بلغني ان سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً فلما اغرق الله قوم نوح رفع البيت وبقي اساسه فبوأه الله تعالى لابراهيم عليه السلام بعد ذلك . فذلك قوله الآية في تفسير سورة القمر .. وأخرج الطبري من طريق أبي قلابة عن عبد الله بن عمر قال : لما أهبط الله آدم من الجنّة قال إني منزل معك بيتاً يطاف حوله كما يطاف حول عرشي . فلما كان زمن الطوفان رفع فكانت الأنبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى بوأه الله لابراهيم واعلمه مكانه فبناه من خمسة أجبل حراً و لبنان وثبير وجبل الجمر والطور) [(٣)] . فحقاً إنه من العجائب التي ذكرها لنا ابن حجر في روايات أسباب التنزيل . ولا تخفى أمثال هذه الحكايات انها لاتمت إلى أسباب التنزيل بصلة . فقد كانت قبل نزول القرآن بدهر لا يعلمه الاّ الله تعالى . وهي من أساطير الأولين.

---

(١) سورة التحريم أية ٦ .

(٢) سورة البقرة أية ١٢٣

(٣) انتهى ما نقله من ص ٤٤ من مخطوط ابن حجر العجاب في بيان الأسباب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- في هذه الملحوظة نسجل له ما قام به من تخريج للروايات وإعطائه الحكم عليها ، وما ذكره من فصل جامع في المقدمة عمن أخذ التفسير فبيّن الطرق الضعيفة ، وما قدّمه كذلك من نقد المتن في روايات متعددة ، ومن ذلك ما ساقه الواحدي في سبب نزول الآية الكريمة [**واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ..**] [١] قال ابن حجر (أسند الواحدي من طريق محمد بن مروان السُدّي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبيّ وأصحابه وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال عبد الله بن أبيّ : أنظروا كيف أردّ هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فأخذ بيد أبي بكر الصديق فقال مرحباً بالصديق سيّد بني تميم وشيخ الإسلام ، وثاني رسول الله في الغار والباذل نفسه وماله لرسول الله ، ثم أخذ بيد عمر فقال : مرحباً بسيّد بني عدي بن كعب ، الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ، ثم أخذ بيد عليّ فقال مرحباً بابن عم رسول الله وختنه وسيّد بني هاشم ما خلا رسول الله ، ثم افترقوا . فقال عبد الله لأصحابه كيف رأيتموني فعلت ؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت : فأثنوا عليه خيراً فرجع المسلمون إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- واخبروه بذلك . فأنزل الله هذه الآية - قلت (والقول لابن حجر) الكلبي والراوي عنه تقدم وصف حالهما ، وآثارُ الوضع لائحة على هذا الكلام ، وسورة البقرة نزلت في أوائل مقدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة كما ذكره ابن اسحق وغيره ، وعليّ إنما تزوج فاطمة - رضي الله عنها - في السنة الثانية من الهجرة) [٢] . والنقد لمتن أو سند الروايات تجده كثيراً [٣] مما يعد منقبة للرجل يفيد منها كل من أراد تحرير روايات أسباب التنزيل .

وبعد فهذا مجمل القول في مخطوط ابن حجر وهو أقرب إلى التفسير منه إلى أسباب التنزيل . ويبدو انه يريد استيعاب ما تصدّى له الواحدي وما فاته، فيستقطب القراء ويأتي بالعجب الذي قصّر عنه الواحدي . غير أنه وقع فيما وقع به غيره من المزج في الروايات التفسيرية وروايات أسباب التنزيل . والفائدة من المخطوط تكمن في جمعه لنقد السند والمتن معاً .

٣- كتاب لباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ . والكتاب مطبوع عدة طبعات ، وقد نقد الكتاب الدكتور سيّد احمد صقر في مقدمة تخريجه لكتاب الواحدي [٤] . وأعطى صورة موجزة ، واضحة صادقة عن الكتاب ، فجزاه الله عنا خيراً . ومع ذلك لا يمنع الامر ان ندلي بدلونا ونناقش السيوطي في المميزات التي ذكرها لكتابه عن كتاب الواحدي في مستهل كتابه تحت عنوان تنبيهات [٥] .

---

(١) سورة البقرة اية ١٤

(٢) مخطوط العجاب في بيان الاسباب لابن حجر ص ٨ ب ، ص ٩ أ .

(٣) وانظر على سبيل المثال الروايات الواردة في اسباب نزول الاية ٧٥ من سورة البقرة **افتطمعون ان يؤمنوا لكم ..**] ص١٣ أ و ب وانظر ص ١٤ أ و ب من المخطوط ذاته.

(٤) انظر ص ٨ ٢- ص ٣١ في مقدمة صقر لتخريج كتاب اسباب نزول القران للواحدي .

(٥) انظر ص ٦ من لباب النقول في اسباب النزول ، وانظر الاتقان في علوم القران لنفس المؤلف النوع التاسع ج١ ص ٣٨ حين زعم انه لم يحرر مثله .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد دراسة الكتابين يمكن القول ان اللباب مصنوع من الأسباب [١] . فجل روايات اللباب مأخوذة من كتاب الواحدي ، وقد اعترف السيوطي ضمنياً بذلك في الميزة الثانية التي ميّز كتابه بها عن كتاب الواحدي بحرف ك . ونظرة إحصائية في سورة البقرة مثلاً تجد أن الواحدي ذكر أسباب نزول احدى وثمانين آية ، اخذ السيوطي منها ستاً وخمسين سبباً أي بنسبة ٧٥٪ تقريباً . أما عن المميزات :

فالأولى : الاختصار : ويقصد به اختصار الأسانيد فقال (وأما الواحدي فتارة يورد الحديث باسناده ، وفيه من التطويل عدم العلم بمخرج الحديث) [٢] . ومن نظر في حجم الكتابين لا يجد اختصاراً في عدد الروايات ولكن يجد اختصاراً في الأسانيد [٣] . وهذه ليست ميزة حميدة ، وكما قال سيد صقر (فذكر الاسناد منقبة وتركه مثلبة لا شك فيها ولا سيما في مثل هذا الموضوع الذي كثرت فيه الروايات المدخولة ، ولن يستطيع قارئ الكتاب أن يميّز الصحيح من غيره إلاّ إذا كان السند امامه وذلك في غير الأحاديث المخرّجة من الصحاح) [٤] .

وأما الميزة الثانية : وهي الزيادات فعليها ملحوظات كثيرة منها :

١- قد لا تكون زيادة ، وان زُعم انها كذلك ، فمثلاً أسباب نزول المعوذتين جاء بنفس رواية الواحدي وهي قصة سحر الرسول -صلى الله عليه وسلم- على يد لبيد بن الأعصم ولكنه جاء بسند سلسلة الكذب ، وهي طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، في حين ان رواية الواحدي عن الصحيحين . والغريب ان السيوطي نقد رواية ساقها الواحدي في آية ١٤ من سورة البقرة [**واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا** ..] قال (هذا إسناد واهٍ جداً فان السدّي الصغير كذّاب ، وكذا الكلبي وابو صالح ضعيف) [٥] وقد عقّب السيوطي على روايته عن سحر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بهذا الإسناد فقال : (لأصله شاهد في الصحيح بدون نزول السورتين وله شاهد بنزولهما) [٦] وهذا الشاهد هو نفس رواية الواحدي .

وقد يذكر نفس سند رواية الواحدي ومن نفس المصدر ويعدّها زيادة له فمثلاً ذكر في سورة المائدة [٧] : (ك روى البخاري عن أنس بن مالك ، قال : خطب النبي -صلى الله عليه وسلم- خطبة فقال رجل من أبي ؟ قال : فلان فنزلت الآية ، وروى أيضاً عن ابن عباس قال : كان قوم يسألون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- استهزاء فيقول الرجل من أبي ؟ ويقول الرجل تضلّ ناقته : أين ناقتي ؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية ... حتى فرغ من الآية كلها) [٨] .

---

(١) لباب النقول للسيوطي . واسباب نزول القران للواحدي ، وقد علق د. صقر ص ٣٠ ، ص ٣١ في مقدمة تحقيقه لكتاب الواحدي ان من عادة السيوطي الاغارة على كتب السابقين ثم يدّعي في كل كتاب يستلبه انه احسن من كتاب من سبقه . وضرب الامثلة فليرجع اليه من شاء .

(٢) لباب النقول ص ٤

(٣) انظر جميع الاسانيد بلا استثناء

(٤) ص ٢٨ من مقدمة صقر في تحقيق كتاب الواحدي .

(٥) انظر لباب النقول للسيوطي ص ٧

(٦) لباب النقول للسيوطي ص ٢٤٦

(٧) سورة المائدة اية ١٠١ [**يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم**]

(٨) الرواية من لباب النقول ص ٩٦ وفي اسباب النزول للواحدي ص ٢٠٥ طبعة دار القبلة ، تحقيق سيد صقر وهي نفس رواية ابن عباس بسندها في البخاري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- اكثر اسانيد الزيادات ضعيف ، او منقطع ، او واهٍ جداً ، او تفوح منها رائحة الاسرائيليات التي تزكم الانوف .

ففي قوله تعالى [**او كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ..**] [١] قال السيوطي : (ك: اخرج ابن جرير من طريق السدي الكبير عن ابي مالك وابي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة قالوا : كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله إلى المشركين فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله فيه رعد شديد وصواعق وبرق ، فجعلا كلما أصابهما الصواعق جعلا أصابعهما في آذانهما من الفَرَق أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلهما ، وإذا لمع البرق مشيا إلى ضوئه ، وإذا لم يلمع يبصرا ، فأتيا مكانهما يمشيان ، فجعلا يقولان : ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمداً فنضع أيدينا في يده ، فأتَياهُ فأسْلما ووضعا أيديهما في يده وحسن أسلامهما . فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلاً للمنافقين الذين بالمدينة .. إلى آخر القصة) [٢] . والغريب في الأمر ان الطبري نفسه قال عن هذه الرواية . (فان كان ذلك صحيحاً ولست اعلمه صحيحاً إذ كنت بإسناده مرتاباً .) [٣] وإذا كان راوي الاثر وهو الطبري مرتاباً في صحته فتركه أولى من قبل السيوطي الذي نقله لا سيما أننا في موضوع كثر فيه الخلط والدس . ويستحق تعليق أحمد شاكر على هذا الأثر أن يسجل مع أنه طويل فقال :

(وحق لأبي جعفر ، رحمه الله ، ان يرتاب في اسناده ، فان هذا الاسناد فيه تساهل كثير - من جهة جمع مفرق التفاسير من الصحابة في سياق واحد ، تجمعه هذه الاسانيد كما بيّنا آنفاً [٤] فاذا كان الامر في تفسير معنى الآية ، كان سهلاً ميسوراً قبوله ، اذ يكون رأياً او آراء لبعض الصحابة في معنى الآية ، وما في ذلك بأس . اما اذا ارتفع الخبر الى درجة الحديث ، بالاخبار عن واقعة معينة ، او وقائع كانت على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أسباب لنزول بعض الآيات ، او نحو ذلك ، مما يلحق بالحديث المرفوع لفظاً ، او حكماً - كان قبول هذا الاسناد - اسناد تفسير السدّي - محل نظر وارتياب . اذ هو رواية غير معروفة مصدرها معرفة محددة . اي هؤلاء الذي قال هذا ؟ وأيهم الذي عبر عنه باللفظ الذي جاء به ؟ نعم ان ظاهرة انه من الصحابة : اما ابن عباس ، واما ابن مسعود واما ناس من اصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- فقد يقول قائل ، ان مرجع الرواية فيه الى الصحابة ، وسواء اعرف الصحابي الراوية ام ابهم اسمه ، فان ذلك لا يخرجه عن رواية الصحابة ، وجهالة الصحابي لا تضر . ولكن سياق هذه الروايات المطولة المفصلة في التفسير ، وفي الحوادث المتعلقة باسباب النزول ، مثل الرواية التي هنا في هذا الموضع مع اعراض ائمة الحديث الذين خرّجوا الروايات الصحيحة ، والروايات المقبولة مما هو دون الصحيح - من اخراج هذه الرواية ونحوها ، واعراض مؤرخي السيرة عن روايتها ايضاً ، كل اولئك يوجب الريبة في اتصال مثل هذه الرواية ، وفي الجزم بنسبتها الى الصحابة ، اذ لعلها مما ادرج في الرواية اثناء الحديث بها والاحتياط في نسبة الحديث المرفوع وما في حكمه واجب) [٥]

---

(١) سورة البقرة اية ١٩

(٢) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ٨

(٣) الاثر رقم ٤٥٢ تفسير الطبري ج ١ ص ٣٧٤ ط ٢ دار المعارف بمصر بتحقيق محمود واحمد شاكر

(٤) يريد شاكر الاشارة الى ص ١٥٦ ، ١٥٧ وتعليقه على الاثر ١٦٨ ج ١ .

(٥) تفسير الطبري ج ١ ص ٣٤٨ تعليق شاكر في الحاشية ، وانظر ص ٣٥٤ . وانظر تعليق شاكر على روايات الاية ٢٦من سورة البقرة الاثر ٥٥٤ ص ٣٩٨ النسخة المحققة . وانظر ما قاله السيوطي في الاية ٦٢ من سورة البقرة [**ان الذين امنوا والذين هادوا** ..] وانظر هامش تفسير الطبري ج٢ ص ١٥٤ ، ص١٥٥ حيث يقول الحديثان منقطعان . وبذلك تكون قد تكررت غفلة السيوطي هذه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الزيادات التي جاءت رائحة الوضع والاسرائيليات تزكم الانوف ما نقله في سورة الجن حيث ضرب الواحدي صفحاً عن ذكر روايات أسباب نزول هذه السورة ، ولكن السيوطي اكثر من الروايات فيها. فقد اخرج عن سهل بن عبد الله كما اورده ابن الجوزي في صفة الصفوة كما قال السيوطي (كنت في ناحية ديار عاد اذ رأيت مدينة من حجر منقور في وسطها قصر من حجارة تأويه الجن فدخلت فاذا شيخ عظيم الخَلق يصلي نحو الكعبة وعليه جبة صوف فيها طراوة فلم اتعجب من عظم خلقته كتعجبي من طراوة جبته ، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ، وقال يا سهل : ان الابدان لا تُخلق الثياب وانما تُخْلقها روائح الذنوب ، ومطاعم السُحْت ، وان هذه الجبة عليّ منذ سبعمائة سنة لقيت فيها عيسى ومحمداً عليهما الصلاة والسلام فآمنت بهما ، فقلت له ، من انت ؟ قال من الذين نزل فيهم [**قل اوحي اليّ انه استمع نفر من الجن ..**] [1] .

٣- قد توجد زيادة ولا يتقدمها حرف ك ، مثال ذلك ما اورده في سورة الانفطار انها نزلت في أبَي بن خلف [2] .

اما عن الميزة الثالثة :

وهي ان يعزو كل حديث الى من خرّجه ، فهي منقبة حميدة وليته أتبعها بتعيين مكان وروده . واما حذفه الاسانيد خشية التطويل فليس بميزة له بل شرف فاته تحصيله . ومن امثلة ذلك ما اورده في الآية ١٥٣ من سورة النساء قال : اخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرطبي ، والآية ١٦٣ من نفس السورة قال : روى ابن اسحق عن ابن عباس ، والآية ١٧٦ كذلك قال : روى النسائي من طريق الزبير عن جابر قال : ...وتجد هذا في كل الكتاب بلا استثناء [3] .

واما الميزة الرابعة :

وهي تمييزه الصحيح من غيره ، والمقبول من المردود فهي حسنة لم يداوم عليها الاّ قليلاً . ونادراً ما تجدها في الزيادات التي اختص نفسه بها . فلو نظرت مثلاً الى صفحة عشرين تجد انه ذكر في روايات أسباب نزول الآيات ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٤٢ من سورة البقرة ويميز الصحيح من غيره . وانظر ص ١٩٥ في سورة الجاثية وهي من الزيادات عنده فلم يميّز المقبول من المردود .

واما الميزة الخامسة :

وهي الجمع بين الروايات المتعددة ، فلم يفعله الاّ نادراً كما فعل في روايات اية اللعان فجمع بين الرواية التي تقول انها في هلال بن امية والرواية التي تقول انها في عويمر العجلاني . وقد ساق رأي الحافظ ابن حجر في الجمع بين الروايات [4] .

---

(١) فاتحة سورة الجن وانظر ما نقله السيوطي عن الخرائطي في كتاب هواتف الجن تجده اكثر عجبا . انظر لباب النقول ص ٢٢٦- ص ٢٢٨ .

(٢) انظر لباب النقول ص ٢٣٤ .

(٣) انظر لباب النقول ص ٨٢ .

(٤) انظر لباب النقول ص ١٥٤ ، ١٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واما الميزة السادسة والاخيرة :

وهي تنحية ما ليس من أسباب النزول - فلو عمل بها لحذف السيوطي جل كتابه ولم يعد يسمي كتاباً لانه لا يبقى الاّ القليل . ولو حذف على الاقل ما نبه اليه سواء من طريق سلسلة الكذب ، او ما قال عنه ان فلاناً وأباه مجهولان او قال عنه منقطع او واه جداً .. الخ [1] لكان الامر ايسر .

ومهما يكن من امر فان كتاب السيوطي اذا ضم الى كتابيْ الواحدي وابن حجر فانها تعين من يريد تحرير روايات أسباب النزول وتسهل له الطريق حيث اشار السيوطي الى مخرج الرواية .

٤- مخطوط ارشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن [2] لصاحبه عطية بن عطية الاجهوري متوفى سنة ١١٩٠ هـ . وقد قرأته كاملاً ، وهو منقول حرفياً عن الواحدي وعن السيوطي ، وقد حذف الاسانيد كلياً ، ولم يذكر مخرج الحديث ، فترك احسن منقبة في كل كتاب ، وفاته شرفها ، واكتفى بذكر راوي الرواية . والكتاب يخلو من اي فائدة جديدة عما ورد في كتابيْ الواحدي والسيوطي ، وهو دونهما . وعدم الاطلاع عليه لا ينقص من علم الانسان شيئاً في علم أسباب التنزيل . ومن امثلة ما نقله ما جاء في قوله تعالى [**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها**] [3] فذكر في الصفحات ١٥٥ ، ١٥٦ ما ذكره الواحدي ص ٢٢٢ ، ص ٢٢٤ طبعة دار القبلة ، دون زيادة او نقصان وهي روايات اسرائيلية واضحة لا تخفى على ذي لب (قال ابن مسعود : نزلت في بلعم بن إبرة - رجل من بني اسرائيل - وقال ابن عباس وغيره من المفسرين : هو بلعم بن باعورا . وقال الوالبي : هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بَلْعَم ،وكان يعلم اسم الله الاعظم ، فلما نزل بهم موسى عليه السلام ، أتاه بنو عمه وقومه وقالوا : ان موسى رجل حديد ، ومعه جنود كثيرة ، وانه ان يظهر علينا يهلكنا ، فادع الله ان يرد عنا موسى ومن معه . قال : إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي . فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخه مما كان عليه . فذلك قوله [**فانسلخ منها**] . وقال عبد الله عمرو بن العاص وزيد بن أسلم : نزلت في أميّة بن أبي الصلت الثقفي ، وكان قد قرأ الكتب ، وعلم أن الله مرسل رسولاً في ذلك الوقت ، ورجا أن يكون هو ذلك الرسول ، فلما أرسل محمداً -صلى الله عليه وسلم- حسده وكفر به .

وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال : هو رجل أعطى ثلاث دعوات يستجاب له فيها ، وكانت له امرأة يقال لها : البَسُوس ، وكان له منها ولد ، وكانت له مُحِبّة ، فقالت : اجعل لي منها دعوة واحدة ، قال : لك واحدة ، فماذا تأمرين ؟

---

(١) انظر ص ٤٢ لباب النقول في الاية ٢٧٤ من سورة البقرة . وانظر ص ١٣ في الاية ٩٧ من سورة البقرة [**من كان عدواً لجبريل** ..] قال : وهما ايضا منقطعان .

(٢) مخطوط موجود بدار الكتب القومية بالقاهرة تفسير ٤٢ رقم الميكروفيلم ٢٠٩٠ وتوجد منه نسخة اخرى برقم تفسير تيمور ٤٠٨ ورقم الميكروفيلم ٢٤٤٨٤.

(٣) سورة الأعراف آية ١٧٥ وهي مكيّة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قالت : ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل . فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه ، وأرادت شيئاً آخر ، فدعا الله عليها أن يجعلها كلبة نبّاحة ، فذهبت فيها دعوتان ، وجاء بنوها فقالوا : ليس لنا على هذا قرار ، قد صارت أمّنا كلبة نباحة يعيرنا بها الناس ، فادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليها ، فدعا الله ، فعادت كما كانت ، وذهبت الدعوات الثلاث ، وهي البسوس ، وبها يضرب المثل في الشؤم فيقال : " أشأم من البسوس " .

وقد ذكر قصة الفيل [1] على أنها سبب تنزيل سورة الفيل مع أنه نقل قول السيوطي الذي من شأنه أن يخرج مثل هذه الرواية ليتفادى ما وقع به الواحدي . ومع يقين الرجل أن تفاصيل الروايات كانت قبل نزول الوحي على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وأنها لا تصلح أن تكون سبب نزول ومع ذلك ذكرها لتسهيل الفائدة فقال (فما هنا من ذلك ففي ذكره تساهل سهلة زيادة الفائدة) [2] . والله يعلم ما هي الفائدة التي يقصدها عطية الله . مع أن أمثال هذه الروايات إن لم تضر فلا تنفع ، ونظراً لعدم فائدة المقدمة سأقتطع منها العبارات التي تؤيد ما تحدثت عنه فقط . قال : (وقد سألني من تجب عليّ اجابته ولاتسعني مخالفته ، حفظه الله ووقاه ، وزاد في مجده وعلاه ان أجمع في كتاب مراعياً مقاصد ما ذكره الأئمة الثلاثة [3] ، مراعياً في ذلك الاختصار بحذف الأسانيد وترك التكرار ويقول (واعلم أنا نتكلم بعون الله تعالى عن أسباب نزول كل سورة بمفردها) [4] .

---

(١) انظر ص ٣٩٠ سطر ١٣ من مخطوط ارشاد الرحمن لعطية بن عطية الاجهوري .

(٢) مخطوط إرشاد الرحمن ص١٥٥ وص١٥٦ ويقصد خرافة الرواية الواردة كسبب نزول آية الأعراف آية ١٧٥ .

(٣) الثلاثة هم : الواحدي ، والجعبري ، والسيوطي .

(٤) مخطوط إرشاد الرحمن ص٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني

بعض جهود المعاصرين

١- كتاب مقبل بن هادي الوادعي : " الصحيح المسند من أسباب النزول " وقد طبع الكتاب عدة طبعات ولكنه لم يذكر تاريخ الطبع [١] . ويقع الكتاب في مائة وست وسبعين صفحة ، ويحوي مائة وسبعاً وثمانين رواية تقريباً لمثلها من الآيات وقد اهتم بأسانيد الروايات فحسب دون نقد المتن ، ولذلك تجد فيه رواية وقعت بالمدينة كسبب نزول لآية مكيّة كما فعل في سورة المطففين وهي مكيّة فجعل رواية ابن عباس سبباً لنزولها فقال : (لما قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- المدنية كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله سبحانه وتعالى [**ويل للمطففين**] فأحسنوا الكيل بعد ذلك [٢] . ومثل ذلك سورة الكوثر فقد ذكر رواية البزار عن عكرمة عن ابن عباس قال : قدم كعب بن الأشرف مكّة فقالت له قريش : أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية ، فقال : أنتم خير منه ، قال : فنزلت [**إن شانئك هو الأبتر**] ، رواه البزار وهو إسناد صحيح . الحديث اخرجه ابن جرير ج٣ ص ٣٢٠ من طريق شيخه محمد بن بشار ثنا ابن أبي عدي به ، وزاد فيه وأنزلت عليه [**ألم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب**] إلى قوله [نصيراً] وقد تقدم في سورة النساء ذكر بعض مخرجيه) [٣] وهكذا جعل رواية واحدة سبباً لنزول آية مدنية وأخرى مكيّة فالكتاب يعوزه نقد المتن ليتحقق معرفة سبب التنزيل وليتحقق صحة تطبيق الروايات المعتمدة على التعريف الذي اورده الوادعي تحت عنوان قواعد أصولية [٤] .

٢- كتاب أسباب نزول القرآن مصادرها ومناهجها للدكتور حماد عبد الخالق حلوة . وقد نال بها درجة الدكتوراه وقد طبع في جزئين [٥] . وقد خصص المؤلف الجزء الأول لبحث مصادر روايات أسباب التنزيل من كتب الحديث وبحث عنها في الموطأ والصحيحين ، وكتب التفسير ، وتعرض إلى تفسير الطبري والطبرسي والقرطبي وابن كثير ، بالإضافة إلى كتب السيرة والمغازي والتاريخ ، وأشار إلى سيرة ابن هشام ، والطبقات الكبرى لابن سعد ، وإلى تاريخ الطبري والبداية والنهاية لابن كثير ، وختم بحث المصادر بما ورد في علوم القرآن فتحدث عن البرهان للزركشي ، والإتقان للسيوطي ، كما درس ما صنف في أسباب النزول للواحدي ولباب النقول للسيوطي .

---

(١) ذكر ذلك في مقدمة الطبعة الثالثة ، طبعة دار الأرقم بالكويت . ويغلب على الظن انه كان قبل عام ١٩٨٣م وذلك لان السيد علي شراخ اسحاق ذكره في مصنفات القرآن الكريم في قسم كتب أسباب النزول . وقد طبع الاخير سنة ١٩٨٣م .

(٢) ص١٧٠ وقد ذكر سند الرواية عن ابن ماجة الاثر رقم ٢٢٢٣ وقد خرّج سند الحديث

(٣) ص١٧٥ وانظر ص ٤٧ ، ص٤٨ حيث سبق ان ذكر نفس الرواية سبباً لنزول الآيات ٥١ ، ٥٢ من سورة النساء [**ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب** ..] . الصنبور : الرجل الفرد الضعيف بلا أهل وعقب وناصر واللئيم - القاموس المحيط للفيروز أبادي

(٤) أنظر الصحيح المسند من أسباب النزول ص٨

(٥) الكتاب كرسالة كانت قبل عام ١٩٨٠م ، وإيداع الجزء الأول في الطباعة تم ١٩٨٠ والجزء الثاني سنة ١٩٨٢ وتم طبع الكتاب سنة ١٩٨٧ نظراً للظروف المادية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا فالكتاب لم يخصص في جمع روايات أسباب التنزيل في مكان واحد . ولكن درس المصادر التي يمكن أن تتواجد فيها روايات أسباب التنزيل . وأغفل الإشارة إلى كتب الفقه مع أن بعضها ذكر أسباب النزول كبدائع الصنائع للكاساني ، وكتاب ابن رشد ، وكتاب المحلّى لابن حزم ، وقد سبقت الإشارة إليها في المقدمة . وخصص المؤلف الجزء الثاني من الكتاب لبحث مناهج العلماء في دراسة أسباب التنزيل فتحدث عن مناهج المحدثين والمفسرين والمؤرخين والمصنفين في أسباب التنزيل ، كما بحث أثر الوضع والنزعات المذهبية في أسباب التنزيل وأثرها على بناء المجتمع الإسلامي . فهذا هو واقع الكتاب . ويمكن الإستفادة من هذه الزاوية ليس غير .

٣- كتاب أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين [١] للشيخ عبد الفتاح القاضي ، يقع الكتاب فيما ينيف على مائتين وخمسين صفحة ، وقد سرد روايات أسباب التنزيل على غرار ما فعله الواحدي والسيوطي . وقد يذكر مكان ورود الرواية ، وقد لا يذكر ويكتفي بذكر الراوي ، وقد لا يذكر الراوي . وقد حذف الأسانيد في كل الكتاب . وإليك أمثلة توضح ذلك ففي قوله تعالى [**ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله اموات بل احياءٌ عند ربهم يرزقون**] [٢] قال : (نزلت في قتلى بدر من المسلمين وكانوا أربعة عشر رجلاً ، ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين ، وذلك ان الناس كانوا يقولون للرجل يقتل في سبيل الله : مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها - فأنزل الله الآية [٣] . فهنا ذكر الرواية ولم يذكر الراوي ولا مخرج الرواية وفي قوله تعالى [**لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين**] [٤] قال (عن ابن جريج قال : كان أهل الجاهلية يضمخون البيت الحرام بلحوم الإبل ودمائها فقال أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- فنحن أحق أن نضمخ فأنزل الله الآية - أخرجه ابن أبي حاتم [٥] فهنا ذكر الراوي وذكر مخرج الرواية ونظرة شاملة للروايات التي سردها المؤلف تجد أنه لا يوجد له جهد فيها سوى النقل الحرفي عمن سبقه . مع أنه قطع على نفسه في المقدمة أن لا يذكر إلاّ الصحيح من الروايات فقال : (وسوف لا أذكر من أسباب النزول إلاّ ما كان صحيح السند ، محقق الثبوت ، ملائماً لروح الروايات وهدفها) [٦] .

ومن أمثلة هذه المخالفة ما نقله في سبب نزول آيات من سورة الجن . قال تعالى [**وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقاً**] [٧] .

---

(١) لا ادري متى ألف الكتاب ولكنه طبع بمطابع دار الندوة الجديدة بيروت سنة ١٩٨٧ وحقوق الطبع محفوظة للناشر .

(٢) سورة البقرة آية ١٥٤ .

(٣) ص ٢٣ .

(٤) سورة الحج آية ٢٢ .

(٥) ص ١٤٩ .

(٦) انظر ص ١٠ .

(٧) سورة الجن آية ٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال القاضي : (عن ابن ابي السائب الأنصاري قال : خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمكة فآوانا المبيت إلى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم فوثب الراعي فقال : يا عامر الوادي أنا جارك ، فنادى مناد لا نراه يا سرحان أرسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم يصبه شيء وأنزل الله على رسوله بمكة (الآية أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم [1] .

وقال في قوله تعالى [**وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً**] [2] . عن ابن عباس قال : لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجدٌ إلاّ المسجد الحرام ومسجد إيليا بيت المقدس وقالت الجن يا رسول الله أئذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك فأنزل الله الآية - أخرجه ابن أبي حاتم [3] . فهل هذه الروايات صحيحة السند ، محققة الثبوت ؟؟!! فهل تخفى هذه الروايات الإسرائيلية على أمثال الشيخ عبد الفتاح القاضي ؟!

٤- كتاب جامع النقول في أسباب النزول وشرح آياتها لعليوي خليفة عليوي . طبع الطبعة الأولى في سنة ١٤٠٤ هـ الموافق سنة ١٩٨٤ م . وقد وقع الكتاب في جزئين كبيرين الأول ناف على الستمائة وعشرين صفحة ، والثاني ثلاثمائة وخمسة وخمسين صفحة . استعرض المؤلف فيه الأقوال الواردة في سبب نزول آيات القرآن . ولاسم الكتاب من واقعه نصيب فهو جامع للنقول التي قيلت دون أن يحققها وزاد بأن عمد إلى تفسير هذه الآيات فبدا عمله كبيراً ، والقارئ للكتاب لا يجد جهداً للمؤلف في النظر في الروايات فقد جمع الغث والسمين فعلى سبيل المثال انظر ما قاله في قوله تعالى [**واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان** ..] [4] . وانظر ما قاله في قوله تعالى [**أفتطمعون أن يؤمنوا لكم** ..] [5] فالآية الأولى ذكر رواية الواحد ي فقال : (جاء في أسباب النزول للواحدي (ص٢٠) عن عمران بن الحارث قال : بينما نحن عند ابن عباس إذ قال : إن الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء ، فيجيء أحدهم بكلمة حق فإذا جُرِّب من أحدهم الصدق كذب معها سبعين ، فيشربها قلوب الناس ، فاطلع على ذلك سليمان ، فأخذها فدفنها تحت الكرسي ، فلما مات سليمان ، قام شيطان في الطريق ، فقال : ألا أدلكم على كنز سليمان المنيع الذي لا كنز له مثله ؟ قالوا : نعم ، قال : تحت الكرسي ، فأخرجوه ، فقالوا : هذا سحر سليمان سحر به الأمم فأنزل الله الآية [6] . وفي الآية الثانية سلك نفس المسلك فقال (ذكر الواحدي في أسباب النزول ص ١٦ عن ابن عباس ومقاتل قالا : نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى ليذهبوا معه إلى الله تعالى .. الخ) [7] . وهكذا فهو جامع للنقول دون أن يحاول أن يتحقق من صحتها .

---

(١) ص ٢٣٦ .

(٢) سورة الجن آية ١٨ .

(٣) ص ٢٣٧ .

(٤) سورة البقرة آية ١٠٢ .

(٥) سورة البقرة آية ٧٥ .

(٦) انظر ص ١١١ ج١ وقد ساق روايات اخرى من الكلبي والسيوطي .

(٧) انظر ص ٤١٦ ، ص ٤١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- كتاب أسباب النزول القرآني - للدكتور غازي عناية طبع في الجزائر سنة سبع وثمانين وتسعمائة وألف للميلاد ويقع الكتاب في أربعمائة وخمس وعشرين صفحة بالخط الكبير . ووضع الكتاب ليس بأحسن من وضع كتابي عليوي والقاضي . وقد خصص في أول تسعين صفحة قواعد أسباب النزول وهي مأخوذة من كتابيْ البرهان والإتقان . ورواياته كلها تجدها في كتابي الواحدي والسيوطي ولم يخرج عنهما . وجهد المؤلف في الكتاب هو النقل فقط ، ولبيان ذلك أذكر على سبيل المثال ما ذكره في سورة التكاثر قال : (أخرج ابن أبي حاتم عن ابن بريدة قال : نزلت في قبيلتين من الأنصار : في بني حارثة ، وبني الحارث ، تفاخروا ، وتكاثروا . فقالت إحداهما : فيكم مثل : فلان ، وفلان . وقال الآخرون : تفاخروا بالأحياء ، ثم قالوا : انطلقوا بنا إلى القبور ، فجعلت إحدى الطائفتين تقول : فيكم مثل : فلان ومثل فلان - ويشيرون إلى القبر - وتقول الأخرى مثل ذلك . فأنزل الله [**الهاكم التكاثر* حتى زرتم المقابر**] . وأخرج الواحدي عن مقاتل ، والكلبي : نزلت في حيين من قريش : بني عبد مناف ، وبني سهم ؛ كان بينهما لَحَاً فتعاند السادة ، والأشراف أيهم أكثر . فقال بنو عبد مناف : نحن أكثر سيداً ، وعزاً وعزيزاً ، وأعظم نفراً . وقال بنو سهم : مثل ذلك ؛ فكثر بنو عبد مناف ثم قالوا : نعد موتانا حتى زاروا القبور ، فعدوا موتاهم فكثر بنو سهم ، لأنهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية . الآيات ١-٤ .

وأخرج ابن جرير عن عليّ قال : كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت الآيات .. في عذاب القبر) [١] .

فالمؤلف ساق الرواية الأولى والثالثة من كتاب السيوطي لباب النقول [٢] ، والرواية الثانية من كتاب الواحدي [٣] . ومع أن الروايات منها ما كان في المدينة ومنها ما كان في أهل قريش ومنها ما هو في الشك في عذاب القبر . وكان الأحرى أن يعلق على هذا الاختلاف في الروايات التي سبقت لسورة مكيّة . ولكنه لم يفعل مما يؤكد صحة ما قلناه عن الكتاب .

٦- ما قام به الدكتور سيّد صقر من تحقيق كتاب أسباب النزول للواحدي وهو عمل جليل ومهم لمن يريد أن يسير في درب تحقيق روايات أسباب التنزيل ، ويعد خطوة على طريق تحريرها . ولكن المؤلف لم يحكم على الروايات ، وكان جل تخريجه للروايات من الكتب التي ألفت بعد الواحدي كتفسير القرطبي والبغوي وابن كثير والخازن والدر المنثور وغيرها . والصواب في التخريج أن يكون عمن تقدم الواحدي لأن مظنة أخذ الواحدي عمن سبقه لا عمن لحقه . فتفسير الطبري والليث السمرقندي والكشف والبيان للثعلبي ، وتفسير ابن أبي حاتم وغيرها مما سبق الواحدي هي مظنة أخذ الواحدي عنهم . وقد وازن المحقق في المقدمة بين كتابيْ الواحدي والسيوطي ، كما ضمن فصلاً جامعاً لحال من أخذ عنهم التفسير من التابعين نقله من مخطوط العجاب في الأسباب لابن حجر العسقلاني . ولم يتطرق المؤلف إلى تعريف أسباب النزول وقواعده لأن كتاب الواحدي لم يتعرض لذلك . واقتصر عمله في تحقيق النصوص من النسخ الأخرى وتخريج الروايات ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

---

(١) ص٤١٦ - ٤١٧.

(٢) لباب النقول للسيوطي ص ٢٤١

(٣) أسباب النزول للواحدي ص ٤٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧- جهدي في الموضوع [١] : لقد نظرت في كثير من كتب الأقدمين والمعاصرين ، المطبوع منها والمخطوط ، وسافرت إلى القاهرة ودمشق وأنقرة لأطلع على مخطوطات لم تتوافر لدينا في الأردن ، وراسلت من أعرف للحصول على ما يمكن الحصول عليه من جامعات المدينة ومكة والرياض ، وعشت مع كتب التفسير والحديث والسيرة وعلوم القرآن وأسباب التنزيل ، ودرست الروايات دراسة ناقد يريد أن يتبصر بالامور لأنه تكونت عندي قناعات أن النتائج التي يمكن أن نحققها في هذا البحث تستحق دونها خرط القتاد [٢] . فبت أطمح أن ينضم جهدي إلى دراسات السابقين لتكوين مفهوم واضح مبلور لصورة أسباب التنزيل لدى الباحثين ليتذوقوا أهميته ويميزوه عن غيره بمعرفة سماته وقسماته . فاعترضتني إشكالات على الروايات منها ما يتعلق بتعريف سبب التنزيل ، ومدى انطباق التعريف على هذه الروايات فعقدت فصلاً لها شمل تعريف سبب التنزيل ونماذج من تفاسير الصحابة والتابعين والمفسرين ، ثم حددت أطراً لضبط الرواية ولتكون مقياساً في قبول الرواية أو إخراجها من دائرة أسباب التنزيل ، ودرست واقع الألفاظ التي قيل عنها أنها تدل على سبب التنزيل ، فلم أجد صيغة قطعية واحدة تدل على سبب التنزيل ، ثم قمت بعقد فصل لتطبيق هذه الدراسة على مجموعة من الروايات في سور شتى من القرآن الكريم . أي أنني طبقت في الفصل الثاني ما نظّرْتُه في الفصل الاول . وفي الفصل الثالث استخلصت الإشكالات التي بدت لي وأفردتها في بحث مستقل . ثم لخصّت الموضوع في الفصل الرابع ووضعت مجموعة من الآيات التي صحت فيها روايات أسباب التنزيل ، فجاءت الفصول الأربعة تبحث مسألة واحدة . وكلي أمل أن أكون قد وُفّقْتُ في توضيح معالم أسباب التنزيل وإجلاء صورتها لتتحقق النتيجة التي أصبو اليها وهي تكوين ذوق وحس معينين لدى القارئ أو السامع ليميّز بها رواية سبب التنزيل عن غيرها في كثير من الأحيان ، ولتكون قاعدة يُسار عليها لمن يريد أن يتمّ دراسة جميع الروايات في أسباب التنزيل .

---

(١) وضعت هذه الفقرة هنا بناء على إرشاد فضيلة الدكتور احمد فريد المشرف على الرسالة .

(٢) القتاد : شجر صلب له شوكة كالإبَرْ - وهو مثل يضرب للأعمال الصعبة ، والأمور الجسام . انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث
أسباب دخول الدخيل إلى أسباب التنزيل

تتابع نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- ثلاثة وعشرين عاماً ، يعالج المشاكل التي تقع ، والقضايا التي تطرح ، ويجيب عن الأسئلة التي تلقى ، يؤسس بذلك قواعد ثابتة لمجتمع جديد متميز ، ويهدم الأفكار والمفاهيم والقناعات الخاطئة التي بُنيت على أساسها المجتمعات الكافرة آنذاك ، فكانت الآيات تهدف إلى تغيير جذري في المجتمع الإنساني بقلب الأوضاع رأساً على عقب ، ويشمل جميع نواحي الحياة السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والتعليمية ، والبُنية الداخلية للمجتمع والعلاقات الدولية الخارجية ، ويؤسس أفكاراً ومفاهيم وقناعات جديدة ، جاء بها الوحي في آيات قرآنية تتلى وتدرس ، وتحفظ وتطبق ، والرسول -صلى الله عليه وسلم- يبيّن هذه الآيات ، وأسباب التنزيل تلقي ضوءاً ساطعاً في بعض الآيات القرآنية ، فكان بيان الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومعرفة أسباب التنزيل أساساً في علم التفسير . وقد حرص عليهما المسلمون ، وتناقلوهما عبر الاجيال جنباً إلى جنب من غير تمييز بينهما ، وترى كتب الحديث كلها جاءت تزخر بالآثار التي تحمل التفسير وأسباب التنزيل عن الصحابة والتابعين . وقد عدّ علماء أصول الفقه وعلماء مصطلح الحديث ما ذكره الصحابي من أسباب التنزيل بمنزلة المرفوع . وجاءت كتب التفسير تنقل أسباب التنزيل كجزء من التفسير . وقد اعترى الحديث ، وروايات التفسير ، وروايات أسباب التنزيل آفة الوضع والتحريف وسوء النقل والفهم على حد سواء منذ القرن الأول لهذه العلوم . فالواحدي المتوفى سنة ٤٦٨ للهجرة يقول (واما اليوم فكل أحد يخترع شيئاً ، ويختلق إفكاً وكذباً ، ملقياً زمامه إلى الجهالة ، غير مفكر في الوعيد للجاهل بسبب نزول الآية) [١] فما بالك بالأمر بعد ألف سنة من هذا التاريخ لا سيما أنه لم يعمد لتحقيق وتنخيل هذه الروايات أحد من العلماء حتى هذه الساعة ؟! . ويحسن بنا في هذا المقام أن نستقصي أسباب خلط روايات أسباب التنزيل بغيرها ، ويمكن أن تُجْمَلَ أسباب الخلط ودخول الدخيل بما يأتي :

أولاً : الاختلاف في فهم دلالة قول الصحابي " نزلت الآية في كذا " . قال ابن تيمية " نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة أنه سبب لنزول ، ويراد به تارة أن هذا داخل في الآية ، وإن لم يكن السبب كما نقول : عنى بهذه الآية كذا [٢] . وقال الزركشي : (وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال : نزلت هذه الآية في كذا فانه يريد بذلك أن هذه القضية تتضمن هذا الحكم ، لا أن هذا كان السبب في نزولها) [٣] .

---

(١) اسباب نزول القرآن للواحدي ص ٥ .

(٢) مقدمة اصول التفسير لابن تيمية تحقيق د. عدنان زرزور ص ٤٨ ط١ الكويت .

(٣) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين / محمد بن عبد الله الزركشي ص ٣١ ، ص ٣٢ ج١ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاختلاف العلماء في فهم قول الصحابي أدّى إلى إدخال كثير من الروايات على أنها سبب نزول وهي ليست كذلك وإنما هي من جنس الاستدلال على الحكم ، أو تتضمن هذا الحكم ، أو داخلة في الآية . قال الشيخ احمد حسن الباقوري . (إن معرفة أسباب النزول من المواضع الصعبة ، ووجه الصعوبة فيها اختلاف المتقدمين والمتأخرين حولها والذي يظهر من استقراء كلام الصحابة والتابعين ، أنهم لا يستعملون كلمة " نزلت الآية في كذا " لمحض قصة كانت في زمنه -صلى الله عليه وسلم- بل ربما ذكروا بعض ما صدقت عليه الآية مما كان في زمنه أو بعد زمنه عليه الصلاة والسلام وهم يقولون : نزلت في كذا ، ولا يلزم هناك انطباق جميع القيود بل يكفي انطباق الحكم فقط) [1] .

* ويندرج تحت هذه المسألة الخطأ في نقل الراوي فيقول : فنزلت الآية بدل القول : فتلا الآية ، او فقرأ الآية ، أو فقال . وهذا يوهم أن القصة هي سبب التنزيل مع أنه واضح فيه الاستشهاد بالآية لا أنه سبب التنزيل ، ومثال ذلك ما نقله السيوطي بعنوان : (تنبيه) قد يكون في إحدى القصتين : فتلا فيهم الراوي فيقول : فنزل . مثاله : ما أخرجه الترمذي وصححه عن ابن عباس قال : مرّ يهودي بالنبي -صلى الله عليه وسلم- فقال : كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السموات على ذه ، والأرضين على ذه ، والماء على ذه ، والجبال على ذه ، وسائر الخلق على ذه ، فأنزل الله [**وما قدروا الله حق قدره**] الآية والحديث في الصحيح بلفظ " فتلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- " وهو الصواب فإن الآية مكيّة) [2] .

وتنبيه السيوطي هذا صحيح ، وهو في غاية الأهمية ، فجزاه الله خيراً ، غير أن السيوطي لم يكن دقيقاً في نقله لا في نص الحديث ، ولا في موطن الاستشهاد ، فرواية الترمذي وجدتها تحت رقم ٣٢٩٣ في تفسير سورة الزمر . ونقل السيوطي لموطن الاستشهاد صحيح وهو (فأنزل الله عز وجل) . أما موطن الاستشهاد في رواية البخاري فلم يكن دقيقاً وإنما هو بالمعنى والروايات في صحيح البخاري هي : ثم قرأ [3] رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقال [4] ، ثم قال [5] النبي -صلى الله عليه وسلم- .

---

(١) معاني القرآن بين الرواية والدراية لأحمد حسن الباقوري ص ٧٦ ط١ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م مركز الاهرام للترجمة النشر .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ج١ ص ٤٥ طبعة دار المعرفة ، بيروت وبذيله إعجاز القرآن للباقلاني ، مطبعة مصطفى الحلبي ط٤ ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ، كتاب التفسير ٦٥ م٨ ، الحديث ٤٨١١ باب٢ ، وفي كتاب التوحيد ٩٧ م١٣ الاحاديث ٧٤١٤ ، ٤٤١٥ ص ٣٩٣ .

(٤) المصدر السابق الحديث ٧٤٥١ ص ٤٣٨ م١٣ .

(٥) المصدر السابق الحديث ٧٥١٣ ص ٤٧٤ م١٣ المطبعة السلفية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا حديث الباب في كتاب التفسير في صحيح البخاري ، وأطراف الحديث في كتاب التوحيد لم تذكر لفظ (فتلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-) كما قال السيوطي وذكرت ثم قرأ ، وقال ، ثم قال .. فيكون استشهاد السيوطي بالمعنى صحيحاً وليس بالنص . فاقتضى التنويه على التنبيه .

* كما يدخل في هذا الباب : الخطأ في فهم عبارة السابقين . فإذا قال ابن جرير الطبري مثلاً : عنى بقوله ، الآية كذا .. تنقل عنه أنها سبب نزول ، مثاله ما ورد في قوله تعالى [**ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلاّ خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم**] [(١)] .

قال الطبري (فإن قال قائل : ومن الذي عنى بقوله " الآية " واي المساجد هي ؟

قيل : إن أهل التأويل في ذلك مختلفون ، فقال بعضهم : الذين منعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه هم النصارى ، والمسجد ، بيت المقدس (وذكر الروايات في ذلك) .

وقال آخرون : هو بختنصر وجنده ، ومن أعانهم من النصارى ، والمسجد : مسجد بيت المقدس . (وذكر الروايات في ذلك) .

وقال آخرون : بل عنى الله عز وجل بهذه الآية مشركي قريش ، إذ منعوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من المسجد الحرام (وذكر الروايات في ذلك وأشار إلى ما حدث في الحديبيّة) إ . هـ . فالطبري كان قد بحث تأويل الآية ، ولم يورد كلمة سبب نزول ، ولا يفهم من كلامه أنها سبب نزول لأن لفظ " عنى " لا يدل على أنها سبب نزول . فمن نقل عن ابن جرير [(٢)] أنه ذكر سبب نزول الآية يكون مخطئاً ، والذي جعله ينزلق في هذا الخطأ هو عدم الدقة في فهم عبارة ابن جرير مما ساهم في زيادة عدد الروايات التي عُدّت أسباباً للتنزيل وهي ليست كذلك .

* كما يدخل في هذا السبب التشابه الكبير ، والعلاقة الوطيدة بين التفسير وأسباب التنزيل وهذا ما عبّر عنه الزركشي بقوله : وقد عُرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال نزلت الآية في كذا ..) [(٣)] وقال الشيخ الباقوري من المعاصرين (وقد تحقق عند الفقير أن الصحابة والتابعين كثيراً ما كانوا يقولون : نزلت الآية في كذا وكذا ، وغرضهم من ذلك تصوير ما تَصْدق عليه الآية ، وذكر بعض الحوادث التي تشملها بعمومها ، سواء تقدمت القصة أو تأخرت ، وسواء كان ذلك إسرائيلياً أو جاهلياً أو إسلامياً وسواء استوعبت جميع قيود الآية أو بعضها . وبهذا يُعلم أن للاجتهاد في هذا القسم مدخلاً وأن للقصص المتعددة هناك سعة) [(٤)] .

---

(١) سورة البقرة آية ١١٤ وهي مدنية .

(٢) كالسيوطي مثلاً قال في لباب النقول ص ١٦ : واخرج ابن جرير عن ابن زيد قال : نزلت في المشركين حين صدّوا رسول الله عن مكة يوم الحديبية . وقال الخازن في تفسيره (قلت رجّح الطبري القول الاول) ص ٨٢ م١ وبهامشه تفسير النسفي ، مكتبة المُثَنّى ببغداد ، وتجد ان كلاً من الخازن والبغوي ذكروا الروايات التي قالها الطبري وكأنها حقائق لأسباب نزول الآية دون أن يشيروا إلى أنهم أخذوها عن الطبري .

(٣) قد ذكر في بداية هذا السبب قبل قليل .

(٤) معاني القرآن بين الرواية والدراية ، أحمد حسن الباقوري ص ٧٧ ط١ مركز الاهرام للترجمة والنشر ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هذا الباب يمكن النظر في الروايات التي حدثت بالمدينة وذكرت كسبب نزول لآيات مكيّة أو بالعكس ومن هذا الباب دخلت جل روايات التفسير وتسربت إلى أسباب التنزيل .

ثانياً : حذف الأسانيد في فترة من الفترات ، ودخول الوضع بأسبابه المختلفة كما شاع الأمر في الحديث ، فذكر السند منقبة حميدة توصلنا إلى التحقق من صحة الرواية ، كما تعفي صاحبها من شرور النقل وآثامه ، وحذفه مثلبة تؤدي إلى الإضلال ، وتعمية الحقائق ، وتوفر الظرف الجيد للخفافيش التي لا تستطيع العيش الاّ في الظلام ، فيكثر الدس ، ويعم الوضع لتأييد كل فريق لما يذهب إليه ، فصيّروا الروايات الكاذبة أحاديث نبوية ، فاختلط الحابل بالنابل . قال السيوطي : (ثم ألّف في التفسير خلائق فاختصروا الأسانيد ، ونقلوا الأقوال تترى ، فدخل من هنا الدخيل ، والتبس الصحيح بالعليل ، ثم صار كل من يسنح له قول يورده ، ومن يخطر بباله شيء يعتمده ، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظاناً أن له أصلاً غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح ومن يرجع إليهم في التفسير ، حتى رأيت من حكى في تفسير قوله تعالى [**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**] نحو عشرة أقوال ، وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وجميع الصحابة وأتباعهم ، حتى قال ابن أبي حاتم : لا أعلم في ذلك اختلافاً بين المفسرين) [1] . فغياب السند ساهم في دخول الدخيل إلى روايات أسباب التنزيل . وإذا نظرت في كتاب أسباب النزول للواحدي تجد الروايات التي خلت من السند قد نقلها عن الكلبي ومقاتل والسدّي وغيرهم ، وهو قد نقلها عن أستاذه صاحب كتاب الكشف والبيان (الثعلبي) . ولا يستطيع المرء تحقيق صحتها لعدم وجود السند . غير أن علماء الجرح والتعديل قد أعطوا رأيهم في الكلبي ومقاتل والسدي وغيرهم ممن روى عنهم بأنهم غير عدول ولا ثقات قال ابن حجر : سلسلة أبي صالح عن الكلبي عن السدي سلسلة الكذب [2] ..

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج٢ ص ٢٤٣ النوع الثمانون ، في طبقات المفسرين ، طبعة دار المعرفة بيروت وبهامشة تفسير النسفي .

(٢) انظر مخطوط العجاب في الاسباب لابن حجر العسقلاني ص ٥ وقال (ومن روايات الضعفاء عن ابن عباس التفسير المنسوب لابي النضر محمد بن السائب الكلبي فانه يرويه عن ابي صالح وهو مولى ام هانيء عن ابن عباس ، والكلبي اتهموه بالكذب . وقد مرض فقال لاصحابه في مرضه كل شيء حدثتكم عن ابي صالح كذب . ومع ضعف الكلبي فقد روى عنه تفسيره مثله او اشد ضعفاً وهو صالح بن محمد الترمذي) وفي ص ٧ قال (ومنها تفسير مقاتل بن سليمان ، وقد نسبوه الى الكذب ، مقاتل قاتله الله ، وانما قال الشافعي فيه ذلك لانه اشتهر عنه القول بالتجسيم) . وبإمكان القارئ النظر الى هذه المقدمة في مقدمة تحقيق كتاب اسباب النزول للواحدي ص ٢٤ ، ص ٢٨ . وقد نقلها كاملة من مخطوط العجاب في الاسباب قال الذهبي في الكاشف ج٣ ص ٤٠ ترجمة ٤٩٤١ ت: محمد بن السائب الكلبي ابو النضر الكوفي ، عن الشعبي وابي صالح ، وعنه ابنه هشام وأبو معاوية ويزيد ويعلى . قال خ: تركه القطان وابن مهدي مات ١٤٦ هـ) وقال ابن حبان : لا يحل الاحتجاج به ، وضوح الكذب فيه اظهر من ان يحتاج الى الاغراق في وصفه . روى عن ابي صالح التفسير ، وابو صالح لم يسمع من ابن عباس . وقال ابن حجر في التقريب : متهم بالكذب ورمي بالرفض ترجم ٢٤٠ ص ١٦٣ ج٢
وقال البخاري في التاريخ الكبير ص ١٠١ ج١ قال : تركه يحيى بن سعيد وابن مهدي . وعن سفيان انه قال له الكلبي : قال ابو صالح : كل شيء حدثتك فهو كذب . ترجمة ٢٨٣ .
وانظر ما قاله الرازي في كتاب الجرح والتعديل م٧ ص ٢٧٠ - ص ٢٧١ ترجمة ١٤٧٨ وهو اوفى من البخاري وابن حجر في بيان كذبه . ونقل القول (الناس مجتمعون على ترك حديثه لا يشتغل به هو ذاهب الحديث)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً : دخول الإسرائيليات في أسباب التنزيل كجزء من دخولها في التفسير وكان لغلاة الشيعة وبعض اليهود والنصارى الذين دخلوا في الإسلام دور كبير في ذلك لأن بعضهم لم يكن صادقاً في إسلامه ، وتسرب من بعض علمائهم إلى المسلمين كثير من الأخبار الإسرائيلية ، دخلت في تفسير القرآن ليستكملوا بها شرح الآيات ، ذلك أن شغف العقول وميلها للإستقصاء دعاها عند سماع كثير من آيات القرآن أن تتساءل عما حولها . وقد تلقف الحاقدون على الإسلام ممن جاءوا بعدهم هذه الروايات وأشغلوا علماء المسلمين بالرد عليها منها : قصة الغرانيق وهي ملفقة لا أصل لها . فقد قيل إنها سبب نزول آية الحج [**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم**] [1] . فزعموا أن الشيطان ألقى في روع الرسول -صلى الله عليه وسلم- في سورة النجم [**أفرأيت اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى**] [2] فزاد : (تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى) فقال المشركون : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا [3] ، فنزلت [**وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي**] الآية . والمرويات الدخيلة هذه منها ما يعرف بسهولة ويسر لظهور بطلانه عقلاً ونقلاً كقصة الغرانيق ، وشهود بعض الصحابة رضوان الله عليهم صلاة الجماعة في مكة ليسترقوا النظر إلى حسناء تصلي في الصفوف الخلفية . ومنه ما يحتاج إلى علم ونقد وبصر وهو ما يتعلق بالأسانيد والدراية . ومن أمثلة ما رواه بعض غلاة الشيعة : ما رواه الطبرسي في سبب نزول قوله تعالى [**إنما وليكم الله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**] المائدة ٥٥قال (النزول : حدثنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسني القايني ، قال : حدثنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني (ر.ة) قال حدثني أبو الحسن محمد بن القاسم الفقيه الصيدلاني قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الشعراني ، قال : حدثنا أبو علي أحمد بن علي بن رزين البياشاني ، قال : حدثني المظفر بن الحسين الأنصاري ، قال : حدثنا السدي بن علي الوراق قال : حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني عن قيس بن الربيع عن الأعمش عن عباية بن ربعي ، قال : بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ أقبل رجل متعمم بعمامة ، فجعل ابن عباس لا يقول : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلاّ قال الرجل : قال رسول الله فقال ابن عباس سألتك بالله من أنت ؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال : يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يَعْرِفْني فأنا أُعَرِّفُه بنفسي ، أنا جندب بن جنادة

---

(١) سورة الحج آية ٥٢ . (٢) سورة النجم الآيات ١٩ ، ٢٠ قال محمد ابو زهرة في مجلة لواء الاسلام عدد ٨ سنة ٥٠ ص ٥٠٢ ان هذه القصة من وضع يوحنا الدمشقي في العهد الأموي ثم راجت هذه الفرية بين تابعي التابعين انفسهم حتى جاءت على لسان قتادة منسوبة اليه الاسرائيليات لمحمد الذهبي ص ٢٢.

(٣) انظر لباب النقول للسيوطي ص ١٥١ ، ص ١٥٢ قال : أخرج ابن أبي حاتم ، وابن جرير ، وابن المنذر عن طريق بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال .. ، وذكر الرواية وذكر طرقاً غيرها ، وقال : وكلها اما ضعيفة او منقطعة سوى طريق سعيد بن جبير الاولى ، والصواب في ذلك عندي ما نفاه ابن حجر وهو ما قاله ابن العربي وعياض ان هذه الروايات باطلة لا اصل لها انتهى . وانظر احكام القرآن لابن العربي في الرد على هذه الروايات من ص ١٢٨٧ - ص ١٢٩٢ ج٣ ط٢ تحقيق علي محمد البجاوي مطبعة عيسى الحلبي ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٨م. وانظر تفسير الطبري حيث صدر هذه الروايات بقوله : قيل ان السبب الذي من اجله أنزلت هذه الآية .. ص ١٨٦ ، ص ١٨٩ ج١٨ م.١ طبعة دار الفكر . ولا يخفى ان هذه الروايات ترد دراية لانها تدل على الكفر. وقال القرطبي: فيكفيك ان هذا الحديث لم يخرجه احد من أهل الصحة، ولا رواه بسند سليم متصل ثقة وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم ص٨٢ ج١٢ تفسير القرطبي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البدري أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بهاتين ، وإلاّ فصمتاً ، ورأيته بهاتين وإلاّ فعميتا يقول علي قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره ، مخذول من خذله ، أما أني صليت مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوماً من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يده إلى السماء وقال : اللهم إني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحدٌ شيئاً وكان علي راكعاً فأومأ بخنصره اليمنى إليه وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره ، وذلك بعين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلما فرغ النبي -صلى الله عليه وسلم- من صلاته رفع رأسه الى السماء وقال اللهم إنّ أخي موسى سألك فقال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً [**سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون أليكما**] سورة القصص ٣٥ .اللهم وأنا محمد نبيّك وصفيّك اللهم فاشرح لي صدري ويسّر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به ظهري . قال : أبو ذر فوالله ما استتم رسول الله الكلمة حتى نزل عليه جبرائيل من عند الله فقال يا محمد إقرأ . قال : وما أقرأ : قال : إقرأ [**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا**] الآية [1] .

وهذه الرواية مصنوعة سنداً ومتناً . فرجال السند ظاهر كل الظهور أنهم ليسوا من رجال أسانيد الكتب الستة . وفيهم قيس بن الربيع [2] الأسدي أبو محمد الكوفي متروك الحديث . سئل أحمد بن حنبل لم ترك الناس حديثه فقال : كان يتشيع ويخطيء في الحديث . وقال ابن معين ليس بشيء . وضعفه وكيع . وقال أبو زرعة فيه لين . وقال عبد الله بن علي بن المديني سألت أبي عنه فضعفه جداً وقال : إنما أهلكه ابن له قلب عليه أشياء من حديثه . وقد ذكره النسائي في كتابه الضعفاء والمتروكين .

وفي السند كذلك يحيى بن عبد الحميد ابن عبد الرحمن أبو زكريا الحمّاني [3] . قال البخاري : يتكلمون فيه ، رماه أحمد وابن نمير . وقال أحمد : كان يكذب جهاراً ، وكان يسرق الحديث . وقال : ابراهيم الجوزجاني : يحيى الحماني ساقط متلون ترك حديثه فلا ينبعث . وقال محمد بن عبد الرحيم البزار : كنا إذا قعدنا الى الحماني تبيّن لنا منه بلايا . وقد ذكره النسائي في كتابه الضعفاء والمتروكين .

---

(١) مجمع البيان في تفسير القران .. الفضل بن الحسن الطبري ج٢ ص ٣٢٤ - ص ٣٢٦ طبعة ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م ، دار المعرفة بيروت توزيع عباس احمد الباز - مكة المكرمة .

(٢) انظر كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي ترجمة ٥٢٤ ص ٢٠٢ ، التقريب لابن حجر ص ١٢٨ م٢ ، ترجمة ١٣٩ ، وتهذيب التهذيب م ٨ ترجمة ٦٩٨ الصفحات ٣٥٠ - ٣٥٣ ، التاريخ الكبير للبخاري ترجمة ٧٠٤ ص ١٥٦ م ٧ . والكاشف للذهبي ترجمة ٤٦٧٠ ج٢ ص ٣٤٧ ، والجرح والتعديل للرازي م ٧ ترجمة ٥٣٣ ص ٩٦ - ص ٩٨ .

(٣) انظر كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي ترجمة ٦٥٦ ص ٢٤٨ ، وتقريب التهذيب ترجمة ١١٦ ص ٣٥٢ ، وتهذيب التهذيب ترجمة ٣٩٩ م ١١ ص ٢١٣ ، والتاريخ الكبير للبخاري ترجمة ٣٠٣٧ م٨ ص٢٩١، والجرح والتعديل للرازي ترجمة ٦٩٥ ص١٦٨ - ١٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال الطبرسي : وقد رواه لنا السيد أبو الحمد عن أبي القاسم الحسكاني بالإسناد المتصل المرفوع إلى أبي صالح [١] . ولم يعد يَخْفَ ابو صالح وسلسلته على أحد . فقد سبق فيها القول [٢] .

ونص الرواية فيه التصنع واضح لإقناع القارىء بصحتها ، والشيعة يستنبطون من هذه الآية وجوب إمامة علي رضي الله عنه ، مع أن النصّ لا يسعفهم . وإذا نظرنا إلى الروايات التي قيلت في سبب نزول هذه الآية نجد أنها وردت في عبادة بن الصامت في تبرئته من ولاية يهود بني قينقاع وحلفهم إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين [٣] ونقل أنها نزلت في أبي بكر الصديق [٤] رضي الله عنه . كما ورد أنها نزلت في عبد الله بن سلام وغيره ممن أسلم من اليهود [٥] . كل ذلك بالإضافة إلى القول أنها نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه . فهذا التعدد فيمن نزلت فيهم الآية مؤشر إلى أنها لم تنزل في أحد منهم ، ولكن المذكورين ممن ينضوون تحت لواء الآية .

(٢.١) ابو صالح هو باذام ابو صالح مولي ام هانيء بنت ابي طالب . قال احمد : كان ابن مهدي ترك حديثه وقال ابن معين اذا روى عنه الكلبي فليس بشيء . وقال ابو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال ابن عدي : عامة ما يرويه تفسير وما اقل ما له من المسند . وقال : ولم اعلم احدا من المتقدمين رضيه . وقال ابن المديني عن القطان عن الثوري قال الكلبي : قال لي ابو صالح كل ما حدثتك كذب . وقال الجوزقاني انه متروك وقال ابن حبان : يحدث عن ابن عباس ولم يسمع منه . انظر تهذيب التهذيب ترجمع ٧٧٠ ص ٣٦٤ ، ص ٣٦٥ م ١ وقد روى له الاربعة . وانظر التاريخ الكبير للبخاري م٢ ترجمة ١٩٨٨ ص ١٤٤ ، والجرح والتعديل للرازي م ٢ ترجمة ١٧١٦ص٤٣١ ، وانظر الكاشف للذهبي م١ ص٩٦ ترجمة ٥٤١ ، وتقريب التهذيب م١ ص٩٣ ترجمة ٢ وقال عنه : ضعيف مدلس . وقد ذكره النسائي في كتابه الضعفاء والمتروكين ص ٦١ ترجمة ٧٤ ، وسلسلة الكذب وردت في مخطوط العجاب في الاسباب ص ٥ ونقلها سيد صقر في مقدمة كتابه ص ٢٥ـ .

(٣) انظر تفسير الطبري م ٤ ج ٦ ص ٢٨٧ طبعة دار الفكر ، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤ م ، وتفسير الخازن م ١ ص ٥٠٦ ، والبحر المحيط ج ٣ ، ص ٥١٤ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧١ ، الدرالمنثور م٢ ص ١٠٤ .

(٤) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٢ ط ٢ طهران ص ٢٦ ، وتفسير القرطبي م٦ ص ٢٢١ ، تفسير البحر المحيط ج٣ ص ٥١٤ وغيرها .

(٥) انظر تفسير القرطبي م ٦ ص ٢٢١ ، تفسير الخازن م ١ ص ٥٠٦ ، والبحر المحيط م ٣ ، ص ٥١٤ ، مجمع البيان ج ٣ ص ٣٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك شهادة من أبي جعفر بن محمد بن علي الباقر بن الحسين بن علي بن أبي طالب تعترض على الروايات التي تقول إنها في حق علي رضي الله عنه قال ابن جرير الطبري : حدثنا هناد بن السري ، قال : ثنا عبده ، عن عبد الملك ، عن أبي جعفر ، قال : سألته عن هذه الآية [إنما وليكم ... وهم راكعون] قلنا : مَن الذين آمنوا ؟ قال : الذين آمنوا ، قلنا : بلغنا أنها نزلت في علي بن أبي طالب ؟ قال : علي من الذين آمنوا . وذكر نحو حديث هناد عن عبده ابن وكيع قال : ثنا المحاربي عن عبد الملك ، قال سألت أبا جعفر [1] ... وقد رجح ابن جرير أنها في عبادة بن الصامت ولم ينقل سبباً آخر غيره ، والخلاف كان في المَعْني من الآية وليس في سبب النزول . وكذلك ابن كثير رجح أنها في عبادة وليس في علي ولا سيما أن شيخ الشيعة لم يعترف ان الآية نزلت في علي رضي الله عنه .

وإذا نظرنا إلى معنى الآية نجد ان الرواية التي تدّعي أنها في علي وأنه تصدّق بخاتمه وهو في الصلاة منتفية بنص الآية . فاقول [وهم راكعون] معناه وهم خاشعون ، خاضعون لأمر الله تعالى . أي يصلون ويزكون وهم منقادون لأمر الله تعالى [2] . وليس معنى الركوع هنا ما هو معروف انه أحد أركان الصلاة [3] . قال ابن كثير (فقد توهم بعض الناس أن هذه الجملة في موضع الحال من قوله [**ويؤتون الزكاة**] أي في حال ركوعهم ولو كان هذا لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره لأنه ممدوح ، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى) [4] .

بالإضافة إلى ما سبق فإن معنى الزكاة في الآية لا يرد أن يكون بمعنى المندوب لأن اللفظ لا يحتمله وهو خلاف الأصل [5] . وسيدنا علي لم يكن غنياً حتى يخرج زكاة . والجدير به وبأمثاله أن يكون خاشع القلب وهو واقف بين يدي الله لا لاهياً فيما يدور خارج الصلاة . وعليه فتكون الرواية من الوضّاعين .

وهكذا فإن للاسرائيليات * أثرها في مضاعفة دخول الدخيل إلى روايات أسباب التنزيل .

---

(١) انظر تفسير الطبري ج ٦ م ٤ ص ٢٨٨ . وذكر نفس الرواية القرطبي وزاد : قال النحاس : وهذا قول بين لان [الذين] للجماعة . وانظر تفسير الخازن م١ ص ٥٠٦ ، والبحر المحيط ج ٣ ص ٥١٣ ، وابن كثير م٢ ص ٧١ ، والدر المنثور م ٣ ص ١٠٦ . هذا وقد اعتمد الحافظ ابن كثير هذه الرواية في رد الروايات التي اسندت سبب النزول لعلي رضي الله عنه .

(٢) انظر تفسير الخازن م١ ص ٥٠٦ .

(٣) انظر تفسير البحر المحيط ج ٣ ص ٥١٤ ، وانظر تفسير الالوسي ج ٦ ص ١٦٧ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير م٢ ص٧١ طبعة دار المعرفة بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م .

(٥) انظرتفسير الفخر الرازي ج١٢ ص ٣٠ - ص ٣١ ط ٢ دار الكتب العلم طهران . وانظر تفسير القرطبي م٦ ص ٢٢٢ ، حيث يقول (وحمل لفظ الزكاة على التصدق بالخاتم فيه بعد ، لان الزكاة لا تأتي الا بلفظها المختص بها وهو الزكاة المفروضة .

* الاسرائيليات جمع مفرده اسرائيلية وهي قصة او حادثة تروى عن مصدر اسرائيلي. اي يهودي حيث ينتسب اليهود الى اسرائيل. فنقول بنو اسرائيل كما ورد في القرآن الكريم *لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون* المائدة ٧١. وقد توسع المفسرون في هذا الاصطلاح فاطلقوه على كل ما تطرق الى التفسير او الحديث من اساطير قديمة منسوبة في اصل روايتها الى مصدر يهودي او نصراني او غيرهما. ومنه ما دسه اعداء الاسلام من اليهود وغيرهم من المستشرقين على التفسير الحديث، من اخبار لا اصل لها في مصدر قديم صنعها اعداء الاسلام بخبث نية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً : الثقة المفرطة بالعلماء السابقين أدت إلى عدم تحرّي الدّقة في النقل والركون إلى ترديد أقوالهم دون تمحيص : فمثلاً : ورد في سبب نزول قوله تعالى [**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**] الحجرات آية ٦ .

قال الطبري :

(حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جعفر بن عون ، عن موسى بن عبيدة ، عن ثابت مولى أم سلمة ، عن ام سلمة ، قالت : بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رجلاً في صدقات بني المصطلق بعد الوقعة ، فسمع بذلك القوم ، فتلقوه يعظمون أمر رسول الله صلى اللهعليه وسلم ، قال : فحدّثه الشيطان أنهم يريدون قتله ، قالت : فرجع إلى رسول الله -صلى اللهَ عليه وسلم- ، فقال : إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم ، فغضب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والمسلمون . قال : فبلغ القوم رجوعه ، فأتَوْا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فصفوا له حين صلى الظهر فقالوا : نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت إلينا رجلاً مصدقاً ، فسررنا بذلك ، وقرّت به أعيننا ، ثم إنه رجع من بعض الطريق ، فخشينا أن يكون ذلك غضباً من الله ومن رسوله فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال ، وأذن لصلاة العصر : قال ونزلت الآية [١] .

وقال بإسناد آخر :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال وذكر القصة ، وذكر أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط [٢] .

وفي رواية ثالثة : عن مجاهد : وذكر اسم الوليد [٣]

وفي رواية رابعة وخامسة : عن قتادة : [٤]

وفي رواية سادسة وسابعة : عن ابن أبي ليلى [٥]

وفي رواية ثامنة : عن يزيد بن رومان [٦]

وذكر رواية تاسعة ولم يذكر فيها اسم الرجل كالرواية الاولى [٧]

وأما الواحدي (ت ٤٦٨هـ) فلم يذكر سنداً وقال نزلت في الوليد ، وفي رواية عن الحارث بن ضرار قال : (قدمت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فدعاني إلى الإسلام ، فدخلت في الإسلام وأقررت ، فدعاني إلى الزكاة ، فأقررت بها ، فقلت : يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة ، فمن استجاب لي جمعت زكاته ، فترسل لإبّان كذا وكذا ، لآتيك بما جمعت من الزكاة . فلما جمع الحارث بن ضرار (ممن استجاب له) وبلغ الإبّان الذي أراد أن يبعث إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- احتبس عليه الرسول فلم يأته ، فظن الحارث أنّه قد حدث فيه سخط من الله ورسوله فدعا سروات قومه فقال لهم : إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد كان وقّت لي وقتا ليرسل إليّ ليقبض ما كان عندي من الزكاة ، وليس من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الخُلْفُ ولا أدري حَبْسَ رسوله إلاّ من سخطه ، فانطلقوا نأتي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

---

(١) انظر تفسير الطبري ص ١٢٣ م ١٣ ج ٢٦ ، وانظر تفسير ابن كثير م٤ ص ٣٠٩ .

(٢) انظر تفسير الطبري ص ١٢٤ ، م١٣ ج٢٦ .

(٣، ٤، ٥) انظر تفسير الطبري ص ١٢٤ م ١٣ ج ٢٦ .

(٦، ٧) انظر تفسير الطبري ص ١٢٥ م ١٣ ج٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده ... إلى آخر القصة [1].

وأما الزمخشري ت (٥٣٨) فقال (بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمّه (وهو الذي ولاّه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص فصلّى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعاً ثم قال : هل أزيدكم فعزله عثمان عنهم) مصدقاً إلى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم إحْنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه ، فرجع وقال لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فغضب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهمّ أن يغزوهم فبلغ القوم فوردوا وقالوا : نعوذ بالله من غضبه ومن غضب رسوله فاتهمهم فقال لتنتهنّ أو لأبعثن إليكم رجلاً هو ، عندي كنفسي يقاتل مقاتليكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي رضي الله عنه ، وقيل بعث إليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا إليه الصدقات فرجع) [2].

دراسة الروايات

١) حديث ام سلمة الذي رواه الطبري فيه موسى بن عبيدة بن نشيط أبو عبد

---

(١) اسباب نزول القران للواحدي ص ٤١٣ ، ٤١٤ ، وانظر تفسير البغوي ولم يذكر السند م٤ ص ٢١٢ ، مجمع البيان للطبرسي م٩ ص ١٩٨ ، وانظر تفسير الخازن م٤ ص ١٧٨ وعقب عليها بقوله (وقيل هو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على الفاسق وهو اولى من حكم الاية على رجل بعينه لان الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك الا انه ظن وتوهم فأخطأ) وانظر تفسير البحر المحيط لابي حيان م٨ ص ١٠٩ . وانظر تفسير الالوسي (روح المعاني) ج ٢٦ ص ١٤٤ . وانظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٠٩ ، ص ٢١٠ وقال : ذكر كثير من المفسرين ان هذه الاية نزلت في الوليد بن عقبة ، وقد روى ذلك من طرق ومن احسنها ما رواه الامام احمد في مسنده من رواية الحارث بن ضرار وذكر هذه الرواية ... وبعد ان سرد كثيرا من الروايات قال : والله اعلم) ، وانظر السيوطي في لباب النقول ص ٢٠١ ، ٢٠٢ : ((اخرج احمد وغيره بسند جيد عن الحارث بن ضرار الخزاعي وذكر هذه الرواية ... وعقب عليه رجال اسناده ثقات)) وانظر تفسير ابي السعود م ٨ ص ١١٨ ، وتفسير اضواء البيان للشنقيطي م ٨ ص ٦٢٦ .

(٢) تفسير الزمخشري م ٤ ص ٨ ، وانظر القرطبي ج ١٦ ص ٣١١ . وقد ذكر القصة بصيغة التضعيف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العزيز الرّبذي : ضعيف منكر الحديث لا تحل الرواية عنه عند أحمد [1] .

٢) وأما رواية ابن عباس فالسند يقول الطبري حدثني محمد بن سعد وهذا الأخير توفي سنة ٢٣٠ [2] وولد الطبري سنة ٢٢٤ [3] أي ان عمره كان ست سنوات ولم يكن قد وعي وخرج من بلده آمل بطبرستان حتى يتم لقاء بينهما فيحدثه ولذلك ترد هذه الرواية .

٣) وأما الروايات من ٣-٩ فكلها مرسلة [4]. قال محقق العواصم من القواصم .

(فلما عكفت على دراستها وجدتها موقوفة على مجاهد أو قتادة ، او ابن أبي ليلى ، أو يزيد بن رومان ، ولم يذكر أحد منهم أسماء رواة هذه الأخبار في مدة مائة سنة أو أكثر مرت بين أيامهم وزمن الحادث ، وهذه المائة من السنين حافلة بالرواة من مشارب مختلفة وان الذين لهم هوى في تسوئ سمعة مثل الوليد ، ومن هم أعظم مقاماً من الوليد قد ملأوا الدنيا أخباراً مريبة لها قيمة علمية . وما دام رواة تلك الأخبار في سبب نزول الآية مجهولين من علماء الجرح والتعديل بعد الرجال الموقوفة هذه الأخبار عليهم ، وعلماء الجرح والتعديل لا يعرفون من أمرهم حتى ولا أسماءهم ، فمن غير الجائز شرعاً وتاريخاً الحكم بصحة هذه الأخبار المنقطعة التي لا نسب لها) .

---

(١) قال البخاري في تاريخه م ٢ ص ٢٩١ ترجمة ١٢٤٢ : (موسى منكر الحديث قاله احمد بن حنبل ، وقال علي بن المديني عن القطان قال كنا نتقيه تلك الايام)

- وقال النسائي في كتابه الضعفاء والمتروكين ص ٢٢٤ ترجمة ٥٨١ : ضعيف .
- وقال الرازي في كتاب الجرح والتعديل م ٨ ص ١٥١ / ص ١٥٢ ترجمة ٦٨٦ (قال صالح بن احمد بن حنبل : قال ابي : موسى بن عبيدة لا يشتغل به وذلك انه يروي عن عبد الله بن دينار شيئا لا يرويه الناس . وقال احمد : لا تحل الرواية عندي عن موسى بن عبيدة وقال الدوري : عن يحيى بن معين انه قال موسى بن عبيدة لا يحتج بحديثه . وقال ابو بكر بن ابي خيثمة انه سمع يحيى بن معين يقول : موسى بن عبيدة ضعيف وانما ضعف حديث موسى لانه روى عن عبد الله بن دينار احاديث مناكير
- وقال الذهبي في الكاشف ج ٣ ص ١٦٤ ترجمة ٥٨١٥ : ضعفوه توفي ١٥٢ هـ
- وقال ابن حجر في التهذيب ص ٣١٨ - ص ٣٢١ ج ١٠ ترجمة ٦٣٦ . وقال ابن عدي : وهذه الاحاديث التي ذكرتها لموسى عامتها غير محفوظة والضعف على رواياته بيّن ، وذلك قاله الرازي زيادة في تضعيفه .
- وقال ابن حجر في التقريب م ٢ ص ٢٨٦ ترجمة ١٤٨٣ : ضعيف
- وقال في الكافي الشافِ في تخريج الكشاف ص ١٥٦ في نهاية م٤ : حديث ام سلمه فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف . وقوله بعث لهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين في الصلاة لم اره) .

(٢) انظر الكاشف للذهبي ج ٣ ص ٤١ ترجمة ٤٩٤٣ . وانظر معجم المؤلفين لرضا كحالة ج ١٠ ص ٢١ .

(٣) انظر معجم المؤلفين ج٩ ص ١٤٧ وقد ولد بآمل بطبرستان .

(٤) الشاهد هنا ان الروايات لم تأخذ حكم المرفوع فضلاً عن ضعف السند كما مر في رقم (١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك خبران موصولان احدهما عن ام سلمة زعم موسى بن عبيدة انه سمع من ثابت مولى ام سلمة ، وموسى بن عبيدة ضعفه النسائي وابن المديني وابن عدي وجماعة . وثابت المزعوم انه مولى ام سلمة ليس له ذكر في كل ما رجعت إليه من كتب العلم ، فلم يذكر في تهذيب التهذيب ، ولا في تقريب التهذيب ولا في خلاصة تهذيب الكمال بل لم أجده ولا في قفصي الاتهام أعني (ميزان الاعتدال) و (لسان الميزان) . وذهبت إلي مجموعة أحاديث ام سلمة في مسند الإمام احمد فقرأتها واحداً واحداً فلم أجد فيها هذا الخبر . بل لم أجد لأم سلمة أي خبر ذكر فيه اسم مولى لها يدعى ثابت . زد على كل هذا أن ام سلمة لم تقل في هذا الخبر - إن صح عنها (ولا سبيل إلى أن يصح عنها) ان الآية نزلت في الوليد ، بل قالت (أي قيل على لسانها) بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (رجلاً) في صدقات بني المصطلق ... الخ) [1] .

أما رواية الواحدي وهي التي ذكرها أحمد في مسنده والتي قال ابن كثير عنها إنها أحسن الطرق [2] فالمدقق فيها يجد أن الاتفاق جرى بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- وبين الحارث عند اسلامه وقد كان في شعبان من السنة الخامسة [3] للهجرة في غزوة المريسيع (بني المصطلق) والموعد الذي حدد في جمع الزكاة يكون بعد حول من إسلامهم أي في السنة السادسة للهجرة ، والوليد بن أبي معيط قد أسلم في عام الفتح مع أخيه الكبير عمارة في نهاية السنة الثامنة للهجرة . وعليه فلا يرد أن يكون الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد أرسله جابياً لصدقات بني المصطلق وهو كافر ولم يكن وقتئذ بالمدينة ، بل كان في مكة كافراً يقيم في دار الكفر . وعليه فترد جميع الروايات التي تذكر أنها نزلت في الوليد بن أبي معيط .

والقصة في الحديث تقول : ان الحارث بن ضرار [4] قدم على الرسول -صلى الله عليه وسلم- ودعاه الرسول الى الإسلام وإلى الزكاة . والأمر الذي لا ريب فيه عند أهل المغازي والسير وعلماء الحديث أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قتل من بني المصطلق من قتل وسبى من سبى حتى ان جويرية رضي الله عنها كانت سبية ، وافتداها الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتزوجها . فكانت غزوة المريسيع أو بني المصطلق بهجوم من الرسول -صلى الله عليه وسلم- بغتةً على بني المصطلق ، ولم يكن كما قالت الرواية أن الحارث بن ضرار هو الذي قدم إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- . وعليه فترد هذه الرواية لمخالفتها لما هو أصح منها . فقد أورد البخاري في كتاب العتق عن ابن عمر قال : (إن النبي أغار على بني المصطلق وهم غارون، وانعامهم تُسقى على الماء، فقتل مُقاتِلَهم وسبى ذراريهم

---

(١) العواصم من القواصم لابن العربي حاشية ص ١٠٢ - ص١٠٣.

(٢) انظر تفسير بن كثير ج ٤ ص ٢٠٩ .

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر م ٧ ص ٤٣٠ حيث حققت السنة الخامسة هناك . وانظر مختصر سيرة الرسول لمحمد بن عبد الوهاب ص ٢٦٦

(٤) او ابن ضرار ، وهو والد جويرية ام المؤمنين وقد اكد ذلك ابن حجر في الاصابة تحت ترجمتين ٢٠٤١ ، ٢٠٤٢ م ٢ ص ١٩٥ وقال : والصواب انهما شخص واحد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأصاب يومئذ جويرية ، وكان ابن عمر محدث الحديث في الجيش الذي أغار على بني المصطلق [1] .

وأمر آخر فقد روى أحمد بن حنبل [2] في مسنده في باب ما جاء في بيعة أهل مكة رجالاً ونساء عن الوليد بن عقبة رضي الله عنه قال (لما فتح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مكة جعل أهل مكة يأتون بصبيانهم فيمسح على رؤوسهم ويدعو لهم فجيء به إليه وإني مطيب بالخلوق ولم يمسح على رأسي ، ولم يمنعه ذلك إلاّ من أمي خلقتني بالخلوق ، فلم يمسّني من أجل الخلوق) وسند الحديث هو : حدثنا فياض بن محمد الرّقي ، عن جعفر بن برقان ، عن ثابت بن حجاج الكلابي عن عبد الله الهمداني عن الوليد بن عقبة . قال ابن العربي في العواصم من القواصم : فمن يكون في مثل هذا السن يرسل مصدقاً ؟! [3] . قال مخرج أحاديث العواصم من القواصم .

(هذا الحديث عن سن الوليد بن عقبة يوم فتح مكة رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٢:٤ الطبعة الأولى) عن شيخ له هو فياض ابن محمد الرقي .. والظاهر ان الوليد بن عقبة تحدث بهذا الحديث عندما اعتزل الناس في السنين الأخيرة من حياته ، واختار الإقامة في قرية له من أعمال الرقة ، فتسلسلت رواية الخبر في الرواة الرقيين وأخذه الامام أحمد عن شيخ له منهم . وعبد الله الهمداني ثقة ، لكن التبس اسمه في غير هذه الرواية بهمداني آخر يكنى أبا موسى واسمه مالك بن الحارث (أي على اسم والد عبد الله الهمداني) وهو مجهول عند أهل الجرح والتعديل ، أما عبد الله الهمداني الذي ينتهي إليه الخبر في رواية الإمام أحمد فمعروف وموثوق به ، وعلى روايته وأمثالها اعتمد القاضي ابن العربي في الحكم على سن الوليد بن عقبة بأنه كان صبياً عند فتح مكة وان الذي نزلت فيه آية [إن جاءكم فاسق بنبأ] هو شخص آخر [4] .

وقد وردت رواية مفادها أن الوليد وأخاه عمارة قد ذهبا إلى المدينة في السنة السابعة ليردا اختهما ام كلثوم التي هاجرت مسلمة ومن هذا شأنه لا يكون صغيراً . ويجاب عن هذا ان الرواية تقدم عمارة على الوليد ، وكان من عادة العرب ان يصطحبوا الصغار معهم ، فالرسول -صلى الله عليه وسلم- كان مع عمه وهو صغير إلى تجارة الشام . فيكون الأصل هو عمارة والوليد تابعاً حسب رواية أحمد ولا منافاة بينهما [5] .

وأما الزمخشري فقد ذكر في الرواية عن الوليد امراً آخر حتى يقنع القاريء بصحة سبب التنزيل الذي ساقه فقال في جملة معترضة (وهو الذي ولاّه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص فصلّى بالناس وهو سكران صلاة الفجر اربعاً ثم قال هل أزيدكم فعزله عثمان عنهم) [6] . وهذا يدل على عدم التحقق من كثير من المفسرين . واما ابن العربي في العواصم من القواصم ، والفخر الرازي في التفسير الكبير والخازن في تفسيره لباب التأويل في معاني التنزيل فجزاهم الله خيراً فقد شككوا في الروايات التي تطعن بهذا الصحابي

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري م ٥ ص ١٧٠ ترجمة ٢٥٤١ كتاب العتق .

(٢) انظر الفتح الرباني لاحمد بن عبد الرحمن البنا ص ١٦٣ ج ٢١ .

(٣) انظر العواصم من القواصم لابن العربي ص ١٠٣ ط ٥ مكتبة دار السنة بالقاهرة ١٤٠٨ هـ .

(٤) انظر العواصم من القواصم لابن العربي ص ١٠٤ ط ٥ مكتبة دار السنة بالقاهرة ١٤٠٨ هـ .

(٥) انظر العواصم من القواصم لابن العربي ص ١٠٤ ط ٥ مكتبة دار السنة بالقاهرة ١٤٠٨ هـ .

(٦) الكشاف للزمخشري ج ٤ ص ٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجليل . وكذلك محققو زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي وعلى رأسهم زهير الشاويش [١] .

من هو الوليد بن عقبة بن أبي المعيط ؟؟

إنه صحابي جليل أخو عثمان بن عفان لأمه وقد عاش في كنفه ، وأمهما اروى بنت كريز . وأمها البيضاء بنت عبد المطلب ، [٢] أسلم مع أخيه عمارة عام الفتح ، وتوفي في خلافة معاوية [٣] ، كان موضع ثقة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً ، فلو كان هو الفاسق المذكور في الآية لما كان بهذه المنزلة عند خير البشر بعد الأنبياء ، فقد كان أمين سر الرسائل الحربية بين الخليفة أبي بكر وقائده خالد بن الوليد في معركة عين تمر سنة ١٢ هـ ، وكان نصيراً لخالد بن الوليد في وقعة المذار في السنة نفسها [٤] . كتب ابو بكر للوليد -وقد عينه أميراً- يخيّره بين أن يبقى والياً وبين أن يرسله الى الحرب فآثر الوليد الجهاد [٥] .

وقد ولاّه أبو بكر على صدقات بني قضاعة ، وولاّه على ضاحية قضاعة مما يلي دُومة امرأ القيس ، وقد ولاّه امارة الاردن [٦] واشترك في حرب الروم ، وسمي جيشه ومن أمدهم أبو بكر بجيش البدّال الذي كان ينضوي تحت قيادة القائد العام للمعركة خالد بن الوليد [٧] . وقد كان له دور في تحقيق النصر في معركة قنّسرين وفرّ هرقل نحو القسطنطينية ، حيث كان يحمي ظهور المجاهدين في شمال الشام [٨] ، وقد جعله الصدّيق نداً لعمرو بن العاص في قيادة الجيوش لفتح الشام ، وغزا اذربيجان وهو أمير القوم في سنة ٢٨ هـ [٩] . وكان والياً على الكوفة مدة خمس سنوات من سنة ٢٥ هـ - سنة ٣٠ هـ . وكان يجمع بين الإمارة وقيادة فيالق الجهاد، والدعوة إلى الله وقد أسلم على يديه كثير من نصارى تغلب [١٠] وفي خلافة عمر أبقاه على قيادة الجيوش وعلى امارة بني تغلب، ثم أعفاه

---

(١) انظر العواصم من القواصم من ص ٩٨ - ص ١١١ ، وانظر تفسير الفخر الرازي ج ٢٨ ص ١١١ ، وتفسير الخازن م ٤ ص ١٧٨ ، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٧ ص ٤٩١ مطبعة المكتب الاسلامي .

(٢) انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج ٦ ص ٦١٤ ، ٦١٦ ترجمة ٩١٥٣ .

(٣) المصدر السابق نفسه ص ٦١٥ .

(٤) تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري م ٣ ص ٣٧٧ طبعة ذخائر العرب دار المعارف بمصر . قال الطبري وذكر السند (ولما قدم الوليد بن عقبة من عند خالد على ابي بكر رحمه الله بما بعث به اليه من الاخماس وجهه الى عياض ، وامده به ، فقدم عليه الوليد ، وعياض محاصرهم وهم محاصروه ، وقد اخذوا عليه بالطريق فقال له : الرأي في بعض الحالات خير من جند كثيف ابعث الى خالد فاستمده .. ففعل) .

(٥) انظر تاريخ الطبري ص ٣٨٩ ج ٣ ، والمعروف بتاريخ الأمم والملوك أو الرسل والملوك .

(٦) انظر تاريخ الطبري ص ٣٩٠ ج ٣ .

(٧) انظر تاريخ الطبري ص ٣٩١ ج ٣ .

(٨) انظر تاريخ الطبري ص ٦٠٢ ج ٣ .

(٩) الإصابة ج ٦ ص ٦١٨ .

(١٠) انظر تاريخ الطبري ص ٢٧٣ ج ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من منصبه خشية من شدة الوليد عليهم بعد ان سمع عن شدته [1] . ويكفي الوليد شهادة الإمام الشعبي رضي الله عنه عندما سمع حفيد الوليد (محمد بن عمرو بن الوليد) يتحدث عن بطولة مسلمة بن عبد الملك في الجهاد فقال : (كيف لو أدركتم الوليد ، غزوه وإمارته ! إن كان ليغزو فينتهي إلى كذا وكذا ، ما قصّر ولا انتقض عليه أحد حتى عزل عن عمله ، وعلى الباب يومئذٍ عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي) [2] وهو أحد قادته . ولما قتل عثمان تحوّل إلى الرّقة فنزلها واعتزل علياً ومعاوية حتى مات بها [3] . فهل من كان هذا حاله من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يجوز أن يطلق عليه لقب فاسق ؟! اللهم إني أبرأ إليك من هذا القول .

وأمّا التهمة الأخرى : وهي شربه الخمر ، وصلاته للصبح أربعاً ، وقوله هل أزيدكم ، -كما ذكر الزمخشري وغيره- فهي فرية ، كتب الله له الأجر على صبره عليها ، ومثلها كذلك في المؤامرة التي دبرت له ، وشُهِدَ زوراً ضدّه بأنه شرب الخمر وتقيأها . والفضل يعود للطبري [4] في لفت النظر وتوضيح هذه المكيدة له من قبل أعدائه ، ونحن هنا لا بدّ من ابرازها وتوضيحها لأمرين ، الأول : للذب عن حمى صحابي من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (عرف بالتقوى والجهاد والدعوة إلى الله منذ أن أسلم حتى توفي وكفاه فخراً اعتزاله الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما) رمي بالفسق وشرب الخمر .

الثاني : ليعلم المجرمون في هذا الزمان وفي كل زمان أن الجريمة لا بد ان تكتشف ولو طال عليها الزمن ، فإن نجوا من عقاب الدنيا فلن ينجوا من عقاب رب العالمين ، وإن من عنده قدرة على تزوير التاريخ فسينكشف أمره بعد حين .

ولنفتح ملف هذه القضيّة فنقول :

١- روى مسلم في صحيحه : (حدثنا حُضَيْنُ بن المنذر أبو ساسان قال : شهدت عثمان بن عفان ، وأُتي بالوليد قد صلّى الصبح ركعتين ثم قال : أزيدكم ؟ فشهد عليه رجلان أحدهما حُمران أنه شرب الخمر وشهد آخر أنه رآه يتقيأ فقال عثمان : إنه لم يتقيأ حتى شربها . فقال : يا عليّ : قم فاجلده . فقال علي : قم يا حسن فاجلده . فقال الحسن : وَلِّ حارّها من تولى قارّها " فكأنه وجد عليه " فقال : يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده . وعليٌ يَعُدّ حتى بلغ أربعين ، فقال : أمسك . ثم قال : جلد النبي -صلى الله عليه وسلم- أربعين ، وجلد أبو بكر أربعين ، وعمر ثمانين وكلٌ سنّة ، وهذا أحَبُّ إليّ) [5] .

---

(١) انظر تاريخ الطبري ص ٥٦ ج ٤ .

(٢) انظر تاريخ الطبري ص٢٧٤ ، م٤ .

(٣) انظر الاصابة ج ٦ ص ٦١٧ ، وتهذيب التهذيب م ١١ ص ١٢٦ .

(٤) انظر تاريخ الطبري م٢ ص ٦٤٠
م ٣ ص ٣٥١ ، ص ٣٧٧ ، ٣٨٩ - ٣٩١ ، ص ٤٣٥ ، ٦٠٢
م٤ ص ٥١ ، ٥٤-٥٦ ، ٢٤٦ - ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ - ٢٧٩ ، ٣٢٢ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٢٥ ، ٤٣٣ ، ٤٥٠ ، ٥٦٤ ، ٥٧٢
م ٥ ص ١٣ ، ص ١٨ ، ص٤٥، ص ٧١
م ٦ ص ٨٩ ، ص ٢٨٢ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي م ٦ ، ج١١ ص ٢١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد روى أبو داود [1] هذه الرواية بالسند نفسه ، ولم يذكر الصلاة ولا القول أزيدكم . وكذلك روى ابن ماجة [2] بنفس السند هذه الرواية ولم يذكر الصلاة قط . وقد ذكر أحمد بن حنبل [3] الرواية في ثلاثة مواضع ، اثنان منها لم يأت على ذكر الصلاة فيها بشيء ، وذكرها في الموطن الثالث .

وهذا يدل على أن الزيادة في الصلاة وأزيدكم هي من قول الراوي حُضَيْن ، وشهادة الشهود كانت في شرب الخمر وليس في الصلاة ، ولم يكن حُضَيْن في الكوفة حتى تقبل هذه الزيادة منه ، فكيف بما قاله الزمخشري أنه صلى الصبح أربعاً وقال أزيدكم ؟ فإذا كانت زيادة حضين صلى الصبح ركعتين ولم تقبل منه فكيف بمن قال صلّى الصبح أربعاً . وعليه فترد هذه الزيادة من الراوي وتعدّ فرية لعدم ثبوتها في نص صحيح .

٢- أما تهمة شرب الوليد للخمر ، فهي مكيدة دُبّرت له وهو بريء منها ومظلوم فيها كذلك . وقد أقام الخليفة عثمان رضي الله عنه حدّ الشرب عليه أربعين كما ورد في صحيح مسلم قبل قليل . واعداء الوليد هم الذين شهدوا زوراً عليه . وحُمْرَان [4] هذا الذي ورد في رواية مسلم هو عبد من عبيد عثمان بن عفان

---

(١) عون المعبود شرح سنن ابي داود للعظيم ابادي م١٢ ص ١٨٠ الحديث ٤٤٥٦ . كتاب الحدود

(٢) سنن ابن ماجة كتاب الحدود ص ٨٥٨ م ٢ ، الحديث ٢٥٧١ باب حد السكران

(٣) الموضعان الأول والثاني ج١، ص٨٢ ، ١٤٠ ط١ ج٢ رقم ٢٦٤ ، ١١٨٤ ط٢ ليس فيهما ذكر للصلاة عن لسان حضين فضلاً عن غيره . والموضع الثالث من مسند أحمد ج١ ص١٤٤- ١٤٥ ط١- ج٢ رقم ١٢٢٩ وفيه أن الوليد صلى الصبح أربعاً وهذا يعارض روايته في صحيح مسلم ركعتين ففي إحدى الروايتين تحريف الله أعلم بسببه .

(٤) حُمْرَان بن ابان مولى عثمان بن عفان اشتراه في زمن ابي بكر الصديق ، وقد سبي بعين التمر سنة ١٢ هـ من المسيب بن نجبة فاعتقه ، قال معاوية بن صالح عن يحيى بن معين حمران من تابعي اهل المدينة ومحدثيهم . وكان كثير الحديث ولم ارهم يحتجون بحديثه ، وحكى قتادة انه كان يصلي مع عثمان فاذا اخطأ فتح عليه . وحكى الليث بن سعد ان عثمان اسر اليه سرا فأخبر به عبد الرحمن بن عوف فاستأمن له عبد الرحمن عثمان واخبره بما اخبره به فغضب عليه عثمان ونفاه . وقد نزل البصرة ، وقال ابن حجر عن المسور ان عثمان مرض فكتب العهد لعبد الرحمن بن عوف ولم يطلع على ذلك الا حمران ثم افاق عثمان فاطلع حمران عبد الرحمن على ذلك فبلغ عثمان فغضب عليه ونفاه ت ٧٦ وقيل سنة ٧١ هـ . وقد روى له الستة ص ٢١ م ٣ تهذيب التهذيب . وقال ابن سعد في الطبقات : وكان كثير الحديث ولم أرهم يحتجون بحديثه ، تحوّل إلى البصرة فنزلها وادّعى ابنه أنهم من النَّمِر بنْ قاسط من ربيعة الطبقات الكبرى لابن سعد م٥ ص٢٨٣ . وانظر الإصابة القسم الثاني ص١٨٠ترجمة ٢٠٠٠ . ولم يعلق البخاري وابن ابي حاتم الرازي والذهبي على هذا القول ولم يعطو فيه رأيا . وذكره يدل على انه ثقة فقد روى له الستة . وبالرجوع الى تاريخ الطبري وجدت ان حمران هذا كان ممن سبي في عين التمر كما ذكر الذهبي وابن حجر ولكن الرجل كان نصرانيا وقصة سبيه كانت مُرَوِّعَة فقد قتل خالد بن الوليد جميع مَنْ في حصن عين التمر ، وخلع بابا على غلمان كانوا يتعلمون الانجيل فسباهم وكان هو منهم . فهذا مؤشر ربما كان الرجل قد اعلن اسلامه خوفاً بعدما اعتقه عثمان وكان حاقدا على المسلمين لاسيما بعدما رآه من ضرب اعناق مَنْ كانوا معه من اهل ملته انظر تاريخ الطبري م ٣ ص ٧٧ ، ص ٤١٥ .

وقد ذكر الطبري قصة كانت من ضمن الاسباب التي جعلت عثمان يطرده من المدينة فقد تزوج حمران من امرأة في عدتها فنكل به عثمان وفرق بينهما وطرده من المدينة ، انظر تاريخ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طرده من المدينة لارتكابه معاصي فرحل إلى البصرة . وقد ذكر الطبري المؤامرة مفصلة في تاريخه المعروف بتاريخ الأمم والملوك في أحداث سنة ثلاثين تحت عنوان عزل عثمانُ الوليد بن عقبة عن الكوفة وولى سعيد بن العاص . ومختصر القصة كما ذكرها الطبري (قدم الوليد الكوفة ، وكان أحب الناس في الناس وأرفقهم بهم فكان كذلك خمس سنين -وليس على داره باب- وحدث أن تآمر شباب أهل الكوفة على ابن الحيسمان الخزاعي وقتلوه ، وشهد عليهم صحابي جليل اسمه ابو شريح وابنه كان جاراً لابن الحيسمان فكتب الوليد بن عقبة لعثمان في ذلك فأمر عثمان بقتلهم على باب القصر في الرَحبة . وكان أبو زينب الأزدي ، وأبو مروع الأزدي ، وجندب يحقدون على الوليد منذ أن قتل أبناءهم ويضعون له العيون . وكان أبو زبيد نصرانياً من نصارى بني تغلب قد أسلم على يدي الوليد في نهاية حكمه سنة ٣٠ هـ وكان ممن يدخل على الوليد [١] ، فقال الثلاثة لوجوه من أهل الكوفة إن أميركم يشرب الخمر مع أبي زبيد النصراني ، فقاموا معهم فاقتحموا من المسجد بابه (ولم يكن لبيته باب) ففُجِئَ الوليد بهم ، فنحى شيئاً تحت السرير ، فأدخل بعضهم يده فأخرجوه من تحتَ السرير ، فإذا هو طبق عليه تفاريق عنب (وقد نحاه استحياء أن يروا طبقَ اميرهم ليس عليه الاّ تفاريق عنب) فخرجوا على الناس وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون [٢] ، وسمع الناس

= الطبري م٤ ص ٣٢٧ ، وقد ذكر الطبري كذلك انه وشى بالعابد الصالح عامر بن عبد القيس عند رجال الدولة وقال انه لا يرى لآل ابراهيم عليه فضلا ولكن حمران رُدَّ فتتبعه وشهد له اقوام زوراً ان عامر لا يرى التزويج ولا يأكل اللحم ولا يشهد الجمعه فسيّره الخليفة الى الشام وأُلحِقَ بمعاوية ، انظر تاريخ الطبري م ٤ ص ٣٢٧ ، ص ٣٢٨ . وكان قد تنازع مع عبيد الله بن ابي بكرة على رئاسة البصرة سنة ٧١ هـ بعد موت عاملها فاستعان بعبد الله بن الاهتم وعينه على شرطها فغلب بذلك عبيد الله . انظر تاريخ الطبري م ٦ ص ١٦٥ . من هذه المعلومات فانني ارجح ان حمران هذا ممن اعلنوا اسلامهم وفي انفسهم شيئ . فطرد عثمان له سواء اكان لافشائه سرا ائتمنه عليه ، ام لمخالفته حكما شرعيا وهو زواج امرأة في عدتها ، ام للامرين معا ، يدل على ان الرجل لا يزال متأثرا بماضيه وبقصة اسره واذا اضفنا لذلك قصة وشايته بالعابد الصالح وكيف تمت ، وكيف استعمل حيلته للتغلب على ولاية البصرة ، يجعلنا لا نستغرب شهادته زوراعلى الصحابي الجليل الوليد بن عقبه بن ابي معيط مما جعل عثمان يقيم عليه حد الشرب ويعزي الوليد ويسري عنه قائلا : لا يضرك ذلك فمن ظُلِمَ فالله ولي انتقامه ، ومن ظُلِمْ فالله ولي جزائه)) وفي رواية ((نقيم الحدود ويبؤ الشاهد بالنار فاصبر ياأخي)) وإذا أضفنا أنه كان كثير الحديث ومع ذلك فإن رجال الحديث لا يحتجون بحديثه ، أدركنا تماماً أن الرجل عليه علامة استفهام .

(١) انظر تاريخ الطبري ص ٢٧٣ ج ٤

(٢) انظر تاريخ الطبري ص ٢٧٤ ج ٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بذلك ، فأقبل الناس عليهم يسبونهم ويلعنونهم ، فستر الوليد ذلك وطواه عن عثمان وصبر عليه ، وقد جاء جندب ورهط معه إلى ابن مسعود فقالوا : إن الوليد يعكف على الخمر ، وأذاعوا ذلك فقال ابن مسعود : من استتر عنّا بشيء لم نتتبع عورته ، ولم نهتك ستره ، فعلم الوليد بذلك ، فاستدعى ابن مسعود وقال له : أيُرضى من مثلك بأن يجيب قوماً موتورين بما أجبت عليّ ! أي شيء أستتر به ! إنما يقال هذا للمريب ، فتلاحيا وافترقا على تغاضب لم يكن بينهما أكثر من ذلك . ثم تغفّل ابو زينب وأبو مورع الوليد ، سمروا في منزله ، وكان هو ينام مع زوجته ، وأختين لهما ترقبانهم ، فَسَلاّ خاتمه [1] وخرجا به لعثمان ومعهم نفر ممن يعرف من أعوانهم ، ودبّرا مكيدة الشهادة على شرب الخمر . فاستدعى الخليفة عثمان واليه الوليد ، فعرف الوليد أنها مؤامرة دبرت له فسأله فقال الوليد : يا أمير المؤمنين ، أنشدك الله ! فوالله إنهما لخصمان موتوران فقال عثمان : (لا يضرك ذلك ، إنما نعمل بما ينتهي إلينا ، فمن ظَلَم فالله ولي انتقامه ، ومن ظُلم فالله ولي جزائه) . وفي رواية أخرى قال عثمان : (نقيم الحدود ويبوء الشاهد بالنار فاصبر يا أخي) [2] .

وهذا الذي يفسر به تلكؤ علي في إقامة الحد ، وامتناع ابنه الحسن كذلك ، حتى أمر عبد الله بن جعفر ، فهذه قصة شرب الخمر ، فرية اختلقها اعداء الله الذين يعيثون في الأرض فساداً ، وهم موجودون في كل زمان ، واتهم ظلماً هذا الصحابي الجليل ، الشاب المجاهد الذي نشأ -بعد اسلامه- في طاعة الله ومجاهدة الكافرين .

وهكذا نعيد فتح ملف هذه القضية بعد الف وثلثمائة وثمانين سنة ، لنفضح المجرمين الفعليين ، أبو زينب الأزدي ، وأبو مورّع الأزدي ، وجندب وحمران ، ولنبرئ المتهم وننصفه من أعدائه ، أعداء الله ، ليعلم الذين ظلموا في هذه الأيام ، أن طلاب الحق لا ينقطعون ، فسيتحدث عنهم التاريخ والأجيال القادمة عما اقترفته أيديهم بالإضافة إلى عذاب الله الذي ينتظرهم [**يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد**] [3] .

وعليه فلا نقول ان الوليد رضي الله عنه قد أخطأ وتاب [4] بل نقول انها فرية دبّرت له ولا يملك الخليفة الاّ أن يفعل ما فعله عثمان رضي الله عنه ، فله الظاهر والله يتولى السرائر .

* ومن أمثلة الثقة المفرطة بالعلماء السابقين ، والتي أدت إلى ترديد أقوالهم دون تمحيص ما نقله الزركشي في البرهان (فحكي عن عثمان بن مظعون ، وعمرو بن معدي كرب أنهما كانا يقولان الخمر مباحة ، ويحتجان بهذه الآية وخفي عليهما سببُ نزولها [**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين**] [5] .

---

(١) انظر تاريخ الطبري ص٢٧٥ ج ٤ .

(٢) انظر تاريخ الطبري ص ٢٧٥، ٢٧٦ ج ٤ .

(٣) سورة ق اية ٣٠ .

(٤) كما كان من حاطب بن ابي بلعته وقد ارسله صلى الله عليه وسلم بعدها الى المقوقس ملك الاسكندرية . او قدامه بن مظعون حيث قال الصحابة لعمر صالحه .

(٥) سورة المائدة اية ٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الحكاية عن هذين الصحابيّين خطأ ، والركون إلى العلماء الماضين أدى إلى تناقل هذه الحكاية دون تمحيص فرددها علماء كثر بعد الزركشي وعلى رأسهم السيوطي [1] ، دون أن يُعَنّوا أنفسهم بالتثبت والتحقق ، وبعد البحث والتدقيق تبيّن أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه توفي بعد عودته من غزوة بدر ، وكان أول من مات بالمدينة من المهاجرين ، وكان أول من دفن بالبقيع [2] . أي أن وفاته كانت قبل تحريم الخمر . وقد حرمت الخمر في سورة المائدة بعد الأحزاب كما نقل ذلك الطبري [3] . وأما عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، فقد أسلم بالمدينة على رأس وفد في عام الوفود (السنة التاسعة) وأقام أياماً ، ثم أجازه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ورجع إلى بلاده مذحج باليمن [4] . وعليه فلم يتم لقاء بينه وبين عثمان بن مظعون ليكونا أبطال هذه الحكاية . والصواب في المسألة هو ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أقام حد شرب الخمر على قدامة بن مظعون واليه على البحرين بعد أن شكاه الجارود ، وشهد عليه أبو هريرة ، وزوجة قدامة [5] ، فعدم التثبت أدى إلى اتهام البريء وتبرئة المتهم . ومن هذا الباب دخل عدد لا بأس به من الروايات إلى دائرة أسباب التنزيل .

خامساً : عدم تقيّد فرسان هذا الميدان بحدّ أسباب التنزيل وبما اختطوه لأنفسهم في هذا السبيل ، فيخرجون عند التطبيق عن هذا الحد مما زاد في عملية الخلط بين أسباب التنزيل وبين غيره والأمثلة كثيرة جداً أذكر منها :

قال السيوطي في سبب نزول قوله تعالى [**الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**] [6] ، قال : (كان قوم آمنوا بعيسى ، وقوم كفروا به ، فلما بعث محمد -صلى الله عليه وسلم- آمن به الذين كفروا بعيسى ، وكفر به الذين آمنوا بعيسى فأنزل الله هذه الآية) [7] . فالرواية تقصّر عمر الزمن بين عيسى عليه السلام ، وبين محمد -صلى الله عليه وسلم- وكأنه أقل من جيل فكفى ذلك دلالة على عدم صحة الرواية ، فضلاً عن كونها سبباً

---

(١) انظر البرهان في علوم القران للزركشي ج١ ص ٢٨ ، والاتقان في علوم القران للسيوطي ج١ ص ٣٨ ، مباحث في علوم القران لصبحي الصالح ص ١٣١ ، والقران ونصوصه ص ١٢٠ للدكتور عدنان زرزور وكذلك علوم القران مدخل الى تفسير القران وبيان اعجازه ص ١٣٢ للمؤلف نفسه وغيرهم .

(٢) انظر الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر القسم الرابع ترجمة ٥٤٥٧ ص ٤٦١ ، ص ٤٦٢ . وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد م ٣ ص ٣٩٢ - ص ٤٠٠ .

(٣) انظر تفسير الطبري ص ٣٨ ج ٧ .

(٤) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد م ٥ ص ٥٢٥ - ٥٢٦ ، والتاريخ الكبير للبخاري م ٦ ص ٣١٢ ترجمة ٢٤٩٦ ، والجرح والتعديل لابن ابي حاتم الرازي ج ١ ص ٢٦٠ . وانظر الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر م ٤ ص ٦٨٦ ، ٦٩٣ ترجمة ٥٩٧٤ .

(٥) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد م ٥ ص ٥٥٩ - ص ٥٦١ الاصابة في تمييز الصحابة القسم الخامس ص ٤٢٣ - ٤٢٦ ترجمة ٧٠٩٣ .

(٦) سورة البقرة اية ٢٥٧ .

(٧) لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي ص ٤١ وانظر ما نقله السيوطي من اسباب تنزيل في سورة الجن ص ٢٢٦ -٢٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لنزولها ، والتاريخ المحشو بالخرافات لم يحدثنا عن أناس عاشوا بين الرسالتين ، فكيف نصدق مثل هذه الرواية أنها سبب في تنزيل قرآن ؟! ولو تقيّد السيوطي بمقولته المشهورة (والذي يتحرر في أسباب النزول أنه ما نزلت الآية ايام وقوعه) [1] ، لخفف من شدّة الوطأة ، ولقلّ حجم الدخيل في لبابه ، ولكفانا شر الموضوعات والإسرائيليات من الروايات . وفي نفس هذه الزّلة وقع عطية الأجهوري في مخطوطه إرشاد الرحمن لأسباب النزول ، حيث يقول (ويشترط في السبب ان تنزل الآية أيام وقوعه ليخرج ما ذكره الامام الواحدي في سورة الفيل) [2] . والغريب العجيب أن المؤلف في نهاية المخطوط حين سرد سبب نزول سورة الفيل أورد نفس ما أورده الواحدي فقال : (سورة الفيل مكيّة خمس آيات الفصل الأول : في أسباب نزولها ، قوله تعالى [**ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل**] نزلت في قصة الفيل وقصدهم تخريب الكعبة ، وما فعل الله بهم من اهلاكهم ، وصرفهم عن البيت وهي معروفة) [3] وذكر في آية البقرة [**أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون**] [4] . قال : (قال ابن عباس ومقاتل نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى ليذهبوا معه إلى الله .. فلما ذهبوا معه سمعوا كلام الله ..) وأتبع ذلك بقوله (وانكره الترمذي لأنه من خصائص موسى) [6] . فغفر الله لعطية الله في هذه الرواية خاصة ، فواضح كل الوضوح أنها لا تصلح أن تكون سبب نزول ، لأن القصة من قبيل الإخبار عن الماضي كما قال سابقاً ، ولا ننسى أنه نقل إنكار الترمذي للرواية لأن سماع الوحي من خصائص الأنبياء لا للسبعين الذين ساروا مع موسى عليه السلام، فضلاً عن أن هذه الرواية لم تقع ايام نزول القرآن حتى يشتبه عليه أنها سبب تنزيل [7] . وهكذا زاد فرسان هذا الميدان الطين بلّة وجعلوا عمل تحرير هذه الروايات شاقاً بسبب عدم تقيدهم بحَدّ أسباب التنزيل ، فهذه الأسباب مجتمعة أو متفرقة ساهمت في دخول الدخيلَ لروايات أسباب التنزيل . أسأل الله أن يقيض لها من ينهض لتحريرها .

---

(١) الاتقان في علوم القران للسيوطي ج١ ص ٤٢ ، وانظر لباب النقول كذلك ص ٤ .

(٢) انظر ص ٣ من المخطوط سطر ١٢ وهذه العبارة مأخوذة بنصها عن السيوطي انظر لباب ص ٤ والاتقان ج١ ص ٤٢ والمخطوط بدار الكتب القومية بالقاهرة برقم ٤٢ تفسير وعدد اوراقه ٤٢٠ رقم التصوير ٥٢٣ ورقم الميكروفيلم ٢٠٩٠ .

(٣) مخطوط ارشاد الرحمن للاجهوري ص ٣٩٠ سطر ١٣ مكتبة دار الكتب القومية بالقاهرة برقم ٤٢ تفسير .

(٤) سورة البقرة آية ٧٥ .

(٥) مخطوط إرشاد الرحمن للأجهوري ص٢٢ ، ص٢٣ ، مكتبة دار الكتب القومية بالقاهرة برقم ٤٢ تفسير .

(٦) وكذلك وقع المعاصرون ممن خاضوا في هذا الموضوع كالشيخ عبد الفتاح القاضي، وعليوي خليفة عليوي ، وغازي عناية ، فقد نقلوا أن سبب نزول المعوذتين وهما مكيتان قصة حدثت بالمدينة في السنة السابعة للهجرة وهي سحر الرسول صلى الله عليه وسلم . انظر القاضي ص٢٥٢ ، عليوي ج٢ ص٣٤٠ ، عناية ص٤٢٣. وقد نقلوا سبب نزول الآية [**واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان**] الآية ١٠٢ من سورة البقرة . وهي كذب الشياطين والخرافات المتعلقة بها، القاضي ص١٧، عليوي ج١ ص١١١ وما بعدها ، غازي ص٩٨ ، ص٩٩. وهكذا ، ولا استطيع عدّ هؤلاء الثلاثة ممن كان لهم دور في البحث ، بل هم نَفَلَةٌ عمن سبقوهم دون تمحيص في كل كتبهم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

وفيه مباحث

المبحث الأول : معنى سبب التنزيل لغة واصطلاحاً ومعناه عند الصحابة والتابعين والمفسرين .

المبحث الثاني : تحديد طريق معرفة أسباب التنزيل ويتضمن :

أ . بحث الألفاظ التي قيل عنها أنها تدل على سبب التنزيل .

ب. أطر لا بدّ منها لاعتماد رواية سبب التنزيل وهي :

١. تزامن نزول الآية مع وقوع الحدث أو السؤال.
٢. ضرورة تناسب رواية سبب التنزيل مع منطوق ومفهوم الآية.
٣. ضرورة تناسب رواية سبب التنزيل مع سياق الآية أو الآيات.
٤. ان لا تناقض الرواية نصاً آخر أقوى منها - قرآن ، سنة ، رواية اخرى.
٥. تحقيق صحة سند الرواية.

جـ. عموم لفظ الآية وخصوص سبب التنزيل وعلاقته ببحثنا.

المبحث الثالث : أسباب ورود الحديث وصلته بأسباب تنزيل القرآن.

المبحث الرابع : الفرق بين سبب التنزيل ومناسبة الآيات والعلاقة بينهما.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول
المبحث الأول :
معنى سبب التنزيل لغة واصطلاحاً

ينحصر المعنى اللغوي في معرفة كل من المضاف والمضاف اليه . والسبب في اللغة له معنيان :

الأول : الحبل وما يتوصل به إلى غيره ، وجمعه أسباب [١] . فالسبب بمعنى الرابط سواء أكان الرابط مادياً أم معنوياً

الثاني : القطع واشتق منه الشتم [٢]

وقد استعمل القرآن الكريم لفظ "سبب" وجمعه أسباب بالمعنى الأول . قال تعالى [**إنا مكنّا له في الأرض و آتيناه من كل شيء سببا**] [٣] . قال الزمخشري في الكشاف : (من كل شيء) أي من أسباب كل شيء أراده من أغراضه ومقاصده في ملكه . [سببا] : طريقاً موصلاً إليه . والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة) [٤] . وقال تعالى [**إذْ تبرأ الذين اتّبِعوا من الذين اتّبَعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب**] [٥] . قال الزمخشري : [**الأسباب**] : الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق بينهم من الاتفاق على دين واحد من الأنساب والمحاب والأتباع والاستتباع كقوله : [**لقد تقطع بينكم**] [٦] .

أما النزول : فهو هبوط الشيء ووقوعه [٧] ، والحلول [٨] ، ونزل من عُلّو إلى سُفْل [٩] .

والنُزُل : ما يُعد للنازل من الزاد أو المكان . قال تعالى : [**فلهم جناتُ المأوى نُزُلاً**] [١٠] . ويُعبَّر بالنازلة عن الشدّة [١١] . والنزول في هذا المركب الإضافي محلّى بالألف واللام فيفيد العهد أي القرآن المعهود نزوله .

وعليه يكون معنى المركب الإضافي هو ما يتوصل به إلى معرفة نزول القرآن .

---

(١) ذهب الى هذا المعنى كل من الفيروزابادي في القاموس المحيط ، والزبيدي في تاج العروس ، وابن منظور في لسان العرب ، والزمخشري في اساس البلاغة ، والراغب الاصفهاني في كتابه المفردات في غريب القران . انظر في هذه الكتب مادة سبّ .

(٢) ذهب الى المعنى الثاني ابن دريد في جمهرة اللغة ، واحمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة .

(٣) سورة الكهف اية ٨٤ .

(٤) تفسير الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ٤٠٠ طبعة دار المعرفة ببيروت .

(٥) سورة البقرة اية ١٦٦ .

(٦) تفسير الكشاف للزمخشري م١ ص ١٠٦ .

(٧) معجم مقاييس اللغة – احمد بن فارس .

(٨) القاموس المحيط للفيزوزأبادي .

(٩) أساس البلاغة للزمخشري .

(١٠) سورة السجدة اية ١٩ .

(١١) المفردات في غريب القران للراغب الاصفهاني .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسباب التنزيل في الاصطلاح

الناظر في تعريفات أسباب التنزيل القدامى والمعاصرين [1] يجدها متقاربة وتجمع على أمرين :

الأول : وقوع حادثة أو سؤال . وعناصر الحدث هي ، زمان ومكان وأشخاص وموضوع .

الثاني : نزول شيء من القرآن بشأن تلك الحادثة أو السؤال متزامناً مع وقوع الحدث أو السؤال .

قال الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور ت ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠م : أسباب النزول ما هي الاّ مناسبات ، لا أسباب حقيقية ، وإن سميت أسباباً على طريقة التسامح والتجوز) [2] .

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م : (أسباب نزول آي القرآن هي حوادث ، يروى أن آيات من القرآن نزلت لأجلها ، كبيان حكمها ، أو لحكايتها ، أو إنكارها أو نحو ذلك) [3] .

وبعد فيكون المعنى المختار (عندي) لأسباب التنزيل هو : الأحداث المعينة التي وقعت ، والأسئلة والاستفتاءات المحددة التي وجهت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، ونزل بشأنها قرآن متزامناً مع جريان الحدث أو السؤال ، فيخرج بذلك ما يأتي :

١- الأوضاع العامة التي نزل القرآن ابتداء ليعالجها .
٢- الوقائع التي سبقت نزول القرآن كقصص السابقين ، وأخبار الماضين ، وأحوال الرسل في أقوامهم .
٣- الروايات التفسيرية التي لم تتقيّد بزمن نزول الآية أو الآيات .
٤- الروايات التي جاءت لم ينطبق عليها النص ولا يحتملها.
٥- الروايات التي قيلت في آيات مشابهة للآية التي جاءت لتعالج حادثة معينة.
٦- الروايات التي حدثت بمكة واسندت لآيات نزلت بالمدينة او العكس.

---

(١) انظر البرهان للزركشي ج ١ ص ٣١ ، الاتقان للسيوطي ج١ ص ٤٢ ، مناهل العرفان للزرقاني ج ١ ص ٩٩-١٠١ ، الصحيح المسند من اسباب النزول لمقبل الوادعي ص ٨ ، مباحث في علوم القران لقصبي زلط ص ٥٦ ، مباحث في علوم القران لمناع القطان ص ٧٨ ، اسباب النزول عن الصحابة والمفسرين لعبد الفتاح القاضي ص ٥ . مباحث في علوم القران للدكتوره وسيله بلعيد ص ٢٤ .

(٢) مباحث في علوم القران . د. وسيله بلعيد بن حمده . ص ١١ . دار الجويني للنشر ط ١ ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ تونس .

(٣) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور م ١ ص ٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧- الإسرائيليات التي لا تمت لعهد النبوة بصلة [١] .
٨- الأحداث التي تتحدث عن المستقبل والتي تدل على إعجاز القرآن ، وعلى معجزة الرسول -صلى الله عليه وسلم- والتي تدل في حقيقتها على إحاطة علم الله بكل شيء .

هذا ومن الجدير بالذكر أن القرآن كان يتنزل على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- دون أن يكون له دور في تنزله لا في اختيار المكان ولا الزمان ولا الموضوع . وتنزله مقتصر على الله تعالى ، ولذلك نزل القرآن ليلاً ، ونهاراً، صيفاً وشتاءً، في الغار وهو مع الناس ، نزل عليه وهو نائم ، وهو قائم ، وهو راكب ، وهو ماشٍ ، وهو مسافر ، وهو مقيم ، وقد يطلب سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- نزول الوحي ويتأخر عنه كما حدث على أثر اسئلة قريش الثلاثة التي كانت بدافع من اليهود وهي : السؤال عن أهل الكهف ، وعن ذي القرنين ، وعن الروح . وقد تنزل القرآن بمواضيع في مكة أضيف لها مواضيع اخرى في المدينة . ومن الجدير بالذكر كذلك انه لم يرد عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنه لفت الأنظار إلى علم أسباب النزول ، ولا طلبه ، ولم توجد آيات أو أحاديث بهذا الخصوص . وجُل القرآن تنزل بدون أن يكون بشأن حدث محدد أو اجابة عن سؤال أو استفتاء . ولو نصَّ على هذا العلم لنقله الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم .

معنى سبب التنزيل عند الصحابة رضوان الله عليهم

لم أعثر على حد لأسباب التنزيل عند الصحابة رضوانَ الله عليهم ، ولكنهم كانوا يدركونها بحكم أن أوضاعهم وحياتهم هي مناط انزال الآيات ، وكانوا يرون أن كل واقع تنطبق عليه الآية يكون القرآن نزل فيه، ولذلك تراهم يقولون نزلت الآية في كذا وهم يقصدون أن هذه الآية متعلقة في كذا ، فتراهم يجمعون في تفاسيرهم بين تفسير الآيات وبين أسباب التنزيل . ولم يكن هذا العلم مبلوراً عندهم لأنهم ليسوا بحاجة إليه فكانوا يدركونه بالقرائن. قال الشيخ ابو الفتح القشيري : (وهو أمر تحصّل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا) [٢] ، وقد وصلتنا تصريحات عن بعض الصحابة تدل على تفوقهم في هذا الأمر . قال عبد الله بن مسعود : (والذي لا إله غيره ما من كتاب الله سورةٌ إلاّ أنا أعلم حيث نزلت ، وما من آية إلاّ أنا أعلم فيما أُنزلت ، ولو أعلم أحداً هو أعلم بكتاب الله منّي تبلغه الإبل لركبت إليه) [٣] .

---

(١) موقفنا من الاسرائيليات أنها علم لا ينفع وجهل لا يضر . وهي وإن كانت مسألة خلافية بين العلماء إلاّ أنني أرى أن الاسلام لا ينقص بحذفها ولا يزداد بياناً بوجودها . وكفاها سوءا أنها شوهت كثيراً من القضايا في الإسلام وأبعدتنا عن الفهم الدقيق لما جاء به الوحي وعمقت جذور الخرافات والأساطير في نفوس القائلين بها ، وكانت الباب الذي ولج منه أعداء الإسلام في الماضي والحاضر للدس عليه والتحريف وإشغال المسلمين بما لا طائل وراءه .

(٤) انظر البرهان في علوم القرآن ج١ ص٢٢ ، وانظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص٤١ النوع التاسع .

(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي - فضائل عبد الله بن مسعود م٨ ج١٦ ص١٧ طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان علي كرم الله وجهه يقول (سلوني سلوني سلوني عن كتاب الله تعالى ، فوالله ما من آية إلاّ وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار) [١] كما روي عنه أنه كان يقول (ما في قريش أحد الاّ وقد نزلت فيه آية) [٢] . لقد عاش بعض الصحابة في أكناف بيت النبوة ، وتيسرت لهم ظروف الانتهال من معين الوحي ما لم يتيسر لغيرهم ولذلك سأختار نماذج من تفاسير كل من عائشة رضي الله عنها ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، رضوان الله عليهم ، وهم من أشهر من عاش في اكناف بيت النبوة ووصلنا بعض تفاسيرهم لكي اطبق معنى سبب التنزيل عليها فنعرف بالتالي معنى سبب التنزيل عندهم .

نماذج من تفسير عائشة " ام المؤمنين " رضي الله عنها

١-قال تعالى [**لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم**] [٣]

قال البخاري : (حدثنا علي بن سلمة ، حدثنا مالك بن سُعير ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها : أنزلت هذه الآية في قول الرجل " لا والله وبلى والله ") [٤]

وقال عبد الرزاق : أخبرنا ابن جريح قال : أخبرني عطاء أنه جاء عائشة ام المؤمنين مع عبيد بن عمير ، وكانت مجاورة في جوف ثبير في نحو منى - فقال عبيد : أي هنتاه ما قول الله عزّ وجل [**لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم**] ؟ قالت : هو الرجل يقول : لا والله . وبلى والله) [٥] .

وقال ابن أبي حاتم : قرئ على يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني الثقة ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة : أنها كانت تتأول هذه الآية - وتقول : هو الشيء يحلف عليه أحدكم ، لا يريد منه الاّ الصدق ، فيكون على غير ما حلف عليه " [٦] .

هذه روايات ثلاث عند أم المؤمنين رضي الله عنها ، الأولى قد يفهم منها أنها سبب نزول للنص (أنزلت هذه الآية في قول الرجل) . والثانية جواب عن سؤال ، وهو موقوف عليها .

والثالثة : انها تفسير (كانت تتأول هذه الآية) . وحال هذه الروايات واحد ، فالرواية الأولى تفسير شأن الروايتين الأخريين وهذا ينطبق على الاستقراء الذي قال به الزركشي انه من عادة الصحابة رضي الله عنهم أن أحدهم اذا قال : نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك ان هذه القضية تتضمن هذا الحكم ، لا أن هذا كان السبب في نزولها .

---

(١) انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر القسم الرابع ص٥٦٨ ترجمة علي بن أبي طالب رقم ٥٦٩٢ .

(٢) انظر مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده ج٢ ص٥١١ .

* مجاورة : معتكفة ، ثبير : جبل في انحاء منى .

(٣) سورة البقرة آية ٢٢٥ .

(٤) فتح الباري م٨ كتاب التفسير حديث رقم ٤٦١٣ ص٢٧٥ المطبعة السلفية . وطرف الحديث في رقم ٦٦٦٣ باب ١٤ من كتاب الأيمان والنذور . انظر تفسير عائشة رضي الله عنها جمع وتحقيق د. عبد الله ابو السعود بدر ص٢٠ طباعة ستانسل ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١م .

(٥) تفسير عائشة - عبد الله ابو السعود بدر ص٢٠ - وانظر تفسير الطبري ج٢ ص٤٠٥ ، ٤٠٦ .

(٦) تفسير ابن كثير ج١ ص٢٦٧ طبعة دار المعرفة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩م - تفسير الطبري ج٢ ص٤٠٧ طبعة دار الفكر ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ - تفسير عائشة ، عبد الله ابو السعود بدر ص٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- قال تعالى [**وإن خفتم ألاّ تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**] (١)

(قال البخاري : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله العامري الأويسي ، حدثنا ابراهيم بن سعد ، عن صالح ، عن ابن شهاب ، أخبرني عروة أنه سأل عائشة رضي الله عنها ، وقال الليث : حدثني يونس ، عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى [**وإن خفتم**] إلى [**ورباع**] فقالت : يا ابن أختي ، هي اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله ، فيعجبه مالها وجمالها ، فيريد وليّها أن يتزوجها بغير ان يقسط في صداقها - فيعطيها مثل ما يعطيها غيره - فنهوا أن ينكحوهن إلاّ أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهنّ من الصداق ، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن) (٢)

وفي رواية اخرى عنده (حدثنا محمد ، أخبرنا عبده ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة : الآية . قال : (عروة راوياً عن عائشة) اليتيمة تكون عند الرجل وهو وليها ، فيتزوجها على مالها ، ويسيء صحبتها ، ولا يعدل في مالها - فليتزوج ما طاب له من النساء سواها مثنى وثلاث ورباع) (٣)

وقال مسلم : (حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا : حدثنا أبو أسامة ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة في قوله (الآية) قالت : أنزلت في الرجل تكون له اليتيمة ، وهو وليها ووارثها ، ولها مال ، وليس لها أحد يخاصم دونها ، فلا ينكحها لمالها ، فيَضرُّ بها ، ويسيء صحبتها فقال الآية يقول : ما أحللت لكم ، ودع هذه التي تَضرُّ بها) (٤) .

فروايات البخاري واضح أنها تفسيرية من قبل عائشة رضي الله عنها ، ورواية مسلم قد توحي بأنها سبب تنزيل لقولها (أنزلت في الرجل) . ولكن صيغة الرواية لا تدل على أنها في شخص معين ، أو في واقعة محددة ، فتحمل على أنها تفسير شأن روايات البخاري عن نفس الصحابية . ويؤيد هذا ما رواه البخاري ومسلم في آية بعدها [**ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن**] (٥) حيث وردت الروايات بنفس المعنى عن نفس الراوي وهي عائشة رضي الله عنها (٦) . وقد ورد عند البخاري كذلك قال : حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام عن ابن جريج قال أخبرني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها " ان رجلاً كانت له يتيمةٌ فنكحها ، وكان لها عَذْقٌ وكان يمسكها عليه ولم

---

(١) سورة النساء آية ٣ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري الحديث رقم ٤٥٧٦ ص٢٣٩ . ج٨ كتاب التفسير ، وانظر العجاب في الاسباب لابن حجر ورقة ١٦٧ أ . وانظر صحيح مسلم شرح النووي ج١٨ / ص١٤٥ ، ١٥٥ .

(٣) تفسير عائشة ص٢٠ وقد ساق الرواية عن البخاري ٧/ ١١ طبعة الشعب

(٤) تفسير عائشة ص٣١ ، ص٣٨ ، ص٣٩ وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/ ١٥٥ - ١٥٦ وانظر تفسير الطبري ٤/ ٢٣٢

(٥) الآية ١٢٧ من سورة النساء

(٦) انظر فتح الباري م٨ كتاب التفسير حديث رقم ٤٥٧٦ ص٢٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يكن لها من نفسه شيء ، فنزلت فيه الآية أحسبه قال : كانت شريكته في ذلك العَذق وفي ماله " [1] قال ابن حجر :

(ان رجلاً كانت له يتيمة فنكحها) هكذا قال هشام عن ابن جريج فأوهم أنها نزلت في شخص معيّن ، والمعروف عن هشام بن عروة التعميم " قوله (أحسبه قال : كانت شريكته في ذلك العذق) هو شك من هشام بن يوسف ووقع مبيناً مجزوماً به في رواية أبي أسامة ولفظه ، هو الرجل يكون عنده اليتيمة هو وليها وشريكته في ماله حتى في العذق فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجها رجلاً فيشركه في ماله فيعضلها ، فنهوا عن ذلك [2] . وقال في مخطوط العجاب ان رواية (ان رجلاً كانت له ...) وهكذا أورده مختصراً من هذا الوجه وأورده هو ومسلم وغيرهما من طريق أبي امامة عن هشام بلفظ انزلت هذه الآية (في الرجل تكون له اليتيمة ... فقال الله تعالى [**وان خفتم ان لا تقسطوا ..]** الآية [3] وهكذا يبقى القول أن الآية لا يوجد لها سبب تنزيل وان هذه الروايات تفسيرية .

٣- قال تعالى [**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا**] [4]

قال البخاري (حدثنا علي ، حدثنا مالك بن سعيد ، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة : الآية نزلت في الدعاء [5] .

وقال الطبري حدثني ابو السائب قال حدثنا حفص بن غياث ، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : نزلت هذه الآية في التشهد " [6] .

الروايتان عن عائشة رضي الله عنها الأولى تقول أنها في الدعاء ، والثانية في التشهد وروى الطبري عن عطاء يقول قوم انها: في الصلاة . ولا تعارض بين هذه الاقوال أي في الصلاة ، وإن كان لفظ الدعاء عام في الصلاة وخارجها، ولكن الروايات الأخرى تنص على أنها في الصلاة فيحمل الدعاء على الصلاة جمعاً بين الروايات. ولو كانت الروايات في سبب التنزيل لما اختلفت وتعددت. والآية مكية، وهي تتعلق بأدب الصوت فيما يقال في الصلاة من قراءة قرآن ودعاء وتشهد وغيره، ولم تنزل الآية في العهد السري من الدعوة بل نزلت والصراع على أشده مع كفار قريش، وقد كان يتأذى بعض كفار قريش من صوت القرآن وربما سبوا القرآن ، وكان فريق منهم يسترق السمع خشية ان لا يراه أمثاله [7] . وعليه فهذه الروايات تفسيرية وليست سبباً في نزول الآية .

---

(١) الحديث رقم ٤٥٧٣ فتح الباري ص٢٣٨ كتاب التفسير ج٨ . وانظر مخطوط العجاب في الأسباب ص١١٧٦أ .

(٢) المصدر السابق فتح الباري ص٢٣٩ ، ص٢٤٠ . وانظر مخطوط العجاب في الاسباب ص ١١٧٦أ .

(٣) المصدر الساق العجاب في الأسباب ص١١٧٦أ .

(٤) سورة الاسراء آية ١١٠ .

(٥) تفسير عائشة ص٨٩ ، فتح الباري م٨ ص٤٠٥ كتاب التفسير الحديث رقم ٤٧٢٣ وطرفاه في ٦٣٢٧ ، ٧٥٢٦ .

(٦) تفسير عائشة ص٨٩

(٧) انظر فتح الباري حديث ابن عباس رقم ٤٧٢٢ كتاب التفسير واطرافه في كتاب التوحيد في ٧٤٩٠ ، ٧٥٢٥ ، ٧٥٤٧ المطبعة السلفية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤-قال تعالى [**ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم**] (١)

(قال البخاري : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثنا ابراهيم بن سعد ، عن صالح ، عن ابن شهاب ، قال : حدثني عروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيّب وعلقمة ابن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- قالت : قال أبو بكر الصديق - وكان ينفق على مسطح بن أثاثه لقرابته منه ولفقره : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال : فأنزل الله الآية ، قال أبو بكر الصديق : " بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع الى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً) (٢) .

هذه الرواية تعد سبب نزول لأنها وإن وقعت في خضم أحداث الإفك ، فأشخاص الرواية معينون وهم أبو بكر الصديق ومسطح ابن خالته قال الرازي (كل من طالع كتب التفسير والأحاديث علم أن اختصاص هذه الآية بأبي بكر بالغ الى حد التواتر) (٣) . والآية مدنية وقصة الإفك كذلك وهناك تناسق بين نص الآية والأحداث في الزمان والمكان والأشخاص والموضوع ولهذا تُعَدُّ سبب نزول . وتعيين أنها سبب نزول لم يكن من اللفظ (فأنزل الله الآية) وإنما من القرائن والأحوال التي حفت بالقضية . واللفظ (فأنزل الله) عام يشمل سبب النزول والتفسير والواقع ان قصة الإفك هي السبب الرئيسي في نزول الآيات ١٠ - ٢٦ من سورة النور ، وتبرئة ام المؤمنين مما افترى عليها هو السبب الرئيسي الذي من أجله تنزلت الآيات . وشملت ما جرى من أحداث صاحب الافك وقد ترتب عليها امتناع ابي بكر على الانفاق على مسطح لاشتراكه مع من خاضوا ، وقد عالجت الآيات ما ينبغي ان يكون عليه أبو بكر وأمثاله من الإحسان فتراجع أبو بكر عن موقفه وانصاع للأمر الإلهي . فهي سبب نزول بلا شك .

٥- قال تعالى [**وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير**] (٤) .

عن عائشة في قوله تعالى [**وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً**] .

قالت : هي المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر (٥) منها فيريد طلاقها ويتزوّج غيرها تقول له : أمسكني ولا تطلقني ثمّ تزوّج غيري وأنت في حل من النفقة عليّ والقسم لي ، فذلك قوله تعالى - [**فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير**] - متفق عليه (٦) .

---

(١) سورة النور آية ٢٢ .

(٢) تفسير عائشة ص١٠٨ عبد الله ابو السعود بدر - والرواية جزء من الحديث رقم ٤٧٥٠ من حديث الافك فتح الباري م٨ ص٤٥٥ المطبعة السلفية - التفسير الكبير للرازي ج٢٣ ص١٨٦ .

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٣ ص١٨٧ .

(٤) سورة النساء آية ١٢٨ .

(٥) تقصد من الجماع وذلك لكبر سنها .

(٦) نيل الأوطار للشوكاني م٦ ص٢٤٥ أسباب نزول القرآن للواحدي ص١٧٨ ، تفسير عائشة ص٤٠ . وانظر الروايات في ابواب التفسير من سورة النساء وفي كتب النكاح - باب النشوز وهبة المرأة ليلتها لضرتها ... الخ . وعند مسلم كتاب التفسير ص١٥٧ م٩ ج١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال الحاكم : حدثنا أبو بكر بن اسحق الفقيه ، أنبأنا الحسن بن علي بن زياد ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد [١] ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : يا ابن (أختي ، كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يفضل بعضنا على بعض في مكثه عندنا ، وكان كل يوم إلاّ وهو يطوف علينا فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى من هو يومها فيبيت عندها . ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنّت وفَرَقَتْ [٢] أن يفارقها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : يا رسول الله ، يومي لعائشة ، فقبل منها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قالت عائشة رضي الله عنها في ذاك أنزل الله عز وجل فيها وفي أشباهها [٣] [**وان امرأة ...**] الآية .

والروايات في هذا الموضوع لا تدل على أنها سبب نزول ، فالرواية الاولى واضح فيها التفسير ، وهي متفق على صحتها عند البخاري ومسلم ، والثانية قد توحي أنها سبب نزول لقول عائشة (في ذلك أنزل الله عز وجل فيها وفي أشباهها) [٤] . فالرسول -صلى الله عليه وسلم- لا يرد في حقه انه أراد طلاق سودة رضي الله عنها لكبرها فقد تزوّج ام سلمة وهي أكبر منها ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي] [٥] وهل الخيرية في الرسول -صلى الله عليه وسلم- ان يفارق زوجته لأنها كبرت سناً ؟ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (أبغض الحلال إلى الله الطلاق) [٦] رواه ابن عمر فهل يقوم بالطلاق لهذا الأمر ؟! لا سيما أنه لم يرد قط أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد فعل مكروهاً . هذا من جهة . ومن جهة أخرى فإن رواية الحاكم تدل على أنها لضرب المثال ، ففي هذا وفي أشباهها " ولا تدل على أنها سبب نزول ، وهذه الصيغة تحتمل التفسير وتحتمل سبب التنزيل ، فنرجح رواية المتفق عليه لكونها أقوى منها بأنها تفسير وليست سبب تنزيل. وبقية الآية هو :

[وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا]

---

(١) قال في عون المعبود شرح سنن ابي داود قال المنذري : في اسناده عبد الرحمن بن أبي الزناد وقد تكلم فيه غير واحد ووثقه الإمام مالك بن أنس ، واستشهد به البخاري .

(٢) خشيت .

(٣) تفسير عائشة ص٤٠ عن احمد ٦/ ١٨٨ . ورواه أبو داود برقم ٢١٢١ ص١٧٢ بشرح النووي ، ١٧٣ م٦ عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم أبادي .

(٤) ورد في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لمحمد بن عبد الرحمن المبارك م٨ ص٤٠٤ رواية أخرجها ابن سعد عن ابن أبي جيزة مرسلاً أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق سودة فقعدت في طريقه صلى الله عليه وسلم وقالت له: والذي بعثك بالحق ما لي في الرجال حاجة ولكن أحب أن ابعث مع نسائك يوم القيامة.. وراجعها وجعلت يومها لعائشة .. وهذه الرواية تتعارض مع الروايات الاقوى منها من خشيتها الطلاق ولم تصرح بالطلاق فترد هذه الرواية المرسلة .

(٥) الحديث رواه الدارمي في سننه كتاب النكاح باب في حسن معاشرة النساء م٢ ص١٥٩ طبعة دار الفكر بيروت .

(٦) رواه أبو داود برقم ٢١٦٤ كتاب الطلاق باب في كراهية الطلاق ص٢٢٧ ج٦ من عون المعبود شرح سنن أبي داود وقال صاحب كتاب سبل السلام (محمد بن اسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني) رواه أبو داود وابن ماجة وصححه الحاكم وفي الهامش قال محمد عبد العزيز الخولي: وأقره الذهبي وقال إنه على شرط مسلم ، ولكن متنه متضارب إذ بغض الله له مناف حله ص١٦٨ ج٣ . سبل السلام ط٤ ١٩٦٠/ ١٣٧٩هـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالأنفس الشح وصف للنفوس البشرية من الزوجين ، وهل الرسول -صلى الله عليه وسلم- يتصرف من وحي طبيعته البشرية أم بما يوحي الله إليه ؟ [**إن هو الاّ وحي يوحى**] - ثم ان أي رواية تنص على أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يريد أن يفارقها لا تقبل وترد اللهم إلاّ اذا وجد تصريح من الرسول -صلى الله عليه وسلم- بذلك ، فلا يعلم ما في نفس الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلاّ إذا صرّح به هو . أو جاء القرآن ليخبر عنه فالقول ان الآية نزلت في سودة بنت زمعة رضي الله عنها وفي الرسول -صلى الله عليه وسلم- زعم لا يرقى لدرجة الحقيقة .

وإذا نظرنا في كتب التفسير نجد ان روايات أسباب التنزيل تنص على غيرها فقيل نزلت في ابن أبي السائب وزوجته [1] وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس : فكانت لابن أبي السائب زوجة وله منها أولاد وكانت شيخة فهم بطلاقها ... الخ . وروى الحاكم عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار عن رافع بن خديج انه كانت تحته امرأة [2] قد خلا من سنها فتزوّج عليها شابة فآثر البكر عليها ، فأبت امرأته الأولى ان تقر على ذلك فطلقها تطليقة حتى إذا بقي من أجلها يسير قال : إن شئت راجعتك وصبرت على الأثرة وإن شئت تركتك حتى يخلو أجلك؟ قالت بل راجعني، أصبر على الأثرة فراجعها ثم آثر عليها فلم تصبر على الأثرة فطلقها الأخرى وآثر عليها الشابة قال فذلك الصلح الذي بلغنا ان الله قد أنزل فيه الآية . قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه [3] . ولم يعقب الذهبي على قول الحاكم واكتفى بالإشارة (خ م) .

ومن الجدير بالذكر أن الواحدي ذكر في سبب نزول هذه الآية رواية عائشة التي تدل على أنها تفسير وأخرج الرواية عن الشيخين ، والثانية روى ابن سعيد ابن المسيب في انها بنت محمد بن مسلمة زوجة رافع بن خديج ولم يذكر رواية سودة بنت زمعة . وهذا الذي تطمئن إليه النفس ، ويرتاح إليه الباحث فيما يتوصل إليه في هذا الموضوع . وإذا نظرنا إلى حياة رافع بن خديج نجد انه عرض على النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم بدر فاستصغره ، وأجازه يوم أحد [4] ، فمن كان هذا شأنه، لا يعقل انه كان عند نزول سورة النساء متزوجاً وقد كبر سنّها ثم آثر بكراً عليها - فكل هذا يكون قد حدث بعد نزول الآية وقد توفي الرجل في خلافة معاوية كما ذكر ذلك البخاري واعتمدها ابن حجر في الاصابة [5] . وعليه يبقى القول الصحيح في المسألة وهو أن الآية لم يثبت لها رواية في سبب النزول وكل ما قيل فيها من روايات ، تفسير لنص الآية ليس غير .

مما سبق ندرك ان مرويات ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها تجمع التفسير مع أسباب التنزيل ، ولم يرد عنها صيغ خاصة تميّز بين الأمرين . وهذا أمر طبيعي لأن علم أسباب التنزيل لم يكن مبلوراً ، ولم تكن قواعده قد أسست بعد . فهم يدركونه كما ادركوا الرفع في الفاعل ، والنصب في المفعول به ، والجر في

---

(١) الآلوسي ص١٦١ ج٥ عن ابن جرير الطبري - انظر التفسير الكبير للرازي ص٦٥ ج١١ .

(٢) ابنة محمد بن مسلم كما صرح بذلك الشافعي في رواية ابن المسيّب وهي ام عبد الحميد انظر الاصابة قسم٨ ترجمة ١٢١٤٩ ص٢٥٤ - انظر تفسير الآلوسي ص١٦١ ج٥ تفسير الآية في سورة النساء ، وانظر تفسير القرطبي ص٤٠٤ م٥ و تفسير ابن كثير ص٥٦٣ .

(٣) المستدرك للحاكم مع التخليص ص٣٠٩ ج٢ كتاب التفسير وانظر تفسير الطبري ص٣٠٩ ج٥

(٤) انظر الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ترجمة ٢٥٢٨ ص٤٣٦ القسم الثاني - تحقيق علي محمد البيجاوي .

(٥) المصدر السابق ص٤٣٧. وانظر القسم الثامن ترجمة ام عبد الحميد امرأة رافع بن خديج ١٢١٤٩ ص٢٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجرور . فالمثال الرابع في قوله تعالى [**ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة**] له سبب نزول وما عداه من الأمثلة يعد تفسيراً .

نماذج مختارة من تفسير ابن عباس رضي الله عنه

١٠-قال تعالى [**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين**] البقرة ١٩٨

قال الإمام البخاري : حدثني عبد الله بن محمد ، حدثنا سفيان عن عمرو عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز [١] أسواقاً في الجاهلية ، فلما كان الإسلام تأثموا من التجارة فيها فأنزل الله [**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم**] في مواسم الحج - قرأها ابن عباس .

وفي رواية أخرى للامام البخاري : فأنزل الله [**ليس عليكم جناح**] في مواسم الحج ، قرأ ابن عباس هكذا [٢] . (وروى مجاهد عن ابن عباس قال : كانوا يتقون البيوع والتجارة في الحج : يقولون أيام ذكر الله عز وجل فأنزل الله تعالى (الآية فاتجروا) [٣] .

هذا وقد ذكر ابن حجر هذه الرواية في مخطوط العجاب في الأسباب ورقة ٧٩أ . والمدقق في هذه الروايات وأمثالها ، سواء وردت عن ابن عباس أم عن غيره يجد أنها تدل على الأوضاع العامّة ، وليس على سبب معين . فسورة البقرة من أوائل ما نزل بالمدينة واستمرت حتى وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- . والحج طبّقه المسلمون عملياً في السنة التاسعة حيث أرسل الرسول -صلى الله عليه وسلم- أبا بكر أميراً على الحج ، ثم أتبعه بعلي ليبلغ الناس أول سورة براءة يوم عرفة . وما زعم انه قراءة لابن عباس (في مواسم الحج) هو تفسير ولا يجوز ان يقال عنه قراءة لأنه ليس متواتراً ويخالف المتواتر - وهذا يزيد في تأكيد ان ما ورد عن ابن عباس هو تفسير ليس غير .

---

(١) عكاظ : نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة ، وبينه وبين مكة ثلاث ليال [حاشية القرطبي ج٢ ص٤١٣]

ذُو المَجاز : خلف عرفة

مِجَنَّةَ : بمرّ الظهران قرب جبل يقال له الأصفر وهو بأسفل مكة على قدر بريد منها

وكان أهل الجاهلية يصبحون بعكاظ يوم هلال ذي القعدة - ثم يذهبون منه إلى مجنة بعد مضي عشرين يوماً من ذي القعدة - فإذا رأوا هلال ذي الحجة ذهبوا من مجنة إلى ذي المجاز فلبثوا فيه ثمان ليال ثم يذهبون إلى عرفة .

(٢) صحيح البخاري - كتاب البيوع - الباب الأول حديث رقم ٢٠٥٠ ص٢٨٨ وباب رقم ٣٥ حديث رقم ٢٠٩٨ ص٣٢١ ، وأخرجه أبو داود - كتاب الحج باب رقم ٥ ، ٧ حديث رقم ١٧٣١ ، ١٧٣٤ - وسنن البيهقي كتاب الحج باب التجارة في الحج ٤/ ٣٣٣ - ابن كثير م١ ص٢٣٩ - القرطبي ص٤١٣ ج٢ البغوي ١/ ١٧٤ ص٥٦ أسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٦ .

(٣) اسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٦ ، الدر المنثور ١/ ٥٣٤ - الطبري ٢/ ٢٨٢ - ابن كثير م١ ص٢٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وابن حجر جعلها قراءة شاذة كما قال في فتح الباري [1] ، ورفع الجناح تكرر كثيراً في القرآن في المسائل التي تحرّج فيها المسلمون لتشابه ما كان يقوم به المسلمون قبل اسلامهم مع أعمال الجاهلية . فالطواف مثلاً ورد فيه ذلك [**فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوّف بهما**] سورة البقرة ١٥٨ . ومن الحرج ما ورد في القصر في الصلاة كذلك [**فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة**] النساء ١٠١ وقد تكررت خمساً وعشرين مرة ، منها رفع الحرج عن المسلمين في التجارة والانتفاع في موسم الحج ، فعن أبي أمامة التيمي قال : سألت ابن عمر فقلت : إنا قوم نُكْرى في هذا الوجه [2] ، وان قوماً يزعمون أنه لا حج لنا . قال : ألستم تلبون ؟ ألستم تطوفون (ألستم تسعون) بين الصفا والمروة ؟ ألستم ألستم ؟ قال (قلت) بلى ، قال : إن رجلاً سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عما سألت عنه فلم (يدر ما) يرد عليه حتى نزلت [**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم**] فدعاه فتلا عليه حين نزلت فقال أنتم الحجاج) [3] . فجواب ابن عمر رضي الله عنه يدل على أن مثل هذا السؤال قد سبق وأن سئل لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأجابه عليه ، فهي من الأحوال العامة ولا يوجد فيها سبب نزول خاص . وسياق الآيات ١٩٦ - ٢٠٠ يدور حول أحكام الحج ومن جملتها رفع الحرج عن الانتفاع وابتغاء الفضل في موسم الحج . وهذا يشبه ما ورد في سورة الحج ٢٧ - ٣٠ ومنها [**ليشهدوا منافع لهم**] ورواية ابن عباس دلت على عموم الحدث " تأثموا من التجارة فيها " وذكر أسواق الجاهلية كل ذلك يدل على عموم الواقع وليس حدثاً معيناً ، وسبباً محدداً حتى يقال عنه انه سبب نزول الآية. فضلاً عن أن الأماكن الواردة في الرواية (عكاظ ومجنة وذو المجاز) ليست من الأمكنة التي يحج المسلمون إليها. وابتغاء الفضل ورد في آيات مكية ومثلها مدنية فلا يدل على التحديد . والألفاظ لا تدل في الرواية على سبب النزول كما هو معهود عند الصحابة رضوان الله عليهم . وعليه فلا سبب نزول لهذه الآية .

٢- قوله تعالى [**كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين * اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين * خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون* الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم**] [4]

قال الامام النسائي : اخبرنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال : حدثنا يزيد وهو ابن زريع قال انبأنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان رجل من الأنصار اسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم تندم فارسل الى قومه : سلوا لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هل لي من توبة ؟ فجاء قومه الى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا : ان فلانا قد ندم وانه امرنا ان نسألك هل له من توبة فنزلت (الآية) فارسل اليه فاسلم [5].

---

(١) م٣ ص٥٩٥ .

(٢) يؤجرون رواحلهم في الحج .

(٣) اسباب النزول للواحدي ص٥٥ ، وقد وردت هذه الرواية في صحيح البخاري والدر المنثور ومعالم التنزيل للبغوي وتفسير الطبري وتفسير ابن كثير وتفسير القرطبي في نفس المواطن التي ذكرت فيه رواية سبب نزول هذه الآية كما سبق قبل قليل في الحاشية .

(٤) سورة آل عمران الآيات ٨٦ - ٨٩.

(٥) تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من الكتب الستة ج١ ص١٧٥- سنن النسائي كتاب تحريم الدم، باب توبة المرتد ٧/ ١٠٧ - الواحدي ص١٠٨- ١١٠ لباب النقول ص٤٨ ، العجاب في الأسباب لابن حجر ورقة ١١٤أ، ب، تفسير الطبري ٣/ ٣٤٠- تفسير الرازي ج٨ ص١٢٦- ١٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد روي الطبري عن ابن عباس انها نزلت في اهل الكتاب عرفوا محمدا -صلى الله عليه وسلم- ثم كفروا به .

وعن عكرمة انها نزلت في اثني عشر رجلا رجعوا عن الاسلام ولحقوا بقريش وذكر منهم ابو عامر الراهب والحارث بن سويد الصامت الانصاري ، وطعمه بن ابيرق ، وحجوج بن الاسلت ، وذكر الرازي عن ابن عباس انها نزلت في يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي -صلى الله عليه وسلم- .

الناظر في الروايات المتعددة يدرك ان ما قيل عنه انه سبب نزول هو تفسير ليس غير وليس سببا في نزولها ولو ورد سبب نزول لما وجد هذا الاختلاف في رجل معين وهو الحارث بن سويد الانصاري - وفي اهل الكتاب اليهود والنصارى - في قريظة والنضير من اليهود في اثني عشر رجلا وفي رواية عشرة رجال .. ثم ان السياق القرآني يدل على انها في اهل الكتاب ولكن كما هو معروف العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والموضوع عام وليس في حدث معين له عناصر الحدث ، زمان ومكان واشخاص وموضوع ، واذا نظرت في الاشخاص الذين ذكروا انها فيهم نزلت تجد ان الحارث [1] فعل فعلته في غزوة احد وان طعمه بن ابيرق [2] دبر مكيدته في غزوة تبوك وقد نزلت السورة بين الحدثين فكيف تقبل امثال هذه الروايات ان تكون سبب نزول ؟! والمخرج من هذا المأزق ان هو يقال ان هذه الروايات تفسير للاية الكريمة.فضلاً عن أن الرواية تناقض مفهوم الآية، فقد اسلم المرتد في الرواية بعد توبته. والآية تنكر هداية الله لهذا الفريق من الناس: (كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم ؟).

٣.قوله تعالى **[وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا]** [3] سورة الاسراء (٨٠)

قال الامام الترمذي : حدثنا احمد بن منيع ، اخبرنا جرير عن قابوس بن ابي ظبيان عن ابيه ، عن ابن عباس قال : (كان النبي -صلى الله عليه وسلم- بمكة ثم امر بالهجرة فنزلت عليه الاية.

---

(١) قال ابن اسحق : وكان الحارث بن سويد بن صامت منافقاً ، فخرج يوم أحد مع المسلمين ، فلما التقى الناس عدا على المُجذَّر بن ذياد البَلَوى ، وقيس بن زيد ، أحد بني ضبيعة فقتلهما ثم لحق بمكة بقريش وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، ففاته فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه الجُلاس بن سويد يطلب التوبة ، ليرجع الى قومه . فانزل الله تعالى فيه ، فيما بلغني عن ابن عباس الآيات ص٨٩ - السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا وزميليه ج٣ ص٨٩ ط٢ سنة ١٩٥٥م - ١٣٧٥ هـ .

(٢) ذكره الخازن في تفسيره م١ ص٢٧٠ ، وذكره ابن هشام في أبيات شعريه على اثر اجتماع اناس من المنافقين منهم ابن ابيرق في بيت سويلم اليهودي يثبطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ص٥١٧ م٢ . وأقول إن هذه الأسماء بحاجة إلى تحقيق فمثلاً ذكر ابن حجر في الإصابة ص٥١٨ القسم الثاني ترجمة ٤٢٤٩ طعمة بن أبيرق بن عمرو الأنصاري ذكره ابو اسحق المستملي في الصحابة وقال : شهد المشاهد كلها إلاّ بدرا . فلا يجوز أن يُعَدَّ مع المنافقين وهكذا ...

(٣) سورة الإسراء آية ٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا حديث حسن صحيح - سنن الترمذي كتاب التفسير - سورة الإسراء رقم الحديث ٣١٣٩ وقال الحديث ضعيف لان فيه قابوس [١] وقال المؤلف : وهذا الإسناد متصل قد سمع رواته بعضهم من بعض [٢] الا ان فيه ضعفا لضعف قابوس بن أبي ظبيان ولكنه صالح للإعتبار ولم اجد له شاهدا يقويه)

فالرواية من حيث السند ضعيفة ، ومن حيث المتن لا يستقيم أمرها لان السورة والآية مكية وقد هاجر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد حادث الاسراء بسنة ونصف تقريبا . بالاضافة الى سياق الايات فهي تعليم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الدعاء بعد امره باقامة الصلوات المفروضة وصلاة التهجد فلا يوجد اي دلالة تدل على ان ما قيل هو سبب نزول الآية أو يصلح لان يكون كذلك .

٤. قوله تعالى : [أذِنَ للذين يُقاتَلُون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير] سورة الحج ٣٩

قال الامام احمد (حدثنا اسحق حدثنا سفيان عن الاعمش عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال (لما خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- من مكة ، قال ابو بكر : اخرجوا نبيهم انا لله وانا اليه راجعون ليهلكن فنزلت الآية قال فعرف انه سيكون قتال - قال ابن عباس هي اول اية نزلت في القتال [٣]

كان الراوي عندما نزلت هذه الاية عمره ثلاث سنوات ، والرواية لا يظهر منها أنها تصلح لان تكون سبب نزول لهذه الاية ، فالمسلمون في مكة طالما كانوا يطالبون بالسماح لهم بالقتال ليدفعوا عنهم غوائل الكفار فقبل بيعة العقبة لم يؤذن للصحابة باستخدام السلاح وكان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يجيب عن طلبهم بقوله (لم نؤمر بعد) [٤] وفي هذا اللفظ دلالة على انهم سيؤمرون فيما بعد واثناء هجرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- من مكة إلى المدينة نزلت هذه الاية وهي اول اية تسمح للمؤمنين باستخدام قوة السلاح لانهم انتقلوا من مرحلة إلى اخرى ، من مرحلة الدعوة بالفكر والصراع الفكري ، إلي مرحلة الصراع المادي حيث اصبحت لهم دولة لها صولجانها ، ولها كيانها المتميز ، ولا يعقل ان تكون دولة بلا سلاح ، دولة بلا حرب ، فالدعوة في الدولة يصاحبها السيف بلا شك.

قال الرازي : وهي أول آية اذن فيها بالقتال بعدما نهى عنه في نيف وسبعين أية [٥] فالآية نزلت ابتداء استعدادا للوضع الجديد في الدعوة ، وقد ورد في روايات أسباب النزول عند الرازي انها في اناس مخصوصين .

---

(١) تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السّنة طبعة جامعة ام القرى ج٢ ص٥٦٧ عبد العزيز الحميدي، قال الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي : قابوس بن أبي ظبيان الجنبي ، فيه لين، وذكره الامام الذهبي مع الضعفاء ، وهو من الطبقة السادسة ، أخرج له الامام البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وابن ماجة/ عن التقريب ٢/ ١١٥ رقم ١ والمغني في الضعفاء للذهبي رقم ٤٩٧٥- ديوان الضعفاء والمتروكين للذهبي رقم ٣٤٠٢ .

(٢) انظر تهذيب التهذيب ١/ ٨٤ رقم ١٢٤ ، ٨/ ٣٠٥ ، رقم ٥٥٣ ، ٢/ ٣٧٩ رقم ٦٥٤ .

(٣) تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السّنة ، عبد العزيز بن عبد الله الحميدي ج٢ ، ص٦٤٨ - ٦٥٠ عن مسند احمد ١/ ٢١٦ - اسباب نزول الواحدي ص٣١٩ - لباب النقول ص١٥١ - القرطبي ص٦٨ ج١٢ الطبري ص١٧٢ ج١٧ - احكام القرآن لابن العربي ص١٢٨٤ م٣

(٤) انظر سيرة ابن هشام ص٤٤٨ القسم الأول تحقيق السقا وزميليه ط٢ ١٣٧٥ / ١٩٥٥م طبعة مصطفى الحلبي .

(٥) التفسسر الكبير للفخر الرازي ج٢٣ ص٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقيل عن الظرف العام هو استئذان المسلمين للرسول -صلى الله عليه وسلم- ليدافعوا عن انفسهم برد أذى المشركين ولكن الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان يأمرهم بالتحلي بالصبر حتى يأذن الله - ولذلك قال القرطبي : هذا ناسخ لكل ما في القرآن من إعْراض وتَرْكِ صفح . وهي أول آية نزلت في القتال [1] وقال البغوي : قال المفسرون: كان مشركو أهل مكة يؤذون اصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلا يزالون محزونين من بين مضروب ومشجوج . ويشكون ذلك الى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيقول لهم : اصبروا فاني لم اؤمر بالقتال حتى هاجر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فانزل الله عز وجل هذه الآية ، وهي أول آية أذِنَ اللهُ فيها بالقتال . فنزلت هذه الآية بالمدينة [2].

وعليه فلا سبب لنزول هذه الآية اي لم ترد رواية تصلح ان تكون سبب نزول لهذه الآية .

(٥) [**ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل**] (الاحزاب٤)

قال الامام احمد : حدثنا حسن ، حدثنا زهير عن قابوس بن ابي ظبيان ان اباه حدثه قال : قلنا لابن عباس أرأيت قول الله عز وجل [**ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**] ما عنى بذلك ؟ قال : قام نبي الله -صلى الله عليه وسلم- يوما فصلى فخطر خطرة ، قال المنافقون الذين يصلون معه . الا ترون ان له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فانزل الله الآية [3] وقال الطبري حدثني محمد بن سعد قال ثنى ابي قال ثنى عمي قال ثنى ابي عن ابيه عن ابن عباس [**ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه**] قال كان رجل من قريش يسمى دهية ذا القلبين فانزل الله هذا في شأنه [4].

وفي رواية عن غير ابن عباس (انها نزلت في ابي معمر الفهري [5] وهو جميل بن اسيد سماه الفراء في معاني القرآن فاهل مكة كانوا يقولون : له قلبان وعقلان في صدره لقوة حفظه ، وأما ابن دريد فقال اسمه عبد الله بن وهب . وقيل ان ذا القلبين هو جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافه بن جمح الجمحي ، قال ابو العباس المبرد في الكامل : له صحبة وكان خاصا بعمر بن الخطاب وهو الذي اخبر قريشا باسلام عمر كما في السيرة لابن اسحق [6].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي م١٢ ص٦٨.

(٢) معالم التنزيل للبغوي م٣ ص٢٨٩ .

(٣) تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة - عبد العزيز بن عبد الله الحميدي - ج٢ ص٧٢٧ عن مسند الامام أحمد ١/ ٦٢٨ - لباب النقول للسيوطي ص١٧٥ أخرجه الترمذي وحسنه - تفسير الطبري ص١١٨ ج٢١ احكام القرآن لابن العربي ج٣ ص١٤٩١ .

(٤) تفسير الطبري ج٢١ ص١١٨ م١١ .

(٥) انظر تفسير الآلوسي ص١٤٤ ج٢١ - مجمع البيان للطبرسي ج٧ ص٥٢٦ - تفسير الخازن ص٤٨١ ج٣ .

(٦) انظر الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ص٤٩٩ ، ص٥٠٠ القسم الأول .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر البغوي في معالم التنزيل سببا اخر فقال (نزلت في ابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل ، وابي الاعور، وعمرو بن سفيان السلمي) وذلك انهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين . بعد قتال احد وقد اعطاهم النبي -صلى الله عليه وسلم- الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد ابن ابي السرح وطعمه ابن ابيرق فقالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- وعنده عمر بن الخطاب : ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة لمن عبدها ونَدَعُك وربك .. فامر النبي -صلى الله عليه وسلم- عمر ان يخرجهم من المدينة فانزل الله الآيات [1] [**يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين**] [2].

وقال اخرون : بل عنى بذلك زيد بن حارثة من أجل ان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان تبناه فضرب الله بذلك مثلا [3].

وذكر صاحب الكشاف انه ابن خطل كانوا يدَّعون ان له قلبين [4] وقيل هو مثل ضربه الله تعالى للمُظَاهر من امرأته ، وللمتبني وله غيره فكما لا يكون لرجل قلبان فكذلك لا تكون امرأةُ المظاهر أُمَّهُ حتى يكون له امان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين [5].

وجاءت الروايات لتثبت انه أبو معمر الفهري وانه عندما هزمت قريش في بدر جاء يحمل نعلا في يده والاخر في رجله من شدة الذهول لما أصاب قريش وعندما سألوه عن ذلك قال انه كان يظن انه في رجله وهذا مثبت في التفاسير السابقة . فلو كانت هناك رواية صحيحة تعد انها سبب نزول لما وصل الحال في التعدد إلى ما وصل اليه في هذه الآية حيث بلغت خمسة اقوال تقريبا والذي يحتاجُ اليه في التفسير هنا هو علم مناسبة النزول وليس أسباب النزول وقد قال ابن كثير : (يقول تعالى موطنا قبل المقصود المعنوي أمراً معروفاً حسياً وهو انه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه ولا تصير زوجته التي يظاهر منها بقوله أنْت عَليَّ أُماً له ، كذلك لا يصير الدعيّ ولدا للرجل إذا تبناه فدعاه ابنا له فقال الآية) [6] ولرد هذه الروايات نقول : ان سهو الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الصلاة وتلفظه بكلام سمعه المنافقون ردا عليهم وقولهم ان الرسول -صلى الله عليه وسلم- له قلبان احدهما مع المنافقين يرد عليهم ، والاخر مع المسلمين يصلي به - فهذا الامر لا يرد في حق الرسول -صلى الله عليه وسلم- فهو لا يتكلم داخل الصلاة قط ، فهي رواية ملفقة من أصلها ولا تصلح ان تكون تفسيرا لهذه الآية . هذا بالاضافة الى ضعف السند ففيه قابوس بن ابي ظبيان وهو ضعيف ولم يرد شاهد يقوي هذا الضعف . ورواية الطبري عن محمد بن سعد منقطعة حيث لم يسمع الطبري من ابن سعد وسندها ضعيف لا يحتج به

---

(١) معالم التنزيل للبغوي ص٥٠٥ ج٣ طبعة دار المعرفة ١٩٨٦م ١٤٠٦ هـ - تفسير الخازن ص٤٨١ ج٣ وانظر مجمع البيان للطبرسي ج٧ ص٥٢٦ .

(٢) سورة الاحزاب الآية الاولى .

(٣) تفسير الطبري م١١ ج٢١ ص١١٩ - تفسير احكام القرآن لابن العربي ج٣ ص١٤٩١ .

(٤) الكشاف للزمخشري ص٢٢٦ ج٣ .

(٥) تفسير الخازن ص٤٨١ ج٣ .

(٦) تفسير ابن كثير ص٤٦٥ م٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما قصة جميل بن اسيد الفهري (ابي معمر) فالرواية تقول في خاتمتها انه شوهد في بدر وهو يحمل احد نعليه في يده والآخر في رجله لشدة الذهول فهذه القصة حدثت قبل نزول الآية بثلاثة سنوات حيث نزلت السورة في غزوة الأحزاب في السنة الخامسة فلا علاقة زمنية بينهما تصلح لان تكون سبب نزول .

واما الرواية التي تقول انها مثل - فالامثال لا تحتاج الى أسباب تنزيل على فرض صحة هذا القول .

واما القصة التي تقول في ابي سفيان ومن معه بعد احد فلا يعقل ان يكون تم مثل هذا اللقاء فقد خرجت قريش منتصرة من المعركة وهي متأملة في ان تقضي على الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومن معه في جولات قادمة في سنوات قادمة ، فتأتي للتفاوض مع الرسول امر غير محتمل في العقلية الجاهلية التي كانت تمتاز بالعصبية لا بالتعقل.

واذا نظرت في الروايات تجد انها تتعلق بجزء من اية فقط ، كل رواية تختص بجزء والذي يجمع شتاتها ، ان يقال عنها انها تفسير ليس غير. ولا يشترط في الرواية التفسيرية ان تكون صحيحة السند ولا يشترط تحقق التزامن بين النزول وبين الروايات وكما قال طاش كبرى زاده (كثيرا ما يذكر المفسرون لنزول الاية أسبابا متعددة وقد تقدم ان قولهم : نزلت الاية في كذا يراد به التفسير فلا منافاة بين التفسيرين اذا كان اللفظ يتناولهما [1].

نماذج مختارة من تفسير ابن مسعود رضي الله عنه

١. قوله تعالى [**ويسألونك عن الروح * قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا**] سورة الإسراء ٨٥

الاثر ٧٨١ ابن حنبل : حدثنا وكيع : حدثنا الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال :

كنت امشي مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في حرث بالمدينة وهو متكيء على عسيب قال : فمر بقوم من اليهود ، فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح قال بعضهم : لا تسألوه ، فسألوه عن الروح ، فقالوا يا محمد ما الروح ؟ فقام، فتوكأ على العسيب قال . فظننت انه يوحى اليه فقال [**ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا**] قال : فقال بعضهم قد قلنا لكم لا تسألوه) [2] وقد قام الدكتور العيسوي بتقصي اماكن وجود الحديث ولا داعي لذكرها هنا.

---

(١) مفتاح السعادة ، ومصباح السيادة - احمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده ج٢ ص٣٥٠ .

(٢) تفسير ابن مسعود جمع وتحقيق ودراسة محمد احمد عيسوي . القسم الثاني ص٤٠٤ ، ٤٠٥ - اسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٩٩ - لباب النقول للسيوطي ص١٤١ وقال في رواية البخاري " فمر بنفر من قريش " وهذا خطأ والصواب بقوم من اليهود - تفسير الطبري ص١٥٥ م٩ .

* الروح: لفظ مشترك فقد وردت في القرآن الكريم بمعانٍ متعددة منها سر الحياة كما في هذه الآية. ومنها جبريل عليه السلام كما في قوله تعالى [**نزل به الروح الأمين * ليكون على قلبك لتكون من المنذرين**] الشعراء ١٩٣ ومنها الشريعة كما في قوله تعالى [**وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا**] ٥٢ الشورى واما القول بالناحية الروحية عند الإنسان فهو تعبير يدل على كون الإنسان مخلوق لخالق اي ادراك الصلة بالله تعالى. وهو بحث في واقع المعنى وليس في الفاظ لها معان لغوية او اصطلاحات يصطلح عليها الناس كيف يشاؤون وهي بهذا المعنى غير موجودة عند الكافر المنكر لوجود الله تعالى فهي متعلقة بالإيمان بالله تعالى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان هذا الاثر ورد عند البخاري في كتاب التفسير برقم ٤٧٢١ وقد تكرر في باب الاعتصام بالكتاب والسنة برقم ٧٢٩٧ وفي كتاب التوحيد برقم ٧٤٥٦ وقد اختلفت الالفاظ في الروايات الثلاث) التي تدل على ان الرواية سبب نزول ، ففي كتاب التفسير ورد قوله (فعلمت انه يوحى اليه ، فلما نزل الوحي قال) وفي رواية كتاب الاعتصام (فقام ساعة ينظر فعرفت انه يوحى اليه فتأخرت عنه حتى صعد الوحي ثم قال) وفي رواية كتاب التوحيد (فظننت انه يوحى اليه) قال ابن حجر واطلاق العلم على الظن مشهور[١] .

ورواية احمد هذه هي رواية البخاري نفسها وردت في كتاب التوحيد وقد وردت رواية عن الترمذي عن طريق داود بن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال : قالت قريش لليهود اعطونا شيئا نسأل هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح فسألوه فانزل الله تعالى الاية . قال ابن حجر ورجاله رجال مسلم[٢] وقال وهو عند ابن اسحق من وجه اخر عن ابن عباس نحوه ولا يخفى التعارض في الروايتين احداهما تدل على انها نزلت في المدينة والاخرى في مكة وقال ابن حجر ليجمع بينهما (ويمكن الجمع بان يتعدد النزول بحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك وان ساغ هذا والا فما في الصحيح اصح)[٣] وقال ابن كثير (وهذا السياق يقتضي فيما يظهر بادىء الرأي ان هذه الاية مدنية وانها نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة مع ان السورة كلها مكية وقد يجاب عن هذا بانه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك او انه نزل عليه الوحي بان يجيبهم عما سألوه بالاية المتقدم انزالها عليه[٤] .وقال السيوطي (قلت : ويرجح ما في الصحيح بأن رواية حاضر القصة بخلاف ابن عباس)[٥] قلت ولا يخفى ان رواية ابن مسعود هي تفسير للاية وليست سببا لنزولها لان السورة قطعا مكية وقد نقل الالوسي الاجماع على مكيتها . فلا يجوز ان يقال ان الاية مكية وسبب نزولها وقع متأخرا بالمدينة . ورواية ابن عباس التي رواها الترمذي واحمد والحاكم صحيحة السند ورواتها كلهم ثقات ، وقد سمع بعضهم من بعض[٦] وقد سبق ان نقلنا رأي ابن حجر بان رجاله رجال مسلم . والقول بتكرر النزول ، دعوى ينقصها الدليل ولا تقوم به حجة ولذلك وضع الحافظ ابن كثير احتمالا اخر وهو انه اوحي للرسول -صلى الله عليه وسلم- بان يجيبهم بنفس الجواب السابق اي بالاية المتقدمة وهو تعليل مقبول ، فتكون الاية مكية والسبب الذي ذكر انه حدث بمكة يتناسب مع نزول الاية ويعمل بالدليلين في هذه الحالة فتكون رواية عبد الله بن مسعود تفسيرا وليست سبب نزول . اما الالفاظ المختلفة فعلمت فعرفت ، فظننت انه يوحى اليه فهذا من الراوي يدل على انه تقدير وليس علم فسكوت الرسول -صلى الله عليه وسلم- برهة وعدم اجابتهم تخيل الراوي انه يوحى للرسول -صلى الله عليه وسلم- فجاءت الالفاظ مختلفة وكلها عن نفس الراوي وكلها في البخاري فلو كان الامر يقينا لما اختلفت هذه الالفاظ لا سيما . انها من نفس السند في الروايات الثلاث في كتب التفسير والاعتصام والتوحيد عند البخاري وهذا يؤكد قول ابي الفتح القشيري ان الصحابة كانوا يعرفون سبب النزول بقرائن تحتف بالقضايا[٧] .

---

(١) فتح الباري لابن حجرص٤٠٣ م٨ .

(٢) فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ص٤٠١ في الأثر ٤٧٢١ . وذكر ابن كثير ان هذه الرواية لأحمد تفسير ابن كثير م٣ ص٦٠ .

(٣) فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ص٤٠١ في الأثر ٤٧٢١ - لباب النقول للسيوطي ص١٤١

(٤) تفسير ابن كثير م٣ ص٦٠ .

(٥) لباب النقول للسيوطي ص١٤١ .

(٦) انظر تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة / عبد العزيز بن عبد الله الحميدي ج٢ ص٥٧١ .

(٧) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج١ ص٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اما الألفاظ فهي ليست دقيقة في الدلالة على سبب النزول وسيأتي الكلام عنها مفصلا في المبحث القادم ان شاء الله تعالى . وفي روايات البخاري الثلاث لم ترد كلمة فانزل الله او انزلت الآية على اثر السؤال والالفاظ كانت ثم قال . وقال الاية ولكن قرينته نزول الوحي كانت ربما تفهم منْ تأخُّر الرسول صلى الله عليه وسلم في الاجابة او من سكوته فظن ابن مسعود انه يوحى للرسول صلى الله عليه وسلم .

وأمر آخر فان القول بمكية السورة قطعي [1] ولا يجوز الاعتماد على رواية خبر احاد للقول بمدنيتها . والمخرج الوحيد لهذا التعارض والذي يعمل فيه الدليلان هو القول ان الاية مكية ورواية قريش مكية وتعد سبب نزول . ورواية ابن مسعود تعد تفسيراً لا سيما ان من عادة الصحابة القول ان هذه الآية نزلت في كذا ويعنون التفسير لا سبب النزول . والذي يقوي رواية قريش هو الاسئلة الثلاثة عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح انها كانت بمكة . وقد ابطأ الوحي بالجواب مدة اسبوعين على ما قيل فحدث هرج ومرج فكيف لو تأخر الى ما بعد الهجرة الى المدينة فان الفتنة ستكون اشد. وأمر اخر فان القائلين بتكرر النزول يعترفون بان الاية نزلت في مكة قبل هذا ، وعليه فالقول ان الاية مكية وقصة اسئله قريش هي السبب وقصة اسئلة اليهود هي تفسير قول متناسب ومنسجم مع نزول الآيات. واليهود وراء قصة الاسئلة لان قريش هي التي طلبت من اليهود اسئلة ليوجهوها لمحمد عليه الصلاة والسلام لاختبار نبوته فكانت الاسئلة . والله اعلم .وهذه الاية لا بد من وجود سبب تنزيل لها لان الله تعالى يخبرنا ان جماعة تسأل [**ويسألونك**] وهذا يجعلنا نجزم بان ما صحّ سنده من أسئلة قريش هي سبب تنزيل هذه الاية

٢ - [**واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات**] سورة هود ١١٤.

ابن حنبل : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا اسرائيل عن سماك ، انه سمع ابراهيم يحدث عن علقمة والاسود [2] عن عبد الله بن مسعود قال :

جاء رجل الى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال : يا نبي الله اني اخذت امرأة في البستان ففعلت بها كل شيء غير اني لم اجامعها ، قبلتها ولزمتها ولم افعل غير ذلك فافعل بي ما شئت ، فلم يقل له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شيئا فذهب الرجل . فقال عمر : لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه ، قال : فاتبعه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بصره ، فقال ردوه علي ، فردوه عليه فقرأ عليه الاية الى (الذاكرين) . فقال معاذ بن جبل . ألَهُ وَحْدَه أم للناس كافة يا نبي الله فقال بل للناس كافة [3] ، وقد صححه شاكر [4].

---

(١) انظر البرهان ، والاتقان ، وفضائل القرآن لابن الضريس، وكتب التفسير المختلفة لا سيما التي سارت على النهج المأثور .

(٢) الواو من فتح الباري ص٣٥٦ ج٨

(٣) الرواية في مسند احمد بن حنبل ٦/ ١٤٣ ١٤٤ ، ١٢٦ ، ١٥٦ ، ٥/ ٣٢٧ . وفي البخاري في الصحيح ١/ ١٠٧ ، ١٠٨ ، ٦/ ٧٥ وفي صحيح مسلم وابي داود والترمذي وسنن ابن ماجة والطبري في الجامع وتفسير ابن كثير والدر المنثور والبغوي والقرطبي والزمخشري والواحدي والمستدرك للحاكم وفي غيرها . انظر في تفسير ابن مسعود للعيسوي ص٢٤٥ القسم الثاني . الأثر ٦٧٨

(٤) انظر تفسير ابن مسعود للعيسوي القسم الأول ص١٩٩ أسانيد تفسير ابن مسعود .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان هذه الرواية وقعت بالمدينة وقد وردت روايات كثيرة مشابهة ، لمن اصاب ذنبا دون الحد وجعلت الصلوات كفارة لما بينهما . وقوله تعالى [**ان الحسنات يذهبن السيئات**] ، يشكل قاعدة عريضة في باب الجزاء غير ان الاية مكية والسورة كلها مكية . قال ابن كثير (يحتمل ان تكون هذه الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ليلة الاسراء فإنه إنما كان يجب من الصلاة صلاتان [1]. وعليه فلا تصلح اي رواية مما ذكر في هذا الباب ان تكون سبب نزول لها وانما هي تفسير وتطبيق لمعنى الآية [**ان الحسنات يذهبن السيئات**] .

واسم الرجل في الرواية هو كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن سواد بن غنم الأنصاري [2] ابو اليسر وقال ابن اسحق شهد بدرا والمشاهد وقال البخاري له صحبةٌ ، وشهد بدرا ت ٥٥هـ بالمدينة . وقد تعددت الروايات التي ذكرها المفسرون كسبب نزول لهذه الاية . فرواية سليمان التيمي تقول انه اصاب قبلة من امرأة. وعند عبد الرزاق عن معمر بن سليمان التيمي ضرب رجل على كفل امرأة . ورواية مسلم واصحاب السنن من طريق سماك بن حرب عن ابراهيم النخعي وجدت امرأة في البستان ، وهي الرواية التي بين ايدينا وذكرها احمد . وعند الطبري من طريق الاعمش عن ابراهيم النخعي (جاء فلان بن معتب الانصاري .. دخلت على امرأة فنلت منها ما ينال الرجل من اهله الا أني لم اجامعها) الحديث . واخرج الترمذي والنسائي والبزار من طريق موسى بن طلحة ان اسم الرجل ابو اليسر كعب بن عمرو الانصاري (اتته امرأة وزوجها قد بعثه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بعث فقالت له بعني تمرا بدرهم .. فانطلق بها داخل البيت فغمزها وقبلها ولقي ابا بكر وقال له تب ولا تعد وغير ذلك كثير [3] فتعددت الروايات يعين على القول انها تفسير لا سيما انها في اشخاص متعددين ومطلع الاية يدل على ان الصلوات كانت صلاتين وصلاة قيام الليل وهذا ما قال به كثير من المفسرين . وقال بعضهم الصلوات الخمس، وادرجوا الاحاديث التي تنص على ان الصلاة الى الصلاة كفارة مابينهما ، والجمعة الى الجمعة، ورمضان الى رمضان فهي روايات تفسيرية ولذلك لا تعارض بينها وان اختلف زمان الوقوع عن نزول الاية. ومن ناحية ثانية فان اللفظ في الرواية لا توجد فيه شبهة انه سبب نزول لانه يقول (فقرأ عليه) وفي رواية مسلم (فتلا عليه الآية) واما عدم اجابة الرسول -صلى الله عليه وسلم- الفورية للرجل فالرسول -صلى الله عليه وسلم- لا يعلم الغيب ، ويحتاج امر صدق توبة الرجل الى وحي . وبعد ان تيقن الرسول -صلى الله عليه وسلم- من صدق توبة الرجل تلا عليه الاية او قرأ عليه الاية والا فمن اليقين ان من يفعل هذا الفعل فانه يستحق عقوبة تعزيرية ولا يكتفى بقراءة الاية عليه .

٣. قوله تعالى [**ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**] الإسراء ٢٩

---

(١) تفسير ابن كثير ص٤٦٢ م٢ .

(٢) انظر الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ترجمة ٧٤٢٧ القسم الخامس ص٦٠٦ وانظر باب الكنى ترجمة ١٠٧٣٨ ص٤٦٨ القسم السابع . وقد شهد العقبة وبدراً .

(٣) انظر فتح الباري م٨ الحديث ٤٦٨٧ ص٣٥٥ كتاب التفسير - سورة هود .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الواحدي (أخبرنا ابو الحسن محمد بن عبد الله بن علي بن عمران انه قال اخبرنا ابو علي بن احمد الفقيه قال : اخبرنا ابو عبيد القاسم بن اسماعيل المحاملي قال : حدثنا زكريا بن يحيى الضرير قال : حدثنا سليمان بن سفيان الجهني قال : حدثنا قيس بن الربيع عن ابي اسحق عن ابي الاحوص عن عبد الله قال : جاء غلام الى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال : ان امي تسألك كذا وكذا فقال : ما عندنا اليوم شيء ، قال فتقول لك : اكسني قميصك : قال فخلع قميصه فدفعه اليه وجلس في البيت حاسرا فانزل الله سبحانه وتعالى الآية [1].

اقول : قال ابن الجوزي في زاد المسير . وروى جابر بن عبد الله نحو هذا فزاد فيه ، فاذن بلال للصلاة وانتظروه فلم يخرج فشغل قلوب الصحابة ، فدخل عليه بعضهم ، فرأوه عريانا فنزلت هذه الآية [2]. وهذا يدل على ان الواقعة حدثت في المدينة - ان صحت - والسورة مكية فلا تصلح ان تكون سبب نزول الاية ومن زاوية ثانية فان مثل هذا لا يفعله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتبرع بقميصه ويمكث في البيت عريانا يعصى ربه بابداء عورته . وهذا من شأنه ان لا يستقبل الوحي ولا يقوم بمهمته كرسول وكرئيس دولة ، وعليه فلا سبب نزول لهذه الآية. واذا نظرنا في السند وجدنا فيه قيس بن الربيع. قال احمد بن حنبل عنه: (روى احاديث منكرة. وكان وكيع اذا ذكره قال: الله المستعان. وقال البخاري قال علي كان وكيع يضعفه. وقال الآجري عن ابي داود سمعت ابن معين يقول قيس ليس بشيء وقال ابو داود: ما أخرجت له الا ثلاثة احاديث حدث باحاديث عن منصور هي عن عبيدة، واحاديث عن مغيرة هي عن فراس *.

٤. قوله تعالى **[وما قدروا الله حق قدره والأرضُ جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون]** سورة الزمر ٦٧.

ابن حنبل (حدثنا يونس حدثنا شيبان عن منصور بن المعتمر عن ابراهيم عن عبيدة السلماني عن عبد الله بن مسعود قال جاء حَبْر الى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال يا محمد او يا رسول الله ان الله عز وجل يوم القيامة يحمل السموات على اصبع والأرضين على اصبع والجبال على اصبح والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبح ، يهزهن فيقول : انا الملك قال فضحك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ الآية [3]

اقول ان الآية مكية وهذه القصة حدثت بالمدينة فلا تصلح ان تكون سبب نزول الآية وفي نهاية الرواية يقول ثم قرأ -صلى الله عليه وسلم- الآية فتكون استشهادا وليس سبب نزول.

وقد نزلت الاية قبل ذلك في سورة الأنعام آية ٩١ وتكرر نزولها في المدينة في سورة الحج الاية ٧٤ والغريب ان الواحدي ذكر أسبابا لآية الأنعام والقصص دارت بين اليهود وبين الرسول -صلى الله عليه وسلم- حول انكار الرسل [4] ولم

---

(١) الأثر ٧٦٢ ص٣٩٣ - تفسير ابن مسعود للعيسوي - الواحدي ص٢٩٤ ، لباب النقول ص١٣٧ زاد المسير لابن الجوزي ٥/ ٢٩ - القرطبي في الأحكام ١٠/ ٢٥٠ - ٢٥١ - الدر المنثور للسيوطي ٤/ ١٧٨ عن ابن جرير ولم أجده في الجامع للطبري

(٢) زاد المسير ص٣٠ الجزء الخامس - طبعة المكتب الاسلامي .

(٣) الأثر ١٠٢٩ ص٥٤٣ من تفسير ابن مسعود ، وقد روى القصة الامام البخاري في صحيحه ومسلم كذلك ورواها الطبري بطرق متعددة في جامع البيان وكذلك ابن كثير والشوكاني وغيرهم كثير . وانظر عبد الله بن مسعود وما روي عنه في التفسير لعبد العزيز سليمان ابو صقر - رسالة ماجستير ص٧٨ .

(٤) انظر ص٢٥١ اسباب النزول للواحدي .

* قيس بن الربيع الأسدي أبو محمد الكوفي. انظر تهذيب التهذيب ترجمة ٦٩٨ ص٣٥٠ م٨. وتاريخ البخاري ص١٥٦ ترجمة ٧٠٤ م٧ والجرح والتعديل لابن ابي حاتم ص٩٦- ٩٨ ترجمة ٥٥٣ م٧. والكاشف للذهبي ص٢٤٧ ترجمة ٤٦٧٠ ج٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يذكر اي رواية لأسباب نزول آية الحج وهي مدنية وهذا مما يدلل على انها روايات تفسيرية حيث لا يشترط صحة السند في التفسير والمهم ان ينطبق معنى الآية على القصة.

ملحوظة قوله (تصديقا لقول الحبر) هذه زيادة من الراوي ولا تعد جزءا من الحديث . فضحك الرسول -صلى الله عليه وسلم- مما قاله الحبر لا يدل على تصديقه . بدليل نص الاية [**وما قدروا الله حق قدره**] فلو كان صحيحا لما قرأ الرسول -صلى الله عليه وسلم- هذه الآية في هذا المقام . فهذه الامور من العقائد ولا تثبت الا بدليل قطعي والاولى ان لا ننزلق في مسألة التأويل فيها.

واكتفي بهذا القدر وقد استقرأت الكثير الكثير مما لا مجال لاثباته هنا مما يدلل على صحة قول ابن تيمية وقول الزركشي السابق ذكره بان الصحابة يقولون نزلت الآية في كذا ويريدون معنى الآية اي تفسير الآية لا انها سبب نزول (١) والروايات في أسباب النزول تجدها قليلة جدا لا سيما اذا قيست بعدد روايات التفسير وعليه فلا تعارض ولا تناقض بين الروايات اذا كان النص يحتملها . وهذا هو التعليل الذي ترتاح اليه النفس لذكر الصحابة روايات حدثت بالمدينة لايات مكية او بالعكس او لروايات واساطير حدثت قبل نزول الاسلام.

[معنى سبب التنزيل عند التابعين]

ان التابعين رضوان الله عليهم ساروا على نهج سلفهم الصحابة في نقل روايات سبب التنزيل فجاءت مختلطة بالتفسير لا يكاد يميز بينهما لانه كما قلنا لم يرد عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- اي نص يلفت الانظار الى هذا العلم ، ولو وجد لاهتموا به ونقلوه الينا . فيبقى سبب التنزيل عند التابعين امر تحصل بقرائن تحتف بالقضايا كما كان الشأن عند الصحابة رضوان الله عليهم. ولذلك لا نتوقع ان نجد فرقا بين ما ورد عن الصحابة وبين ما ورد عن التابعين لان الصحابة هم المصدر الاول والتابعون نقلة عنهم ومع ذلك لا بد من عرض نماذج لمن بز اقرانه في موضوع التفسير ليطمئن القلب الى ما أثبتناه من حقائق في هذه المسألة . اما موقفهم من القول في أسباب التنزيل فقد كانوا يتحرجون من ذكره لانه يأخذ عندهم حكم الحديث المرفوع بتعبيرنا فعن محمد بن سيرين قال : سألت عَبيدةَ عن اية من القرآن فقال اتق الله وقل سدادا ، ذهب الذين يعلمون فيم انزل القرآن (٢) وعبيدة هذا من كبار التابعين اسلم قبل وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- بسنتين ولم يلقه فما بالك بالقول في أسباب التنزيل بعد مئات السنين

نماذج مختارة من تفسير مجاهد بن جبر رضي الله عنه

١. قال تعالى [**واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون**] سورة البقرة ٧٦ وهي مدنية

---

(١) وانظر قول الامام أحمد حسن الباقوري في كتابه معاني القرآن بين الدراية والرواية ص٧٧ طبعة اولى ١٩٨٦م : (وقد تحقق عند الفقير أن الصحابة والتابعين كثيراً ما كانوا يقولون : نزلت الآية في كذا وكذا : وغرضهم من ذلك تصوير ما تصدق عليه الآية ، وذكر بعض الحوادث التي تشملها بعمومها ، سواء استوعبت جميع القصة ، أو تأخرت ، وسواء كان ذلك اسرائيلياً أو جاهلياً أو اسلامياً ، وسواء استوعبت جميع قيود الآية أو بعضها . وبهذا يعلم أن للاجتهاد في هذا القسم مُدَّخَلاً ، وأن للقصص المتعددة هناك سعة . فمن استحضر هذه النكتة تمكن من حل اختلاف أسباب النزول بأدنى عناية) .

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي ص٥ ، وانظر مخطوط العجاب في الأسباب لابن حجر ورقة ١٣ آ ، وعَبيدة بفتح أوله هو ابن عمرو السلماني أسلم قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بسنتين ولم يلقه ومات سنة ٧٢ هـ . انظر تهذيب التهذيب لابن حجر م٧ ص٧٨ ترجمة ١٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال السيوطي : (اخرج ابن جرير عن مجاهد قال : قام النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم قريظة تحت حصونهم فقال : يا اخوان القردة ويا اخوان الخنازير ويا عبدة الطاغوت فقالوا : من اخبر محمدا ما خرج هذا الا منكم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليكون لهم حجة عليكم فنزلت الآية [1].

ان مثل هذا الاثر لا يجوز ان يكون تفسيرا فضلا عن ان يكون سبب نزول لان الرسول -صلى الله عليه وسلم- ما بعث سبابا ولا لعانا . فمثل هذه الشتائم تؤدي الى الرد عليها بمثلها والله تعالى قد انزل في سورة الانعام قبل نزول هذه الاية ببضع سنين [**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم**] [2] فلو قام الرسول -صلى الله عليه وسلم- بمثل هذه الشتائم فانه يكون قد خالف امر ربه وتعالى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن مخالفة امر ربه علوا كبيرا.

وابن جرير وهو من اقدم المفسرين لم يقل فنزلت ولا السيوطي في الدر المنثور لم يقل فنزلت وقال في اللباب اقول هذا على لغة من يرى ان لفظ نزلت تدل على سبب التنزيل . فهي لم تدل من هذه الزاوية كذلك. وقد أيد الدكتور أحمد نوفل ذلك بقوله: (وما هنا عن مجاهد لا نتصوره سببا وهل يعتبر خبر كونهم قردة وخنازير مما فتح الله به عليهم. ان هذا امر مستبعد) [3].

٢. قوله تعالى [**ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم**] سورة البقرة ١١٥

قال السيوطي (واخرج ابن جرير ايضا عن مجاهد قال (لما نزلت ادعوني استجب لكم) قالوا الى اين؟ فنزلت [**فاينما تولوا فثم وجه الله**] [3].

الآية وسياقها يدل على انها نزلت بشأن التوجه في الصلاة وليست في الدعاء والروايات الصحيحة في ذلك تجدها في نفس مصدر هذه الرواية التي ذكرت عن مجاهد. وقد نصت الروايات انها بشأن التوجه في الصلاة وأية [**ادعوني استجب لكم**] هي الاية الستون من سورة غافر وهي مكية وبين نزولها ونزول اية البقرة زمن طويل. فلا يجوز ان نقول انها سبب نزول لعدم المزامنة بينهما هذا على فرض صحة الرواية . وابن حجر في مخطوطه العجاب في الأسباب قال (قول

---

(١) لباب النقول ص١٠ للسيوطي . تفسير بن جرير الأثر رقم ١٣٤٧ م٢ ص٢٥٣ طبعة شاكر ، الدر المنثور ج١ ص١٩٩ ، البحر المحيط ج١ ص٢٧٣ - فتح القدير للشوكاني ج١ ص١٠٣ ، تفسير ابن كثير ج١ ص١١٦ ، مجمع البيان للطبرسي ج١ ص٢٨٦ - القرطبي ج٢ ص٤ ، تفسير مجاهد دراسة وتحقيق د. أحمد نوفل ، رسالة دكتوراه ص٣٥٦ .

(١) سورة الانعام الآية ١٠٨وهي مكية .

(٢) تفسير مجاهد دراسة وتحقيق للدكتور احمد نوفل ص٣٥٦ طبعة سنة ١٣٩٨ هـ . مطبوعة ستانسل .

(٣) لباب النقول للسيوطي ص١٨ - تفسير ابن جرير ج٢ ص٥٢٤ الأثر ١٨٤٧ تحقيق شاكر . معالم التنزيل للبغوي ج١ ص١٠٨ - مجمع البيان للطبرسي ج١ ص٢٨٦ - التفسير الكبير للفخر الرازي ج٤ ص٢١ . جامع الأحكام للقرطبي م٢ ص٨٣ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري م١ ص٤٢٣ - تفسير ابن كثير ج١ ص١٦٠ - الدر المنثور للسيوطي م١ ص٢٦٧ - العجاب في الأسباب مخطوط لابن حجر ورقة ١٤٢أ - تفسير مجاهد د. احمد نوفل ص٣٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اخر حكاه الثعلبي عن الحسن ومجاهد والضحاك) [1] فالرواية من هذا السند لا تصح ولا تصلح ان تكون تفسيرا ولا سبب نزول لان النص لا يحتملها. وقد أيد الدكتور نوفل ذلك بقوله: (وهذا كذلك ليس من امور النص تماما فالمشهور انه في الصلاة والسياق الذي هو فيه في موضوع الصلاة) [2].

٣. قوله تعالى [ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين] سورة آل عمران ٩٦) .

قال الواحدي (قال مجاهد : تفاخر المسلمون واليهود ، فقالت اليهود بيت المقدس افضل واعظم من الكعبة لانه مهاجر الانبياء وفي الارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة افضل فانزل الله هذه الآية [3].

وقد ذكر الدكتور احمد نوفل هذا الاثر عن كتاب المنازل والديار لاسامة بن منقذ ص٣٥٥ ولم يعقب على هذه الرواية ويبدو انه اكتفى بتعليقه الاخير على الروايات كلها ص٣٦١ بانها روايات تفسير وليست أسباب نزول.

قال ابن حجر (ذكر الثعلبي وتبعه الواحدي وابن ظفر عن مجاهد .. هكذا ذكره الثعلبي بغير اسناد ولم ار له عن مجاهد ذكرا . وانما ذكره مقاتل بن سليمان فقال - ان المسلمين واليهود اختصموا في اين القبلة فقال المسلمون : القبلة الكعبة . وقالت اليهود : القبلة بيت المقدس فانزل الله عز وجل ان الكعبة اول مسجد في الارض والكعبة قبلة لأهل المسجد الحرام ، والمسجد الحرام قبلة لأهل الحرم ، والحرم قبلة لأهل الارض) [4]

واقول ان جميع هذه الروايات لا يستوعبها النص فالاية تدل على اقدمية المكان المقدس وليست على افضليته ولا على جهة القبلة كما رواه مقاتل . ولذلك لا تصلح هذه الرواية ان تكون تفسيرا فضلا عن ان تكون سبب نزول . والمعروف ان الحديث عما قبل نزول القرآن لا يجوز ان يعد سبب نزول لان شرط اعتماد الرواية هو التزامن بين الحدث وبين نزول الاية التي نزلت بشأنها.

الى جانب ذلك فان سياق الايات يلفظ هذه الرواية ان تكون تفسيرا أوسبب نزول . فهو مقدمة لبيان اهمية الكعبة فهو مقام ابراهيم عليه السلام تم فرض الحَجِّ اليه فقال [**ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا**] [5].

٤. قوله تعالى: [**يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ همّ قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون**] [6]

---

(١) انظر مخطوط العجاب في الأسباب لابن حجر ص٧٢أ وقد ذكر نفس رواية السيوطي هذه التي نحن بصدد دراستها ، ولم يعقب عليها .

(٢) تفسير مجاهد دراسة وتحقيق د. أحمد نوفل ص٣٥٧ رسالة نال بها درجة الدكتوراه سنة ١٩٧٨م

(٣) الواحدي ص١١٠ - مجمع البيان للطبرسي ج٢ ص٧٩٧ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي م٤ ج٤ ص١٣٧ غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ج٤ ص٨ ، هذا وقد ورد هذا الأثر دن أن ينسب لأحد ذكره الخازن في لباب التأويل ومعاني التنزيل ج١ ص٢٧٤ ، والشوكاني في فتح القدير ج١ ص٣٦٢ .

(٤) العجاب في الأسباب - مخطوط - لابن حجر ورقة ١٤٣أ .

(٥) الآية ٩٧ من آل عمران .

(٦) المائدة آية ١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال الواحدي (وقال مجاهد ، والكلبي وعكرمة قتل رجل من اصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رجلين من بني سليم وبين النبي عليه السلام وبين قومهما موادعة فجاء قومهما يطلبون الدية فأتى النبي عليه السلام ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف فدخلوا على كعب بن الاشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما فقالوا (نعم) يا ابا القاسم قد آن لك ان تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا فجلس هو واصحابه فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لم تجدوا محمداً أقرب منه الان فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فقال عمر بن جحاش بن كعب : انا ، فجاء الى رحا عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله تعالى يده وجاء جبريل عليه السلام واخبره بذلك فخرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وانزل الله تعالى هذه الآية [1].

اقول ان هذه الرواية لا تعد سبب نزول للامور التالية :

١. ان لفظ [**اذكروا**] في الآية دليل على حدوث شيء مضى ، ونعمة سلفت واراد الباري عز وجل ان يُذكِّر المؤمنين بها ليتعظوا ويؤمنوا بقدرته جل وعلا.

٢. تعددت الروايات عن مجاهد وعن غيره مما ذكر في سبب نزول هذه الآية وجاءت في مواضيع شتى ويمكن اختصار هذه الروايات في المواضيع التالية :

أ. نزلت في صلاة الخوف في قصة عسفان في غزوة ذي انمار وابطال محاولة اغتيال الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومن معه من الصحابة هم بنو محارب وبنو ثعلبة .

ب. وقد قيل في صلاة الخوف في المطر على يد غورث الحارث يوم بطن نخلة[2].

جـ. محاولة الاعراب قتل الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهو مستظل بظل شجرة وسلاحه معلق عليها .

٣. ان رواية مجاهد والتي تتعلق بقصة يهود بني النضير ومحاولة اغتيالهم لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- كانت في شهر ربيع الاول من السنة الرابعة [3]. وقد نزلت سورة الحشر باسرها في بني النضير. وسورة المائدة نزلت في اواخر العهد المدني وفيها اية [**اليوم اكملت لكم دينكم** ..] وقد نزلت في حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة.

---

(١) الواحدي ص١٨٦ ، ص١٨٧ - الطبري م٤ ج٦ ص١٤٤ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ج٥ ص٦١ ، وهي نفس رواية الواحدي - الدر المنثور م٣ ج٦ ص٣٥ للسيوطي - مجمع البيان للطبرسي ج٣ ص٢٦٢ ، ص٢٦٣ - لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن م١ ص٤٧٤ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي م٦ ص١١١ - الزمخشري في الكشاف م١ ص٣٢٧ ذكر القصة دون أن يسندها لمجاهد - التفسير الكبير للامام الفخر الرازي ج١١ ص١٨٢ ، ص١٨٣ طبعة طهران .

(١) قرية قريبة من المدينة

(٢) انظر سيرة ابن هشام ج٣ ص١٩٠ - ودلائل النبوة للبيهقي م٥ ص٣١٨ ، ص٣٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤. قال النيسابوري في غرائب القرآن : (وقيل انها لم تنزل في واقعة خاصة ولكن المراد ان الكفار كانوا يريدون ايقاع البلاء والنهب والقتل بالمسلمين فاعز الله المسلمين ..[١] وهذا الذي اراه صوابا انها لم تنزل في واقعة خاصة . لا سيما ان نعمة حماية الله لرسوله وللمؤمنين من محاولات الغدر من اعداء الله ذكرت في مواطن كثيرة سواء مما ذكر ام لم يذكر كمحاولة المشركين قتل الرسول -صلى الله عليه وسلم- ليلة الهجرة وقد كرر بعض المفسرين هذه الروايات في سورة النساء في صلاة الخوف [٢] وهي متقدمة [٣] على سورة المائدة كما وردت بعض هذه الروايات في سورة المائدة اية ٦٧ في قوله تعالى [**والله يعصمك من الناس**] .

وعليه فهذه الآية ليس لها سبب نزول خاص وهذه الرواية لا تصلح ان تكون سبب نزول لما سبق ذكره وان كانت تصلح ان تكون في سياق التفسير . والله اعلم .

٥. قوله تعالى : [**هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دّعَوا الله ربُهُما لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين * فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما فتعالى الله عما يشركون**] سورة الاعراف ١٨٩-١٩٠.

قال الواحدي (قال مجاهد : كان لا يعيش لآدم وامرأته ولد) فقال لهما الشيطان اذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحارث ، وكان اسم الشيطان قبل ذلك : الحارث ، ففعلا فذلك قوله تعالى الآية [٤].

قال الحافظ بن كثير (وقد تلقى هذا الاثر عن ابن عباس من اصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي وغيرواحد من السلف وجماعة من الخلف ومن المفسرين المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة وكأنه والله اعلم أصله مأخوذ من اهل الكتاب فان ابن عباس رواه عن ابي بن كعب كما رواه ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا أبو الجماهر حدثنا سعيد يعني ابن بشير عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن ابي بن كعب قال . لما حملت حواء اتاها الشيطان ..) [٥] وهذه الاثار يظهر عليها والله اعلم انها من آثار أهل الكتاب.

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ج٥ ، ص٦١ .

(٢) سورة النساء آية ١٠٢

(٣) انظر فضائل القرآن لابن الضريس ص٣٣ ، تحقيق غزوة بدير ، البرهان في علوم القرآن ص١٩٤ ج١ للزركشي ، والاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص١٣ ، ص١٤ - والتفسير الحديث لمحمد عزة دروزة م١ .

(٤) اسباب النزول للواحدي ص٢٢٥ - تفسير الطبري ج٩ ص١٤٧ طبعة دار الفكر ، تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٧٤ عن أحمد بسند : حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن ابراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فإنه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره) ورواه الترمذي وقال حديث حسن غريب - رواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه - والمهم ان الحديث معلول كما قال ابن كثير .

(٥) تفسير ابن كثير ج٢ ص٢٧٥. وفي أعلى الصفحة قال: ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من أمن منهم مثل (كعب او وهب بن منبه) اي كعب الأحبار. فيكون أبيّ بن كعب قد أخذ عن كعب الأحبار او وهب بن منبه والله أعلم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلت : ان هذه الرواية بالاضافة الى انها من الاسرائيليات فقد حدثت قبل نزول الوحي فلا يجوز ان تعد سبب نزول لانه يشترط في سبب النزول التزامن في النزول ووقوع الحدث)

نماذج مختارة من تفسير سعيد بن جبير رضي الله عنه

١. قال تعالى [**ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون**] سورة البقرة ١٨٨.

قال سعيد (ان امرأ القيس بن عابس [١] وعيدان [٢] الحضرمي اختصما في ارض وكان عيدان هو الطالب ولابيّنة له ، فاراد امرؤ القيس ان يحلف فقرأ عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- [**ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا..**] فكره ان يحلف ولم يخاصم في الارض فنزلت هذه الآية [٣].

واقول ان هذه القصة صحيحة السند لورودها عند مسلم ولكنها لا تعد سبب نزول ولا تصلح لذلك لان النص لا يستوعبها فالنص يتعلق بالنهي عن اكل اموال الاخرين بواسطة الرشوة التي تقدم لمن بيدهم مقاليد الامور كالحكام والقضاة ومن يوكل اليهم مهمة الفصل في الخصومات فلم يرد في القصة تقديم رشوة للرسول -صلى الله عليه وسلم- حتى تنطبق على الواقع ولا تعد تفسيرا لها كذلك لانها لا تصلح مثالا عليها ، والقصة يستفاد منها امور في القضاء حيث لا توجد بينة ، وتدل على تحريم أكل اموال الناس بالباطل لانها حديث شريف ، فلا تعد سبب نزول كما لا تعد تفسيرا ولذلك تجد كثيرا من علماء التفسير اعرضوا عنها في تفسير هذه الآية كابن العربي والألوسي والزمخشري والرازي بالاضافة الى الطبري. وقد ذكرها القرطبي دون اسناد وبصيغة التضعيف (قيل) وقد اوردها الامام مسلم بن حجاج في صحيحه ولم يذكر انها سبب نزول . والذي ذكرها سبب نزول هو ابن ابي حاتم كما نقل صاحبا الدر المنثور وفتح القدير [٤].

٢. قال تعالى [**يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء إنّ الله عليم حكيم**] [٥].

---

(١) هو امرؤ القيس بن عابس بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو الكندي من عابس سكن الكوفة وكان ممن ثبت على الاسلام - الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر - القسم الأول ص١١٢ ترجمة ٢٥٠ .

(٢) هو عَيْدان (وليس عبدان كما ورد) بن ذي العُرْف بن وائل بن ذي طواف الحضرمي ويقال الكندي . وخصم امرئ القيس هو ربيعة بن عيدان . شهد فتح مصر وله صحبه وليست له رواية تعلمها . الاصابة لابن حجر القسم الثاني ص٤٧١ ترجمة ٢٦١٩ .

(٣) تفسير سعيد بن جبير - جمع وتحقيق ودراسة د. ابراهيم النجار سنة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م طبعة ستانسل ص٥٩ - ص٦٣ . معالم التنزيل للبغوي م١ ص١٥٩ . ذكر ان الخصم هو ربيعة ابن عيدان . الدر المنثور م١ ص٤٨٩ أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد - هيميان الزاد إلى دار المعاد ج٣ ص٦٣ لمحمد بن يوسف الأباضي ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م - تفسير الخازن م١ ص١٢٨ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي م٢ ص٣٣٧ وقد أوردها بصيغة التمريض (قيل) وبدون اسناد - فتح القدير للشوكاني م١ ص١٨٨ اخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير .

(٤) الدر المنثور للسيوطي م١ ص٤٨٩ طبعة دار الفكر سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م ، وانظر فتح القدير للشوكاني م١ ص١٨٨ طبعة دار المعرفة بيروت .

(٥) سورة التوبة آية ٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(حدثنا ابن بشار قال ، حدثنا مؤمل قال : حدثنا سفيان عن واقد عن سعيد ابن جبير قال : لما نزلت [**يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا**] شق ذلك على اصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقالوا : من يأتينا بطعامنا ومن يأتينا بالمتاع ؟ فنزلت [**وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم**] [1].

هذه الرواية ليست سببا لنزول الآية فهي مصنوعة صناعة حيث جعل اول الاية سببا في نزول آخرها. وكأن الجزء الأول من الآية نزل وبعد ان بُلِّغ الناسُ الاية بذلك وأظهروا ردود فعلهم عليها انزل الله بعد ذلك الجزء المتبقي من الآية . مع ان الثابت ان الآية كاملة او الطائفة من الآيات او السورة كانت تنزل وهذا امر متواتر . واذا ادعي غير هذا فليس بمقبول حتى يرد دليل مثله ولم يرد هذا من جهة .

ومن جهة اخرى فان الآية نزلت هي ومطلع سورة التوبة في نهاية السنة التاسعة للهجرة وقد امضى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ابا بكر على رأس وفد ليؤدوا فريضة الحج فاتبعه بعلي رضي الله عنه ليبلغ الناس هذه الايات في يوم عرفه ، ولم يكن ثمة سبب لنزولها فقد نزلت ابتداء لفرط عرى العهود مع المشركين كافة وامهالهم مدة اربعة شهور ومن كان له عهد محدد فيبقى الى مدته وكان هذا بعد ان عاد رسول الله صلى الله وسلم من غزوة تبوك وبعد ان انهالت الوفود على الرسول -صلى الله عليه وسلم- لتعلن اسلامها من جميع انحاء الجزيرة العربية وبعد اسلام اهل ثقيف والطائف كلها وقد تأمنت حدود الشام المحاذية لاكبر دولة في العالم آنذاك . فكان نزول الايات ابتداء لاعلان ان الجزيرة كلها قد اصبحت فيها دولة واحدة قوية وهي دولة الاسلام بقيادة الرسول -صلى الله عليه وسلم- . فلم يحدث قول من الشيطان للمسلمين [2] ولم يحدث قول من الناس [3] على اختلاف الروايات الاخرى .

وامثال هذه الروايات جاء من قوله تعالى [**وان خفتم عيلة**] ولا ننسى انه لم يقل (واذا خفتم) لان اذا تفيد توقع الحدوث وقربه وان تفيد تقليل الوقوع وبعده فهو خطاب للنفوس البشرية فيما يخطر ببال الضعفاء منهم او بما يحتمل ان يثيره اهل الشرك للضعفاء من المسلمين والمنافقين والدليل على ذلك قوله تعالى [**فسوف يغنيكم الله من فضله**] بصيغة الاستقبال البعيد فلم تحدث خشية من المسلمين على الفقر من منع المشركين من دخول المسجد الحرام وما يدر مشهدهم من منافع تجارية لان المسلمين كانوا في وضع اقتصادي جيد فالغنائم والزكوات واضيف اليها الجزية وقد اخذت قبل نزول هذه الآيات من حاكم ايله ، وحاكم دومة الجندل وغيرهما يشكل كل ذلك مصادر كافية لميزانية الدولة الاسلامية ولاوضاعهم عامة . وعليه فلا سبب نزول لهذه الآية اطلاقا . وهي وما سبقها من اول سورة براءة نزلت ابتداء . والله اعلم .

٣. قال تعالى [**واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى ، قال : اولم تؤمن ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبي . قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم**] سورة البقرة ٢٦٠.

---

(١) تفسير سعيد بن جبير جمع وتحقيق ودراسة د. ابراهيم النجار ص١٦٦ طبعة ستانسل ١٩٧٦ .
تفسير الطبري م٦ ص١٠٧ ج١ - احكام القرآن لابن العربي القسم الثاني ص٩٠٠ .

(٢ ، ٣) انظر تفسير الطبري في تفسير هذه الآية ص١٠٦ - ص١٠٨ م٦ ج٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(قال ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي : لما اتخذ الله ابراهيم خليلاً استأذن ملك الموت ربه أن يأتي ابراهيم فيبشره بذلك فاتاه فقال : جئتك ابشرك بان الله تعالى اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل وقال : ما علامة ذلك ؟ قال : ان يجيب الله دعاءك وتحيي الموتى بسؤالك ثم انطلق وذهب فقال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى ؟ قال اولم تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بعلمي انك تجيبني إذا دعوتكم وتعطيني إذا سألتك وانك اتخذتني خليلا) [1].

وقد ساق الواحدي روايات اخر تفوح بالاسرائيليات التي تزكم الانوف وقد سبقه لمثلها الطبري ولا يخفى ان امثال هذه الروايات لا يعقل ان تكون سبب نزول لهذه الاية لان هذه الخرافات تبحث في شيء قبل نزول القرآن . والرواية تسجيل لما جرى بين الله تعالى وملك الموت وسيدنا ابراهيم وهذا شأن الإسرائيليات ولا ننسى ان الواحدي ساقها دون سند مما يدل على انها من استاذه الثعلبي الذي نقل إلينا الكثير الكثير من طريق السدي ومقاتل والكلبي وغيرهم ممن لا يوثق بنقلهم وعليه فلا يرد ان يكون لهذه الاية سبب نزول وهي إخبار من الله تعالى لما جرى بينه وبين سيدنا ابراهيم عليه السلام ويفضل ان لا نزيد في علمنا عن مدلول الألفاظ ونستغني عما ورد من روايات إسرائيلية تفصل ما لم يثبت حدوثه والله هو الغني الحميد [2].

٤. قال تعالى [**وإني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون**] سورة النمل ٣٥ .

(اخرج ابن المنذر وابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير قال : ارسلت بثمانين من وصيف ووصيفة وحلقت رؤوسهم كلهم وقالت ان عرف الغلمان من الجواري فهو نبي وان لم يعرف الغلمان من الجواري فهو ليس بنبي فدعا بوضوء فقال : توضأوا فجعل الغلام يأخذ من مرفقيه الى كفيه وجعلت الجارية تأخذ من كفها الى مرفقها فقال هؤلاء جوار وهؤلاء غلمان [3].

وهذه الرواية واضح انها تفسير ولايجوز ان تكون سبب نزول لانها تفصيل امر مضى لا يعلمه الا الله وليس في الرواية ما يشير إلى انها سبب نزول فلم توجد قرينة ولا لفظ يدل على انها سبب نزول الاية . وعلى فرض صحة ماورد في الرواية فلا تزامن مع نزول الاية لأن بلقيس ارسلت هديتها لسيدنا سليمان عليه السلام فترد الرواية.

٥. قال تعالى : [**وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون**] سورة الأنعام ٩١.

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا يعقوب القمي عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير قال :

---

(١) تفسير سعيد بن جبير - القسم الثاني ص٤٨ د. ابراهيم النجار رسالة ماجستير ١٩٧٦م . اسباب النزول للواحدي ص٨٠ ، ٨١ روح المعاني للألوسي ج٣ ص٢٦ مختصراً ولم يوردها كسبب نزول . تفسير الطبري ص٤٨٧ ، ص٤٨٨ م٥ الأثر ٥٩٦٨ وقد جاء مفصلاً عن السدي طبعة شاكر .

(٢) صدّر الواحدي هذه الاسرائيليات بقوله : ذكر المفسرون السبب في سؤال ابراهيم ربه أن يريه إحياء الموتى .

(٣) تفسير سعيد بن جبير د. ابراهيم النجار القسم الثاني ص٢٨٢ - الدر المنثور م٦ ص٣٥٨ تفسير ابن كثير م٣ ص٣٦٢ ، ص٣٦٣ بتفصيل أكثر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال النبي عليه الصلاة والسلام انشدك بالذي انزل التوراة على موسى اما تجد في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين ؟ وكان حبرا سمينا فغضب فقال والله ما انزل الله على بشر من شيء فقال له اصحابه الذين معه ويحك !ولا على موسى ؟ فقال : والله ما انزل الله على بشر من شيء فانزل الله الآية [1].

والبصير بأسباب التنزيل يرى ان هذه الرواية وامثالها لا يصلح ان يكون سبب نزول للامور الاتية :

١. ان السورة مكية قطعاً . ورواية مالك بن الصيف كانت في المدينة فلا تزامن بينهما . وبمثل ذلك ترد رواية فنحاص وجماعة من اليهود .

٢. ان السياق القرآني منذ افتتاح السورة حتى ما بعد الاية التي نحن بصددها تخاطب قريشا والرسول -صلى الله عليه وسلم- وتُبيِّن الصراع بينهما فكيف يلصق مثل هذا الامر باليهود لا سيما ان اليهود يعترفون بالانبياء السابقين وعلى الاقل بموسى عليه السلام وبالتوراة وان الذي ينكر وجود انبياء وكتب هم العرب فانكروا نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- وانكرا النبوات كلها لاجل وجود نبي منهم سيحل محلهم في قيادة العرب . فالسياق القراني كلة يلفظ الروايات القائلة انها في اليهود والصواب انها في قريش.

٣. ان الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعث هاديا ومبشرا ولم يبعث مُضلاً ومُنفِّرا فمثل هذه الرواية تُنفِّر الناس منه-صلى الله عليه وسلم- وهي بعكس مَا وصفه القران الكريم [**وانك لعلى خلق عظيم**] [**ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك**]..الخ فهذه الرواية تعارض القطعي فترد دراية .

٤. الروايات التي قيلت انها في اليهود لم تذكر سبب الخصومة او موضوعها وابهام الموضوع يكون عادة من أجل إخفاء الدس الذي يقوم به الوضاعون أو الحاقدون أو الجاهلون ويعد الأثر مقطوعا لأن سنده ينتهي إلى تابعي.

٥. وبتخريج السند وجدت العلة في ابن حميد وهو محمد بن حميد بن حيان التميمي الحافظ ابو عبد الله الرازي قال في الكاشف للذهبي -٤٨٨٣ - د . ت .ق محمد بن حميد الرازي الحافظ ، عن يعقوب القمي وجرير وعنه د.ت.ق. وابن جرير والبغوي وثقة جماعة والاولى تركه . قال يعقوب بن شيبه كثير المناكير وقال خ : فيه نظر وقال س : ليس بثقة مات سنة ٢٤٨ [2] . وقال صاحب كتاب الجرح والتعديل (انا عبد الرحمن قال : سمعت ابي يقول سألني يحيي بن معين عن أبي حميد من قبل ان يظهر منه ما ظهر فقال اي شيء تنقمون عليه فقلت يكون في كتابه الشيء منقول ليس هذا هكذا انما هو كذا وكذا فيأخذ القلم فيغيره على ما نقول ، قال بئس هذه الخصلة قدم علينا بغداد فأخذنا منه كتاب يعقوب القمي ففرقنا الاوراق بيننا ومعنا احمد بن حنبل فسمعناه ولم نرالا خيرا) وذكر روايات عنه انه كان يتعمد الكذب [3].

---

(١) تفسير سعيد بن جبير - د. ابراهيم النجار - القسم الثاني ص١٣١ - الطبري الأثر ١٣٥٣٥ طبعة شاكر - اسباب النزول للواحدي ص٢١٥ - الدر المنثور م٣ ص٣١٤ وقال : أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال .... تفسير الطبري ص٢٦٧ ج٧ م٥ - معالم التنزيل للبغوي م٢ ص١١٤ .

(٢) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للإمام الذهبي م٣ ص٣٢ (خ: البخاري . س: النسائي) .

(٣) الجرح والتعديل لأبن أبي حاتم الرازي ت٣٢٧ . م٧ ص٢٣٢ ، ٢٣٣ ترجمة ١٢٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي كتاب التاريخ الكبير للامام ابي عبد الله اسماعيل البخاري (فيه نظر وسئل ابو عبد الله عن محمد بن حميد الرازي لماذا تُكُلِّمَ فيه ؟ فقال كأنه اكثر على نفسه [1].

وفي تهذيب التهذيب لابن حجر (قال يعقوب بن شيبة محمد بن حميد كثير المناكير وقال البخاري في حديثه نظر . وقال النسائي ليس بثقة وقال الجوزجاني : رديء المذهب غير ثقة قال صالح بن محمد الاسدي كل شيء كان يحدثنا ابن حميد كنّا نتهمه فيه وقال كانت احاديثه تزيد وما رأيت احدا اجرأ على الله منه.

كان يأخذ احاديث الناس فيقلب بعضه على بعض ، وقال أيضا ما رأيت أحدا أحذق بالكذب من رجلين سليمان الشاذكوني ومحمد بن حميد كان يحفظ حديثه كله [2].

وبعد هذا التجريح في راوي الأثر نجد انه ساقط من حيث السند كذلك لان الرجل يكذب ، ويتعمد الكذب ، ويقلب احاديث الناس وحاذق في الكذب وهذا هو الاجدر بمثل هذه الرواية التي تصور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- انه ينفر الناس من الاسلام ويستعديهم عليه وعلى الرسالة تعالى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن ذلك علوا كبيرا ، وعليه فلا سبب صحيح لتنزيل هذه الاية .

نماذج مختارة من تفسير سفيان الثوري رضي الله عنه

١. قال تعالى [**واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان**] سورة البقرة ١٨٦

(سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال لما نزلت [**أن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**] ، قالوا لو علمنا ايّ ساعة هي ؟ قال فنزلت الآية [3].

ان هذه الرواية لا تصلح ان تكون سبب نزول للآية لان الرواية يلاحظ فيها الصناعة فهي مبنية على نزول آية في سورة غافر [4] وهي مكية [5] وبينهما سنوات كثيرة والصناعة في مثل هذه الحالة يراد منها التفسير على قاعدة تفسير القرآن بالقرآن . وقيل في سبب نزول هذه الآية روايات اخر فقيل نزلت في عمر بن الخطاب عندما واقع اهله بعد العشاء في رمضان قبل ان يرخص لهم ذلك وقيل غير ذلك وهذا كله تفسير وليس سبب تنزيل والله أعلم .

---

(١) التاريخ الكبير للامام البخاري ت٢٥٦ م١ ص٦٩ ترجمة ١٦٧ .

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ص١١١ - ١١٣ م٩ - ترجمة ١٨١ روى له ابو داود والترمذي وابن ماجه .

(٣) تفسير سفيان الثوري رواية أبي جعفر محمد عن أبي حذيفة الهندي عنه - دار الكتب العلمية بيروت عن نسخة مكتبة رضا بالهند - ص٥٧ ط١ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م - تفسير الطبري ج٢ ص١٥٨ ، الدر المنثور ، م١ ص٤٦٩ - أخرج سفيان في تفسيره - تفسير ابن كثير ج١ ص٢١٨ رواية ابن جريج عن عطاء ولم يذكر سفيان . وذكر القرطبي الرواية عن عطاء ولم يذكر سفيان في سنده .

(٤) سورة غافر الآية ٦٠.

(٥) انظر فضائل القرآن لابن الضريس ص٣٣ ، تحقيق غزوة بدير ، والبرهان في علوم القرآن ج١ ص١٩٤ للزركشي - الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص١٣ ، ص١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. [هذان خصمان اختصموا في ربهم]

سفيان عن ابي هاشم عن ابي مجلز عن قيس بن عباد قال سمعت أبا ذر يقسم بالله لنزلت هذه الاية في ستة من قريش حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة هذان خاصمان [١] . [اختصموا] في ربهم إلى اخر الآية [٢] . سورة الحج اية ١٩.

فالرواية صحيحة كما نرى حيث رواها البخاري عن أبي ذر وعن علي بن أبي طالب ورواية أبي ذر يقسم فيها انها نزلت في ثلاثة من المسلمين حمزة وعلي وعبيدة وقد بارزوا ثلاثة من المشركين عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة في غزوة بدر الكبرى واقول ان هذه الرواية لا يصح ان يقال عنها انها سبب نزول اية الحج لان الرواية في واقعة بدر في السنة الثانية للهجرة ، وسورة الحج نزلت بعد سورة النور اي بعد الحدث بثلاث سنوات تقريبا . وقسم ابي ذر صادق لا شيء عليه اذا حمل على التفسير وهذا هو الامر الطبيعي في عادة الصحابة انهم يقولون نزلت الاية في كذا وهم يريدون انها تأخذ حكم الاية كما قال ابن تيمية والزركشي فيما اسلفنا -. والذي يزيدنا يقينا فيما ذهبنا اليه هو ان بعض المفسرين ذكروا أسبابا اخرى لنزول الآية وهم يقصدون كذلك تفسيراً للاية.

فالرازي في التفسير الكبير ذكر اربعة اقوال:

١. طائفة من المؤمنين وطائفة من الكفار
٢. اهل الكتاب والمؤمنون من آمن بالله تعالى
٣. في النفر الستة في معركة بدر وقال علي أنا اول من يجثو للخصومة
٤. الجنة والنار قاله عكرمه

وَرَجَّح الرازي القول الأول [٣]

القرطبي وابن كثير

١. مثل المؤمن والكافر اختصما في البعث - ابن ابي نجيح عن مجاهد
٢. هم المؤمنون والكافرون - مجاهد وعطاء
٣. الجنة والنار - قاله عكرمه [٤]

واما الطبري فجعلها اربعة

١. فريق اهل الايمان والاخر عبدة الاوثان من مشركي قريش الذين بارزوا يوم بدر .
٢. فريق اهل الايمان والاخر اهل الكتاب عن ابن عباس
٣. فريق اهل الايمان والاخر الكفار كلهم عن الحسين ومجاهد
٤. الجنة والنار عن عكرمه [٥]

---

(١) هكذا بالأصل - ولعله سهو الكاتب اللهم إلاّ أن تكون هذه قراءة شاذة من هامش الكتاب والصواب خصمان. والله اعلم.

(٢) تفسير سفيان الثوري رواية أبي جعفر محمد عن أبي حذيفة الهندي عنه . ص٢٠٩ ، والرواية في صحيح البخاري كتاب المغازي رقم ٣٩٦٦ ، وأطرافه في ٣٩٦٨ ، ٣٩٦٩ ، ٤٧٤٣ . ووردت عن علي بن أبي طالب برقم ٣٩٦٥ وطرفاه ٣٩٦٧ ، ٤٧٤٤ والأثر مشهور في كتب الحديث ومسلم ختم كتابه بهذا الحديث ج١٨ بشرح النووي ص١٦٧ . وفي كتب التفسير عند الطبري ، والقرطبي وابن كثير والخازن والشوكاني والطبرسي وغيرها .

(٣) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٣ ص٢١ ، ٢٢ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير م٣ ص٢١٢ وانظر القرطبي م١٢ ص٢٥ - ٢٦ .

(٥) انظر تفسير الطبري م١٠ ج١٧ ص١٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورجع القول الثالث جميع الكفار وجميع المؤمنين وذهب الخازن الى ما ذهب اليه الطبري وقال القول الاخير ضعيف والثلاثة الاولى اولى بالصحة لان حمل الكلام على ظاهرة اولى [١] .

واما الطبرسي فقد ذكر ثلاثة اقوال:

١. نفر من المؤمنين ومثلهم من الكافرين في بدر عن ابي ذر
٢. اهل القرآن واهل الكتاب عن ابن عباس
٣. المؤمنون والكافرون عن الحسن ومجاهد والكلبي [٢]

ومن الجدير بالذكر ان جميع هؤلاء المفسرين يقرون بصحة رواية ابي ذر التي رواها سفيان الثوري وهي من حيث السند اقوى من الأقوال الأخرى ويرون ان أسباب النزول لا مجال للاجتهاد فيها فهي بمنزلة المرفوع إذا قال بها الصحابي وهنا الصحابي يقسم بذلك ، وعليٌ يقول انه اول من يخاصم يوم القيامة ومع ذلك تجدهم يعدلون بهذا القول اقوالاً اخرى منها ما هو ضعيف جدا وهو القول بان الخصمين هما الجنة والنار فما السر في ذلك يا ترى ؟ والجواب على ذلك انهم يرون ذلك تفسيراً ولا يعدونه سبب نزول فلو كان كذلك لما جار أحد منهم عنه والله أعلم .

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام ان لفظ ابي ذر قد يفهم منه انه سبب نزول وهو تأكيد يقسم انها نزلت في ...وهذا مما يدلل على ان معرفة أسباب النزول كانت تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا وليس بالألفاظ . والألفاظ مظنة كونها سبب نزول ليس غير والله أعلم .

٣. قال تعالى [**اما من استغنى فانت له تصدى**] الايات ٥ . ٦ سورة عبس

قال الثوري (نزلت في العباس عم النبي -صلى الله عليه وسلم- [٣] .

روى الطبري عن مجاهد انه عتبه وشيبة ابنا ربيعة [٤] وذكر ابن كثير وابن أبي حاتم انه كان يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب [٥] . ونقل ابن العربي انه (الوليد بن المغيرة) [٦] وقد جمع صاحب الكشاف جميع من سبق ذكرهم [٧] وتبعه الالوسي [٨].

وقال الشوكاني (وقد اجمع المفسرون على ان سبب نزول الاية : ان قوما من اشراف قريش كانوا عند النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد طمع في اسلامهم فاقبل عبد الله ابن ام مكتوم فكره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ان يقطع عليه ابن ام مكتوم كلامه فاعرض عنه فنزلت) [٩] وبعد :

---

(١) انظر تفسير الخازن ج٣ ص٣٠٣ .

(٢) مجمع البيان للطبرسي م٧ ص١٢٤ .

(٣) سفيان الثوري وأثره في التفسير -هاشم عبد ياسين المشهداني -رسالة ماجستير مطبوعة- دار الكتاب للطباعة- بغداد ط١ سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٣٠٩- تفسير الطبري ص٥٢ ج٣٠ م١٥

(٤) ص٥٣ ج٣٠ م١٥ تفسير الطبري .

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير م٤ ص٤٧٠ .

(٦) احكام القرآن لابن العربي م٤ ص١٨٩٣ وقال خرّجه الترمذي مسنداً .

(٧) الكشاف للزمخشري م٤ ص١٨١

(٨) روح المعاني للألوسي ج٣٠ ص٣٩ - وانظر الطبرسي في مجمع البيان ج١٠ ص٦٦٣ - وانظر معالم التنزيل للبغوي م٤ ص٤٤٦ .

(٩) فتح القدير للشوكاني م٥ ص٣٨٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقول سفيان الثوري انها نزلت في العباس قول ليس دقيقا بدليل اختلاف الاسماء التي ذُكرتْ كما اسلفنا ، والروايات منها ما يقول : عنده رجل من عظماء المشركين فتبارَى المفسرون في ذكر اسم واحد . ومنهم من يقول جماعة من صناديد قريش فانبرى غيرهم ليعدد اشخاصا كانوا من الجاه والنفوذ والقدرة المالية بمكان ولكننا نستطيع الجزم ان سبب نزول الاية كان في الاعمى عبد الله بن ام مكتوم [1] وان الذي عبس هو الرسول -صلى الله عليه وسلم- .

وقد تعقبت المسألة فيما يربو على خمسة وعشرين تفسيرا فلم اجد اختلافا في ذلك .

وقد قال الفخر الرازي (اجمع المفسرون على ان الذي عبس وتولى هو الرسول-صلى الله عليه وسلم- واجمعوا على ان الاعمى هو ابن ام مكتوم) [2] وسبب النزول هذا لاخلاف عليه عند الصحابة والتابعين والمفسرين لانه حقا سبب نزول وليس تفسيراً للاية ، وعرف ذلك من النقل الذي يكاد يكون متواتراً ولكن من القوم الذين كانوا عند الرسول-صلى الله عليه وسلم- فلم ينقل لنا بمثل مانقل عن ابن ام مكتوم ولذلك تجد المفسرين مختلفين في النقل حتى انك تجد ابن العربي يقول انها لم تنزل في الوليد بن المغيرة واميه بن خلف لانهما لم يريا ولم يجتمعا مع ابن ام مكتوم فهو مدني .[3] وقد نقل ذلك كذلك القرطبي في تفسيره ، والواقع انه وهم من ابن العربي ، فعبد الله ابن ام مكتوم أسلم بمكة وكان من اوائل المهاجرين إلى المدينة وقد ارسله الرسول-صلى الله عليه وسلم- ليعلم الأنصار القران مع مصعب بن عمير [4] وعليه فالقرائن والأحوال تدل على ان الاعمى في الآية هو ابن ام مكتوم ، وان الآية نزلت بسببه وتوافق وجود الرجل في مكة مع نزول الاية ، وهو ابن خال خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، واما ذكر أسماء من كان عند الرسول ، فلا نستطيع ان نذكر اسماً واحداً على سبيل انه سبب نزول ، ولكن يمكن على سبيل التفسير ، وهو جائز، لانه ينطبق على جميع عليه القوم ومنهم عمه العباس لان الرسول-صلى الله عليه وسلم- كان يحرص على هداهم لتقوية الدعوة بهم ، ولأن بإسلامهم يدخل الكثيرون في الاسلام وهي مهمة الرسول -صلى الله عليه وسلم- .

وهكذا تجد عادة التابعين في التفسير وأسباب التنزيل تذكر بنفس التعبير ولذلك لا تدل الألفاظ على سبب النزول والذي يدل هو القرائن والأحوال بما ينقل الينا. والله اعلم .

٤. قال تعالى : [**ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين**] نهاية اية ١٤١ من سورة الأنعام

---

(١) قال ابن سعد اهل المدينة يقولون عبد الله وأهل العراق يقولون اسمه عمرو ، وذكر البخاري عن ابن اسحق انه : عبد الله بن شريح بن قيس بن زائدة بن الأصم من بني عامر بن لؤي . انظر الإصابة ترجمة ٤٦٨١ وانظر ترجمته في ٤٥٤٣ - ٤٨٤٨ - ٤٦٨١ - ٥٧٦٨ . واسم امه عاتكة بنت عبد الله بن عنكثه المخزومية . وقد عينه الرسول صلى الله عليه وسلم أميراً على المدينة عدة مرات اثناء الغزو ، وكان يلقاه ويقول له (مرحباً بمن عاتبني فيه ربي) .

(٢) الفخر الرازي - التفسير الكبير ج٣٢ ص٥٥ المسألة الثالثة .

(٣) احكام القرآن لابن العربي م٤ ص١٨٩٣ ، ١٨٩٤ .

(٤) انظر طبقات ابن سعد م١ ص٢٣٤ في الهجرة من مكة إلى المدينة قال البراء (أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن ام مكتوم فجعلا يُقرئان الناس القرآن) وانظر م٣ ص١١٧ . وانظر الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر القسم الرابع ص٦٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(سفيان قال : لما نزلت [**وآتوا حقه يوم حصاده**] جعل ثابت بن قيس بن شماس يعطي . لا يجد احدا الا اعطاه فنزلت [**ولا تسرفوا** ..] ابق لعيالك [١].

وهذه الرواية لا يرد ان تكون سبب نزول الآية ، وهيئة الصناعة عليها ظاهرة فسورة الانعام مكية بالاجماع ، وثابت بن قيس لم يكن قد اسلم بعد فهو أنصاري من الخزرج ، وقد اخى الرسول-صلى الله عليه وسلم- بينه وبين عامر بن ابي بكير [٢] فكيف يقال عنه ذلك كسبب نزول . ومن جهة اخرى فان آية الأنعام هي [**وهو الذي انشأ جناتٍ معروشاتٍ وغير معروشات والنخلَ والزرعَ مختلفا أكلُهُ والزيتونَ والرمانَ متشابها وغيرَ متشابه كلوا من ثمرهِ اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين**] [٣]

فالرواية تصور لنا نزول جزء من اية [**واتوا حقه يوم حصاده**] وقد قام ثابت ابن قيس بالتوزيع لامواله ، حتى لم يبق منها شيء ، وبعد ذلك نزل قوله تعالى [**ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين**] ففي ذلك تظهر اثار الصنعة وهو تركيب جزء من آية ليكون سببا في نزول جزء اخر.

ويحل هذا الاشكال بالقول انها رواية تفسيرية وليست سبب نزول.

ومن زاوية ثالثة ان كلمة الاسراف في القران لا تعني الا الانفاق في الحرام . فلو انفق انسان ما له كله في سبيل الله فلا يكون مسرفا ولا يكون من الذين لا يحبهم الله تعالى . ولو استعرضنا آيات القران التي فيها النهي عن الاسراف فاننا نجدها في الانفاق في المحرمات فقط ولو كان الانفاق يسيرا . وهكذا فان هذه الرواية لا تعد من قبيل أسباب التنزيل.

٥. قال تعالى [**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد**] [٤].

(قال سفيان : نزلت في صهيب اشترى نفسه من المشركين واهله وولده وماله على ان يدعوه ودينه [٥].

وهذه الرواية قول ابن عباس ، وانس، وسعيد بن المسيب ، وعكرمة ، وجماعة. والعالم بالسيرة يدرك ان صهيبا عندما افتدى نفسه بالمال ليتركه الكفار، يفر بدينه عند الهجرة ، لم تكن سورة البقرة قد نزلت بعد فلا توافق زمني بينهما وعليه فلا تعد سبب تنزيل. وأمرٌ آخر فإن الأقوال بذلك كثيرة منها انها نزلت في أبي ذر الغفاري وصهيب [٣]. ومنها انها نزلت في المهاجرين والأنصار ، [٤] ومنها كل شارٍ نفسَه

---

(١) تفسير سفيان الثوري ص١١٠ .

(٢) طبقات ابن سعد م٣ ص٣٩٠ .

(٣) سورة الانعام آية ١٤١ .

(٤) سورة البقرة آية ٢٠٧ .

(٥) تفسير سفيان الثوري ص٦٦ - تفسير الطبري الاثر ٤٠٠١ طبعة شاكر م٤ ص٢٤٨ . طبقات ابن سعد م١ ص١٦٣ - الدر المنثور م١ ص٢٢٩ - القرطبي م٣ ص٢٠ ، وغيرها .

(٣) تفسير الطبري الاثر ٤٠٠١ م٤ ص٢٤٨ طبعة شاكر .

(٤) تفسير الطبري الاثر ٤٠٠٠ م٤ ص٢٤٧ طبعة شاكر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في طاعة الله وجهاد في سبيله .[1] ومنها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر [2] وهو الذي رجحه ابن جرير الطبري فالتعدد هذا يشمله التفسير ولا يرد ان يكون سبب تنزيل لانه لو كان كذلك لما وجدت مثل هذا الاختلاف في الاشخاص والمواضيع. والله اعلم.

وهكذا نجد ان أسباب التنزيل عند التابعين ، لم تختلف معرفتها وتمييزها ونقلها عما كان عند الصحابة رضوان الله عليهم فيذكرون الرواية ويقصدون منها انها تفسير. وروايات أسباب التنزيل قليلة تحتاج معرفتها إلى غوص وبحث حتى تفرز عن روايات التفسير ويكون ما عرف واعتاد عليه الصحابة في التعبير هو نفسه عند التابعين فانهم قد يقولون نزلت الاية في كذا ويريدون بذلك التفسير وان الحادثة تنطبق عليها الآية . ولم يعولوا كثيرا على الالفاظ وانما كان التعويل في الادراك على القرائن التي تحيط بالقضية.

معنى سبب التنزيل عند المفسرين

لقد درج المفسرون على نقل الروايات التي وصلتهم باسم التأويل تارة ، وطوراً تحت سبب النزول باستعمال فاء السببية مع لفظ مشتقات نزل ، ولكنهم قاموا بترجيح رأي على آخر ، أو رواية على أخرى ، وربما قاموا بنقد بعض الروايات ، ونقد بعضهم بعضاً فيما توصلوا إليه من علم في الروايات المنقولة ، ومن هذا النقد تتكون عند المُطّلع حصيلةٌ يمكن أن توظف في فرز روايات التفسير عن روايات أسباب التنزيل ، وإقصاء ما لا يصلح منها للتفسير ولا لأسباب التنزيل . ونقد الروايات تجده سار في اتجاهين : الأول نقد السند . وهذا غالباً ما يكون عند جهابذة علم الحديث من الذين برزوا في علم التفسير ، والثاني نقد المتن وتجده عند القادرين على الاجتهاد في علم التفسير والحديث معاً . ويعد موضوع نقد الروايات باتجاهين نادر الوجود عند المفسرين . وقد ترى العجب العجاب في هذا الموضوع حتى من أساطين علم الحديث فمثلاً ابن حجر العسقلاني يعد عملاقاً في الجرح والتعديل وفي نقد السند والمتن وكتبه كافية لأن تكون دليلاً على ذلك – ومع ذلك تجده ينقل خرافة يونانية بأن كوكب الزهرة الذي في السماء كان أمرأة جميلة وقد مسخها الله تعالى كوكباً وهذه الحكاية جعلها سبب تنزيل قوله تعالى [**واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببال هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة ..**] الى آخر الآية [3] . وأخذ ينافح عن هذا الرأي [4] ورد على أقرانه من العلماء . مع أنه بأدنى تأمل يدل على ان مثل هذه الخرافة لم تتزامن مع نزول الآية فلا يجوز أن تعد سبباً لنزول الآية . ويكفي هذا في ردها .

---

(١) تفسير الطبري الاثر ٤٠٠٣ ، ٤٠٠٤ ، ٤٠٠٥ ، ٤٠٠٦ م٤ ص٢٤٩ طبعة شاكر .

(٢) تفسير الطبري الاثر ٤٠٠٧ وقد روي عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن عباس . ص٢٥٠ م٤ .

(٣) سورة البقرة آية ١٠٢

(٤) انظر مخطوط العجاب في الأسباب لابن حجر ص٢٥ وما بعدها ، وقد سبق أن ذكرنا هذه الرواية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن النقد الخاطيء لرد رواية في سبب نزول ما قاله ابن العربي (وأما قول علمائنا : إنه الوليد بن المغيرة . وقال آخرون : إنه أمية بن خلف ، فهذا كله باطل وجهلٌ من المفسرين الذين لم يتحققوا الدين ؛ وذلك أن أمية والوليد كانا بمكة ، وابن أم مكتوم كان بالمدينة ، ما حضر معهما ولا حضرا معه ، وكان موتهما كافرين أحدهما قبل الهجرة والآخر في بَدْر ، ولم يقصد قط أميّة المدينة ، ولا حضر عنده مفرداً ولا مع أحد) [1] . وكان هذا النقد في معرض ذكر سبب نزول مطلع سورة عبس ، مع ان ابن ام كتوم قرشي ، اسلم في مكة ، وهو ابن خال ام المؤمنين خديجة بنت خويلد ، وقد هاجر قبل الرسول -صلى الله عليه وسلم- الى المدينة مع مصعب بن عمير ليعلم الأنصار القرآن [2]

وإليك أمثلة من نقد المفسرين لروايات أسباب التنزيل :

١- قال تعالى [**وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون**] [3] .

قال السيوطي : (أخرج الواحدي والثعلبي من طريق محمد بن مروان والسدّي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبيّ وأصحابه ، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فقال عبد الله بن أبي : انظروا كيف أردّ عنكم هؤلاء السفهاء ، فذهب فأخذ بيد أبي بكر ، فقال مرحباً بالصديق سيّد بني تميم ، وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ، ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحباً بسيّد بني عدي بن كعب الفاروق القويّ في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ، ثم أخذ بيد عليّ ، فقال : مرحباً بابن عمّ رسول الله ، وختنة سيّد بني هاشم ما خلا رسول الله ، ثم افترقوا فقال عبد الله لأصحابه كيف رأيتموني فعلت ؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت فأثنوا عليه خيراً ، فرجع المسلمون إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وأخبروه بذلك فنزلت هذه الآية) [4]

وقد قام السيوطي بنقد سند هذه الرواية فقال : (هذا الإسناد واهٍ جداً فإن السدّي الصغير كذاب وكذا الكلبي وأبو صالح ضعيف) [5] . والغريب ان السيوطي لم ينقد هذه الرواية في الدر المنثور . وقام ابن حجر في مخطوطه العجاب في الأسباب بنقد هذه الرواية فقال (قلت : الكلبي والراوي عنه تقدم وصف حالهما ، وآثار الوضع لائحة على هذا الكلام وسورة البقرة نزلت في أوائل ما قدم [6] رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المدينة كما ذكره ابن اسحق وغيره . وعليّ انما تزوج

(١) أحكام القرآن لابن العربي م٤ ص١٨٩٣ ، ص١٨٩٤ .

(٢) انظر الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر القسم الرابع ص٦٠١ وانظر طبقات ابن سعد م١ ص٢٣٤ ، م٣ ص١١٧ .

(٣) سورة البقرة آية ١٤ .

(٤) لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي ص٧ ، اسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٠ - الدرالمنثور م١ ص٧٨ .

(٥) لباب النقول ص٢ وانظر الكافي الشافي في تخريج احاديث الكشاف لابن حجر في نهاية تفسير الكشاف ص٥ قال : ومحمد بن مروان متروك متهم بوضع الحديث وسياقه في غاية النكارة .

(٦) هكذا وردت ولعلّ الصواب مَقْدَم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاطمة رضي الله عنها في السنة الثانية من الهجرة) [1] . فيكون النقد هنا للسند والمتن معاً .

٢- قال تعالى [**وما كان الله ليُضيعَ إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم**] [2]

قال ابن عاشور (روى البخاري عن البراء بن عازب قال : " كان مات على القبلة قبل أن تحوّل رجال قُتِلوا لم نَدْرِ ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى الآية) وفي قوله " **قُتلوا** إشكال " لأنه لم يكن قتال قبل تحويل القبلة) [3] .

٣- قال تعالى : [**فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا مَنْ أضلَّ اللهُ ومن يضلل فلن تجد له سبيلاً**] [4] .

قال أبو جعفر الطبري (وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال : نزلت هذه الآية في اختلاف أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في قوم كانوا ارتدّوا عن الإسلام بعد إسلامهم من أهل مكة ، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن اختلاف أهل ذلك إنما هو على قولين : التأويل في أحدهما أنهم قوم كانوا أهل مكة على ما قد ذكرنا الرواية عنهم ، والآخر أنهم قوم كانوا من أهل المدينة ، وفي قول الله تعالى ذكره [**فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا**] أوضح الدليل على أنهم كانوا من غير أهل المدينة ، لأن الهجرة كانت على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى داره ومدينته من سائر أرض الكفر، فأما من كان بالمدينة في دار الهجرة مقيماً من المنافقين وأهل الشرك ، فلم يكن عليه فرض هجرة ، لأنه في دار الهجرة كان وطنه ومقامه) [5]. فالطبري اعتمد في ترجيح روايته على بقية الروايات في سبب التنزيل على نص السياق القرآني . والجزء الذي استشهد به هو في الآية التالية مباشرة للآية التي نحن بصددها . وحذا حذوه أبو حيان صاحب البحر المحيط فقال: (وما كان من هذه الأقوال يتضمن أنهم كانوا بالمدينة يرده قوله تعالى [**حتى يهاجروا في سبيل الله**] إلاّ ان حملت المهاجرة على هجرة ما نهى الله عنه [6]. وسار على دربهما من المعاصرين محمد السيّد طنطاوي وسيد قطب. قال الشهيد في ظلال القرآن بعد أن ساق أهم روايتين مما أورد في شأن المنافقين: الأولى: منافقي أحد. والثانية: من أسلم بمكة ، وظاهر المشركين فخرجوا من مكة لحاجة لهم . قال : (ومع أن الرواية الأولى أوثق من ناحية السند ، والاخراج ، إلاّ أننا نرجح مضمون الرواية الثانية ، بالإستناد إلى الواقع التاريجي ، فالثابت أن منافقي المدينة لم يرد أمر بقتالهم، ولم يقاتلهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- أو يقتلهم . إنما كانت هناك خطة أخرى مقررة في التعامل معهم. هي خطة الإغضاء عنهم ، وترك المجتمع نفسه ينبذهم، وتقطيع الأسناد من حولهم بطرد اليهود - وهم الذين يغرونهم ويملون عليهم - من المدينة أولاً. ثم من الجزيرة

---

(١) مخطوط العجاب في الأسباب لابن حجر الورقة ١٩أ .

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣ .

(٣) تفسير التحرير والتنوير - محمد الطاهر بن عاشور ص٢٤ ج٢ الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م

(٤) سورة النساء آية ٨٨ .

(٥) تفسير الطبري ج٥ ص١٩٥ م٤ .

(٦) انظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي م٣ ص٣١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربية كلها أخيراً . أما هنا فنحن نجد أمراً جازماً بأخذهم أسرى ، وقتلهم حيث وجدوا : مما يقطع بأنهم مجموعة غير مجموعة المنافقين في المدينة .. وقد يقال : إن الأمر بأخذهم أسرى وقتلهم مشروط بقوله تعالى [**فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فإن تولّوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم**] .. فهو تهديد ليقلعوا عماهم فيه .. وقد يكونون أقلعوا فلم ينفذ الرسول -صلى الله عليه وسلم- هذا الأمر فيهم .. ولكن كلمة [**يهاجروا**] تقطع في هذه الفترة - بأنهم ليسوا من أهل المدينة . وأن المقصود هو أن يهاجروا إلى المدينة ، فقد كان هذا قبل الفتح . ومعنى الهجرة - قبل الفتح - كان محدداً بأنه الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ، والإنضمام للجماعة المسلمة ، والخضوع لنظامها . وإلاّ فهو الكفر أو النفاق .. وسيجيء في سياق السورة في الدرس التالي - تنديد شديد بموقف الذين بَقَوْا - بغير عذر من الضعف - من المسلمين في مكة ، دار الكفر والحرب بالنسبة لهم - ولو كانوا من أهلها ومواطنين فيها ! - وكل هذا يؤيد ترجيح الرواية الثانية . وان هؤلاء المنافقين كانوا جماعة من مكة - أو ممن حولها - يقولون كلمة الإسلام بأفواههم ، ويظاهرون عدو المسلمين بأعمالهم) [1] . أما البغوي في معالم التنزيل : فذكر الروايات ولم يرجح ولم يعقب عليها بشيء [2] . وأما ابن العربي فبعد أن ذكر خمسة أقوال ذكر اختيار الطبري وترجيحه وعقب عليه قائلاً : (والصحيح ما رواه زيد [3] وقوله [**حتى يهاجروا في سبيل الله**] ، يعني حتى يهجروا الأهل والولد والمال ، ويجاهدوا في سبيل الله) [4] .

وجاء الفخر الرازي وذكر ستة أقوال نقل تعليق غيره على القول الثالث وهو : الذين تخلفوا يوم أحد فقال : ومنهم من طعن في هذا الوجه وقال : في نسق الآية ما يقدح فيه ، وإنهم من أهل مكة ، وهو قوله تعالى [فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله) [5] .

وطـرق نفس السبيـل الحسن النيسابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان) [6] .

---

(١) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب م٢ ص٤٧٧ ط٥ ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م دار إحياء التراث العربي . وانظر التفسير الوسيط لمحمد سيّد الطنطاوي م٣ ص٣٢٦ ط سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م مطبعة السعادة ، ويبدو أنه أخذ نقده عن سيّد قطب لأنه أسبق منه في التفسير. والله اعلم .

(٢) انظر معالم التنزيل للبغوي م١ ص٤٥٩ وكذلك الزمخشري في الكشاف م١ ص٢٨٧ ، والطبرسي في مجمع البيان ج٣ ص١٣٢ ،والخازن في تفسيره م١ ص٤١٠ ، ومحمد بن يوسف اطفيّش الوهبي الأباضي في كتابه هيميان الزاد إلى دار المعاد ج٥ ص٧٩ - ٨١ طبعة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ طبعة سلطنة عمان .

(٣) أي في الطائفة من المنافقين التي رجعت يوم أحد ، وقال هو اختيار البخاري والترمذي .

(٤) احكام القرآن لابن العربي م١ ص٤٦٩ .

(٥) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج١ ص٢١٨ طبعة طهران .

(٦) ج٤ ص١٠٥ طبعة مصطفى البابي الحلبي تحقيق ومراجعة ابراهيم عطوة عوض .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما القرطبي : فبعد أن ذكر الروايات قال : (قلت : وهذان القولان [1] يَعْضُدهما سياق آخر الآية من قوله تعالى [**حتى يهاجروا**] . والأول [2] أصح نقلاً ، وهو اختيار البخاري ومسلم والترمذي) [3] .

وأما ابن كثير فقد ذكر رواية رجوع عبد الله بن أبيّ بثلث الجيش في أحد وخرّج الرواية أنها في الصحيحين وذكر بقية الروايات دون تعليق على صحة سندها وختمها بالقول أنها في شأن عبد الله بن أبي حين استعذر منه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على المنبر في قضية الإفك وقال (وهذا غريب) [4] .

وجاء السيوطي لينقل لنا اثني عشر رواية في الدر المنثور ، دون ترجيح وعلّق على سند ما أخرجه أحمد عن عبد الرحمن بن عوف ومفاده أن قوماً من العرب أتوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالمدينة فأسلموا وأصابهم وباء المدينة فخرجوا منها .. فقال : (وأخرج أحمد بسند منقطع) [5] ، وفي لباب النقول ذكر ثلاث روايات الأولى رواها الشيخان وهي كقول عبد الله بن أبي ومن معه في غزوة أحد . والثانية لم يعقب عليها والثالثة نفس رواية الدر وقال (في سنده تدليس وانقطاع) [6] .

وأما الشوكاني فقد نهج نهجاً مختلفاً عن الآخرين في ذكر سبب التنزيل فقال في مقدمة تفسير الآية (وسبب نزول الآية ما سيأتي وبه يتضح المعنى) [7] ثم شرع في التفسير وبعد صفحتين ساق رواية الصحيحين عن زيد بن ثابت وقال : (هذا أصح ما ورد في سبب نزول الآية ، وقد رويت أسباب غير ذلك) [8] .

أما علاّمة الرافدين محمود شكري الالوسي فبعد ان ساق رواية الصحيحين قال (ويُشْكِلُ على هذا ما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى من جعل هجرتهم غاية للنهي عن توليتهم إلاّ أن يصرف عن الظاهر كما ستعلمه) [9] . والذي يقصده وهو قوله تعالى [**فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله**] وهي الآية التي تليها مباشرة . وبعد أن بيّن استعمالات الهجرة قال في الاستعمال الثالث : الخروج للقتال وعليه حمل الهجرة من قال إن الآية نزلت فيمن رجع يوم أحد على ما حكاه خبر الشيخين وجزم به الخازن) [10] .

---

(١) الأول ما نقل عن ابن عباس انهم قوم بمكة آمنوا وتركوا الهجرة ، وقالوا : إن ظهر محمد فقد عرفنا ، وإن ظهر قومنا فهو أحب إلينا ، والثاني .. سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه أنهم قوم جاءوا إلى المدينة وأظهروا الإسلام فأصابهم وباء فخرجوا منها فلقيهم المسلمون ، فأخبروهم بحالهم حتى جاءوا المدينة يزعمون أنهم مهاجرون ثم ارتدوا بعد ذلك فاستأذنوا الرسول إلى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها .

(٢) من رجع يوم أحد من المنافقين .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي م٥ ص٣٠٧ .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير م١ ص٥٢٣ .

(٥) الدر المنثور ج٢ ص٦١٠ .

(٦) لباب النقول ص٧١ .

(٧) فتح القدير للشوكاني ص٤٩٥ م١ .

(٨) فتح القدير للشوكاني م١ ص٤٩٧ .

(٩) روح المعاني لمحمود شكري الألوسي ص١٠٧ ج٥ .

(١٠) روح المعاني للألوسي ج٥ ص١٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال في رواية العرنيين الذين أغاروا على السرح وأخذوا يساراً ، راعي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومثلوا به قال : (ويرده كما قال شيخ الاسلام ما سيأتي إن شاء الله تعالى من الآيات الناطقة بكيفية المعاملة معهم من السلم والحرب وهؤلاء قد أخذوا ، وفعل بهم ما فعل من المثلة والقتل ولم ينقل في أمرهم اختلاف المسلمين) [1] . فعمله في اختيار الرواية الصحيحة هو السياق القرآني للآيات ، وبمدى انطباق النص على الرواية .

وقد سلك محمد الطاهر بن عاشور مسلكاً توفيقياً بين الروايات الكثيرة التي ذكرها فقال :

(وأحسب أن هؤلاء الفرق كلهم كانوا معروفين وقت نزول الآية ، فكانوا مثلاً لعمومها وهي عامة فيهم وفي غيرهم من كلّ من عرف بالنفاق يومئذ من أهل المدينة ومن أهل مكة . والظاهر أن الآية نزلت بعد أن فات وقت قتالهم ، لقصد عدم التعرض لهم وقت خروجهم ، استدراجاً لهم إلى يوم فتح مكة) [2] .

وأختتم هذه الجولة مع المفسرين في نقد روايات أسباب التنزيل بما قاله صاحب تفسير المنار في هذه الروايات فقال : ورد في أسباب نزولها روايات متعارضة (وذكرها) ثم قال : (*ومن المعهود أنهم يجمعون بين الروايات في مثل هذا بتعدد الوقائع ونزول الآية عقبها ، ولا يمنعهم من هذا أن يكون بين الوقائع تراخ وزمن طويل ، وأقرب من ذلك أن يحملها كل على واقعة يرى أنها تنطبق عليها من باب التفسير لا التاريخ . ولكن من الروايات ما يكون نصاً أو ظاهراً في التاريخ وتعيين الواقعة ، إلاّ أن تكون الرواية منقولة بالمعنى كما هو الغالب وحينئذ تكون الرواية في سبب التنزيل ليست أكثر من فهم للمروي عنه في الآية. ورأي في تفسيرها يخطيء الراوي فيه ويصيب . ولا يلزم أحداً أن يتبعه فيه ، بل لمن ظهر له خطؤه أن يرده عليه ، ولا سيما إذا كان ما يتبادر من معنى الآيات يأباه ، وقد رأيت أن بعضهم رد رواية الصحيحين في جعل المراد بالمنافقين هنا فئة عبد الله بن أبيّ بن سلول الذين رجعوا عن القتال في أحد واستدلوا بما رأيت من ذكر المهاجرة في الآية الثانية . ويمكن تأويل هذا اللفظ بما تراه . وأقوى منه في رد هذه الرواية وما دونها في قوة السند من سائر الروايات أي التي جعلت الآية في منافقي المدينة) أن الأحكام التي ذكرت في هذه الآيات لم يعمل النبي -صلى الله عليه وسلم- بها في أحد ممن قالوا أنها نزلت فيهم وهو قتلهم حيثما وجدوا بشرطه ، وهذه آية من آيات صد بعض الروايات الصحيحة السند عن الفهم الصحيح الذي يتبادر من الآيات بلا تكلف ، ورجح ابن جرير وغيره رواية ابن عباس رضي الله عنه في نزول هذه الآية في أناس كانوا بمكة يظهرون الإسلام خداعاً للمسلمين وينصرون المشركين*) [3] .

وأكتفي بهذا القدر من نقد المفسرين لروايات أسباب التنزيل والذي تجده مبعثراً هنا وهناك - وهذا يدل على أن جل المفسرين إن لم يكن كلهم يحسّون أنه لا بدّ من إعادة النظر في اعتماد روايات أسباب التنزيل وان لكل واحد منهم قاعدة ينطلق منها ، أو أنه يتعامل مع كل آية حسبما يتيسر له من أدوات لنقد الرواية

---

(١) روح المعاني للألوسي ص١٠٧ ص٥ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير -الدار التونسية للنشر ج٥ طبعة ١٩٨٤ - ص١٥٠ محمد الطاهر بن عاشور .

(٣) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ص٣٢٠ ، ص٣٢١ الجزء الخامس الطبعة الثانية ١٣٦٧هـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي تتعارض مع النص أو مع السياق القرآني ، أو مع الواقع التاريخي لحدوث الواقعة ونزول الآية القرآنية . ومن الجدير بالملاحظة أنك لا ترى أيّا من المفسرين يعتمد في ترجيحه أو رده لأي رواية على الألفاظ التي تدل على أنها سبب للتنزيل كما يقال عن فاء السببية أو لفظ أنزل أو غير ذلك مما ورد في كتب علوم القرآن . ولنأت إلى البحث الثاني من هذا الفصل لاعتماد وتوثيق القواعد التي على أساسها يتم اختيار الرواية في أسباب التنزيل ، وكيف نَقِفُ من بقية الروايات التي تخالف تلك القواعد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني
تحديد طريقة معرفة أسباب التنزيل ويتضمن :

أ- بحث الألفاظ التي قيل أنها تدل على سبب التنزيل
ب- أطر لا بد منها لاعتماد رواية سبب التنزيل وهي :

١- تزامن نزول الآية مع زمن وقوع الحدث أو السؤال.
٢- ضرورة تناسب الرواية مع منطوق ومفهوم النص.
٣- ضرورة تناسب الرواية مع سياق الآية أو الآيات في السورة.
٤- أن لا تناقض الرواية نصاً آخر أقوى منها - قرآن - سنة - رواية أقوى منها .
٥- تحقيق صحة الرواية.
جـ- عموم لفظ الآية وخصوص سبب نزولها ، وعلاقته ببحثنا.

أ- بحث الألفاظ التي قيل أنها تدل على سبب التنزيل

إن دراسة روايات أسباب التنزيل تقتضي بحث إن كان هناك ألفاظ تدل على أن هذه الروايات تعد اسباباً في تنزيل القرآن أم لا ؟
- فهل يوجد ألفاظ تدل على أسباب التنزيل تقترن بالروايات التي تدل على الأحداث ؟؟

بالاستقراء ثبت لدي أنه لا يوجد لفظ يقترن بالرواية يدل على أنها سبب نزول ، ولو كانت مقرونة بالفاء فقولهم : نزلت هذه الآية في كذا أو فأنزل الله آية كذا ، لا يدل على أن الرواية سببٌ لنزول الآية ، وإنما هي مظنة أن تكون كذلك فلا بدّ من البحث في القضية وما يتعلق بها من قرائن لمعرفة ذلك . وهذا ما ذهب إليه ابن تيمية حيث قال (وقولهم " نزلت هذه الآية في كذا " يراد به تارة أنه سبب لنزول ، ويراد به تارة أن هذا داخل في الآية وإن لم يكن السبب ، كما نقول عنى بهذه الآية كذا) [١] . أي أنها صيغة محتملة فما دام اللفظ تستوي فيه الدلالتان - التفسير وسبب النزول فلا يجوز أن يحدد فيه معنى دون غيره إلاّ بقرينة . وهذا شأن الألفاظ المشتركة ، وإن كان هذا معنىً اصطلاحياً إلاّ أنه له معنيان فيقتضي أن لا يعيّن أحد المعنيين إلاّ بقرينة تدل على ذلك . وهذا هو الذي عبّر عنه الزركشي بقوله (وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال : نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم ، لا أن هذا كان السبب في نزولها) [٢] .

---

(١) مقدمة في اصول التفسير / احمد بن عبد الحليم بن تيمية - طبعة دار القرآن الكريم - الكويت ص٤٨ تحقيق د. عدنان زرزور ط١ ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .
(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ص٣١، ٣٢ ج١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن دراسة النماذج التفسيرية عند بعض الصحابة والتابعين في المبحث الأول توصلت إلى حقيقة هي أن لفظ (أنزل في كذا) لا يفيد كثيراً في تمييز رواية اسباب التنزيل عن غيرها . وأن الاعتماد الكلي يعود إلى ما قاله أبو الفتح القشيري (وهو أمر تحصّل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا) [١] . وإذا عرضنا لنقد المفسرين للروايات في المبحث الأول لم نجد أيّاً منهم قد تعرض إلى لفظ نزل بأنه دليل أو أمارة على اعتماد رواية دون أخرى . ومما نبّه إليه السيوطي أنهم يقولون نزلت الآية في كذا والصواب فقرأ أو فتلا أو وقال .. [٢] وقد أكدنا ما نبه إليه السيوطي بتصحيح عبارة المثال وذلك في مقدمة الرسالة [٣] . وهذا من شأنه أن يشكك في دلالة لفظ " فنزلت أو أنزلت " على رواية سبب التنزيل . وأما تعابير بعض الصحابة أو التابعين " فما أحسب هذه الآية إلاّ نزلت في ذلك [٤] – فهو ظن منه ولا يفيد الجزم فلا بدّ من العودة إلى القرائن والأحوال التي تحيط بالرواية والنص القرآني . ومنه ما سبق أن أشرنا اليه في النموذج الأول لتفسير عبد الله بن مسعود في قوله تعالى [**ويسألونك عن الروح**] ففي البخاري يقول ابن مسعود : فظننت أنه يوحى إليه " وفي رواية " فعلمت انه يوحى إليه" والعلم هنا بمعنى الظن. وفي رواية ثالثة : فعرفت أنه يوحى إليه ، ومع ذلك أقصيت هذه الرواية مع صحة سندها أن تكون سبب نزول للآية وليرجع إليه . وأبلغ من هذا ما عبّر به أبو ذر الغفاري رضي الله عنه في الصحيحين بأنه أقسم بالله أن آية [**هذان خصمان**] سورة الحج آية ١٩ نزلت في ستة نفر من قريش وهم الذين تبارزوا في بدر ، ومع ذلك أقصيت هذه الرواية أن تكون سبب تنزيل [٥] . ووجهت هذه الروايات إلى أنها روايات تفسيرية ، ولا تناقض بينها وبين أمثالها كما قال ابن تيمية : (فقول أحدهم نزلت في كذا ، لا ينافي قول الآخر : نزلت في كذا ، إذا كان اللفظ يتناولهما كما ذكرناه في التفسير بالمثال) [٦] .فأبو ذر رضي الله عنه صادق فيما أقسم عليه لأن المراد تفسير الآية ، وسكوت الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن الجواب ، أو انتظاره برهة قصيرة لا يعني أنه يوحى إليه ، بالآية التي تلاها على السامعين وهم في وضع معين . ودلالة هذا السكوت ظنية ، فلا يعتمد عليها في الجزم في القول برواية سبب التنزيل . قال ابن كثير (وقد يجاب عن هذا بأنه نزل عليه الوحي بأن يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه) [٧] .

---

(١) المصدر السابق ص٢٢ .

(٢) انظر الاتقان في علوم القرآن ج١ ص٤٥ .

(٣) انظر إلى الأسباب التي ادت إلى دخول الدخيل في اسباب النزول .

٤) انظر قول الزبير في رواية الصحيحين في قوله تعالى [**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم**] وفي الاتقان ج١ ص٤١ – لباب النقول ص٣ – اسباب النزول للواحدي ص١٥٦ – ص١٥٧ .

(٥) انظر النموذج الثاني من النماذج المختارة من تفسير سفيان الثوري .

(٦) مقدمة اصول التفسير لابن تيمية ص٤٩ ، طبعة الكويت تحقيق د. عدنان زرزور .

(٧) انظر النموذج الأول في المبحث الأول من تفسير ابن مسعود [**ويسألونك عن الروح**] وانظر ابن كثير م٣ ص٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فما يجري بين الوحي وبين الرسول عليهما السلام من المغيبات التي لا تعلم إلاّ إذا ورد النص بذلك . ولذلك فإن نزول الوحي على سيدنا محمد وهو بين ظهراني الصحابة لا يعرف منه شيء إلاّ ما يصرح به . وعليه فلا دلالة لسكوت الرسول -صلى الله عليه وسلم- عند السؤال ، أو عدم الاجابة الفورية ، أو نزول الوحي على ما يتلفظ به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من كون الرواية أو الحدث سبباً لنزول الآية .

أما تعدد الروايات فقد تكون تفسيراً كما أسلفنا ، وقد تكون دليلاً على عدم ثبوت رواية أنها سبب تنزيل . لأن الروايات الثابتة في سبب التنزيل لا تجد لها منافساً يذكره المفسرون ، فمثلاً أول سورة عبس أجمع المفسرون على أنها في عبد الله ابن أم مكتوم ، ولم يذكر أي منهم رواية أخرى في غيره - وآيات الإفك نزلت في تبرئة ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها فلم يورد أحدٌ غيرها ، ولم تنف رواية واحدة أن المدبر لهذه الإشاعة المغرضة هو كبير المنافقين عبد الله بن أبي . وأن آية [**ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة**] نزلت في أبي بكر عندما توقف عن الانفاق على ابن خالته مسطح الذي خاض في حديث الإفك [1] . وان آية الظهار في أوس بن الصامت وزوجته خويلة بنت ثعلبة وآية اللعان في هلال بن أمية وهكذا . ولا تكاد تجد رواية صحيحة مما يعد سبب تنزيل شبيهاً في الحدوث في الزمان والمكان غير آية اللعان . ومع ذلك تجد المفسرين قالوا انها نزلت في هلال بن أمية وأما رواية عويمر العجلاني فجاءت بعد الأولى وعند نزول الوحي ، وأما رواية سلمة بنت صخر في الظهار ، فقال ابن كثير (فأما حديث سلمة بنت صخر فليس فيه أنه كان سبب تنزيل ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السورة من العتق أو الصيام او الأحكام) [2] .

وأما قول الصحابي " فيّ نزلت آية كذا" فهو كذلك لا يدل على أنه سبب تنزيل فقد يراد منه التفسير، ومنه ما رواه السيوطي في قوله تعالى [**يا أيها النبي إنا احللنا لك أزواجك..**] ٥٠ الأحزاب . (واخرج ابن ابي حاتم من طريق اسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح عن أم هانئ قالت: نزلت فيّ هذه الآية [**وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك**] أرد النبي -صلى الله عليه وسلم- ان يتزوجني فنهي عن ذلك إذ لم اهاجر) [3] فهذه الآية لم تنزل بهذا الشأن وهي من تفسير أم هانئ . وأما ما قالته خولة أو خويلة بنت ثعلبة (فيّ والله وفي أوس بنت الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة) فالجواب على ذلك (وإن صادف قولها (فيّ والله) الرواية) ليس من هذا عرف أنها سبب نزول ولكن من قرائن أخرى فقد قال -صلى الله عليه وسلم- لها (يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآناً) ثم قرأ عليها الآية . ومنها أنه طلب ان يقوم زوجها بتنفيذ الكفارة لفعل الظهار ، ومنها قول عائشة رضي الله عنها (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبيّ -صلى الله عليه وسلم- تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل الآية) [4] .

---

(١) يوجد قول من وضع الشيعة أنها في علي ولا سند له .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج٤ ص٣١٨ - ٣٢٢ اول سورة المجادلة . وانظر الرواية التي رواها أحمد عن يزيد بن هارون بسنده الى سلمة بن صخر الأنصاري ص٣١٩ .

(٣) لباب النقول للسيوطي ص١٠٨.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ج٤ ص٣١٨ إلى ٣١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالاستقراء وجدت انه إذا اندرج حال الرجل تحت النص فإن الصحابة يقولون نزلت هذه الآية في فلان أو فأنزل الله تعالى كذا [1] كما سبق وأن مثلنا في آية البقرة ٢٠٧ وأنها نزلت في صهيب رضي الله عنه .

وعليه فلا يقال ان هناك ألفاظاً تدل على رواية سبب النزول كفاء السببية الداخلة على فعل نزل ومشتقاته ، وانما تتحرر رواية أسباب النزول بمعرفة القرائن والأحوال التي تحيط بالرواية والآية معاً . هذا ولم ترد أي رواية مصدره بلفظ " سبب نزول الآية "عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم .

ب- أطُرٌ لا بدّ منها لاعتماد رواية أسباب التنزيل

هناك أطرٌ لا بدّ من توفرها حتى تعد الرواية أنها سبب تنزيل ، وهذه الأطر مأخوذة من واقع مصطلح أسباب التنزيل . وتقتضيها طبيعة البحث ، وهي :

أولاً : تزامن نزول الآية مع وقوع الحدث أو السؤال . قال الزركشي : (لأن الزمان إنما يشترط في سبب النزول) [2] . وقال السيوطي : (والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه ليخرج ما ذكره الواحدي في تفسيره سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به ، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء بل هو باب الإخبار عن الوقائع الماضية ، كذكر قصة نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك ، وكذلك ذكره في قوله [**واتخذ الله ابراهيم خليلاً**] . سبب اتخاذه خليلاً فليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى) [3] . ومن هذا الشرط تخرج الروايات التي ليست من أسباب التنزيل [4] . والأمثلة على ذلك كثيرة. أنظر أسباب نزول قوله تعالى [**وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى**] [5] حيث مرّ ابراهيم عليه السلام على دابة ميتة وقد توزعها دواب البر والبحر... وانظر ما قيل في سبب نزول قوله تعالى [**واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان**] [6] وهي عن الشياطين ، وعن السحر ودفنه تحت عرش سليمان .

---

(١) ظن البعض أن هناك فرقاً بين قول الرواة نزلت الآية في كذا أو فأنزل كذا لأن فاء السببية تفيد ان الرواية سبب النزول وهذا خطأ انظر مثلاً سبب نزول الآية ٧٦ من سورة البقرة [**وإذا لقوا**] وفيها فأنزل الله اللباب ص١٠ ، ص١١ وسط الآية ٨٩ [**وكانوا من قبل يستفتحون**] ، وانظر ص١٤ في سبب نزول الآية ١٠٢ من سورة البقرة كذلك [**واتبعوا ما تتلوا الشياطين**] اللباب وهكذا لأن روايات اسباب التنزيل ليست أسباباً على الحقيقة وإنما هي مناسبات نزل فيها أي بشأنها قرآن وإلاّ فإن حياة الجاهلية وحياة الناس كلها قبل مجيء النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحين بعث كلها نزل فيها القرآن ليعالجها وكذلك حياة جميع الناس الكفار جاء القرآن ليعالجها إلى يوم الدين فلا فرق بين فنزلت أو فأنزل أو ونزلت ومشتقاتها ، والله اعلم .

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ص٢٦ ج١ وانظر مفتاح السعادة ومصباح السيادة طاش كبرى زاده ص٣٥٠ ج٢ .

(٣) الاتقان في علوم القرآن ص٤٢ ج١ ، لباب النقول في اسباب النزول ص٤ .

(٤) انظر معنى اسباب التنزيل في الاصطلاح في بداية هذا الفصل .

(٥) الآية ٢٦ من سورة البقرة – اسباب النزول للواحدي ص٧٩ .

(٦) الآية ١٠٢ من سورة البقرة اسباب النزول للواحدي ص٢٩ ، مخطوط العجاب في الأسباب لابن حجر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانظر ما قيل في اسباب نزول الآية ٧٩ من سورة البقرة ، والآية ١٧٤ من نفس السورة الأولى [**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله**] والثانية [**إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب**] . ومختصر الرواية انها نزلت في أحبار اليهود الذين غيّروا صفة محمد -صلى الله عليه وسلم- [١] .

وانظر ما قيل في الآية ٩١ من سورة الأنعام [**وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء**] قيل في مالك بن الصيف اليهودي ، وقيل في اليهود [٢] ومنها المعوذتان نزلتا في مكة والسبب ذكر انه في سحر الرسول -صلى الله عليه وسلم- وقد حدث في السنة السابعة للهجرة .

ومنها ما قيل في قوله تعالى [**وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا**] ٢٠٤ الأنعام قيل نزلت في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الصلاة . مع أن صلاة الجماعة لم تنزل إلاّ في المدينة [٣] . ومنها الروايات التي قيل أن الآيات ٢٣ ، ٢٤ من سورة التوبة نزلت بسببها [**يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الإيمان**] قيل نزلت في الهجرة وقد تخلف اناس عنها من أجل أولادهم وأزواجهم [٤] .

ومنها ما قيل في قوله تعالى [**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض** ...] الآية ٥٥ من سورة النور . فكان المسلمون آمنين في عهد الخلفاء الثلاثة [٥] . ومنها ما قيل في سبب تنزيل قوله تعالى [**سيقول لك المخلفون** ...] الآيات ١١ ، ١٥ من سورة الفتح وأكتفي بهذا القدر فكتابيّ الواحدي والسيوطي يعجّان بالأمثلة التي يجب ان تقصى عن روايات أسباب التنزيل وكذلك مخطوطي ارشاد الرحمن والعجب العجاب اللذيْن مرّ ذكرهما في المقدمة .

ثانياً : ضرورة تناسب الرواية مع منطوق ومفهوم النص . فاذا كان النص لا يحتمل معنى الرواية فلا تكون من أسباب التنزيل لأن الآية جاءت لتعالج الحدث بلفظ عام فإذا كان هذا اللفظ لا يتناولها فلا يعقل أن تكون سبب نزول لهذا النص . ومن الأمثلة على ذلك ما قيل في سورة القدر [إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر ...] عن مجاهد قال : ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- - رجلاً من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فتعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله السورة . قال خير من التي لبس فيها السلاح ذلك الرجلُ) [٦] فالسورة تتحدث عن نزول القرآن وعن الزمان الذي نزل فيه أو ابتدأ فيه نزوله وعن بركة هذا الزمان فما علاقة هذا بقصة رجل من بني اسرائيل ؟!

---

(١) انظر اسباب نزول الواحدي ص٢٤ ، ص٤٤ طبعة دار القبلة .

(٢) انظر اسباب نزول الواحدي ص٢١٥ وفيها : فأنزل الله .

(٣) انظر اسباب نزول الواحدي ص٢٢٦ .

(٤) انظر اسباب نزول الواحدي ص٢٤٢ .

(٥) انظر اسباب نزول الواحدي ص٣٤١ .

(٦) انظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٩٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانظر ما قيل في قوله تعالى [**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا** ..] الآية ٥٨ من سورة الاحزاب . والرواية تقول : (رأى عمر رضي الله عنه جارية من الأنصار متبرجة فضربها وكره ما رأى من زينتها [١] ...

فالرواية تقول ضربها لأنها متبرجة والآية تقول [**بغير ما اكتسبوا**] فالرواية تعارض منطوق الآية ، فلا يجوز ان تكون سبب تنزيل لهذه الآية .

ثالثاً : ضرورة تناسب الرواية مع سياق الآية أو الآيات في السورة . فإذا كانت الرواية لا تناسب السياق في الآية فانها تقصى عن أسباب التنزيل ومثاله ما رواه السيوطي عن ابن عباس في قوله تعالى [**ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور**] [٢] قال : كان أناس يستحيون أن يتخلوا فيفضوا بفروجهم إلى السماء ، وأن يجامعوا نساءهم ، فيفضوا إلى السماء ، فنزلت فيهم) [٣] فالسياق القرآني يلفظ هذه الرواية أن تكون سبب نزول أقرأ سورة هود حتى الآية السادسة تجد أنها تتعلق بالكفار فكان الكفار يضمرون الحقد للرسول -صلى الله عليه وسلم- وبما جاء به والله تعالى يعلم ما في نفوسهم وما يحاولون ستره مادياً ومعنوياً من المكر والكفر والإلحاد ولذلك روى الواحدي سبباً آخر لها وهي أنها نزلت في الأخنس بن شريق[٤] . ثم إنّ الآية مكية ولم يكن الذوق الإسلامي قد تمكن في نفوس الناس حتى يستحيوا أن يتخلوا في الخلاء ، وكانوا يقضون حاجتهم في الخلاء ولم تكن الكنف مشهورة عندهم ، فالنص لا يستوعب مثل هذه الرواية كسبب تنزيل . قال الألوسي (وبالجملة الأمر على هذه الرواية لا يخلو عن إشكال ولا يكاد يندفع بسلامة الأمر ، والذي يقتضيه السياق ويستدعيه ربط الآيات كون الآية في المشركين حسبما تقدم والله تعالى أعلم) [٥] .

ومن الروايات التي ترد لمخالفتها للسياق القرآني في آية الحجر [**ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين**] آية ٢٤ . فقد روي عن ابن عباس أنها كانت في صفوف الصلاة حيث كانت امرأة حسناء في آخر النساء تصلي فكان بعضهم يتقدم الى الصف الأول لئلا يراها . وكان بعضهم يكون في الصف المؤخر فإذا ركعوا أو سجدوا استرقوا النظر إليها " [٦] والناظر في السياق القرآني للآيات يرى أنها تتعلق بعلم الله بالأمم السابقة والتي ستخلق بعد وأن مآل جميع الأمم إليه فالآيات [**وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون * ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين * وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم** *]

---

(١) انظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٨١ ، ص٣٨٢ .

(٢) سورة هود آية ٥ .

(٣) لباب النقول ص١٢٩ والرواية في صحيح البخاري برقم ٤٦٨١ كتاب التفسير وطرفا الحديث في ٤٦٨٢ ، ٤٦٨٣ .

(٤) انظر اسباب النزول للواحدي ص٢٦٨ - تفسير الكشاف م٢ ص٢٠٧ - البحر المحيط ج٥ ص٢٠٢.

(٥) روح المعاني للألوسي ج١١ ص٢١٠ .

(٦) اسباب النزول للواحدي ص٢٨٠ ، لباب النقول ص١٣١ وقد روى الرواية الترمذي والنسائي والحاكم وغيرهم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالسياق القرآني له دور في استقبال الرواية أو رفضها في مجال أسباب التنزيل ، ولا ننسى أن القرآن الكريم كان مسطوراً في اللوح المحفوظ بهذا النسق قبل نزوله على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- . واعجاز القرآن في نظمه ، فلو كانت الآية في الصلاة لكان النظم مفككاً بعيداً عن الاعجاز . ولهذا كله فإن أمثال هذه الرواية لا تقبل في باب أسباب التنزيل* ، قال الزركشي (وقد تنزل الآيات على الأسباب الخاصة ، وتوضع كل واحدة منها مع ما يناسبها من الآي رعاية لنظم القرآن وحسن السياق) [١] .

رابعاً : ان لا تعارض الرواية نصاً أقوى منها . سواء أكان قرآناً أم سنة، أم رواية صحيحة . ولا تعارض أصلاً من اصول العقيدة ، ولا تنافي قاعدة من قواعد الإسلام . فأي رواية تعارض ما سبق ترد ولا يؤخذ بها . ومنها الرواية التي قيلت في آية الانعام [**وما قدروا الله حق قدره**] الآية ٩١ ، قال الرسول -صلى الله عليه وسلم- لليهودي مالك بن الصيف أما تجد في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين ؟ [٢] . فهذا يعارض نصوصاً كثيرة في القرآن الكريم منها : [**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم**] [٣] وقوله تعالى [**ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك**] [٤] وقوله [**وإنك لعلى خلق عظيم**] [٥] فهذا من شأنه التنفير عن الدعوة ، وسب الله تعالى والكفر بالعقيدة ، مجانب لأخلاق الأنبياء – والعياذ بالله – ولذلك ترد مثل هذه الرواية أن تكون سبباً في تنزيل الآية .

ومن أمثلة هذه الروايات المرفوضة ما قيل في قوله تعالى [**أنحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به**] [٦] بأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قام يوم قريظة تحت حصونهم وقال : يا إخوان القردة ، يا إخوان الخنازير ، ويا عبدة الطاغوت ..) [٧] فإنه يخالف قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- : ما بعثت لعّاناً ولا شتّاماً " ويعارض آية الأنعام [**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله**] .

خامساً: أن نتحقق من صحة الرواية . وقد جعلته في نهاية المطاف لأن روايات أسباب التنزيل إما موقوفة وإما مرسلة ، هذا من حيث السند . وأكثرها جاء تفسيراً مما لا يشترط فيه صحة السند كما كثر فيها التساهل في الرواية ، وأسباب التنزيل تغاير ذلك وعليه قال الواحدي :

---

* لقد تكررت هذه الرواية في الرسالة في ص٦، ١٠٤، ١١٩، ١٢٠، ١٢١. ولكن هذا التكرار كان الاستشهاد به في كل صفحة من زاوية غير الزاوية التي ورد فيها في الصفحة الاخرى. ففي ص٦ ورد على سبيل التنبيه في المسوغات لاختيار الموضوع وكانت موجزة جداً، وفي ص١٠٤ جاءت كمثال على مخالفة الرواية لشرط مناسبة الرواية لمنطوق الآية ومفهومها، وفي ص١١٩ وردت كمثال على مخالفة الرواية لشرط تناسق الرواية للسياق القرآني وأن الحكم في قبول الرواية او عدمه هو السياق القرآني. وفي ص١٢٠ درست الرواية مع الروايات الأخرى من جميع جوانبها. اي طبقت عليها جميع الأطر الخمسة. وهكذا يقال فيما يظهر للقارئ انه مكرور.

(١) البرهان في علوم القرآن ج١ ص٢٥ ، وظاهر السياق أخذ به ابن حجر انظر الاتقان ج١ ص٤٥ نقلاً عن ابن حجر .

(٢) انظر اسباب النزول للواحدي ص٢١٥ ، الدر المنثور م٣ ص٣١٤ ، تفسير الطبري م٥ ج٧ ص٢٦٧ ، معالم التنزيل للبغوي م٢ ص١١٤ وغيرها .

(٣) الانعام آية ١٠٨ . (٤) آل عمران ١٥٩ . (٥) سورة القلم آية ٤ . (٦) البقرة ٧٦ .

(٧) انظر لباب النقول ص١٠ تفسير ابن جرير الطبري م٢ ص٢٥٣ طبعة شاكر – تفسير ابن كثير ج١ ص١١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلاّ بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ، ووقفوا على الأسباب ، وبحثوا عن علمها ، وجدّوا في الطّلاب) [١] .

واستشهد بالحديث المتواتر" فإنه من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار[٢] .

وقد اختلف العلماء هل رواية الصحابي مما يتعلق بأسباب النزول من قبيل المرفوع أم لا ؟ فالبخاري يعده من المرفوع ، ومسلم وأحمد لا يعدونه كذلك . ومثال هذه الرواية ما رواه جابر بن عبد الله حيث قال في سبب نزول قوله تعالى [**نساؤكم حرث لكم** ..] [٣] " كانت اليهود تقول في الذي يأتي امرأته من دبرها في قبلها : إن الولد يكون أحول . فنزلت الآية . رواه البخاري عن أبي نعيم ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن سفيان بن عيينه [٤] .

قال الحاكم النيسابوري (إن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل إذا أخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا فإنه حديث مسند) [٥] وعقب على هذا القول ابن الصلاح قائلاً (فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي أو نحو ذلك كقول جابر " كانت اليهود ... " فأما سائر تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء الى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فمعدودة من الموقوفات) [٦] وقال الحافظ ابن حجر بعد ذكر الخلاف : (والحق أن ضابط ما يعتبره الصحابي إن كان مما لا مجال فيه للاجتهاد ، ولا منقول على لسان العرب فحكمه الرفع وإلاّ فلا) [٧] .

ولما كان سبب التنزيل هو حدث أو سؤال وُجِّه لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونزل بشأنه قرآن يتلى فإنه يأخذ حكم المرفوع لأنه يتعلق بالوحي ، وقلنا يأخذ حكم المرفوع وليس مرفوعاً لأنه قد يكون من كلام كافر جاء القرآن لنقضه ، وقد يكون واقعاً جاهلياً جاء الوحي ليوجهه ، وقد يكون قول صحابي أو فعله ، جاءت الآية لتعطي الحكم فيه ، وقد يكون مشكلة جاء الوحي ليحلها . ولا يفهم الوحي على وجهه الصحيح في بعض النصوص إلاّ إذا عرف الواقع الذي نزل بشأنه . وكذلك السؤال الذي يطرح فإنه يلقي ضوءاً في نص الوحي الذي نزل فيه فكل ذلك في حكم المرفوع .

(١ ، ٢) اسباب النزول ص٥ ، الحديث الذي استشهد به الواحدي أخرجه أحمد والترمذي وقال عنه حسن ولكن سند الحديث فيه سفيان بن وكيع وهو ضعيف راجع المجروحين لابن حيان ١/ ٣٥٩ وميزان الاعتدال ٢/ ١٧٣ ، والجرح والتعديل للرازي ٢/ ٢٣١ ، وفي سنده كذلك عبد الأعلى بن عامر الثعلبي وقد ضعفه سفيان الثوري وابو زرعة وابن معين واحمد بن حنبل - ولهذا استشهدت من الحديث بالجزء المتواتر وهو من المتفق عليه كما قال صاحب نيل الأوطار .

(٣) سورة البقرة آية ٢٢٣ .

(٤) اسباب النزول للواحدي ص٦٩ طبعة دار القبلة .

(٥) معرفة علوم الحديث للحاكم ص٢٠ ومن الجدير بالذكر ان الحاكم في المستدرك أطلق الكلام وفي معرفة علوم الحديث قيده .

(٦) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص٢٤ وهو قول النووي في التقريب انظر تدريب الراوي شرح التقريب للسيوطي ج١ ص١٩٣ وانظر فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي ص١١٨ ج١ وانظر ص١٢٣ رأي ابن العربي والشافعي .

(٧) انظر توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار للصنعاني - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج١ ص٢٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال الدكتور همام سعيد (وانسجاماً مع هذا التفريق [1] فإن أخبار الجاهلية المروية في كتب الحديث تدخل في الحديث) [2] . وأقول إن أسانيد أسباب التنزيل فيها كثير من التساهل لأنها لا تتعلق بالأحكام وجلها يتعلق بالتفسير فقد جرى الحاكم النيسابوري في المستدرك على مذهب عبد الرحمن بن مهدي في التشدد بأسانيد الحلال والحرام والأحكام وتساهل في فضائل الأعمال والثواب والعقاب والمباحات والدعوات كما قال هو [3] . والذي نعتمده أن قول الصحابي في أسباب التنزيل يأخذ حكم المرفوع ، ولذلك ننظر في الرواية أولاً فإذا كانت تتزامن مع الحدث أو السؤال ، وكان منطوق ومفهوم الآية يدخل فيها ، وكانت تنسجم مع السياق القرآني ، ولا تناقض نصاً أقوى منها أو قاعدة من قواعد الدين فإننا ننظر إلى سندها فإن كان صحيحاً اعتمدناه وإلاّ عددناه من قبيل التفسير.والله أعلم . ومن ذلك ما روي في قوله تعالى [**يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا**] [4]

قال الواحدي : (قال ابن عباس في رواية عطاء ان العرب كانوا يتكلمون بها فلما سمعهم اليهود يقولونها للنبي -صلى الله عليه وسلم- أعجبهم ذلك . وكان راعنا في كلام اليهود للسب القبيح فقالوا إنّا نسب محمداً سراً فالآن أعلنوا سب محمد لأنه من كلامهم فكانوا يأتون نبي الله -صلى الله عليه وسلم- فيقولون يا محمد راعنا ويضحكون فغطن لها رجل من الأنصار وهو سعد بن عبادة وكان عارفاً بلغة اليهود ، فقال : يا أعداء الله ، عليكم لعنة الله ، والذي نفس محمد بيده لئن سمعتها من رجل منكم لأضربن عنقه . فقالوا : ألستم تقولونها له . فأنزل الله تعالى الآية) [5] . قال ابن حجر : (انتهى ما نقله الواحدي فأوهم بقوله في رواية عطاء أن السند إلى عطاء بذلك قوي وليس كذلك وإنما هذا السياق من تفسير عبد الغني بن سعيد الثقفي بإسناده الماضي في المقدمة [6] . والثابت عن عطاء ما أخرجه ابن أبي حاتم [7] الأشج عن أبي معاوية عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء : [**لا تقولوا راعنا**] قال : كانت لغة تقولها الأنصار فنهى الله عنها [8] فقال [**لا تقولوا راعنا**] الآية .

وقال عبد الرزاق انا معمر عن قتادة والكلبي في هذه الآية قالا : كانوا يقولون راعنا سمعك وكان اليهود يأتون فيقولون مثل ذلك يستهزؤن فنزلت .

---

(١) التفريق بين تعريف الحديث والسنة .

(٢) كتاب الأمة - الفكر المنهجي عند المحدثين د. همام عبد الرحيم سعيد ص٢٩ ط١ محرم ١٤٠٨هـ تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية في دولة قطر .

(٣) انظر المستدرك للحاكم ١/ ٤٩ .

(٤) سورة البقرة آية ١٠٤ .

(٥) اسباب النزول للواحدي ص٣١ - والعجاب في الأسباب لابن حجر ورقة ١٣٦ ، ب - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي م٢ ص٥٧ .

(٦) وقال في الكافي الشافي في تخريج احاديث الكشاف والسدي هذا الصغير وهو متروك وكذا شيخه ص٩ .

(٧، ٨) ونقل ذلك ابن كثير في تفسيره ص١٤٩ ج١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخرج عبد بن حميد من وجه آخر عن قتادة كانت اليهود تقول راعنا استهزاء فكرهه الله للمؤمنين) [1] إلى آخر ما نقل من روايات كُلها تدور حول الموضوع نفسه وهو النهي عن استعمال مصطلح لغوي للكفار (اليهود) فيه قدح في الرسول -صلى الله عليه وسلم- وفي المسلمين فعدل عنها الوحي إلى كلمة " انظرنا " هذا ولم أجد رواية في غير هذا المعنى سواء ما نقل بسند أم بغير سند . وهذا يدلل على صحة الواقع الذي نزلت فيه الآية . وابن حجر وإن ضعف رواية الواحدي غير أنه صحح غيرها مما رآه صحيحاً وهي رواية عطاء التي اخرجها ابن ابي حاتم وما أخرجه عبد الرزاق عن قتادة وابن حميد عن قتادة [2] فراعنا من معاني الرعونة أي الحمق والسفه والجهل ، ومنها السب: اسمع لا سمعت ، ومنها : الاستهزاء إلى غير ما نقلت الروايات - فيكون معنى رواية الواحدي صحيحاً وإن كان سنده ضعيفاً لأن هذا واقع اتحد المعنى فيه في الروايات التي طعن في سندها وفي الروايات التي صححها ابن حجر وعليه فتعتمد مثل هذه الرواية . ومثال آخر ورد في سبب نزول قوله تعالى [**ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبئس القرار**] ابراهيم ٢٨ - ٢٩ .

فقد ذكر الطبري ثمان وعشرين رواية تقول أن الذين بدّلوا نعمة الله كفراً هم كفار مكة ومن هذه الروايات ما وجد في صحيح البخاري الأثر ٤٧٠٠ عن ابن عباس [3] . وذكر رواية واحدة أنه جبله بن الأيهم وسندها : (حدثني محمد بن سعد ، قال ثني أبي ، قال ثني عمي ، قال ثني أبي عن ابن عباس قال : فهو جبلة ابن الأيهم ، والذين اتبعوه من العرب فلحقوا بالروم [4] . وهذا سند لا يحتج به [5]

فتعتمد الروايات الكثيرة والتي منها ما ورد في صحيح البخاري وتقصى رواية الطبري في جبلة بن الأيهم . هذا من حيث السند . ومن ناحية الدراية فإن جبلة بن الأيهم أسلم بعد انقطاع الوحي في عهد عمر بن الخطاب بعد معركة اليرموك ثم ارتد بسبب مشهور وهو ان عمر بن الخطاب أراد أن يطبق عليه الحكم الشرعي لأنه لطم رجلاً في الحج فأخذته العزة بالأثم [6] .

---

(١) العجاب في الاسباب لابن حجر ورقة ٣٦أ ، ب وانظر تفسير ابن كثير في هذه الآية م١ ص١٤٨ - ص١٤٩ وانظر احكام القرآن لابن العربي م١ ص٣٢ - وتفسير الطبري م٢ ص٤٥٩ - ص٤٦٧ الآثار من ١٧٢ - ١٧٤ طبعة شاكر دار المعارف بمصر - الدر المنثور ص٢٥٢ - ص ٢٥٤ م١ روح المعاني للألوسي ج١ ص٣٤٨ - ص٣٤٩ - التفسير الكبير للفخر الرازي ج٣ ص٢٢٣ - ص٢٢٤ .

(٢) يقول ابن حجر : (المحذور أن يكون الخبر من رواية من لا يوثق به سواء ساق المصنف سنده به أم لم يسق فكم من سند موصول من رواية كذّاب أو متروك أو فاحش الغلط ، وكم من خبر يذكر بغير سند وينبه على أنه من تصنيف فلان مثلاً سند قوي أفيرتاب من به معرفة أن الاعتماد على الثاني هو الذي يتعيّن قبوله أو يشك عالم أن الاعتماد على الاول هو الذي يتعين اجتنابه) العجاب ورقة ٣ ب .

(٣) فتح الباري ص٣٧٨ م٨ .

(٤) انظر تفسير الطبري من ص٢١٩ - ص٢٢٣ م٨ طبعة دار الفكر .

(٥) لأن راوي الرواية هو الطبري ولم يأخذ عن محمد بن سعد وهو صاحب كتاب الطبقات حيث كان عمر الطبري ست سنوات عندما توفي محمد بن سعد ، فكان صغيراً من جهة ، ولم يكن قد خرج من بلده آمل بطبرستان حتى يتم لقاء بينه وبين محمد بن سعد حتى يحدثه . توفي ابن سعد سنة ٢٣٠هـ وولد الطبري سنة ٢٢٤هـ .

(٦) العبقريات الاسلامية لعباس محمود العقاد ص ٣٩٢ (عبقرية عمر ط٢ ١٩٦٨ دار الآداب بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبمثل هذا يقال فيما ورد في آية الحجر [**ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم**] الحجر ٨٧ . فرواية النسائي [١] عن ابن عباس ان السبع المثاني هي السبع الطوال " وفي رواية البخاري [٢] أنها الفاتحة ، فرواية النسائي فيها جرير بن الحميد الضبي وهم في آخر حياته اذا حدث من حفظه وكان يدلس حسب رواية الشاذكوني وفيها الأعمش وهو سليمان بن مهران يدلس [٣] . والذي يقوّي رواية البخاري أن السبع الطوال لم تكن قد نزلت بعد عند نزول هذه الآية . وهي سورة الحجر وهي مكيّة قطعاً . ولم يعرف اسم السبع الطوال إلاّ بعد نزولها جميعاً . والله أعلم .

واكتفي بهذا القدر لنختم الحديث عن الأطر التي لا بدّ من معرفتها لكل من يريد أن ينبري لتحرير روايات أسباب التنزيل . وهنا لا بد من وقفه : فرب قائل يقول إن هذه الأطر لا يعتد بها لأنه لم يتعرض لها أحد من قبل . والأوائل لم يتركوا لنا شاردة ولا واردة إلاّ أحصوها ، وقد ساقوا لنا جميع الروايات في أسباب التنزيل دون أن يُقعّدوا هذه القواعد التي تُخرج كثيراً من الروايات عن أسباب التنزيل ؟ والجواب عن ذلك :

إن عدم تعرض السابقين لهذه القواعد التي تعتمد على أساسها الرواية الصحيحة في أسباب التنزيل لا يدل على عدم اعتبارها ، ونمو العلوم الشرعية كلها جاءت من استدراك المتأخرين على من سبقهم ، وتنبيههم على ما فاتهم ، وزيادة على ما قرروه . فهذه القواعد تشبه إلى حد بعيد القواعد التي أصّلها جهابذة النقد في علم الحديث ، فعرفوا أحوال الرواة حتى بان السقيم من الصحيح والمعدل من الجريح فاتضح المبهم ، وفصح الأعجم ، وزال الإشكال ، وارتفع الإجمال والمدقق في هذه الأطر يجد أنها بحث وتحديد لواقع أسباب التنزيل فتخْرج الروايات التي ليست منه ، كما أنها تحتضن الروايات التي أقصاها البعض كسبب للتنزيل ، كما يجد الباحث نتفاً متناثرة هنا وهناك قام بعض العلماء بنقد رواية معينة على أساسها ، وهذه النتف شكلت في مجموعها بعد ذلك هذه الأطر .

جـ- عموم لفظ الآية وخصوص سببها

هذا العنوان ليس محل بحثه في هذا المقام وإنما هو من اختصاص علماء الأصول ، فهو يلزم للاجتهاد ، أي لمن يريد أن يستنبط أحكاماً شرعية من النصوص الشرعية ، وقد جوّز بعض المتأخرين لأنفسهم بحث هذا الموضوع في أسباب التنزيل وهو اقحام لا مبرر له ، وأكتفي بالإشارة إلى القاعدة العامة في الأصول وهي ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهو إذا ورد الخطاب على سبب معين كأن ورد في حادثة من الحوادث أو ورد جواباً عن سؤال فإن الخطاب يكون عاماً ولا يكون خاصاً بالحادثة ولا خاصاً بالسائل وحده فمثلاً آية الظهار نزلت في أوس بن الصامت ، وآية اللعان نزلت في حق هلال بن أميّة إلى غير ذلك .

---

(١) سنن النسائي ، كتاب الافتتاح – تفسير الآية . وانظر كتب التفسير الكثيرة وعلى رأسها تفسير الطبري .

(٢) صحيح البخاري – الاثر ٤٤٧٤ ، ٤٧٠٣ كتاب التفسير. الاول في سورة الفاتحة، والثاني في سورة الحجر .

(٣) انظر تهذيب التهذيب ترجمة ١١٦ م٢ ، والاعمش ترجمة ٣٨٦ م٤ ، التقريب م١ ص١٢٧ ، م١ ص٣٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذه كلها وامثالها ورد النص فيها بصيغة من صيغ العموم فلا عبرة فيها بخصوص الحادثة فيكون الخطاب عاماً ولو كان السبب خاصاً . والدليل على ذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم عمموا احكام هذه الآيات من غير نكير فدل على ان السبب الخاص غير مسقط للعموم . هذه مسألة .

والمسألة الأخرى أن عموم اللفظ يكون في خصوص السبب أي هو عموم في موضوع الحادثة أو السؤال وليس عموماً في كل شيء . أي هو عام لذلك الموضوع في تلك الحادثة وغيرها . ففي حادثة أوس بن الصامت يشمل أوساً وغيره ولكن في موضوع الحادثة وهو الظهار ، وفي حادثة هلال بن امية يشمل هلالاً وغيره ولكن في موضوع الحادثة وهو اللعان وعليه فإن العموم إنما هو في الموضوع : موضوع الحادثة أو السؤال ، فيكون خاصاً بها ولا يشمل غيرها فلا يدخل الموضوع في قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وعلى هذا فإن قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لا تشمل موضوع الحادثة أو موضوع السؤال إذ أن عموم اللفظ في خصوص السبب إنما هو عموم في موضوع الحادثة أو السؤال وليس عموماً في كل شيء . ومثال ذلك ما ورد عن أبي بكرة قال : لما بلغ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال : " لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة " . فإنه خاص في الموضوع الذي كان الكلام عنه وهو تولية أهل فارس امرأة ملكاً عليهم ، أي هو خاص في موضوع الملك ، أي ليس رئيس دولة ، وليس عاماً في كل ولاية فيجوز للمرأة ولاية الصبي ويجوز أن تعمل في القضاء وهو ولاية وقد ولّى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشفاء امرأة من قومه قضاء السوق (الحسبة) .

وأكتفي بهذا القدر لعدم تعلق الموضوع ببحثنا والله يهدي إلى سواء السبيل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول
المبحث الثالث
أسباب ورود الحديث وصلته بأسباب تنزيل القرآن

بعد أن عرفت أسباب نزول القرآن ، وأهميتها ، ودورها في تفسير بعض ما جاء به الوحي تلاوة ، كان لا بدّ من الاهتمام بموضوع أسباب ورود الحديث ، على وجه الإجمال ، ولا سيما أنه لا يُستغنى عنه في ظاهرة التعارض بالجمع أو الترجيح أو الرد . ونظراً لندرة الكتب [1] التي اعتنت بهذا الموضوع فإن الأمر يستدعي أن يلقى فيه ضوء لتتبدى بعض الأمور التي نفيد منها .

معنى سبب ورود الحديث

لم يؤثر عن علماء الحديث تعريف محدد لمعنى أسباب ورود الحديث ، فقد قال الدكتور عبد الحليم محمود في مقدمته لكتاب ابن حمزة الحسيني " إنه كتاب يوضح الظروف والملابسات التي قيل فيها الحديث . إنه - في السنة - على نمط كتب أسباب التنزيل فيما يتعلق بالقرآن الكريم " [2] وقال محقق كتاب اللمع " وهو ما ورد الحديث أيام وقوعه " [3] . وعليه فيمكن تعريفه اصطلاحاً : بالحادثة التي وقعت أو السؤال الذي وُجِّه لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وورود حديث بشأنه وقت وقوعه .

ونظراً لكون القرآن جاء معنى ولفظاً من الله تعالى ، فاقتضى رسولاً لهذه المهمة ، فكان جبريل عليه السلام ينزل به على قلب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : [**قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك**] [4] ولهذا أُطلق عليه نزول القرآن فقيل أسباب نزول القرآن .

---

(١) قال طاش كبرى زاده (وسمعت كتباً مصنفة في هذا الفن لكن ما رأيتها) ص٣٤٢ ج٢ مفتاح السعادة ومصباح السيادة وقد ذكر محقق كتاب اللمع السيد : يحيى اسماعيل أحمد كتابين ومخطوطين ، قال عن المخطوطين انه لم يعرف عنهما شيئاً سوى اسميهما وهما : ١- مصنف لأبي حفص العَكْبري المتوفى سنة ٣٩٩هـ . ٢- مصنف أبي حامد عبد الجليل الجوباري ص٢٨ من كتاب اللمع . والكتابان هما: اللمع في أسباب ورود الحديث للسيوطي وقد توفي ولم يكمله . والثاني البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث لأبي حمزة الحسيني الدمشقي ، وقد قدّم الدكتور عبد الحليم محمود للكتاب الأخير وقال : " ومن مؤلفاته أسباب الحديث وهو مؤلف حافل لخص فيه مصنف أبي البقاء العكبري وزاد عليه زيادات حسنة فرغ منها قبل وفاته بعام ص٣٠ ج١ البيان والتعريف في اسباب ورود الحديث .

(٢) ص٢٩ ج١ مقدمة كتاب البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث للشريف ابن حمزة الحسيني الدمشقي .

(٣) د. يحيى اسماعيل أحمد محقق كتاب اللمع للسيوطي ط١ سنة ١٩٨٤م ١٤٠٤هـ دار الكتب العلمية - بيروت وانظر منهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين العتر - ط٣ دار الفكر ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ص٣٣٤ .

(٤) سورة البقرة آية ٩٧ وانظر قوله تعالى في سورة الشعراء الآيات ١٩٣ / ١٩٤ [**نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين**] .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الحديث فهو وحي بالمعنى ، وأكثره بالإلهام وقليل منه بالرؤيا [١] . إلى جانب ما جاء به الوحي على صورة إنسان كما في حديث [٢] الايمان والاسلام والاحسان ؛ فلم يتحقق فيه معنى النزول ولذلك أطلق عليه " ورود " دون لفظ نزول لأن لفظ الحديث من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والمعنى وحده من الله تعالى [**وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى**][٣].

أشكال أسباب ورود الحديث

قد يكون السبب في ورود الحديث آية ، أو حديثاً أو واقعة ، أو سؤالاً من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- . واليك أمثلة توضح هذا .

أ- قد يكون السبب آية :
فبعد نزول سورة الأنعام وقد قرأ صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قوله تعالى : [**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**] [٤] . شق ذلك عليهم لأنه تبادر إلى أذهانهم أحد معاني الظلم وهو : الميل عن الحق . فقال رسول الله صلى الله عليهم وسلم جواباً لهم : (إنه ليس بذاك ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه [**إن الشرك لظلم عظيم**] [٥] رواه البخاري [٦] .

ب- وقد يكون سبب ورود الحديث حديثاً آخر . مثاله :
ما أخرجه مسلم والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :

---

(١) انظر فتح الباري حديث ٣ باب ٣ كتاب بدء الوحي حديث عائشة رضي الله عنها أول ما بدئ به الوحي الرؤيا الصالحة في النوم تأتي كفلق الصبح ، ومنه ما رآه صلى الله عليه وسلم في تأدية العمرة في السنة السادسة للهجرة وقد وقع صلح الحديبية كنتيجة ذلك .

(٢) وانظر حديث ٢ باب ٢ كتاب بدء الوحي وفيه (وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول وطرف الحديث في البخاري رقم ٣٢١٥ . وحديث الايمان والاحسان هو الحديث رقم ٥٠ في فتح الباري ج١ ص١١٤ من كتاب الايمان .

(٣) سورة النجم آية ٤ .

(٤) سورة الانعام آية ٨٢ .

(٥) سورة لقمان آية ١٣ .

(٦) انظر فتح الباري الحديث ٤٧٧٦ م٨ ص٥١٣ كتاب التفسير ، ورواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة ومالك في الموطأ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . وهذا المثال ذكره د. يحيى اسماعيل أحمد محقق كتاب اللمع في اسباب الحديث للسيوطي ص١٨ ، وهو في واقعه توضيح لمعنى الآية ، فكانت الآية سبباً في التفسير ومن هنا قيل قد يكون سبب ورود الحديث آية قرآنية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم (بكثرة) سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه[1] وسبب هذا الحديث : أخرجه ابن حبان عن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خطب فقال : " يا أيها الناس : إن الله عز وجل : قد افترض عليكم الحج " فقام رجل فقال : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت عنه ، حتى أعادها ثلاث مرات ، قال : لو قلت نعم لوجبت ،ولو وجبت ما قمتم بها . ذروني ما تركتكم ، فإنما هلك الذين من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء (فاجتنبوه) وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم)[2] .

ومن هذا الباب حديث الايمان والاسلام والإحسان حيث جاء جبريل عليه السلام على هيئة رجل يسأل عن هذه الثلاثة ثم سأل عن الساعة وعن أماراتها ثم اختفى . فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد أن اختفى (هذا جبريل جاء يُعَلِّمُ الناس دينهم)[3] . فسبب ورود قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- هذا هو مجيء جبريل على هيئة رجل ليسأل الرسول -صلى الله عليه وسلم- الأسئلة الخمسة من أجل تعليم الناس هذه الأمور .

جـ- وقد يكون السبب واقعةً حدثت فاقتضى اعطاء حكم فيها ومنه قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- (من غشنا فليس منا)[4] .

وسبب الحديث كما رواه صاحب اللمع : أخرج احمد ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مرّ برجل يبيع طعاماً ، فسأله كيف تبيع ؟ فأخبره . فأوحى الله إليه : أدخل يدك فيه ، فأدخل يده فإذا هو مبلول ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " ليس منّا من غشنا "[5] .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الحج باب فرض الحج مرة في العمر - والنسائي في كتاب مناسك الحج باب وجوب الحج - وابن ماجة : مقدمة اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم - والبخاري : كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقول الله تعالى [**واجعلنا للمتقين اماما**] والترمذي : أبواب العلم - باب في الانتهاء . عما نهى عنه الرسول.(٢) اللمع في أسباب الحديث للسيوطي ص١٣٥ ، ص١٣٦ تحقيق : د. يحيى اسماعيل أحمد - وقال : الحديث أخرجه النسائي ٥/ ٨٣ - ومسلم كتاب الحج باب فرض الحج مرة في العمر ٣/ ٤٨١ عنه بألفاظ متقاربة ، وأخرجه أحمد ١/ ١٨٤ من حديث سعد بن أبي وقاص كذلك - فيكون السبب قد ورد في بعض طرق الحديث الأخرى .

(٣) فتح الباري الحديث ٥٠ وطرفه في ٤٧٧٧ والحديث من رواية أبي هريرة . وفي رواية مسلم عن عمر بن الخطاب ومطلعه ، بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم : إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب .. وانظر منهج النقد في علوم الحديث . د. نور الدين العتر ص٣٣٤ طبعة٣ دار الفكر ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

(٤) انظر اللمع في اسباب الحديث للسيوطي ص١٤٢ وقال المحقق : أخرجه ابن ماجة عن أبي الحمراء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وفي الهامش قال : الحديث جزء حديث لابن ماجة كتاب التجارات ، باب النهي عن الغش ٢/ ٧٤٨ ، وهو جزء حديث لمسلم كتاب الايمان باب من غشنا فليس منا ١/ ٢٩٩ ، وأحمد ٢/ ٤١٧ عنه .

(٥) اللمع في اسباب النزول ص١٤٣ وقال المحقق في الهامش : الحديث الأول لفظ أحمد ٢/ ٢٤٢ ، وأخرجه مسلم كتاب الايمان - والحديث أخرجه أبو داود كتاب الإجارة باب النهي عن الغش ٢/ ٢٤٤ ، والترمذي أبواب البيوع باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع ٢/ ٣٨٩ . قال الترمذي حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح . جميعاً بألفاظ متقاربة . وأخرجه أحمد ٣/ ٤٦٦ ، ٤/ ٤٥ من حديث أبي بردة بألفاظ مختلفة.

ملحوظة: الحديث في سنن ابي داود ص٢٧٢ برقم ٣٤٥٢ ج٣ طبعة دار الفكر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه كذلك ما ذكره صاحب اللمع في سبب حديث " كَسْرعظم الميت ككسره حيّاً " [1] وسبب الحديث كما رواه صاحب اللمع : سبب : في جزء من حديث ابن منيع (قال ابن منيع) (حدثنا) محرز بن عوف ، ثنا القاسم بن محمد عن عبد الله بن عقيل ، عن جابر قال : خرجنا مع جنازة مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، حتى إذا جئنا القبر وجلسنا معه . فأخرج الحفّار (عظما ساقاً) أو عضداً . فذهب ليكسرها . فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : (لا تكسرها فإن كسرك إياها ميتاً كسرك إياه حيّاً ، ولكن دسه في جانب القبر) [2] .

ومنه ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : لا تسبوا أصحابي ، لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنّ أحدكم أنفق مثلَ أُحُد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَهُ [3] . وقال النووي عن أبي هريرة ، لقد وهم والصواب عن أبي سعيد الخدري لا عن أبي هريرة . وسبب الحديث كما جاء من طريق آخر عند مسلم عن أبي سعيد الخدري قال :

حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير بن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال : كان بين خالد بن الوليد ، وبين عبد الرحمن بن عوف شيءٌ فسبّه خالد فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحَدِهم ولا نصيفه [4] .

د- وقد يكون السبب سؤالاً وُجِّه لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-. ومثاله قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " هو الطهور ماؤه الحلّ ميتته " [5] .

وسبب الحديث كما رواه صاحب اللمع هو ما أخرجه أحمد والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة قال : كنا عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوماً ، فجاء صيّاد فقال : يا رسول الله : إننا ننطلق في البحر نريد الصيد ، فيحمل أحدنا معه الأدواة وهو يرجو أن يأخذ (الصيد) قريباً ، فربما وجده كذلك ، وربما لم يجد الصيد حتى يبلغ من البحر مكاناً لم يَظُن (أنه) يبلغه - فلعله يحتلم أو يتوضأ فإن اغتسل أو توضأ بهذا الماء ، فلعل أحدنا يهلكه العطش .

---

(١) أخرجه أبو داود عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الحديث ، وفي الهامش : قال المحقق : أخرجه أبو داود ، كتاب الجنائز ، باب في الحفّار يجد العظم هل يتنكب ذلك المكان ؟ والحديث أخرجه أحمد ٦/ ٥٨ ، ١٠٠: ٢٦٤ مقيداً بالمؤمن وابن ماجة : كتاب الجنائز ، باب في النهي عن كسر عظام الميت ١/ ٥١٦ من حديثها . واخرجه من طريق ام سلمة بزيادة لفظ في الإثم . أنظر اللمع ص١١٢ .

(٢) اللمع في اسباب الحديث ص١١٣ وقال المحقق في الهامش : رجاله رجال الحسن .

(٣) صحيح مسلم باب تحريم سب الصحابة ص٩٢ م٨ ج١٦ طبعة دار الفكر ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

(٤) صحيح مسلم باب تحريم سب الصحابة ص٩٢ ، ص٩٣ . نفس المصدر السابق وانظر اللمع في اسباب الحديث ص٢٢٧ - ص٢٢٩ سبب ٨٩ الأحاديث ٢١٠ - ٢١٤ .

(٥) اللمع في اسباب الحديث ص٧٤ وقال المحقق في الهامش : الحديث ٢ جزء حديث من رواية مالك في الموطأ كتاب الطهارة باب الطهور للوضوء ، والشافعي في مسنده ١/ ٢ على كتابه الأم . وانظر ١/ ١٩ بدائع السنن . وأخرجه ابن أبي شيبه ١/ ٣٠ منقطعاً . وهو بالنص المذكور رواية أحمد عن جابر في المسند ٣/ ٣٧٣ . وهي التي تصلح لأن تتصدر أولاً ، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ١٤١ . وقال الذهبي : على شرط مسلم ، وابن خزيمة في صحيحه ١/ ٥٩ . والدارقطني ١/ ٣٦ كلهم عن أبي هريرة . وأخرجه ابن خزيمة ١/ ٥٩ ، والدارقطني ١/ ٣٤ من حديث جابر ، وهو جزء حديث لأحمد ١/ ٢٧٩ من حديث ابن عباس رضي الله عنهم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهل ترى في ماء البحر أن نغتسل به أو نتوضأ به إذا خفنا ذلك ؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " اغتسلوا منه وتوضئوا فإنه الطهور ماؤه الحل ميتته " [1] .

قال المحقق في تحقيق هذا الحديث : " السبب بهذا اللفظ لم أجده . ولعله بالمعنى ، فالحديث أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٦١ - وأبو داود كتاب الطهارة باب الوضوء بماء البحر واللفظ له . ١/ ١٩ - والترمذي : طهارة باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور ١/ ٤٧ كلهم عن أبي هريرة قال : سأل رجل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال : إنا نركب البحر ، ونحمل معنا القليل من الماء ، فإن توضأنا به عطشنا ، أفنتوضأ من ماء البحر ؟ قال : فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : " هو الطهور ماؤه الحل ميتته " . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح [2] ومن هذا الباب حديث السؤال عن دم الحيض ، وحديث السائل أي الأعمال أفضل وحديث أي الذنب أكبر وغيره [3] .

أهم الإشكالات الواردة على أسباب ورود الحديث

الإشكال الأول :

أهم الإشكالات التي ترد على هذا الموضوع هو تحقيق معنى سبب ورود الحديث . فقد ذكر ابن حمزة الحسيني أن السبب قد يأتي تارة في عصر النبوة ، وتارة بعدها ، وتارة يأتي بالأمرين [4] . وصاحب هذا الرأي هو الحافظ بن ناصر الدين الدمشقي كما قال الشريف ابن حمزة ، وقد أشار إلى اعتراض المتأخرين على هذا التعريف ولكنه رجحه وحجته في ذلك :

" لان فيها بيان السبب في الجملة فإن الصحابة رضي الله عنهم حفظوا الأقوال والافعال وحافظوا على الأطوار والأحوال فيكون السبب في الورود عنهم مبيناً لما يعلم سببه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- " [5] ولا يخفى أن هذا التعليل فيه خلط بين السبب لغة وفي اصطلاح الأصوليين وبين معنى السبب في اصطلاح أسباب ورود الحديث الذي هو نظير أسباب تنزيل القرآن .

---

(١) اللمع في اسباب ورود الحديث ص٧٥ .

(٢) انظر هامش اللمع في اسباب ورود الحديث سبب ٤ حديث ٢ ص٧٥ .

(٣) **حديث دم الحيض** : عن اسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها قالت : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دم الحيض يكون في الثوب . قال : حتيه ثم اقرصيه بالماء واغسليه وصلّي . **وحديث أي الاعمال افضل** . عن أبي ذر رضي الله عنه قال : يا رسول الله : أي العمل أفضل ؟ قال : " الايمان بالله والجهاد في سبيله " . **وحديث أي ذنب أعظم** : عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الذنب أعظم ؟ قال : (أعظم الذنب أن تجعل لله نداً وهو خلقك " الحديث .

(٤) البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث لابراهيم بن محمد بن كمال الدين الشهير بابن حمزة الحسيني ج١ ص٣٤ . مقدمة الكتاب .

(٥) المصدر السابق ج١ ص٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأمثلة على ذلك : قال ابن حمزة الحسيني : " وأفاد الحافظ ابن ناصرالدين الدمشقي في التعليقة اللطيفة لحديث البضعة الشريفة : إنه يأتي سبب الحديث تارة في عصر النبوة وتارة بعدها وتارة يأتي بالأمرين كحديث البضْعة . أما سببه في عصر النبوة فخطْبَةُ علي رضي الله عنه ابنة أبي جهل على فاطمة رضي الله عنها . فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما فاطمة بضعة مني... الحديث [1] . وأما سببه بعد عصر النبوة فما رواه المسّور تسلية وتعزية لأهل البيت رضي الله عنهم وذلك لما تلقاهم المسلمون حين قدموا المدينة وكان فيمن تلقاهم المسور بن مخرمة فحدث زين العابدين وأهل البيت رضي الله عنهم بهذا الحديث وفيه تسلية عن هذا المصاب ، وقد علم بما قرره أن من الأسباب ما يكون بعد عصر النبوة كما في أحاديث ذكروا أسباب ورودها عن الصحابة رضي الله عنهم " [2] .

وهذا ما قيل عنه انه سبب حدث بعد عصر النبوة لا يجوز أن يدخل في أسباب ورود الحديث لأنه لا يخفى انه لا ينطبق على معنى السبب في اصطلاح فن أسباب التنزيل .

الإشكال الثاني :

مسألة تزامن قول الحديث بما ربط من سبب له . فمعرفة هذا الأمر وإن كان فيه مشقة إلاّ أنه ممكن لذوي الهمم العالية . وبمعرفة التزامن تقصى الاسرائيليات والمرويات التي تعد شرحاً وتوضيحاً لمعنى الحديث ولا تكون سبباً في ورود الحديث . وقد أشار البلقيني في كتابه محاسن الاصطلاح إلى تعاقب الأحاديث والأسباب [3] وملخص ما ذكر : (أن السبب قد يذكر في الحديث ، وقد لا يذكر السبب في الحديث ، أو يذكر في بعض طرقه وهو الذي ينبغي الاعتناء به) [4] .

موازنة بين أسباب تنزيل القرآن وبين أسباب ورود الحديث

١- قال ابن حمزة الحسيني : " أعلم أن أسباب ورود الحديث كأسباب نزول القرآن ، والحديث الشريف في الورود على قسمين : ما له سبب قيل لأجله ، وما لا سبب له " [5] .

وهذا نفس ما قاله ابراهيم الجعبري[6] وغيره عن أسباب نزول القرآن .

---

(١) وبقية الحديث (فمن أغضبها فقد أغضبني). رواه الشيخان .

(٢) ص٣٤ ج١ البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف لابن حمزة الحسيني ، المكتبة العلمية بيروت ط١ ١٤٠٢هـ ١٩٨٢ .

(٣) انظر ص٣٣ ، ص٣٤ ج١ البيان والتعريف ، وما اقتبسه من امثلة عن البلقيني .

(٤) بتصرف من ص٣٢ ، ص٣٣ ج١ البيان والتعريف وهو مأخوذ عن البلقيني من كتابه محاسن الاصطلاح .

(٥) ص٣٢ البيان والتعريف ، وهذا القول في أصله ولفظه للحافظ البلقيني في كتابه محاسن الاصطلاح وقد قال ابن حمزة الحسيني عقب ذلك (هذا ملخص ما أفاده البلقيني في كتاب محاسن الاصطلاح) ص٣٤ .

(٦) انظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص ٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- أسباب التنزيل وأسباب الورود هي في اغلبها وقائع حدثت ، أو أسئلة طرحت ونزل بشأنها وهي سواء أكان هذا الوحي معنى ولفظاً من الله تعالى ؟ أم كان معنى من الله تعالى ولفظاً من الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، ومن مسلمات القضايا أن الوحي بنوعيه جاء لتصحيح الأخطاء الشائعة في المجتمعات الكافرة آنذاك وجاء ليقلب الأوضاع الفاسدة رأساً على عقب لتكون في صياغة جديدة حسبما حدد معالمها الإسلام . وعليه فتشابه اسباب النزول بأسباب الورود أمر لا لبس فيه .

٣- طريقة معرفة أسباب تنزيل القرآن تكون بالقضايا التي تحيط بالرواية وبالقرائن والأحوال التي تكتنفها وكذلك أسباب ورود الحديث قال ابن حمزة الحسيني نقلاً عن البلقيني " وما ذكر في هذا النوع من الأسباب قد يكون ما ذكر عقب ذلك من لفظ النبي -صلى الله عليه وسلم- أول ما تكلم به النبي -صلى الله عليه وسلم- في ذلك الوقت لأمور تظهر للعارف بهذا الشأن) . وعليه تكون طريقة معرفة كل منهما هي الطريق نفسها .

٤- الفوائد لكل من البحثين تكاد تكون واحدة فهي مسألة بيان مناط النصوص في الكتاب والسنة ، فتعين على فهم بعض النصوص ، وتيسير الحفظ، وتعين على معرفة الناسخ والمنسوخ وغير ذلك . وأكتفي بهذه العجالة لكون موضوع البحث وإن كان يشبه أسباب تنزيل القرآن غير أنه لا يدخل في بحثنا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول
المبحث الرابع

الفرق بين سبب التنزيل ومناسبة الآيات والعلاقة بينهما

مناسبة الآيات يقصد بها صلة الآية بما قبلها وبما بعدها ، وعلاقة فاتحة السورة بخاتمتها ويدخل فيه كذلك السوَر ؛ علاقة آخر السورة بأول السورة التي تليها . وهذا الأخير مبني على أساس أن ترتيب السور في القرآن توقيفي ، وهو رأي مرجوح [١] . وإن كانت المسألة خلافية . وبالنظر إلى معنى مناسبة الآيات يدرك المرء أنها مسألة عقلية ، ولم يرد فيها نقل قط . ولا سيما أن جمع القرآن في مكان واحد قد تمّ بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في عهد أبي بكر الصديق .

وعلم مناسبة الآيات دقيق يحتاج إلى عمق في التفكير ، وبعد في النظر ، فلم يعمد إليه إلاّ القليل القليل من العلماء كالامام الفخر الرازي ، وأبي جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان . وقد جعل علماء هذا الفن أنواعاً لارتباط الآي ببعضها [٢] وليس هذا محل بحثه . أما أسباب التنزيل فهي تعتمد على النقل في الدرجة الأولى سواء كان لنصوص شرعية أم لوقائع وأحداث جاهلية أم لأسئلة واستفسارات وفتاوى صدرت عن صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- . وهذا هو الفرق الأول وهو الأساس في التفريق بينهما . وبايجاز نقول : إن علم المناسبة عقلي ، وسبب التنزيل نقلي .

ومن جهة ثانية فإن علم أسباب التنزيل يجمع على أهميته كل من يعتد برأيهم من أهل التفسير ، في حين علم المناسبة بين الآيات قال به علماء وأعرض عنه كثيرون . وقد أثار الزركشي مسألة من يبدأ به أولاً في التفسير المناسبة أو سبب التنزيل : فقال : " واعلم أنه جرت عادة المفسرين أن يبدأوا بذكر سبب التنزيل ، ووقع البحث : أيّما أولى البداءة به بتقدم السبب على المسبب ، أو بالمناسبة ، لأنها المصحِّحَة لنظم الكلام ، وهي سابقة على التنزيل [٣] ، وكان جوابه التفصيل . فقال : " والتحقيق التفصيل ، بين أن يكون وجه المناسبة متوقفاً على سبب التنزيل كالآية السابقة [**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**] [٤] فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب ، لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد ، وإن لم يتوقف على ذلك فالأولى تقديم وجه المناسبة) [٥] . وهذا رأي أراه جديراً بالتبني ، وأقوى في الحجة . لأن بعض الآيات نزلت على أسباب معينة ولكنها وضعت في السورة كما أمر الوحي كما كانت في اللوح المحفوظ .

---

(١) لأنه ثبت أن للصحابة رضوان الله عليهم مصاحف تختلف في ترتيب سورها عن المصحف العثماني ، ولو كان توقيفيا لما وجد هذا الاختلاف ، ولأدلة أخرى ليس هذا محلها .

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن ص٤٠ - ص٥٠ ج١ - وانظر الاتقان في علوم القرآن النوع الثاني والستون ج٢ ص١٣٨ .

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج١ ص٣٤ .

(٤) سورة النساء آية ٥٨ .

(٥) البرهان في علون القرآن للزركشي ج١ ص٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وألفاظ القرآن عامة فتدخل فيها أسباب التنزيل بطريقة القطع لكن مناسبة الآيات تدخل بطريق الظن والأخير أضعف من الأول ، فيقدم الأقوى في الدلالة وهو سبب النزول على الأضعف وهو مناسبة الآيات في التفسير (إن كان للآية سبب) .

وثمة صلة أخرى بين سبب التنزيل ومناسبة الآيات وهو أن السياق القرآني يعد مرجحاً لرواية على أخرى في روايات أسباب التنزيل . وقد سبق ان ضربنا مثالاً لذلك في سورة الحجر [1] فرددنا الروايات التي تقول ان آية [**ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين**] [2] نزلت في صفوف الصلاة لأن السياق القرآني لا يحتمل مثل تلك الرواية ويردها فالآية التي سبقتها هي [**وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون**] فتحدد موضوع الآيات بأن يتعلق بعلم الله بالأمم التي بادت وبالأمم التي ستأتي بعد ، إلى اليوم الذي يرث الله فيه الأرض ومن عليها . فعلم المناسبة يشكل قاعدة يقاس عليها روايات أسباب التنزيل فتعتمد أو ترد . وهذه نتيجة جديرة بالملاحظة .

وعليه فسبب التنزيل غير مناسبة الآيات وقد يطلق خطأ مناسبة التنزيل ويراد به سبب التنزيل فكل مصطلح له معنى محدد ، ومفهوم معين يختلف عن الآخر ينبغي الوقوف عليه وكلاهما من علوم القرآن ومن الأدوات التي ينبغي الاحاطة بها في علم التفسير .

---

(١) وانظر الفصل الثاني دراسة نفس الآية ، بتفصيل أكثر ، وهي الآية الأولى في الفصل .

(٢) سورة الحجر آية ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية لبعض مرويات اسباب التنزيل

نعيش في هذا الفصل مع عدد من الروايات التي وردت الينا كسبب تنزيل لبعض الايات أو السور ، ونعرضها على حد سبب التنزيل ، ونرى مدى انطباقها عليه ، ومدى توفر الأطر الخمسة التي اعتمدناها لضبط رواية سبب التنزيل عن غيرها ، وبذلك ننخل روايات أسباب التنزيل ونخرج الروايات التي لا تعد من اسرة أسباب التنزيل ، ونعرج كذلك على الرواية التي اقصيت فهل تعد تفسيراً أو انها ترد ولا تقبل ؟ فنعلق على كل رواية على حده . وبذلك تتضح لنا سمات وقسمات روايات أسباب التنزيل ، وتتبدى صورة سبب التنزيل جلية ، ويتبلور عمق الاحساس ، وصحة الذوق في تمييز روايات أسباب التنزيل عن غيرها . وكلي أمل أن أوفق في تحقيق ذلك ، وعلى الله توكلي ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، وهو الهادي الى سواء السبيل .

واليك نماذج من هذه الدراسة اذكر الاية اولاً ثم الرواية أو الروايات ثم أنقد الروايات ثم أسجل نتيجة هذه الدراسة .

١ - [ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين] [١]

قال الواحدي : أخبرنا نصر بن أبي نصر الواعظ ، قال : أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن محمد ابن نُصير الرّازي ، قال : أخبرنا [محمد بن أيوب الرازي ، قال : أخبرنا] سعيد بن منصور ، قال : حدثنا نوح بن قيس الطاحي ، قال : حدثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس[٢] قال : " كانت تصلي خلف النبي -صلى الله عليه وسلم- امرأة حسناء في آخر النساء ، فكن بعضهم يتقدم الى الصف الاول لئلا يراها ، وكان بعضهم يكون في الصف المؤخر ، فاذا ركع هكذا - ونظر من تحت إبطه - فنزلت الآية [٣] .

---

(١) سورة الحجر آية ٢٤ .

(٢) السند بهذا التصحيح من نسخة سيّد أحمد صقر . أما النسخ الأخرى فتعج بالأخطاء . وما بين [ ] من تحقيق المحقق سيّد صقر .

(٣) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٨٠ ، ص٢٨١ طبعة دار القبلة تحقيق سيّد صقر - وانظر لباب النقول للسيوطي ص١٣٢ ، قال الساعاتي في الفتح الرباني : رواه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وأبو داود الطيالسي وابن خزيمة وابن حبان كذلك والبيهقي في سننه ، انظر الفتح الرباني ج١٨ ص ١٩٠ .

سنن الترمذي : رقم ٥١٢٨ أبواب التفسير ج٤ ص٣٥٩ طبعة دار الفكر بيروت تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان .

سنن النسائي : ٢/ ١١٨ كتاب الإمامة باب المنفرد خلف الصف بشرح السيوطي وحاشية السند م١ طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت .

سنن ابن ماجة : رقم ١٠٤٦ كتاب إقامة الصلاة باب الخشوع .

مسند الطيالسي : ٢/ ٢٠ رقم ١٩٦٠ .

موارد الظمآن : كتاب التفسير رقم ١٧٤٩ .

المستدرك : ٢/ ٣٥٣ كتاب التفسير سورة الحجر .

تفسير الطبري : ج١٤ ص٢٦ م٨ طبعة دار الفكر ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م وانظر كتب لتفسير المختلفة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال الربيع بن أنس [1] : حرّض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الصف الاول في الصلاة ، فازدحم الناس عليه وكان بنو عذْرة دورهم قاصية عن المسجد، فقالوا : نبيع دورنا ونشتري دورا قريبة من المسجد فأنزل الله تعالى هذه الاية [2] .

وقال السيوطي (ك : وأخرج ابن مردويه عن داود بن صالح انه سأل سهل بن حنيف الانصاري [3] [**ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين**] أنزلت في سبيل الله ؟ قال : لا ، ولكنها في صفوف الصلاة [4]

دراسة الروايات ومناقشتها :

لا يجوز أن تكون هذه الرواية بالفاظها المختلفة وطرقها المتعددة سبباً لتنزيل هذه الآية وذلك لما يأتي :

١- الآية والسورة كلها مكية بالاجماع [5] ، ولم تكن بمكة مساجد ولا أماكن مخصصة لاقامة صلاة الجماعة . وقد نزلت السورة قبل سورة الانعام أي ما بين السنة الرابعة والخامسة للبعثة على وجه التقريب . وعليه فالتزامن بين نزول الاية وحدوث القصة غير متحقق ولذلك ترد هذه الرواية كسبب تنزيل من هذه الزاوية .

٢- مفهوم الآية لا يستوعب القصة فلا يوجد أي دلالة أو أي أمارة تدل على أن الاية تتعلق بصفوف الصلاة . أو تتعلق بالصلاة .

---

(١) تابعي روى عن الصحابة والتابعين ، قال ابن معين كان يتشيع فيفرط ، وذكره ابن حيان في الثقات وقال : الناس يتقون من حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه لأن في أحاديثه عنه اضطراباً كثيراً تهذيب التهذيب ج٣ ترجمة ٤٦١ ص٢٠٧ .

(٢) اسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٨١ .

(٣) صحابي شهد بدراً والمشاهد كلها - انظر تهذيب التهذيب ج٤ ص٢٢٠ ترجمة ٤٣٩ .

(٤) لباب النقول للسيوطي ص١٣٢ .

(٥) قال ابو العلا محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ((هي مكية باجماعهم)) تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي م٨ ، ص ٥٥١ ، ونقل الاجماع كذلك الشوكاني في فتح القدير ، والقرطبي في الجامع لاحكام القران ج٣ ص ١٢٠ والخازن ج٣ ص ٩٣ ، وسليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل في الفتوحات الالهية ج٢ ص ٥٣٧ ، وابن عاشور ج١٤ ص ٥ التحرير والتنوير - ومحمد السيد طنطاوي في التفسير الوسيط م٨ ص ٤ وغيرهم وممن نقلوا مكية الاية والسورة - ابن الفرّيس في فضائل القران انظر ص ٣٤ تحقيق غزوة بدير وتحقيق اخر لمسفر بن سعيد احمد دماس ص٦١ . انظر البرهان في علوم القران ج١ ص ١٩٣ ، والاتقان ج١ ص ١٢ . ١٣ وانظر دلائل النبوة للبيهقي - والناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- السياق القراني للآيات يلفظ هذه الرواية بقوة . فالآية التي سبقتها مباشرة نصها : [**إنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون**] والآية التي تليها مباشرة هي [**وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم**] فالايات تتعلق ببيان قدرة الله وسعة علمه . فهي من أدلة التوحيد بقدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة علي وجه الارض ، وهو وحده الذي يرث الارض ومن عليها في يوم الجزاء وقد علم تعالى الامم والأقوام التي سبقت من لدن آدم عليه السلام حتى نزول هذه الآية [١] ، وكذلك علم الأمم التي ستخلق وستأتي حتى يرث الله الأرض ومن عليها [٢] . فهذا السياق لا يمت إلى الصلاة بصلة . وترد كذلك جميع الروايات التي تزعم أنها جاءت في غير هذا الموضوع [٣] . ومما يؤكد ما ذهبنا إليه قول ابن جرير الطبري : حدثني محمد ابن أبي معشر ، قال : أخبرني أبو معشر ، قال سمعت عون بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود يذاكر محمد بن كعب في قول الله [الآية] فقال عون : خير صفوف الرجال المقدم ، الرواية ، فقال محمد بن كعب : ليس هكذا ولقد علمنا المستقدمين منكم الميت والمقتول ، والمستأخرين من يلحق بهم بعد ، وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم . فقال عون بن عبد الله : "وفقك الله وجزاك خيراً " [٤]. وقال أبو حيان في البحر المحيط بعد أن ذكر الأقوال المقولة في الآية : " والأولى حمل هذه الأقوال على التمثيل لا على الحصر . والمعنى أنه تعالى محيط علمه بمن تقدم وبمن تأخر وبأحوالهم . ثم أعلم تعالى أنه يحشرهم [٥] .

٤- لقد ورد في القرآن الكريم ما يربو على مائتي آية تمدح صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فهم الذين نقلوا لنا كل ما جاء به الوحي ، على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- . فهل يتصور من جماعتهم أن يتسابقوا للصلاة من أجل الفاحشة ، واستراق النظر الى حسناء ؟! وهل يعقل انهم يفكرون بارتكاب المنكر وهم بين يدي رب العالمين ؟!وهم جماعة ظاهرون غير مستترين ؟! إنّا لننزههم عن مثل هذه الافعال المشينة التي لا تليق بمسلم في مثل هذا المقام فضلاً عن أن تصدر عن جماعة ممن نقلوا لنا الوحي بأمانة واخلاص . وقد بشروا بالجنّة وهم أحياء ، فمثل هذه المقولات عنهم ترد ولا تقبل ان تسمع فلا تعد سبب نزول ولا تفسيراً للآية .

---

(١) انظر تفسير الطبري م٨ ج ١٤ ص ٢٤ وهو قول قتادة . وانظر تفسير القرطبي والبغوي وغيرهم وانظر اقول الصحابة والتابعين في كتب التفسير الكثيرة . وانظر قول ابن عباس في تفسير ابن كثير ج٢ ص ٥٤٩ فقال : ((المستقدمون كل من هلك من لدن ادم عليه السلام . والمستاخرون من هو حي ومن سيأتي الى يوم القيامة . وقال ابن كثير وروى نحوه عن عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة ومحمد بن كعب والشعبي وغيرهم وهو اختيار ابن جرير رحمه ا لله . وانظر قول بن عباس في تفسير ابن جرير ص ٢٤ ج ١٤ م٨.

(٢) نفس المصادر السابقة .

(٣) قيل في صفوف الصلاة وقيل المصلين في اول الوقت واخره ، وقيل في الطاعة وقيل في القتال انظر تفسير البغوي ص ٤٨ ج ٣ .

(٤) تفسير الطبري ج١٤ ص٢٣ طبعة دار الفكر .

(٥) تفسير البحر المحيط ج ٥ ص ٤٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- أما من حيث السند فهو سند مطعون فيه . ففيه أبو الجوزاء [١] : قال البخاري : في إسناده نظر . وقال ابن كثير : وهذا فيه نكارة شديدة [٢] . وفيه عمرو بن مالك النكري البصري صدوق له أوهام [٣] - وقال صاحب تحفة الأحوذي : (لكن الأشبه أنه قول أبي الجوزاء كما صرّح به الترمذي حيث قال : (وروى جعفر ابن سليمان هذا الحديث عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء نَحْوَهُ ولم يذكر فيه عن ابن عباس . وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح [٤] .وهذا التعقيب يفيد توهين رواية نوح بن قيس الطاحي ولا نغتر بقول الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه [٥] . وقد أقره الذهبي على ذلك . فهذا أمر مألوف في المستدرك ، والغريب هو موافقة الذهبي له على ذلك . وقد تكررت مثل هذه الموافقات فلا يعتد بها كذلك . وقد ذكر الطبري فقال :.. أخبرنا جعفر بن سليمان ، قال : أخبرني عمرو بن مالك ، قال سمعت أبا الجوزاء يقول [٦] :

(الرواية) فالرواية من قول أبي الجوزاء وتعد مقطوعة لأنه لا يوجد لابن عباس أي ذكر كما قال الترمذي [٧] وقال ابن حجر [٨] : قال البزار : لا نعلم رواه ابن عباس ولا له طريق إلاّ هذه . وقال الترمذي روى عن أبي الجوزاء مرسلا وهو أشبه أ. هـ . وقال ابن عاشور تعقيبا على ما أخرجه الترمذي من طريق نوح بن قيس ومن طريق جعفر بن سليمان في سبب نزول الآية قال : (وهو خبر واهٍ لا يلاقي انتظام هذه الايات ، ولا يكون الاّ من التفاسير الضعيفة .) [٩] . وقال أبو السعود : بعد أن ذكر المعنى من تقدم منكم ولادة وموتا وذكر صفوف الصلاة وساق رواية المرأة الحسناء دون إسناد فقال عقب ذلك [١٠] : (والأول هو المناسب لما سبق وما لحق من قوله تعالى : [**وإن ربك هو يحشرهم**] . وأبو السعود يشير الى أن السياق القراني لا يقبل هذه الرواية أن تكون من التفسير أو من باب سبب التنزيل .

---

(١) هو أوس بن عبد الله الرّبَعي البصري . قال البخاري في اسناده نظر (- التاريخ الكبير ترجمة ١٥٤٠ ص ١٦ ، ص١٧ م٢ القسم لثاني من الجزء الاول) وقال ابن حجر في تهذيب التهديب : وقول البخاري في اسناده نظر ، ويختلفون فيه انما قاله عقب حديث رواه له في التاريخ من رواية عمر بن مالك البكري . والبكري ضعيف عنده . وقال ابن عدي : حدث عنه عمرو بن مالك قدر عشرة احاديث غير محفوظة . وابو الجوزاء روى عن الصحابة وارجو ان لا بأس به ، ولا يصح روايته عنهم انه سمع منهم . تهذيب التهذيب م١ ص ٣٣٥ ، ص ٣٣٦ ترجمة ٧٠٢ وقال ابن حجر في التقريب يرسل كثيرا .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٥٠ .

(٤) تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي م ٨ ص ٥٥١ .

(٥) المستدرك للحاكم م ٢ ص ٣٥٢ كتاب التفسير - تفسير سورة الحجر .

(٦) تفسير الطبري ج ١٤ ص ٢٦ م٨ .

(٧) وقال القرطبي : (وروي عن ابي الجوزاء ولم يذكر ابن عباس) وهو اصح ج ١٠ ص ١٩ الجامع لأحكام القرآن .

(٨) الكافي الشاف في تخريج احاديث الكشاف لابن حجر ص ٩٣ .

(٩) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ١٤ ص ٤٠ .

(١٠) ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم لابي السعود محمد بن محمد العمادي ج٥ ص٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي جامع مرويات ابن عباس في التفسير من كتب السُنّة قال بعد محاكمته للرواية . (فهذا هو المعنى المناسب لسياق الايات . أما المعنى المذكور في حديث الباب فمع أنه مما يستبعد وقوعه في عصر النبي -صلى الله عليه وسلم- فهو بعيد عن سياق الآيات) [1] .

مما تقدم نستطيع القول بأن هذه الرواية لا تصلح أن تدخل في دائرة أسباب التنزيل لانها فقدت الأطر الخمسة . وعليه فلا يوجد سبب نزول لاية الحجر هذه .

والرواية كذلك لا تدخل في باب التفسير لان مفهوم الاية وسياق الايات لا يحتملها فهي في موضوع آخر يختلف تمام الاختلاف عن موضوع الاية في السورة . وتعد من الأباطيل التي يجب أن تمحى من تاريخ المسلمين .

٢ سورة المسد كاملة [**تبّت يدا أبي لهب وتبّ** . .]

١- قال الواحدي [2] : (أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري ، أخبرنا حاجب بن أحمد ، حدثنا محمد بن حماد ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : صعد رسول الله صلي الله عليه وسلم ذات يوم الصّفا . فقال : ياصباحاه [3] ! فاجتمعت اليه قريش ، فقالوا له : مالك ؟ فقال : أرأيتم لو أخبرتكم : أن العدوّ مصبحكم أو ممسيكم ، ما كنتم تصدقوني ؟ قالوا : بلى . قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تباً لك ألهذا دعوتنا جميعاً ؟! فأنزل الله عز وجل : [**تبت يدا أبي لهب وتب**] الى آخر السورة . وقد ذكر بعدها ثلاثَ روايات تدور حول نفس القصة ونفس الشخص وهو " ابو لهب " .

٢- ومن زيادات السيوطي في لباب النقول قال : (وأخرج ابن جرير من طريق اسرائيل عن أبي اسحاق عن رجل من همدان يقال له يزيد بن زيد أن امرأة أبي لهب كانت تلقي في طريق النبي -صلى الله عليه وسلم- الشوك . فنزلت : [**تبت يدا أبي لهب**] الى [**وامرأته حمالة الحطب**] . وقال : وأخرج ابن المنذر عن عكرمة مثله [4] .

---

(١) تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة .د. عبد العزيز بن عبد الله الحميدي ج ٢ ص ٥١٢ .

(٢) اسباب نزول القران للواحدي ص ٢٠٧ - ٢٠٩ وهذه الحادثة رواها البخاري في كتاب التفسير حديث رقم ٤٩٧١ و ٤٩٧٢ ، ٤٩٧٣ ورواه مسلم واحمد الترمذي وغيرهم - وانظر تفسير الطبري ج ٣٠ م ١٥ ص ٣٣٦ والدر المنثور ج ٣٠ ص ٦٦٦ ، تفسير الرازي ج ٣٢ ص ١٦٥ - تفسير الخازن ج ٤ ص ٤٤٥ ، تفسير احكام القرآن لابن العربي ج٤ ص ١٩٨١ وغيرها وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص ٢٠٠ طبعة دار صادر بيروت .

(٣) قال في الفتح الرباني : قال في النهاية : هذه كلمة يقولها المستغيث . واصلها اذا صاحوا للغارة لانهم اكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح ، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح فكان القائل ياصباحاه يقول قد غشينا العدو ج ١٨ ص ٣٤٢ ونقل سيد صقر نفس المعنى عن لسان العرب لابن منظور في هامش اسباب النزول للواحدي ص ٢٠٨ .

(٤) لباب النقول للسيوطي ص ٢٤٥ تفسير الطبري ج ٣٠ م ١٥ ص ٣٣٨ - الدر المنثور ص ٦٦٧ ج ٣٠ م ٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- قال القرطبي [١] (وقيل إن سبب نزولها ما حكاه عبد الرحمن بن زيد أن أبا لهب أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال : ماذا أُعطى إن آمنتُ بك يا محمد ؟ " كما يعطى المسلمون " قال مالي عليهم فضل ؟! قال : وأي شيء تبغي ؟ قال : تباً لهذا من دين ، أن أكون أنا وهؤلاء سواء ، فأنزل الله تعالى فيه : [**تبت يدا أبي لهب وتب ..**]

٤- وقول آخر[٢] [حكاه عبد الرحمن بن كيسان قال : كان اذا وفد على النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد انطلق اليهم ابو لهب ، فيسألونه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويقولون له : أنت أعلم به منّا فيقول لهم أبو لهب : إنه كذاب ساحر . فيرجعون عنه ولا يُلْقونه . فأتى وفد ، ففعل معهم مثل ذلك ، فقالوا : لا ننصرف حتى نراه ونسمع كلامه . فقال لهم أبو لهب : إنا لم نزل نعالجه فتباً له وتعساً . فأخبر بذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاكتأب لذلك ، فأنزل الله [**تبت يدا أبي لهب ..**] السورة .

٥- وقيل : (إن أبا لهب أراد أن يرمي النبي -صلى الله عليه وسلم- بحجر ، فمنعه الله من ذلك وأنزل الله تعالى : [**تبت يدا أبي لهب**] للمنع الذي وقع به [٣]

٦- وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال : ما كان ابو لهب الاّ من كفار قريش ، ما هو حتى خرج من الشعب حين تمالأت قريش حتى حصرونا في الشعب وظاهروهم ، فلما خرج أبو لهب من الشعب وظاهرهم ، لقي هندا بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه ، فقال : يا ابنة عتبة هل نصرت اللات والعزى ؟ قالت : نعم فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة . قال : إن محمدا يعدنا أشياء لا نراها كائنة ، يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فما ذاك ؟ وضع في يدي ، ثم نفخ في يديه ثم قال تباً لكما ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد ، فنزلت [**تبت يدا أبي لهب**] قال ابن عباس : فحصرنا في الشعب ثلاث سنين ، وقطعوا عنا الميره حتى أن الرجل ليخرج منا بالنفقة فما يبايع حتى يرجع حتى هلك فينا من هلك) [٤] .

٧- وهناك روايات تقول إنه جمع أعمامه وقدّم اليهم طعاماً في صحفة فاستحقروه ، وقالوا إن أحدنا يأكل كل الشاة ، فقال : كلوا فأكلوا حتى شبعوا ، ولم ينقص من الطعام إلاّ اليسير ، ثم قالوا فما عندك ؟ فدعاهم الى الاسلام ، فقال أبو لهب ما قال [٥] .

---

(١) تفسير القرطبي ج ٢ ص ٢٣٥ .

تفسير الرازي ج ٣٢ ص ١٦٦ .

(٢) المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٣) المصدر السابق . وذكر الالوسي عن طارق المحاربي انه كان في سوق ذي المجاز ورسول الله يدعو الناس وابو لهب خلفه يرميه بالحجارة حتى ادمى قدميه وعرقوبيه ويقول للناس كذاب فلا تصدقوه ج ٣٠ ص ٢٦٠ ، وانظر تفسير الرازي ج ٣٢ ص ١٦٦ والخازن ج ٤ ص ٤٤٥ .

* المسيرة رأي الطعام .

(٤) الدر المنثور ج ٨ ص ٦٦٥ التفسير الكبير للرازي ج ٣٢ ص ١٦٧ - روح المعاني للالوسي ج ٣٠ ص ٢٦٠ .

(٥) التفسير الكبير للرازي ج ٣٢ ص ١٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك روايات أخرى ذكرها الرازي والالوسي وغيرهما . والمشهور من هذه الروايات ما رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وجل كتب التفسير وهو أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان يدعو الى الاسلام سرا في أول مبعثه واستمر على هذا الحال ثلاث سنين . وعندما نزل قوله تعالى : [**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**] (١) ونزل قوله تعالى : [**وأنذر عشيرتك الأقربين**] (٢) صعد الرسول -صلى الله عليه وسلم- الصفا - الى آخر القصة . وقد رويت بألفاظ مختلفة تفيد نفس المعنى . وهي الرواية الأولى التي سقناها كما أوردها الواحدي . وقد اقتصر ابن العربي عليها كسبب تنزيل السورة .

دراسة الروايات وتمحيصها :

وبالنظر في الروايات فاننا نقصي منها ما لم يتزامن مع نزول الاية ، فالرواية التي تقول إنّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان يدعوا وكان خلفه أبو لهب يكذبه ، في سوق ذي المجاز . ويقول إنه ساحر ، وما قيل إنه كان يرميه بالحجارة حتى أدميت قدماه ، وعراقيب رجليه ، والرواية القائلة أنهم حصروا في الشعب ثلاث سنين ، وكذلك الرواية التي تقول ان الرسول -صلى الله عليه وسلم- اكتأب لصد أبي لهب الناس عنه ، أو ماذا يعطى أبو لهب إن آمن مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، كل ذلك وأضرابه من الروايات يرد كسبب تنزيل للسورة لعدم تزامنها مع نزول السور . والرواية التي تتزامن مع نزول السورة هي ما ثبت في الصحيحين من أن السورة نزلت بعد أن انتهت فترة الدعوة السرية ، وابتدأت المرحلة العلنية حيث الصراع الفكري مع كفار قريش . أي بعد نزول قوله تعالى : [**وأنذر عشيرتك الأقربين**] ، فدعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عشيرته وفي رواية ذكر بطون قريش بطنا بطنا ، فقال يا بني فلان ، يا بني فلان .. فقال أبو لهب ما قال ، وجاء الوحي بالسورة لتحطم الشخصيات المضللة التي تتولى الزعامة في محاربة دعوة رسول الله -صلى الله عليه وسلم.

وأما رواية دعوة الرسول -صلى الله عليه وسلم- أعمامه على طعام استحقروه فهي لا تثبت أمام رواية البخاري ومسلم وأصحاب السنن في أن السورة نزلت على اثر ما شرع به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الدعوة كمرحلة جديدة تطبيقاً لقوله تعالى [**وأنذر عشيرتك الأقربين**] فصعد الصفا ودعا عشيرته كما نصت الروايات في الصحيحين وغيرهما . وهذه الرواية يتناولها النص بمنطوقه ومفهومه صراحة ، وتتناسق مع السياق في السورة ، ولا تعارض رواية اخرى أقوى منها ، وسندها صحيح وعليه فهي سبب نزول للسورة يعتمد ويؤخذ به دون أيّ إشكال . وعليه فتخرج باقي الروايات من دائرة أسباب التنزيل ، وتبقى هذه الرواية وحدها في زمرة روايات أسباب التنزيل لتوفر الاطر الخمسة فيها .

أما بقية الروايات فتدخل في دائرة التفسير لانها تدخل في مفهوم النص فتبين السبب الذي من أجله هلك أبو لهب وحكم عليه أنه من أهل النار . وفي التفسير لا يشترط تزامن الرواية مع نزول النص ، ولهذا يمكن ادخالها في باب التفسير .

---

(١) سورة الحجر اية ٩٤ .

(٢) سورة الشعراء اية ٢١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- [ولا تَمُدَّنَّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى] (١) .

قال الواحدي : أخبرنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي ، قال أخبرنا شعيب بن محمد البيهقي قال : أخبرنا مكي بن عبدان ، قال : حدثنا أبو الازهر ، قال : حدثنا روح ، عن موسى بن عُبَيْدَة الربذي ، قال : أخبرني يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط ، عن أبي رافع مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- " أن ضيفاً نزل برسول الله -صلى الله عليه وسلم- فدعاني فأرسلني الى رجل من اليهود ، يبيع طعاماً : يقول لك محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (إنه) نزل بنا ضيف ، ولم يُلق عندنا بعض الذي يُصْلِحُه فبعني كذا وكذا من الدقيق ، أو أسلفني إلى هلال رجب ، فقال اليهودي : لا أبيعه ولا أسلفه الاّ برهن ، قال : فرجعت إليه فأخبرته ، فقال : والله إني لأمين في السماء ، أمين في الأرض ولو اسلفني أو باعني لاديت اليه ، اذهب بدرعي ، فنزلت هذه الآية تعزيةً له عن الدنيا) (٢)

دراسة الرواية وتمحيصها

إذا نظرنا للزمن بين نزول الآية وبين هذه الرواية فاننا نجده بعيداً ، فالآية مكيّة ، والحادثة وقعت في أواخر العهد المدني حيث توفي الرسول -صلى الله عليه وسلم- ودرعه مرهونة عند يهودي . قال القرطبي تعقيبا على هذا السبب : قال ابن عطية : وهذا معترض أن يكون سبباً ، لان السورة مكيّة ، والقصة المذكورة مدنية في آخر عمر النبي -صلى الله عليه وسلم- ، لانه مات ودرعه مرهونة عند يهودي بهذه القصة التي ذكرت . وانما الظاهر أن الآية متناسقة مع ما قبلها ، وذلك أن الله تعالى وبّخهم على ترك الاعتبار بالامم السالفة ثم توعدهم بالعذاب المؤجل ، ثم أمر نبيّه بالاحتقار لشأنهم والصبر على اقوالهم ، والاعراض عن اموالهم وما في ايديهم من الدنيا اذ ذلك منصرم عنهم صائر الى اخرى) (٣) وقد أيّد القرطبي هذا الرأي بدليل آخر وهو ان الرسول -صلى الله عليه وسلم- تلا هذه الاية عندما مرّ بإبل بني المصطلق . وعليه فلا تصلح أن تكون هذه الرواية سببا لتنزيل الآية .

---

(١) سورة طه اية ١٣١ .

(٢) اسباب نزول القران للواحدي ص ٣١٣ لباب النقول للسيوطي ص ١٤٩ وقال : اخرج ابن أبي شيبة وابن مردويه وابرار وابو يعلى عن ابي رافع تفسير الطبري ج ١٦ ص ٢٣٥ تفسير البغوي ج ٣ ص ٢٣٦ ، تفسير الطبرسي م ٤ ج ٧ ص ٥٩ - تفسير الرازي ج ٢٢ ص ١٣٥ تفسير الخازن ج ٣ ص ٢٦٩ الدر المنثور م ٥ ص ٦١٢ ، فتح القدير للشوكاني م ٣ ص ٣٩٥ ، غرائب القران ورغائب الفرقان للنيسابوري ج ١٣ ص ١٧٠ تحقيق ابراهيم عطوه عوض زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج ٥ ص ٣٣٥ ط١ المكتب الاسلامي وغيرها .

(٣) تفسير القرطبي الجامع لاحكام القران الكريم ج ١١ ص ٢٦٢ ، ص ٢٦٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما مدى انطباق الآية وسياق النص على هذه الرواية فنقول : إن الايات جاءت في بداية العهد المكي لترسم طريق حمل الدعوة للرسول -صلى الله عليه وسلم- وكيف يجب ان يواجه حامل الدعوة ما يلاقيه اثناء سيره من صعاب ، ومنها هذا الامر الجِبِلّي ، المركوز في النفوس البشرية وهو التطلع الى زخارف الحياة لا سيما ما هو كائن في أيدي الكفار والفسقة الذين يحادّون الله ورسوله فالآية ترشد الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن لا يفعل ما طبعت عليه النفس البشرية في اطالة النظر لما في أيدي أعداء الله [1] وقال أبيّ بن كعب : "من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات على الدنيا " [2] . وقال الزمخشري " ولقد شدّد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك " [3] . وعليه فالنص يحتمل معنى الرواية .

وأما موافقة الرواية أو مخالفتها لنصوص أخرى ، فاننا نستبعد أن يكون الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد حزن كما جاء في بعض الروايات لان النهي في الاية ليس على فعل فعله الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، وانما هو تعليم لتهذيب ما هو مفطور عليه الانسان من انعام النظر لزخارف الدنيا . وفي الآية ما يفيد العفو عن مجرد النظر ، والنهي منصب على مد النظر واطالته لانه هو الذي يؤثر في النفس البشرية . ومن المعروف ان القاعدة الأصولية : " خطاب الرسول -صلى الله عليه وسلم- خطاب لامته " وعليه فليس كل نهي للرسول -صلى الله عليه وسلم- يعني أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد فعل ذلك الفعل او همّ بفعله حتى يصطنع له سبب تنزيل ، بل ينظر اليه فربما كان مثل هذا النهي الذي يتعلق بتوجيه حامل الدعوة الى ما ينبغي أن يكون عليه لا أن ينطلق الانسان مع فطرته .

وأما من حيث السند فان موسى بن عبيدة الرّبذي [4] منكر الحديث . قال عنه أحمد بن حنبل : لا تحل الرواية عندي عنه .

وقال البخاري : قال احمد منكر الحديث [5] . وقال ابو حاتم : منكر الحديث وقال ابن عدي : وهذه الاحاديث التي ذكرها لموسى عامتها غير محفوظة والضعف في رواياته بين .

---

(١) انظر تفسير الاية في الكشاف والتفسير الكبير للرازي وزاد المسير لابن الجوزي وفي غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري .

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج ٥ ص ٢٣٥ .

(٣) الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ٤٥٢ .

(٤) موسى بن عبيدة بن نشيط بن عمرو بن الحرث الربذي ابو عبد العزيز المدني - قال علي بن المديني عن يحيى بن سعيد كنا نتقي حديث موسى بن عبيدة تلك الايام ثم كان بمكة فلم نأته وقال الجوزجاني سمعت احمد بن حنبل يقول لا تحل الرواية عندي عنه - ونقل ذلك كذلك محمد بن اسحاق الصائغ . وقال الاثرم عن احمد ليس حديثه عندي بشيء وحمل عليه - تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٣١٨ - ص ٣٢١ .

(٥) التاريخ الكبير م ٧ القسم الاول من الجزء الرابع ص ٢٩١ وانظر الجرح والتعديل للرازي م ٨ ص ١٥١ ترجمة ٦٨٦ ج ٤ قسم ١ وانظر تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٣١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال ابن حبان : ضعيف ، وبهذا يتضح لنا أن الرواية لم يتوفر فيها كذلك صحة السند ، ومما سبق يكفي لاخراج هذه الرواية من دائرة أسباب التنزيل . ويمكن ان تدخل في دائرة التفسير لكونها مما يحتملها النص كما اسلفنا ، ولرد الرسول -صلى الله عليه وسلم- " والله إني لأمين في السماء ، أمين في الأرض ، ولو أسلفني أو باعني لأديت اليه " فان صح هذا عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- فلا يوجد فيه جزع ولا حزن منه -صلى الله عليه وسلم- ، فلا يتعارض مع ما جاءت به النصوص عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعليه فلم يثبت سبب نزول لهذه الاية ، ويمكن ادخال هذه الرواية في تفسير الاية لأن صحة السند لايشترط في صحة التفسير ويكتفى ان يحتملها مفهوم النص وهذا متوفر في الرواية .

٤- [**وهم يكفرون بالرحمن**] سورة الرعد آية ٣٠

وهي جزء من آية [**كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله الأ هو عليه توكلت وإليه متاب**] .

١- قال الواحدي [١] : قال أهل التفسير [٢] : نزلت في صلح الحديبيّة حين أرادوا كتاب الصلح ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [لعلي] : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل بن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن إلاّ صاحب اليمامة - يعنون مسيلمة الكذاب - اكتب باسمك اللهم . وهكذا كانت [أهل] الجاهلية يكتبون فأنزل الله تعالى فيهم الآية .

٢- وقال ابن عباس في رواية الضحاك : نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- [**اسجدوا للرحمن . قالوا : وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا**] [٣] فأنزل الله تعالى هذه الآية [٤] .

٣- وفي رواية ثالثة : ان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يوماً في الحجر يدعو ، وأبو جهل يستمع إليه وهو يقول : يا رحمن ، فولى مدبراً إلى المشركين فقال : إن محمداً كان ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلهين فنزلت هذه الآية . ذكره علي بن أحمد النيسابوري [٥] .

دراسة الروايات ومناقشتها :

إن شرط التزامن بين الرواية الأولى وهذه الآية غير متحقق لأن الآية مكية وصلح الحديبيّة وقع في السنة السادسة للهجرة . بالإضافة إلى أن مسيلمة الكذاب لم يكن قد ظهر أمره بعد .

---

(١) اسباب نزول القران ص ٢٧٧ .

(٢) اهل التفسير : الرواية وردت في كتب التفسير ومنهم من ساقها كسبب نزول للاية ، ومنهم من لم يسقها كذلك بل وردت في صلح الحديبية وليس في هذه الآية . انظر تفسير الطبري ج ٨ ص ١٥٠ والقرطبي ج٩ ص ٣١٨ ط ٣ والبغوي والخازن والبحر المحيط والدر المنثور وغيرها كما وردت في كتب الحديث والسير انظر صحيح البخاري ومسلم وسيرة ابن هشام .

(٣) اقتباس من سورة الفرقان اية ٦٠ .

(٤) الرواية ساقها الواحدي والبغوي والخازن والنيسابوري في غرائب القران ورغائب الفرقان ج ١٣ ص ٨٩ وكذلك القرطبي ج ٩ ص ٣١٨ وابن الجوزي في زاد المسير ج ٤ ص ٣٢٩ والتفسير الكبير للرازي ج ١٩ ص ٥٢ .

(٥) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج ٤ ص ٣٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال البغوي : بعد أن ساق رواية صلح الحديبيّة : " والمعروف ان الآية مكيّة وسبب نزولها أن أبا جهل وساق قصة الحجر في مكة . ثم ذكر ما روي عن الضحاك وابن عباس انها نزلت في كفار قريش ، حين قال لهم الرسول : اسجدوا للرحمن[1]

وخلاصة القول ان الرواية الاولى فقدت شرط التزامن فلا تدرج في أسباب تنزيل هذه الآية . ولهذا ذكرها ابن كثير والقاسمي على سبيل التفسير فقال : " ولهذا أنفُوا يوم الحديبيّة أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم " [2] .

أمّا الرواية الثانية التي رويت عن الضحاك فواضح فيها التفسير حيث ورد فيها اقتباس من سورة الفرقان والآية هي : [**وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا**] .

أما مفهوم الآية وسياق الآيات فإنه يلفظ جميع الروايات أن تكون سبب نزول لأن الآية مطلعها [**كذلك أرسلناك في أمة**] . فالكاف للتشبيه ولا يراد أن يكون فيه سبب نزول - وجملة " وهم يكفرون بالرحمن " حالية أي وحالهم يكفرون بالرحمن [3] . فهي حكاية حال ماضية لأمم سلفت ، فكما أن الله تعالى أرسل رسلاً لأمم كافرة فكذلك أرسل محمداً لأمة كافرة - فهي تشبيه حال بحال . أي أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- ليس بدعاً في سنة الحياة ، فشأنه وشأن من أرسل إليهم كمن سبقوهم .

وإذا تذكرنا قول الشافعي أن الآية لا تنزل مجزأة [4] ، أدركنا ما قيل من روايات وقعت بالمدينة هي تفسير لجزء الآية ليس غير .

وإذا نظرنا في السياق القرآني من الآية السابعة والعشرين [**ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه**] ... لغاية الآية الرابعة والثلاثين [**وما لهم من الله من واق**] تجد أنها تتحدث عن موقف الكفار من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن دعوته وفيها موازنة بين فريق الايمان وفريق الكفر وتعزية للرسول -صلى الله عليه وسلم- ومن معه من موقف كفار قريش المتعنت . وبيان مآل الفريقين . وهو أمر يخلو من مساجلة المفاوضة في صلح الحديبيّة ولا يمت له بصلة والتشابه الوحيد هو ورود لفظ الرحمن ليس غير وهذا لا يكفي ولا يبرر ادخال مثل هذه الرواية في سبب تنزيل الآية .

وهناك تشابه كذلك في آية الإسراء [**قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى**] [5] .

---

(١) سورة الفرقان جزء من الاية ٦٠ وهي مكية .

(٢) تفسير ابن كثير م ٤ ص ٩٣ وانظر محاسن التأويل للقاسمي ج ٩ ص ٣٦٧٨ تعليق محمد فؤاد عبد الباقي ط ١ .

(٣) انظر تفسير الرازي ج ١٩ ص ٥١ ط ٢ طهران .

(٤) انظر احكام القران للشافعي ج ١ ص ١٠٧ حيث يقول (ولم اعلم مخالفا : ان كل اية انما انزلت متتابعة لا مفرقة . وقد تنزل الايتان في السورة مفرقتين فاما آية فلا لان معنى الاية انها كلام واحد غير منقطع)

(٥) سورة الاسراء اية ١١٠ وبقيتها : [**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا**] .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولذلك تجد المفسرين ذكروا الروايتين الثانية والثالثة بألفاظ متقاربة جداً كسبب تنزيل لآية الإسراء [1] . وهذا مؤشر إلى ان الروايات جاءت تفسيراً وليس سبب تنزيل .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام ان آية الفرقان وآية الرعد ، تدلان على أن كفار قريش يجحدون الرحمن ، وفي سورة الإسراء هم يعترضون على إطلاق اسم الرحمن على الله تعالى لا أنهم يكفرون وجوده . وهذا القول يدخل في دائرة التفسير كذلك . وخلاصة القول انه لا توجد رواية مما ذكرنا تصلح ان تكون سبب تنزيل . وتكون الآية نزلت ابتداءً لا سيما أنها ابتدأت بالتشبيه (كذلك) فمفهوم الآية لا يستوعب الروايات أو فقد التزامن وسياق الآيات لا يحتملها فَتُخْرَجُ هذه الروايات من زمرة أسباب التنزيل .

أما من حيث السند - فرواية صلح الحديبيّة صحيحة فقد وردت في الصحيحين . وأما الروايات التي تدل على أن الآية مكيّة فلم أعثر على سند متصل حتى أخرجه . والروايات واردة عن قتادة والضحاك وابن جريج ومقاتل ومجاهد ، وحتى لو صح سندها تكون تفسيراً لأن نص الآية لا يستوعبها وإذا فقد شرط واحد من الشروط الخمسة في أي رواية فإنها تفقد حقها في الدخول في دائرة أسباب التنزيل .

٥- [**إنك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين**] القصص ٥٦ .

قال الواحدي : " لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فوجد عنده ، أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : يا عم ، قل : لا إله إلاّ الله كلمة أحاجُّ لك بها عند الله سبحانه وتعالى . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أميّة : (يا أبا طالب) [2] أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعرضها عليه ويعاودانه بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به : أنا على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلاّ الله . فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك ، فأنزل الله عز وجل": [**ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبيّن لهم انهم اصحاب الجحيم**] [3] وأنزل في أبي طالب : [**إنك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء**] [4] .

---

(١) قال الواحدي ص ٣٠٣ : قال ابن عباس تهجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة بمكة فجعل يقول في سجوده يارحمن يا رحيم ، فقال المشركون كان محمد يدعو الها واحدا فهو الآن يدعو الهين اثنين الله والرحمن ما نعرف الا رحمن اليمامة بعنوان مسيلمة الكذاب فانزل الله تعالى هذه الاية - انظر القرطبي ج ١٠ ص ٣٤٢ ص ٣٤٣ والدر المنثور ج ٥ ص ٣٤٧ وما بعدها وتفسير الطبري م٩ ج ١٥ ص ١٨٢ وما بعدها والبغوي م ٣ ص ١٤٢ والخازن م ٣ ص ١٩٦ وغيرها .

(٢) الزيادة من صحيح مسلم .

(٣) سورة التوبة اية ١١٣ .

(٤) سورة القصص اية ٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رواه البخاري عن أبي اليمن عن شعيب . ورواه مسلم عن حرملة عن ابن وهب ، عن يونس (كلاهما) عن الزهري . وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : لعمه : قل لا إله إلاّ الله ، أشهد لك بها يوم القيامة . قال : لولا أن تعيّرني قريش - يقولون : إنه حمله على ذلك الجزع - لأقررت بها عينك ، فأنزل الله الآية(١) .

قال راوي الكتاب عن الواحدي : سمعت أبا عثمان الحيريّ يقول : سمعت أبا الحسن بن مقْسَم يقول : سمعت أبا اسحاق الزّجاج يقول في هذه الآية : أجمع (٢) المفسرون أنها نزلت في أبي طالب . وقال القرطبي : والصواب أن يقال أجمع جل المفسرين على أنها نزلت في شأن أبي طالب عم النبي -صلى الله عليه وسلم- .

دراسة الروايات وتمحيصها :

لقد أجمعت كتب التفسير بالفعل على أنها نزلت في عم الرسول -صلى الله عليه وسلم- اللهم الاّ كتب الشيعة وعلى رأسها مجمع البيان للطبرسي . واحتج علامة الرافدين محمود شكري الألوسي على الإجماع لأن المفسرين الشيعة قالوا بإسلام أبي طالب عند موته . ولذلك جاءت عبارة القرطبي ومن نهج نهجه " أجمع جل المفسرين " ومهما يكن من أمر فلم يورد علماء الشيعة فيما اطلعت عليه أنها نزلت في غير أبي طالب ، ولم يورد غيرهم كذلك . وعليه فتكون الآية على الأرجح نزلت في أبي طالب كما أجمع عليه المفسرون ، ويقوي هذا الإجماع نزول الآية في سورة القصص وهي مكيّة ومتزامنة مع موت أبي طالب في مكة . ومفهوم الآية ينطبق على الرواية في حق أبي طالب . والرواية من حيث السند صحيحة فقد وردت في الصحيحين(٣) ويرد اشكال على الرواية وهو اشتمالها على نزول آية الاستغفار له وهي في سورة التوبة ، وهي مدنية . قال الحسين بن الفضل : " وهذا بعيد لأن السورة من آخر ما نزل من القرآن ، ومات أبو طالب في عنفوان الاسلام والنبي -صلى الله عليه وسلم- بمكة " (٤) . كما يرد اشكال آخر وهو ان كثيراً (٥) من المفسرين أوردوا هذا السبب في آية التوبة وما اشتملت عليه من قطع حبل الوصل للمشركين وهم أموات .

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص ٣٥١ ص ٣٥٢ لباب النقول للسيوطي ص ١٦٨ تفسير الطبري ج ٢٠ م ١١ ص ٩٢ تفسير البغوي ج ٣ ص ٤٥٠ مجمع البيان للطبرسي ج ٧ ص ٤٠٥ تفسير الالوسي ج ٢٠ م ١٠ ص ٩٧ .

(٢) اسباب نزول القران للواحدي ص ٣٥٢ ونقل هذه العبارة صاحب الكشاف فقال : (قال الزجاج اجمع المسلمون انها نزلت في ابي طالب ..) ج ٣ ص ١٧٤ وانظر غرائب القران ورغائب الفرقان للنيسابوري ج ٢٠ ص ٥٥ وانظر تفسير الثعالبي (جواهر الحسان في تفسير القران) ج ٣ ص ١٧٩ وقال (اجمع جل المفسرين ولم ينسبه للزجاج واستعمل التعبير نفسه صاحب البحر المحيط ج ٧ ص ١٢٦ والقرطبي ج ١٣ ص ٢٩٩ والرازي في التفسير الكبير ج ٢٥ ص ٢ وابن الجوزي في زاد المسير ج ٦ ص ٢٣١ .

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري الحديث رقم ٤٧٧٢ كتاب التفسير ص ٥٠٦ طبعة المطبعة السلفية .

(٤) تفسير احكام القرآن للقرطبي ج٨ ص٢٧٣ .

(٥) انظر تفسير القرطبي ج ٨ ص ٢٧٢ وانظر زاد المسير لابن الجوزي والكشاف للزمخشري ورغائب القران وغرائب الفرقان للنيسابوري وغيرهم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والجواب على هذه الاشكالات يكمن في ان الاجماع انصب على نزول الآية في أبي طالب وليس على الرواية التي اشتملت على الاستغفار لا سيما ان آية القصص موضوعها الهداية ، وآية التوبة موضوعها النهي عن الاستغفار لأموات المشركين . وأما ايراد هذا السبب في سورة التوبة فهو من باب التفسير . ومفهوم النص في الآيتين يؤكد صحة ما ذهبنا إليه . فالاستغفار في الرواية لا يحتمله نص آية القصص ، ورفض ابي طالب قول كلمة التوحيد لا يحتمله نص آية التوبة . فتكون الرواية من باب التفسير لا من باب أسباب التنزيل ولو نقلها كل المفسرين لأنهم اعتادوا المزج بين التفسير وأسباب التنزيل وعليه فيكون ما أجمع عليه المفسرون في سبب نزول هذه الآية هو ابو طالب عم الرسول -صلى الله عليه وسلم- وحرص الرسول -صلى الله عليه وسلم- ان ينضم عمه إلى ركب المؤمنين في الجنّة ، وقد استقر عمه على دين قومه خشية أن تعيره نساء قريش بعد موته . هذا سبب نزول الآية والله أعلم . هذا ولم يرد أي نص أقوى منه يعارضه فتكون الأطر الخمسة قد توفرت في الرواية فاستحقت بجدارة أن تدخل عالم أسباب التنزيل .

٦- [**تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً**] الفرقان ١٠

قال الواحدي : أخبرنا أحمد بن محمد بن ابراهيم المقرئ ، قال : أخبرنا أحمد بن أبي الفرات ، قال : أخبرنا عبد الله بن محمد بن يعقوب البخاري ، قال : أخبرنا محمد بن حميد بن فرقد ، قال : حدثنا اسحاق بن بشر ، قال حدثنا جويبر عن الضحاك ، عن ابن عباس قال :

لما عيّر المشركون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالفاقة وقالوا : [**ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق**] (١) حزن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فنزل جبريل عليه السلام من عند ربه معزياً له ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ، رب العزّة يقرئك السلام ويقول لك : [**وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلاّ إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق**] (٢) أي يبتغون المعاش في الدنيا . قال : فبينا جبريل عليه السلام والنبي -صلى الله عليه وسلم- يتحدثان ، إذا ذاب جبريل عليه السلام حتى صار مثل الهِرْدَة . قيل يا رسول الله ، وما الهِرْدَة ؟ قال : العدسة ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ما لك ذُبْتَ حتى صرت مثل الهِرْدَة ؟ فقال : يا محمد ، فتح باب من أبواب السماء ولم يكن فتح قبل ذلك اليوم ، وإني أخاف أن يعذّب قومك عند تعييرهم إيّاك بالفاقة ، فأقبل النبي وجبريل عليهما السلام يبكيان ، إذ عاد جبريل عليه السلام إلى حاله . فقال: أبشر يا محمد ، هذا رضوان خازن الجنّة قد أتاك بالرضا من ربك . فأقبل رضوان حتى سلّم ، ثم قال : يا محمد ، ربُّ العزة يقرئك السلام - ومعه سَفَطٌ (٣) من نور يتلألأ - ويقول لك ربك : هذه مفاتيح خزائن الدنيا ما لا ينتقص لك مما عندي في الآخرة مثل جناح بعوضة ، فنظر النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى جبريل عليه السلام ، كالمستشير له ، فضرب جبريل بيده إلى الأرض فقال : تواضع لله ، فقال : يا رضوان لا حاجة لي فيها ، الفقر أحب إليّ ، وأن أكون عبداً صابراً شكوراً .

---

(١) اقتباس من سورة الفرقان اية ٧ .

(٢) سورة الفرقان اية ٢٠ .

(٣) السفط : محركة كالجوالق او كالقفة جمع اسفاط انظر القاموس المحيط للفيروزابادي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال رضوان عليه السلام : أصبت ، أصاب الله بك . وجاء نداء من السماء فرفع جبريل عليه السلام رأسه ، فإذا السموات قد فُتحت أبوابها إلى العرش ، وأوحى الله تعالى إلى جنّة عدن أن تدلي غصناً من أغصانها عليه عذق عليه غُرفة من زبرجدة خضراء ، لها سبعون ألف باب من ياقوتة حمراء ، فقالَ جبريل عليه السلام : يا محمد ارفع بصرك ، فرفع فرأى منازل الأنبياء وغرفهم ، فإذا منازله فوق منازل الأنبياء فضلاً له خاصة ، ومُنَادٍ ينادي : أرضيت يا محمد ؟ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : رضيت ، فاجعل ما أردت أن تعطيني في الدنيا ، وخيرة عندك في الشفاعة يوم القيامة . ويروى أن هذه الآية أنزلها رضوان)[1] .

وذكر الطبري والرازي وغيرهما القصة مختصرة ، وهي أنه خيّر رسول الله النبي -صلى الله عليه وسلم- بين أن يعطى مفاتيح الأرض وخزائنها ولا ينقص مما له في الآخرة وبين أن يجمع له في الآخرة ، فاختار الرسول -صلى الله عليه وسلم- الجمع في الآخرة ، فنزلت الآية [2] .

نقد الرواية :

الرواية تفوح منها رائحة الوضع التي تزكم الأنوف - فمن حيث السند وردت عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس . وقد قال ابن حجر في مقدمة كتاب العجاب في الأسباب : ومن الضعفاء الذين رووا التفسير عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس : جويبر بن سعيد وهو واه " [3] وقال النسائي والدارقطني متروك . وقال عبد الله بن علي بن المديني سألتُه يعني أباه عن جويبر فضعفه جداً قال وسمعت أبي يقول جويبر أكثر على الضحاك روى عنه أشياء مناكير . وقال ابن عدي : والضعف على حديثه ورواياته بيّن . وقال ابو قدامة السرخسي قال يحيى القطان تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يوثقونهم في الحديث ثم ذكر الضحاك وجويبر ومحمد بن السائب وقال هؤلاء لا يحمل حديثهم ويكتب التفسير عنهم [4] .

---

(١) اسباب نزول القران للواحدي ص ٣٤٥ ، ص ٣٤٦ طبعة دار القبلة تحقيق سيد صقر وذكر القصة مختصرة دون ان يذكر تحول جبريل الى مثل الهردة كل من السيوطي في الدر المنثور ج ١٨ م ٦ ص ٢٣٧ ، والقرطبي ج ١٣ص ٦ ، ص ٧ والرازي في التفسير الكبير ج ٢٤ ص ٥٤ وذكروا ان رضوان خازن الجنان نزل بالاية .

(٢) لباب النقول للسيوطي ص ١٦٥ تفسير الطبري ج ١٨ م ١٠ ص ١٨٦ تفسير الرازي ج ٢٤ ص ٥٤ .

(٣) مقدمة العجاب في الاسباب لابن حجر العسقلاني ص ٥ من المخطوط . وانظر مقدمة تحقيق كتاب الواحدي ص ٢٥ لسيد صقر حيث نقل المقدمة كاملة . وقال النسائي في كتابه الضعفاء والمتروكين متروك الحديث انظر ترجمة ١٠٦ ص ٧٣ تحقيق بوران الصناوي وكمال يوسف الحوت طبعة مؤسسة الكتب الثقافية ط ١ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م وانظر الضعفاء والمتروكين للدار قطني تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر مكتبة المعارف - الرياض ترجمة ١٤٧ ص ١٧١ وانظر تهذيب التهذيب لابن حجر ترجمة ٢٠٠ ص ١٠٦ م ٢ وانظر التاريخ الكبير للبخاري ترجمة ٢٣٨٣ ص ٢٥٧ م ٢ القسم الثاني من الجزء الاول . وانظر الجرح والتعديل لابن ابي حاتم الرازي ترجمة ٢٢٤٦ ص ٥٤٠ م ٢ .

(٤) تهذيب التهذيب ترجمة ٢٠٠ م ٢ ص ١٠٦ ص ١٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا تعقبنا السند فبالإضافة إلى جويبر بن سعيد الخراساني تجد اسحاق بن بشر وهو أسوأ حالاً من جويبر قال أبو الحسن الدارقطني : اسحاق بن بشر رجلان أحدهما يكنى أبا حذيفة البخاري . وهو الذي يحدث عن الثوري وغيره بالمناكير ، وهو صاحب المبتدأ والفتوح والبَرْدَة ، والآخر إسحاق بن بشر بن مقاتل أبو يعقوب الكاهلي ، توفي وهو ضعيف أيضاً . وقال كذاب متروك [1] .

وهذه الرواية التي ساقها الواحدي ليست مما يقع عليه الحس حتى يقال عنها أنها سبب تنزيل للآية فهي أمر غيبيّ يحتاج الى دليل قطعي في الثبوت والدلالة حتى يصدق جزما . وعليه فترد هذه الرواية وتخرج من دائرة أسباب التنزيل .

والقول بأن رضوان عليه السلام نزل بهذه الآية يعارض القطعي الثبوت قطعي الدلالة [**نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين**] [2] ، فيرد القول دراية .

وأما منطوق الآية فإنه لا يستوعب الرواية ، فالآية تعظيم لله تعالى جاءت في معرض الرد على قوم محمد -صلى الله عليه وسلم- الذين تمادوا في انكارهم للنبوة وطلبهم مزيداً من المعجزات لتدلل على نبوته فالآية خطاب للرسول النبي -صلى الله عليه وسلم- عن موقف قومه من الرسالة وتعظيم لقدرة الله تبارك وتعالى . وعليه فالرواية مفصلة ومختصرة لا تصلح أن تكون سبب تنزيل فضلاً عن عدم صلاحيتها في التفسير . ولذلك تسجل في صحيفة الأباطيل التي يجب ان تمحى من تاريخ المسلمين .

٧- [**وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإيّاكم وهو السميع العليم**] العنكبوت آية ٦٠

قال الواحدي : أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد التميمي ، قال : أخبرنا أبو محمد بن حيان ، قال ، حدثنا أحمد بن جعفر الجمال ، قال : حدثنا عبد الواحد بن محمد البَجَلي ، قال : حدثنا يزيد بن هارون ، قال : حدثنا حجاج بن منهال ، عن الزهري - وهو عبد الرحمن بن عطاء - عن عطاء ، عن ابن عمر ، قال : (خرجنا مع رسول الله النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى دخل بعض حيطان الأنصار ، فجعل يَلْقط من التمر ويأكل ، فقال : يا ابن عمر ، مالك لا تأكل ؟ فقلت : لا أشتهيه يا رسول الله . فقال : لكني أشتهيه وهذه صبيحة رابعة لم أذق طعاماً ، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يَخبؤون رزق سنتهم ، ويَضعُفُ اليقين ، قال : فوالله ما برحنا حتى نزلت : [3] (الآية) .

---

(١) انظر الضعفاء والمتروكين للدارقطني ترجمة ٩٠ ، ٩٢ ص ١٤١ ص ١٤٢ وانظر ميزان الاعتدال ١٨٤/١ ولسان الميزان ٣٥٤/١ ، وقال الدارقطني عن الاخير هو في عداد من يضع الحديث .

(٢) سورة الشعراء اية ١٩٣ .

(٣) اسباب نزول القران للواحدي ص ٣٥٨ ، ص ٣٥٩ طبعة دار القبلة تحقيق سيد صقر - وانظر لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي ص ١٧٠ ض ١٧١ والدر المنثور ج ٢١ م٦ ص ٤٧٥ وقد زاد السيوطي بعد ذلك نقلا عن ابن كثير : (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله لم يامرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات الا واني لا اكنز دينارا ولا درهما ولا ادخر رزقا لغد) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٢٠ وانظر تفسير القرطبي ج ١٣ ص ٣٥٩ وقد ذكر الرواية ابو حيان في البحر المحيط مختصرة . ج ٧ ص ١٥٨ وانظر معالم التنزيل للبغوي ج ٣ ص ٤٧٣ وزاد فيه وبقيت في حثالة من الناس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال البغوي في تفسيره :

(... وذلك أن النبي قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون : " هاجروا إلى المدينة " ، فقالوا : كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال ، فمن يطعمنا بها ويسقينا ؟ فأنزل الله [**وكأين من دابة**] (١) .

وقال الخازن : (قيل نزلت في ضعفاء مسلمي أهلَه مكة) (٢) ، وقيل : (نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فأنزل الله هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج) (٣) .

دراسة الروايات وتمحيصها :

الرواية الأولى لا تصلح أن تكون سبب تنزيل لعدم المزامنة بينهما ، فالسورة والآيات مكيّة . وقد نزلت سورة العنكبوت بمكة ، والرواية واضح فيها أن وقائعها حدثت في المدينة .

قال السيوطي في اللباب وفي الدر المنثور في هذه الرواية : أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن عساكر بسند ضعيف . فالرواية تجمع ضعف السند إلى عدم المزامنة . وإذا نظرت في السند تجد أن مصدر التحديث هو حجاج بن منهال قال ابن كثير : (هذا حديث غريب وأبو العطوف الجزري ضعيف) (٤) . وقد ذكره النسائي في كتاب الضعفاء والمتروكين وقال عنه : متروك الحديث (٥) . وقال محقق الكتاب قال أحمد : كان صاحب غفلة . وقال مسلم : منكر الحديث . قال البخاري : منكر الحديث . وقال ابن حبان : كان يكذب في الحديث ويشرب الخمر مات سنة ١٦٧ هـ (٦) . وحجاج بن منهال هو الجراح بن منهال (٧) . وهو أبو العطوف الجزري قال ابن كثير : وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروي حدثنا يزيد يعني ابن هارون حدثنا الجراح بن منهال الجزري – هو أبو العطوف – عن الزهري عن رجل عن ابن عمر قال ... الرواية بطولها وبالزيادة التي نقلها السيوطي (٨) وعليه فالرواية عن متروك الحديث لا يعتد بها .

وإذا أنعمنا النظر في الرواية نجدها تعارض المتفق عليه عن الشيخين وهي ان الرسول –صلى الله عليه وسلم– كان يدخر لأهله قوت سنتهم . قال القرطبي بعد أن ذكر الرواية : " وهذا ضعيف يُضعِّفه أنه عليه السلام كان يدخر لأهله قوت سنتهم ، اتفق البخاري عليه ومسلم ، وكانت الصحابة يفعلون ذلك وهم القدوة ، وأهل اليقين والأئمة لمن بعدهم من المتقين المتوكلين " (٩) .

---

(١) تفسير البغوي ج ٣ ص ٤٧٣ وانظر تفسير القرطبي ج ١٣ ص ٣٦٠ وتفسير الطبرسي ج ٧ ص ٤٥٥ وروح المعاني للالوسي ج ٢١ ص١١ .

(٢) تفسير الخازن ج ٣ ص ٤٥٤ مجمع البيان للطبرسي ونقل ذلك عن مقاتل والكلبي ج ٧ ص ٤٥٥

(٣) تفسير الخازن ج ٣ ص ٤٥٥ .

(٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٢٠ وهو الجراح بن منهال ابو العطوف الجزري .

(٥) الضعفاء والمتروكين للنسائي تحقيق بوران الصناوي وكمال يوسف الحوت ترجمة ١٠٥ ص ٧٣

(٦) المصدر السابق نفسه ونفس الصفحة .

(٧) هو غير حجاج بن المنهال الانماطي ابو محمد السلمي وقيل البرساني مولاهم البصري فقد روى له الستة انظر تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٨٢ ترجمة ٣٨٣ ت ٢١٧ وانظر الكاشف للذهبي ج ١ ترجمة ٩٥٣ ص ١٤٩ .

(٨) انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٢٠ .

(٩) تفسير القرطبي ج ١٣ ص ٣٦٠ وانظر صحيح البخاري كتاب النفقات ٦٩ باب ٣ حبس نفقة الرجل قوت سنة على اهله . وفيه ان عمر رضي الله عنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لاهله قوت سنتهم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبذلك يكون قد انتقض عرى ثلاثة شروط من شروط رواية أسباب التنزيل فترد الرواية . ولذلك لم يذكر الطبري والرازي سبباً لنزولها ، ويؤكد هذا ما ذكره ابن كثير بعد شرح الآية فقد جعل الرواية مثالاً فقال : ولهذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقامهم بها خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة ليأمنوا على دينهم هناك فوجدوا خير المنزلين هناك أصْحمة النجاشي ملك الحبشة ، رحمه الله تعالى فآواهم وأيدهم بنصره وجعلهم سيوماً [1] ببلاده ثم بعد ذلك هاجر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والصحابة الباقون إلى المدينة النبوية يثرب المطهرة) [2] وهذا الذي ذكره ابن كثير هو الصواب فهو شرح للآية واستشهاد ولتوضيح المعنى وليس سبباً لنزولها . أما بقية الروايات فليس لها سند حتى يبحث فيه ولكن المتن يغاير ما كان عليه واقع الصحابة حيث أنهم كانوا يستأذنون الرسول النبي -صلى الله عليه وسلم- بالهجرة لأنهم لم يطيقوا أذى المشركين ، فرخص لهم رسول الله النبي -صلى الله عليه وسلم- بالهجرة ولم يرد - فيما أعلم - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد طلب منهم الهجرة ابتداء . واحتجاجهم في الرواية على كيفية الحصول على لقمة العيش إذا هاجروا يعطي عكس الصورة المعهودة عن صحابة رسول الله النبي -صلى الله عليه وسلم- لا سيما ان عقيدة الرزق واضحة عند الصحابة لا مجال للشك فيها . ورواية أخرى تفيد أن الآية نزلت بعد الهجرة حيث قال : (تخلفوا عن الهجرة) وهذا فيه بُعْدُ المزامنة فتُقْصى كذلك هذه الروايات من أسباب النزول وتكون الآية لا سبب محدداً لنزولها .

وأما القَسَم في الرواية (فوالله ما برحنا حتى نزلت) وعند ابن كثير (فوالله ما برحنا ولا أرحنا حتى نزلت) فلا يدل على شيء في سبب التنزيل وقد سبق أن عقدنا مبحثا مفاده انه لا توجد ألفاظ معينة تدل على سبب التنزيل حتى لو كانت قسماً قال عبد الوهاب غزلان : (والتعبير بمادة النزول لا يعطي العبارة شيئاً تمتاز به عن غيرها من العبارات ويجعل لها حكم الرفع) [3] أي ان التعبير بمادة نزلت هو مثل التعبير بدلّت الآية على كذا أو أي عبارة تؤدي هذا المعنى .

وخلاصة القول : ان الآية نزلت ابتداء ولم تثبت رواية في سبب نزولها والله أعلم .

٨ - [**ومنهم من عاهد الله لئن آتنا من فضله لنصدقنّ ولنكونن من الصالحين**] التوبة ٧٥ .

---

(١) ارسلهم . انظر مادة سوم في القاموس المحيط للفيروزابادي .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤١٨ .

(٣) البيان في مباحث من علوم القران - الشيخ عبد الوهاب عبد المجيد غزلان . ص ١٠٦ طبعة ١٣٨٤ هـ مطبعة دار التاليف بمصر ١٩٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال الواحدي : أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن الفضل ، قال : حدثنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر ، قال : حدثنا أبو عمران موسى بن سهل الجوْني ، قال : حدثنا هشام بن عمار قال : حدثنا محمد بن شعيب ، قال حدثنا معان [1] بن رفاعة السّلامي ، عن أبي عبد الملك علي بن يزيد ، أنه أخبره عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة الباهلي :

" أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال : يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ويحك يا ثعلبة ، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه . ثم قال مرة أخرى : أما ترضى أن تكون مثل نبي الله ، فوالذي نفسي بيده ، لو شئت أن تسيل معي الجبال فضة وذهباً لسالت ، فقال والذي بعثك بالحق [نبيا] لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأوتين كل ذي حق حقه ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : اللهم ارزق ثعلبة مالاً . فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ، ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات إلاّ الجمعة ، وهي تنمو كما ينمو الدود ، حتى ترك الجمعة . فسأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فقال : ما فعل ثعلبة ؟ فقالوا : اتخذ غنماً وضاقت عليه المدينة وأخبروه بخبره ، فقال : يا ويح ثعلبة - ثلاثاً - وأنزل الله عز وجل [**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**] وأنزل فرائض الصدقة ، فبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رجلين على الصدقة - رجلاً من جهينة ورجلاً من بني سليم - وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة وقال لهما : مرّا بثعلبة وبفلان - رجل من بني سليم - فخذا صدقاتهما . فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال ثعلبة : ما هذه إلاّ جزية ! ما هذه إلاّ أخت الجزية ! ما أدري ما هذا ! انطلقا حتى تَفْرُغا ثم تعودا إليّ . فانطلقا وأخبرا السلمي . فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ، ثم استقبلهم بها فلما رأوها قالوا : ما يجب عليك ، وما نريد أن نأخذ هذا منك . قال بلى خذوه ، فإن نفسي بذلك طيبة ، وإنما هي إبلي . فأخذوها منه فلما فرغا من صدقتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فقال : اروني كتابكما (حتى) انظر فيه فقال : ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى ارى رأيي فانطلقا حتى اتيا النبي -صلى الله عليه وسلم- فلما رآها قال : يا ويح ثعلبة قبل ان يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة واخبروه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي فانزل الله عز وجل الاية الى قوله (وبما كانوا يكذبون) وعند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رجل من اقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى اتى ثعلبة فقال : ويحك يا ثعلبة قد انزل الله تعالى فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فسأله ان يقبل منه صدقته فقال: ان الله قد منعني

---

(١) ذكر الواحدي ان اسمه معاذ بالذال وكذلك نسخة د . سيد صقر . وكذلك الطبري ج ١٠ ص ١٨٩ وهو خطأ والصواب معان بالنون وضم اوله وتخفيف الهاء انظر تهذيب التهذيب ج ١ ص ١٨١ ترجمة ٣٧٦ وانظر الكاشف للذهبي ج ٣ ص ١٣٧ ترجمة ٥٦١٢ . وهو معان بن رفاعة السلامي ابو محمد الدمشقي ويقال الحمصي وهو غير معاذ بن رفاعه بن رافع الزرقي الانصاري الذي ترجم له البخاري وعده من اهل المدنية انظر التاريخ الكبير للبخاري م ٧ ص ٣٦١ القسم الاول من الجزء الرابع طبعة دار الفكر وانظر الجرح والتعديل للرازي م ٨ ص ٤٢١ ترجمة ١٠١٩ طبعة ١٩٥٣ م القسم الاول من المجلد الرابع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان اقبل منك) صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله وقبض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولم يقبل منه شيئا ثم اتى ابا بكر حين استخلف فقال : قد علمت منزلتي من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال : لم يقبلها -صلى الله عليه وسلم- فقبض ابو بكر وابى ان يقبلها فلما ولي عمر بن الخطاب اتاه فقال يا امير المؤمنين اقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ولا ابو بكر وانا اقبلها منك ؟ فلم يقبلها وقبض عمر ثم ولى عثمان فاتاه فسأله ان يقبل صدقته فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم— لم يقبلها ولا ابو بكر ولا عمر وانا اقبلها (منك) فلم يقبلها عثمان وهلك ثعلبة في خلافة عثمان [1].

وذكر الطبري رواية اخرى تقول ذكر لنا ان رجلا من الأنصار وانتهى السند الى قتادة [2] وفي رواية ثالثة انهما رجلان احدهما ثعلبة والاخر معتب بن قشير وانتهى السند الى مجاهد [3].

دراسة الروايات ونقضها.

الدارس لهذه الرواية يجد انها مصنوعة باحكام وليس للواقع منها نصيب وهي مردودة متنا وسندا وبطل القصة بريء مما رمي به براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام واليك البيان

اولا : رد الرواية متنا

١. الآية والسورة نزلت في السنة التاسعة للهجرة بل في اواخرها في سفر الرسول -صلى الله عليه وسلم- الى تبوك في غزوته المشهورة وكانت بشأن المنافقين لتفضح مواقفهم ونواياهم الخبيثة والرسول -صلى الله عليه وسلم- قد توفي بعدها بعام واحد ومعروف ان بطل القصة كان فقيرا جدا فلا يستطيع شراء كثير من الغنم ومعروف ان الغنم لا تلد الا مرة واحدة في السنة ومهما كانت الخصوبة في الولادة فلا يمكن ان يحصل على هذه الاعداد الهائلة من الشياه خلال عام او عامين بحيث انها تنمو كالدود وتمنعه من صلاة الجماعة ثم الجمعة ثم جميع الصلوات ولا يقال ان قدرة الله عظيمة فيمكن ان يكون وسع له في رزقه لا يقال ذلك لان الثراء بهذه الطريقة لا يكون الا بطيئا ولا يخترق الا لمعجزة ولا تكون المعجزات الا للانبياء ولو قيل ان نماء امواله كان عن طريق التجارة لكان الامر محتملا ولكن الرواية لم تحدد هذا السبيل.

---

(١) اسباب نزول القرآن للواحدي ص ٢٥٢ ص ٢٥٤ طبعة درار القبلة . وانظر تفسير الطبري والزمخشري وابن الجوزي والفخر الرازي وابن كثير وابي السعود والسيوطي والالوسي وغيرهم كثير . ولم يضرب عنها صفحا الا النادر كالجصاص في تفسير احكام القرآن . هذا من حيث ورودها في كتب التفسير واما في كتب السيرة فكذلك رواها البيهقي في دلائل النبوة ص ٢٨٩ - ٢٩٢ وابن هشام في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم واما في كتب الحديث فلم ترد قط .

(٢) تفسير الطبري ج ١٠ ص ١٩٠ .

(٣) تفسير الطبري ج ١٠ ص ١٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. ورد في القصة نزول آية اخرى هي [**خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**] سورة التوبة الآية الثالثة بعد المئة وقد اورد السيوطي انها نزلت في الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك دون عذر وندموا فتاب الله عليهم فعرضوا اموالهم صدقة مبالغة في التوبة فهي ليست في الزكاة وهذا يزيدنا يقينا ان الآيات نزلت في النصف الثاني من السنة التاسعة للهجرة مما يساهم في رد الرواية.

٣. السياق القرآني للايات يرد هذه القصة لان الايات تتحدث عن المنافقين وليست عن جباية الزكاة وخرص الثمار وتقدير الزكاة على الغنم والتجارة وغيرها فمنطوق الاية لا يستوعبها كذلك واكثر من هذا فان الاية تعقيب على واقع بطل الرواية بقوله تعالى [**فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون**] ، والرواية ترى ان بطل القصة تاب توبة نصوحا " فجعل يحثو التراب على رأسه " امام الرسول -صلى الله عليه وسلم- ندما على فعلته ومعاودته عرض الصدقة مرة ثانية على ابي بكر ، وثالثة على عمر ، ورابعة على عثمان مع تراخي الزمن بين كل مرة واخرى . ان هذا كله ليدل على ان الرجل قد تاب توبة صادقة ولم يعقب النفاق في قلبه بل الندم والتوبة . فالنص نفسه يرد الرواية ان تكون هي سبب نزول الاية .

٤. ان سورة النساء نزلت قبل سورة التوبة وفيها [**انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما**] [١] فمن رحمة الله على البشر انه فرض على نفسه قبول توبة العبد حتى لو بلغت معصية درجة الكفر . فرفض توبة هذا الرجل يعارض هذا النص القطعي في ثبوته وفي دلالته فترد هذه الرواية كذلك لمعارضتها القطعي .

٥. لقد درج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على معاملة المنافقين على الظاهر مع علمه بآحادهم وقد صلى على عبد الله بن ابيّ كبير المنافقين واعطى قميصه - صلى الله عليه وسلم - ليكفن فيه رأس النفاق [٢] مع ان تاريخ حياته حافل بالمواقف السلبية ضد المسلمين كانسحابه بثلث الجيش في احد ، وتحالفه مع اليهود تارة ومع قريش اخرى ومع ذلك لم يقف الرسول -صلى الله عليه وسلم- منه مثلما وقف من بلتعة على فرض انه منافق . فهذا الموقف لا ينسجم مع مواقفه -صلى الله عليه وسلم- من المذنبين التائبين .

٦. ان ثعلبه بن حاطب هو صحابي جليل من اهل بدر[٣] ، وقد ثبت في الصحيحين ان الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال في حاطب بن ابي بلتعه صاحب كتاب التجسس لصالح كفار مكة ، قال بعد ما سمع اعتراف حاطب : (صدق ، ولا تقولوا له الا خيرا) .

---

(١) النساء اية ١٧ .

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري الاثر ٤٦٧٠ ، ٤٦٧١ كتاب التفسير باب استغفر لهم او لا تستغفر لهم . وانظر صحيح مسلم بشرح النووي م ٩ ج ١٧ ص ١٢١ كتاب صفات المنافقين واحكامهم طبعة دار الفكر .

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد م ٣ ص ٤٦٠ وقال : (واخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ثعلبه بن حاطب ومعتب ابن الحمراء من خزاعة حليف بني مخزوم وشهد ثعلبة بن حاطب بدرا واحد وانظر سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٨٨ من القسم الاول ط ٢ ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥م تحقيق السقا والابياري وشلبي . وانظر الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ص ٤٠٠ القسم الاول.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال عمر : انه قد خان الله والمؤمنين ، فدعني فلأضرب عنقه ، وفي رواية مسلم عنق هذا المنافق [١] . فقال -صلى الله عليه وسلم- : " اليس من اهل بدر ؟ فقال : لعل الله اطلع على اهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد وجبت لكم الجنة - او فقد غفرت لكم - فدمعت عينا عمر وقال : الله ورسوله اعلم [٢] .

وفي صحيح مسلم عن جابر (ان عبدا لحاطب جاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يشكو حاطبا فقال يارسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كذبت لا يدخلنها فانه شهد بدرا والحديبية [٣] . وإنّ : تفيد التعليل كما قال علماء اصول الفقه . فجعل الرسول -صلى الله عليه وسلم- شهود بدر والحديبية علّة لدخول الجنة ومانعا من دخول النار فجميعهم مبشرون بالجنة فكيف تقبل رواية تستثني فرد ممن شهد بدرا ، وكان يعرف بحمامة المسجد ؟!!

وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " لا تسبوا اصحابي فوا الذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مُدّ احدهم ولا نصيفه [٤] . فكيف بان نوصمهم بالنفاق او الفسق ؟! [٥]

٧. لقد تعددت الروايات فيمن نزلت الاية بشأنه فمنها وهو الاشهر انها في ثعلبة بن حاطب ، ورواية اخرى في رجل من الانصار ، وغيرها في رجلين من الانصار ، ورابعة في المنافقين دون تعيين عدد او فرد معين [٦] ، وخامسة من منافقين معنيين وهم : نبتل بن الحارث ، ومعتب بن قشير والجد بن قيس [٧] . وقد ذكر ابن العربي انها نزلت في شأن مولى لعمر قتل حميما لثعلبة ، فوعد ان وصل الى الدية ان يخرج حق الله فيها ، فلما وصلت اليه لم يفعل ذلك ، وذكر ان ثعلبة كان له مال بالشام فنذر ان قدم من الشام ان يتصدق منه ، فلما قدم لم يفعل [٨] ، وقال الرازي نزلت في حاطب بن ابي بلتعة [٩] حيث ابطأ ماله بالشام .

واختلاف الروايات يدل علي عدم ثبوت الامر في رجل معين مما يدل كذلك على عدم صحتها .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي فضائل حاطب بن ابي بلتعة واهل بدر م ٨ج ١٦ ص ٥٦ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب المغازي باب فضل من شهد بدرا الحديث ٣٩٨٣ ج ٧ ص ٣٠٤ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي فضائل حاطب بن ابي بلتعة واهل بدر م ٨ج ١٦ ص ٥٧ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي باب تحريم سب الصحابة ج ١٦ م ٨ ص ٩٢ .

(٥) كما زعم ان اية [**يا أيها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**] (الحجرات ٦) قد نزلت في احد الصحابة وهو الوليد بن عقبه بن ابي معيط انظر تحقيقنا في اسباب دخول الدخيل لروايات اسباب التنزيل وانظر تحقيق العواصم من القواصم لابن العربي ص ٩٨ وما بعدها لغاية ص ١١٠ بعنوان (وصحابة اخرون مفترى عليهم كذلك) .

(٦) انظر تفسير الطبري م ٦ ج ١٠ ص ١٨٨ فما بعدها . وانظر كتاب ثعلبه بن حاطب الصحابي المفترى عليه لعداب محمود الحمش ص ٩٥ وما بعدها و ص ١٠٩ وما بعدها .

(٧) هؤلاء جميعا ليسوا منافقين انظر سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٢٢ ط ٢ ١٩٥٥ م . وانظر عنوان صحابة اخرون مفترى عليهم من كتاب ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه لعداب محمود الحمش ص ١٢٧ .

(٨) احكام القرآن لابن العربي القسم الثاني ص ٩٦٨ طبعة عيسى البابي الحلي الثانية .

(٩) التفسير الكبير للرازي ج ١٦ ص ١٣٨ طبعة طهران الثانية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨. ان تاريخ وفاة ثعلبة مجهول فقيل استشهد في احد [١] وقيل استشهد في غزوة خيبر . والرواية التي نحن بصدد دراستها تقول انه هلك في عهد عثمان ، وهي رواية ضعيفة السند كما سيأتي فلا تقوم بها حجة .

٩. لقد تواتر عن ابي بكر الصديق انه حارب مانعي الزكاة ، واشتهر امره بحروب الردة ، واقترن اسمه بها ، كما شتهرت مقالته " والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقاتلتهم عليه " فكيف يصدق عليه القول برفض الزكاة من ثعلبة لو صحت الرواية ؟! انه تناقض ظاهر لا يستقيم امره الا برد الرواية ضعيفة السند مردودة المتن [٢] .

١٠. اذا نظرنا الى طريقة القران في معالجة من فعل معصية وارتكب اثما فانها تختلف اختلافا بينا بين المؤمنين وبين المنافقين والكافرين . ففي اهل بدر وغيرهم من الصحابة جاء الخطاب بصيغة المؤمنين وهي صيغة تختلف عما ورد بشأن المنافقين . ففي قصة حاطب بن ابي بلتعة قال تعالى [**يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ..**] [٣] الاية وقدوردت قصته رضي الله عنه في الصحيحين . ولكن ورد بشأن المنافقين [**وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون**] [٤] [**ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين**] [٥] الى ان يصل السياق للآية التي نحن بصددها [**فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه ..**] . وفي هذه السورة كذلك قبل الرسول -صلى الله عليه وسلم- من المنافقين الذين تخلفوا عن الغزو وفرض عقوبة على المؤمنين الثلاثة الذين اقترفوا نفس الاثم [٦] . فهذه الطريقة يمكن ان[٧] تستقرأ في القران كله وان تفرد في بحث مستقل ليعلم الناس انه يجب التفريق بين المؤمنين والكافرين ويندرج تحتهم المنافقون . ومن ادراك هذه الطريقة ندرك ان الآية ليست في المؤمنين وانما هي في المنافقين فلا تشمل ثعلبة بن حاطب ولا من كان من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- .

---

(١) انظر الاصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٤٠٠ وانظر اسد الغابة ج ١ ص ٢٨٠ .

(٢) ذكر هذا المعنى عداب محمود الحمش في كتابه الصحابي المفترى عليه ص ١١٩ .

(٣) فاتحة سورة الممتحنة .

(٤) سورة التوبة اية ٤٢ .

(٥) التوبة اية ٤٩ .

(٦) هم : كعب بن مالك وهلال بن اميه ، ومرارة بن الربيع ونزل فيهم الايات ١١٧ ، ١١٨ من سورة التوبة .

(٧) وانظر الاية ٢٧ من سورة الانفال [**يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون**] وانظر سبب نزولها وهو ابو لبابه بن عبد المنذر الانصاري في حصار الرسول صلى الله عليه وسلم يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فكشف ابو لبابة حكم سعد بن معاذ فيهم فاشار الى اليهود الى نحره انه الذبح وبذلك خان الله ورسوله فندم وتاب وربط نفسه بسارية المسجد ومكث سبعة ايام لا يذوق شيئا حتى خر مغشيا عليه ونزل من السماء قبول توبته فحله رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر الاصابة في تمييز الصحابة وسيرة ابن هشام وكتب التفسير المختلفة كالطبري وابن كثير والبغوي والخازن وغيرها . وانظر اسباب نزول القران للواحدي ولباب النقول والدر المنثور للسيوطي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١. ان جهابذة علماء الجرح والتعديل قد رووا هذه الرواية :

أ. قال ابن هشام ت ٢١٨ بعد ان اورد اسماء من بني مسجد الضرار : (معتّب بن قشير ، وثعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهم من بني امية بن زيد من اهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لي من اثق به من اهل العلم ، وقد نسب ابن اسحاق ثعلبة والحادث في بني امية بن زيد في اسماء اهل بدر) (١)

ب قال علي بن أحمد بن حزم ت ٤٥٦ هـ في نقد متن وسند هذه الرواية (وهذه صفة اوردها الله تعالى يعرفها كل من فعل ذلك من نفسه وليس فيها نص ولا دليل على ان صاحبها معروف بعينه على انه قد روينا اثرا لا يصح وفيه انها في ثعلبة بن حاطب وهذا باطل لان ثعلبة بدري معروف وهذا اثر ناه حمام نا يحيى بن مالك بن عائذ نا الحسن بن ابي غسان نا زكريا بن يحيى الباجي نا سهل السكري نا احمد بن الحسن الحزاز نا مسكين بن بكير نا معان بن رفاعة السلامي عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابي امامة قال : جاء ثعلبة بن حاطب بصدقته الى عمر فلم يقبلها وقال : لم يقبلها النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا ابو بكر ولا اقبلها . قال ابو محمد : وهذا باطل بلا شك لان الله تعالى امر بقبض زكوات اموال المسلمين وامر عليه السلام عن موته ان لا يبقى في جزيرة العرب دينان فلا يخلو ثعلبة من ان يكون مسلما ففرض على ابي بكر وعمر قبض زكاته ولا بد ولا فسحة في ذلك ، وان كان كافرا ففرض ان لا يقر في جزيرة العرب فسقط هذا الاثر بلا شك . وفي رواته معان بن رفاعة ، والقاسم ابن عبد الرحمن ، وعلي بن يزيد وهو عبد الملك الالهاني - وكلهم ضعفاء . ومسكين بن بكير ليس بالقوي (٢) .

جـ قال الحافظ بن حجر العسقلاني في الاصابة في تمييز الصحابة . ت ي٨٥٢ هـ (وفي كون صاحب هذه القصة - ان صح الخبر ولا اظنه يصح - هو البدري المذكور قبله - نظر ، وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبي : ان البدري استشهد باحد) وقال : (وقد ثبت انه -صلى الله عليه وسلم- قال : لا يدخل النار احد شهد بدراً والحديبية) وحكى عن ربه انه قال لاهل بدر : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ، فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقاً في قلبه ، وينزل فيه ما نزل) (٣)

ثانيا : نقد سند الرواية

أ - قال البيهقي بعد ان ذكر القصة مفصلة بسندها عن ابي امامة الباهلي : (هذا حديث مشهور فيما بين اهل التفسير وانما يروى موصولا باسانيد ضعاف) (٤)

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ص ٥٢٢ القسم الاول الجزء الثاني ط ٢ ١٩٥٥ م .

(٢) المحلّى لابن حزم م ٨ ج ١١ ص ٢٠٧ ص ٢٠٨ وانظر تفسير القرطبي م ٨ ص ٢٠٩ ص ٢١٠ .

(٣) انظر الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ص ٤٠١ ج ١ وانظر اسد الغابة لابن الأثير ج ١ ص ٢٨٠ .

(٤) دلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٢٩٢ ط ١ خرّج احاديثه عبد المعطي قلعجي دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م وانظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي م ٤ ص ٥٢٦ ص ٥٢٧ طبعة دار الفكر ط ٢ ، ١٩٧٢ م برقم ٦١٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب – قال الهيثمي : رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد وهو متروك [1] .

جـ – قال ابن حجر في كتابه الكافي الشافي في تخريج احاديث الكشاف : (الطبراني والبيهقي في الدلائل والشعب وابن ابي حاتم والطبري وابن مردويه كلهم من طريق علي بن زيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن امامه. وهذا اسناد ضعيف جدا – فقال السهيلي عن ابن اسحاق : ثعلبه بن حاطب فمن البدرين) [2]

د – قال احمد شاكر في هذا الاثر (وهو ضعيف كل الضعف ليس له شاهد من غيره . وفي بعض رواته ضعف شديد) [3] .

واذا نظرنا في رجال السند نجد ان مدار الرواية يدور على ثلاثة هم : معان بن رفاعة السلمي ، وعلي بن يزيد الالهاني ، والقاسم بن عبد الرحمن . واليك موجزا عن كل :

١ – **معان بن رفاعة السلمي** : قال الرازي عن احمد بن حنبل (يكتب حديثه ولا يحتج به) [4] . وفي التقريب (لين الحديث كثير الارسال) [5] . وقال الذهبي في الكاشف (قال يحيى : ضعيف) [6] . وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب (قال الدوري عن ابن معين : ضعيف (وقال محمد بن عثمان بن ابي شيبة سئل ابن معين عن عثمان بن عطاء ومعان بن رفاعة وسعيد بن بشير فقال كل هؤلاء ضعفاء . وقال الجوزجاني ليس بحجة وقال ابن حبان : منكر الحديث يروي مراسيل كثيرة ، ويحدث عن اقوام مجاهيل لا يشبه حديثه حديث الاثبات فلما صار الغالب في رواياته ما ينكره القلب استحق ترك الاحتجاج به . وقال ابن عدي عامة ما يرويه لا يتابع عليه . قلت : قرأت بخط الذهبي مات مع الاوزاعي تقريبا وهو صاحب حديث ليس بمتقن وقال ابو الفتح الاسدي : لا يحتج به . هذا وقد ورد في توثيقه عن احمد كما نقل محمد بن عوف لم يكن به بأس ، ومثله مهنا عن احمد وقال علي بن المديني ثقه قد روى عنه الناس . وقال عثمان الدارمي عن دحيم : ثقة . وقال الاجري عن ابي داود ليس به بأس) [7]

مما سبق يتبين لنا انه لا يحتج بحديثه لان ابن حبان وابن عدي قد بينا سبب تضعيفه .

٢ **علي بن يزيد بن ابو هلال الالهاني** . ويقال الهلالي ابو عبد الملك ويقال ابو الحسن الدمشقي . قال البخاري : منكر الحديث [8] .

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – نور الدين الهيثمي ج ٧ من المجلد الرابع تفسير سورة براءة ص ٣١ ص ٣٢ دار الكتاب العربي بيروت ط ٢ ١٩٦٧ م .

(٢) تفسير الكشاف في نهايته من كتاب الكافي الشافي في تخريج احاديث الكشاف ص ٧٧ وانظر تخريج احاديث الكشاف للحافظ العراقي م ٣ ص ٢٦٦ وانظر ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه لعداب محمود الحمش ص ١٢٣ .

(٣) تفسير الطبري ج ١٤ ص ٣٧٣ طبعة دار المعارف بمصر تحقيق احمد شاكر .

(٤) الجرح والتعديل لابن ابي حاتم الرازي ص ٤٢٢ ج٤ قسم ١ م ٨ ترجمة ١٠١٩ وانظر الكاشف للذهبي ج ٣ ص ١٣٧ ترجمة ٥٦١٢ .

(٥) تقريب التهذيب لابن حجر ص ٢٥٨ م ٢ .

(٦) الكاشف للذهبي ج ٣ ص ١٣٧ ترجمة ٥٦١٢ .

(٧) تهذيب التهذيب لابن حجر م ١٠ ترجمة ٢٧٦ ص ١٨١ ص ١٨٢ وقد سبق ان بينا خطأ من نقل ان اسمه معاذ لانه غير معاذ بن رفاعة بن رافع الانصاري . انظر تهذيب التهذيب ترجمة ٣٥٥ ج ١٠ ص ١٧٢ .

(٨) التاريخ الكبير للبخاري م ٦ القسم الثاني من الجزء الثالث ص ٣٠١ ترجمة ٢٤٧٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال ابن ابي حاتم الرازي : نا عبد الرحمن قال : سألت ابي عن علي بن يزيد فقال : ضعيف الحديث ، وحديثه منكر [١] وقال ابن حجر : وقال محمد بن عمر قال يحيى بن معين : علي بن يزيد عن القاسم عن ابي امامة ضعاف كلها . وقال يعقوب علي بن يزيد : واهي الحديث ، كثير المنكرات . وقال الترمذي والحسن بن علي الطويسي يضعف في الحديث . وفي موضع آخر قد تكلم بعض أهل العلم في علي ابن يزيد وضعفه . وقال النسائي ليس بثقة . وقال في موضع اخر : متروك الحديث [٢]. وقال الامام الذهبي ضعفه جماعة ولم يترك [٣] . وقال ابن حجر في التقريب : ضعيف [٤] – وهكذا لم اجد من وثقه او ذكره بخير فيكون منكر الحديث ضعيف ولا يحتج بروايته . وكما قال يحيى بن معين : علي بن يزيد عن القاسم عن ابي امامة ضعاف كلها .

٣ **القاسم بن عبد الرحمن الشامي** [٥] ابو عبد الرحمن الدمشقي مولى آل أبي بن حرب الاموي .

أثنى عليه البخاري وقال : ادرك اربعين بدريا . وقال الرازي : قال ابو بكر الاثرم قال : سمعت ابا عبد الله احمد بن حنبل ذكر حديثا عن القاسم الشامي عن ابي امامة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في ان الدباغ طهور فانكره وحمل على القاسم وقال : يروي علي بن يزيد عنه اعاجيب وتكلم فيهما وقال : ما ارى هذا الا من قبل القاسم [٦] . وقال الذهبي : لم يسمع من صحابي سوى ابي امامة ، وهو صدوق [٧] . وقال ابن حجر في التقريب : صاحب ابي امامة صدوق يرسل كثيراً [٨] . وقال في تهذيب التهذيب : قال البخاري : روى عنه العلاء بن الحارث وابن جابر وكثير بن الحارث وسليمان بن عبد الرحمن احاديث مقاربة [٩] . واما من يتكلم فيه مثل جعفر بن الزبير وبشر بن نمير وعلي بن يزيد وغيرهم ففي حديثهم عنه مناكير واضطراب . وقال جعفر بن محمد بن ابان الحراني سمعت احمد بن حنبل يقول : ما ارى البلاء الا من القاسم . وقال ابراهيم بن الجنيد عن ابن معين : القاسم ثقة ، والثقات يروون عنه هذه الاحاديث ولا يرفعونها ثم قال يجيء من المشائخ الضعفاء ما يدل حديثهم على ضعفه . وقال العجلي : ثقة يكتب حديثه وليس بالقوى وقال يعقوب بن سفيان والترمذي : ثقة . وقال الجوزجاني : كان خيارا فاضلا ادرك اربعين رجلا من المهاجرين والانصار . وقال ابو حاتم : حديث الثقات عنه مستقيم لا بأس به وانما ينكر عنه الضعفاء . وقال الغلابي : منكر الحديث . وقال يعقوب بن شيبة : ثقة . وقال في موضع آخر : قد اختلف الناس فيه . قال ابن حجر : قلت : قال ابن حبان : كان يروي عن الصحابة المعضلات [١٠].

---

(١) الجرح والتعديل لابن ابي حام الرازي م ٦ ص ٢٠٩ ترجمة ١١٤٢ ط الاولى ١٩٥٢ م .

(٢) تهذيب التهذيب ص ٢٤٦ ص ٢٤٧ م ٧ ترجمة ٦٤٢ .

(٣) الكاشف للذهبي ج ٢ ص ٢٥٩ ترجمة ٤٠٤٥ .

(٤) تقريب التهذيب لابن حجر ص ٤٦ م ٢ ترجمة ٤٣٠ .

(٥) التاريخ الكبير للبخاري م ٧ ص ١٥٩ ترجمة ٧١٢ القسم الاول من الجزء الرابع .

(٦) الجرح والتعديل لابن ابي حاتم الرازي م ٧ ص ١١٣ ترجمة ٦٤٩ .

(٧) الكاشف للذهبي م ٢ ص ٣٣٧ ترجمة ٤٥٨٧ .

(٨) تقريب التهذيب لابن حجر ص ١١٨ م ٢ ترجمة ٢٩ من حرف القاف .

(٩) معنى يروي عن الثقات احاديث مقاربة اي يعتد بحديثه في الشواهد والمتابعات ولا يحتج بانفراده .

(١٠) تهذيب التهذيب لابن حجر م ٨ ص ٢٨٩ – ص ٢٩١ ترجمة ٥٨٣ طبعة دار الفكر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخلاصة القول : انه مختلف فيه واقوى الاراء رأي البخاري انه يروي عن الثقات احاديث مقاربة فما كان له شاهد اخذ به وتربع عليه والا فلا يحتج بحديثه لانه كما قال ابن حبان كان يروي عن الصحابة المعضلات ، قال عداب محمود الحمشي بعد ان ترجم لرواة هذا الاثر : فاسناد هذا الحد يث فيه معان بن رفاعة وعلي بن يزيد والقاسم بن عبد الرحمن وقد تفرد به القاسم عن ابي امامة ، وتفرد به علي بن يزيد عن القاسم ، وتفرد به معان عن علي بن يزيد . فالحديث منكر جدا ، اذ لا يقبل تفرد واحد منهم (١) .

وبذلك نطوي صفحة هذه الرواية التي اشتهر امرها عند المفسرين وذكرها جلهم حتى ان ابن كثير ذكرها دون تعليق . وقال ابن العربي وهي اصح الروايات . وقال الرازي والمشهور في سبب نزول هذه الاية هو ثعلبة وذكر الرواية ولم يفندها . وقال بها الشيخ محمد السيد طنطاوي في التفسير الوسيط رغم انه اشار الى ضعفها (٢) فهي رواية مدسوسة على اسباب التنزيل ، ساقطة متناً وسندا ، فبطل الرواية صحابي جليل من اهل بدر لا يجوز ان يرد في حقه مثل هذه الرواية. والصواب في المسألة ان الاية لا يوجد لها سبب تنزيل محدد ، والتزامن معدوم ، والسند غير صحيح ، والرواية مردودة متناً فلم تتحقق الاطر التي لا بد منها لاعتماد الرواية فترد الرواية وتمنع من دخول دائرة اسباب التنزيل . كما تحجب عن دخول دائرة التفسير لان فيها افتراء على بدري من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، واذا نظرنا الى سياق الايات نجد انها تتحدث عن المنافقين ابتداء من الآية الثانية والاربعين [**لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لا تبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة**] واستمرت حتى قبل نهاية السورة بايتين اثنتين . ففي الآية التاسعة والاربعين [**ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني..**] وفي الاية الثامنة والخمسين [**ومنهم من يلمزك في الصدقات**] وفي الآية الحادية والستين [**ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن ..**] ثم صرح باسم المنافقين والمنافقات ست مرات في ثلاث آيات واستمر الحديث حتى بلغ الآية التي نحن بصددها . ثم استمر الحديث الى قبيل نهاية السورة فهي اطول سورة تحدثت عن المنافقين وسبرت غور نفسياتهم ، ووضحت طبائعهم ، وفضحت مواقفهم وكشفت نواياهم الخبيثة ولم يكن الحديث عن صحابي قط ولا عن شخص معين ولكن الآيات كشفت مواقفهم المختلفة ويؤكد ذلك ان الآية ابتدأت بحرف العطف الواو وبضمير الغائب " ومنهم " اي بعضهم وهم المنافقون وثعلبة ليس منهم حسبما دللنا عليه سابقا . وبمثل ذلك نقول عن بقية اهل بدر (٣) . وعليه تكون الرواية قد فقدت شروط صحة الرواية المعتبرة في اسباب التنزيل فترد ولا تدخل في زمرة أسباب التنزيل ولا في التفسير . وقال عداب محمود الحمش : ومما يؤكد تهافت الرواية هو عدم ورودها في كتب الحديث الصحاح او المسانيد او السنن . وشهرتها عمت لكونها تتعلق بحكم شرعي وهو مانع الزكاة (٤) .

---

(١) ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه ص ١٠٥ .

(٢) انظر في تفاسير هؤلاء في سورة التوبة اية ٧٥ وقد اوردها كذلك الشوكاني وكانه يراها صحيحة ج ٢ ص ٣٨٦ وسبقه الطبرسي بمثل ذلك في مجمع البيان ص ٨١ ج ٥ .

(٣) امثال عقبة بن ابي معيط ،والجد بن قيس الانصاري، ومعتب بن قشير، ونبتل بن الحارث ومن اراد المزيد فعليه بكتاب العواصم من القواصم لابن العربي وكتاب ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه لعداب محمود الحمش .

(٤) بتصرف من كتاب ثعلبة الصحابي المفترى عليه ص ١١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩ [لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم] آل عمران ١٨٨ .

روى البخاري عن ابي سعيد الخدري قال : ان رجالا من المنافقين على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كانوا اذا خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الى الغزو تخلفوا عنه ، فاذا قدم اعتذروا اليه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا ، فنزلت الاية (١) .

وروى البخاري عن ابراهيم بن موسى عن هشام وروى مسلم عن زهير بن حرب عن حجاج كلاهما عن ابن جريج قال ابن عباس : جوابا لسؤال مروان بن الحكم عن الآية : ما لكم ولهذا انما دعا النبي -صلى الله عليه وسلم- اليهود فسألهم عن شيء فكتموه اياه واخبروه بغيره ، فأروه ان قد استحمدوا اليه بما اخبروه فيما سألهم ، وفرحوا بما اتوا من كتمانهم اياه ثم قرأ [**واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ..**] الآية ١٨٧ آل عمران (٢) .

وهناك روايات اخرى نعرض لها في دراسة الروايات .

دراسة الروايات

لقد اكتفيت بتسجيل اصح روايتين في هذا الموضوع والاولى تنسب سبب النزول للمنافقين والثانية تنسبه لليهود . ولم تذكر اي رواية حدثاً معيناً ، او واقعاً محددا نزلت الاية بشأنه ولكن الروايات ذكرت امراً عاماً مما يدل على ان الروايتين تتعلقان بالتفسير لا بسبب التنزيل لان اهم سمة لسبب التنزيل انها وقعت حادثة معينة او طرح سؤال (٣) محدد وقد خلت الروايتان من هذا التحديد ولذلك لا يعتد بهما في موضوع اسباب التنزيل وتدخل من باب عريض في موضوع التفسير والذي يزيد هذا الرأي قوة مايلي:

أ. بخصوص اليهود فقد وردت روايات كثيرة تحدد الذي فعلوه وفرحوا به اي السبب الذي من اجله استحقوا الوعيد وهي :
   ١. كتمانهم ما سألهم عنه الرسول - -صلى الله عليه وسلم- - واخبارهم بغيره
   ٢. كتمانهم صفة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وادعاؤهم انهم على دين ابراهيم وفي رواية كتمانهم اسم الرسول -صلى الله عليه وسلم-

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري الحديث رقم ٤٥٦٧ ج ٨ وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٧ ص ١٢٣ كتاب صفات المنافقين واحكامهم وانظر اسباب نزول القران للواحدي ص ١٣١ ولباب النقول للسيوطي ص ٥٦ ورواه الطبري برقم ٨٣٣٥ ص ٤٦٥م ٧ تحقيق احمد شاكر وغيرها .

(٢) المصدر السابق في الصحيحين . الحديث ٤٥٦٨ في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم ص ١٢٣ ج ١٧ كتاب صفات المنافقين واحكامهم وفيهما قصة مروان بن الحكم وانه ارسل رافعاً الى ابن عباس وانها نزلت في اليهود واخرجه الترمذي في سننة كتاب التفسير سورة ال عمران رقم ٣٠١٤ والحاكم في المستدرك جزء ٢ ص ٢٩٩ كتاب التفسير والامام احمد في مسنده ج ١ ص ٢٩٨ واخرجه الطبري في الاثرين ٨٣٤٨ - ٨٣٤٩ ص ٤٧٠ م ٧ النسخة المحققة تفسير البغوي ص ٣٨٤ ج ١ وانظر التفاسير الاخرى .

(٣) انظر تعريف سبب التنزيل في الاصطلاح في الفصل الاول من هذه الرسالة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. كتبهم الى يهود الارض ان محمدا ليس بنبي واجتماع كلمتهم على الكفربه وزعمهم انهم اهل عبادة
٤. فنحاص واشيع واشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون ان يقول لهم الناس علماء ولم يحملوا العلم على الهدى والحق.
٥. لان اهل الكتاب حكموا بغير الحق وحرفوا الكلم عن مواضعه وفرحو به.
٦. قوم من اليهود اظهروا النفاق للنبي --صلى الله عليه وسلم--محبة منهم للحمد والله عالم منهم خلاف ذلك .
٧. انهم يهود خيبر زعموا انهم ردء للرسول -صلى الله عليه وسلم- فاكذبهم الله في هذه الاية.
٨. تجهيز اليهود جيشا الى النبي -صلى الله عليه وسلم- وانفاقهم على ذلك الجيش.
٩. علماء بني اسرائيل الذين كتموا الحق واتوا ملوكهم من العلم ما يوافقهم في باطلهم واشتروا به ثمنا قليلا باعطيات الملوك (١)

ب. بخصوص المنافقين
١. نزلت في المنافقين الذين يتخلفون عن الغزو مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاذا عادوا من الغزو استعذروا له ففضحهم الله بهذه الآية.
٢. المنافقون يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم بذلك ويفرحون بابطانهم الكفر (٢)

وهكذا تجد هذه الآراء بروايات مسندة او بدون اسناد كما أشرنا في الهامش تجد هذه الآراء منثورة هنا وهناك ويتبارى علماء التفسير في ذكرها والاكثار منها مما يدل على انه لا يوجد سبب محدد لتنزيل هذه الآية وهناك معان اخرى ذكرها المفسرون للآية اهمها:

١. ان الآية توبيخ للمرائين المتكثرين بما لم يعطوا قاله ابن كثير واستشهد بما جاء في الصحيحين عن النبي - -صلى الله عليه وسلم- - (من ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم تزده من الله الا قلة) وقوله (المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور) (٣).

(٢،١) انظر الروايات في تفسير الطبري الاثار ٨٣٣٥ الى ٨٣٥٢ الصفحات ٤٦٥ - ٤٧١ من تفسير الاية في سورة ال عمران م ٧ تحقيق محمود واحمد شاكر طبعة دار المعارف والدر المنثور للسيوطي ص ٤٠٣-٤٠٦ م ٢ وانظر تفسير الكشاف للزمخشري م ١ ص ٢٣٦ والتفسير الكبير للفخر الرازي ص ١٣٢ ج ٩ طبعة طهران والبحر المحيط لابي حيان ج ٣ ص ١٣٦ ، ص ١٣٧ وتفسير القرطبي ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ م ٤ . تفسير ابن كثير ص ٤٣٦ ص ٤٣٧ ج ١ تفسير البغوي ص ٣٨٤ ج ١ تحقيق خالد العك ومروان سوار - روح المعاني للالوسي ج ٤ ص ١٥٠ -١٥١ - هيميان الزاد الى دار المعاد محمد بن يوسف الاباضي ج ٤ ص ٣٩١ ص ٣٩٢ ط ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م وانظر مخطوط العجاب في الاسباب لابن حجر - الصفحات ١٧١ - ص ١٧٣ أ ، ب - فقد ذكرت جل هذه الروايات في هذه الصحفات وما بعدها .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ص ٤٣٦ ج ١ وحديث المتشبع بما لم يعط رقمه ٥٢١٩ في فتح الباري ص ٣١٧ من كتاب النكاح م ٩ باب ١٠٦ المتشبع بما لم ينل ، والحديث عن اسماء ان امرأة قالت يا رسول الله ان لي ضَرَّة فهل علي جناح ان تشبعت من زوجي غير الذي يعطيني ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث والمتشبع هو المتزين بما ليس عنده يتكثر بذلك ويتزين بالباطل وانظر صحيح مسلم كتاب اللباس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. ان يفرح بفعل الخير ويحب الحمد على ما لم يفعل كما فهم مروان بن الحكم كما جاء في رواية الصحيحين السابق ذكرها وقد أشار الى ذلك الرازي [١] والواقع ان هذا الفهم ضعيف يضعفه السياق وهو امر فطري . والفرح المنهي عنه هو فرح الاعجاب والبطر وفي هذه الآية الوعيد لمن يفرح بفعل الشرور والآثام ويحب ان يمدح بحسن السيرة والسلوك.

والامر الجدير بالذكر ان المفسرين الذين نقلوا الوجوه الكثير يعقبون عليها بانه لا مانع من نزول الآية بجميع هذه الاسباب . فالرازي مثلا بعد ان ذكر ستة وجوه قال واعلم ان الاولى ان يحمل على الكل بان جميع هذه الامور مشتركة في قدر واحد وهو ان الانسان يأتي بالفعل الذي لا ينبغي ويفرح به ثم يتوقع من الناس ان يصفوه بسداد السيرة واستقامة الطريقة والزهد والاقبال على طاعة الله [٢] وقال الزمخشري :(يجوز ان يكون شاملاً لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه[٣] ولما كانت المواضيع والاقوام متعددين لذلك لا يراد ان يكون ذلك سببا لنزول الآية وانما هي وقائع ينطبق عليها النص فسواء اكان الامر يتعلق بما اعتاد عليه الناس او بما يقوم به المنافقون او اهل الكتاب بانواعهم فهو يعمهم من حيث التفسير والبيان لمعنى الآية ولا يدخل في سبب نزولها وان كان السياق القراني يجعلها في اهل الكتاب حيث تقول الاية التي قبلها مباشرة [**واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون**] ولكن الرواية الاخرى التي تقول انها في المنافقين وردت كذلك في الصحيحين ولا يوجد تفاوت في قوة السندين ، ولا يجور رد احدهما لانه يمكن الجمع بين الروايتين بانهما تفسير للنص وليس سببا لنزول الآية والقاعدة الاصولية مشهورة (اعمال الدليلين خير من اهمال احدهما) وعليه فليست رواية اولى بالاخذ بها من اختها ويجمع بينها انها في التفسير لا في أسباب التنزيل واما الاشكال الذي ورد عند مروان بن الحكم وجواب ابن عباس له فالواقع انه لم يحل ليس من باب ان اللفظ اعم من السبب [٤] .لانـــه لم يثبت سبب نزول للآيـــة

---

(١) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٩ ص ١٣٣ وانظر تفسير بن كثير ج ١ ص ٣٤٧ .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي ص ١٣٢ ج ٩ .

(٣) الكشاف للزمخشري ص ٢٣٦ ج ١ وانظر تفسير القرطبي فبعد ان ذكر انها نزلت في المنافقين او اهل الكتاب قال (ويحتمل ان يكون نزولها على السببين لاجتماعهما في زمن واحد فكانت جوابا للفريقين) ص ٣٠٦ ص ٣٠٧ ج ٤ وانظر تفسير الالوسي ص ١٥١ ج ٤ وانظر البحر المحيط لابي حيان ص ١٢٧ ج ٣ فقد ذكر نفس العبارة تقريبا بعد ان ذكر تسعة اقوال في الاية .

(٤) كما قال الزركشي في البرهان قال بعضهم ص ٢٧ ج ١ . اي انه فهم بعضهم ان ابن عباس يرى ان لفظ الاية وان كان عاما فاريد به الخصوص وليس هذا صحيحا فابن عباس قال في اية السرقة ان لفظها عام ولم يرد به خصوص السبب انظر مارواه ابن ابي حاتم بسنده عن نجدة الحنفي انه قال سالت ابن عباس عن اية السرقة اخاصٌ ام عامٌ ؟ قال بل عام ص ١٠٢ البيان في مباحث علوم القران لعبد الوهاب عبد المجيد غزلان وانظر تفسير ابن كثير ص ٤٣٧ ج ١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وليس من زاوية ما ورد في بعض الروايات ان ابن عباس فهم الوعيد في الاية للذي يفرح على فعل الخير الذي قام به ويحب ان يحمد على مالم يفعله من الخير والمتدبر للايات يجد ان هذا المعنى غير مقصود في الاية ودليله ما اورده ابن كثير فقال [1] : " وقد روى ابن مردويه ايضا من حديث محمد بن عتيق وموسى بن عقبه عن الزهري عن محمد بن ثابت الانصاري ان ثابت بن قيس الانصاري قال : يا رسول الله والله لقد خشيت ان اكون هلكت قال : لم ؟ قال نهى الله المرء ان يحب ان يحمد بما لم يفعل واجدني احب الحمد ونهى الله عن الخيلاء واجدني احب الجمال ونهى الله ان نرفع اصواتنا فوق صوتك وانا امرؤ جهير الصوت فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال : بلى يا رسول الله فعاش حميدا وقتل شهيدا يوم مسيلمة الكذاب [2] فمفهوم الحديث انه -صلى الله عليه وسلم-لم ينكر فعله واذا قرنا هذا بالوعيد المؤكد في الاية بتكرار [**لا تحسبن**] وبقوله تعالى [**بمفازة من العذاب**] وبقوله [**ولهم عذاب اليم**] نجد ان النهي منصب على امر اخر وهو الفعل الذي اخذ الله الميثاق عليه على اهل الكتاب وهو بيان ما اوحي اليهم للناس وعدم كتمانه ففعلوا بعكس ذلك وهذا شر مستطير ، وجريمة يستحقون عليها الويل والثبور والعذاب الاليم في جهنم فالذين يفرحون بما قاموا به من شرور [3] سواء اكان الشر خيانة الميثاق الذي الزم الله به من اوتي كتابا سماويا ام غيره اي ان الوعيد منصب على المحمدة الباطلة وعلى من يأتي افعال الشر ولذلك ورد التعبير بالفعل [**اتوا**] لان هذا الفعل لصيغة الماضي يدل على المعاني والازمان في حين ان الفعل [**جاء**] يدل على الجواهر والاعيان [4] وعليه فيكون معنى الآية.

والذين يفرحون بما فعلوا من شرور ويحبون المحمدة الباطلة فلا تحسبن هؤلاء بمفازة من العذاب اي انهم معذبون لا محالة وبذلك يزول الاشكال . والآية لا تتعلق بمن يحب الحمد على فعل الطاعات او ترك المحرمات فهو امر فطري لم يشمله النص [5] .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٣٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ص ٤٣٧ ج ١ .

(٣) انظر البيان في مباحث من علوم القران لعبد الوهاب غزلان ص ١٠١ طبعة ١٩٦٥ م .

(٤) انظر البرهان في علوم القران ج ٤ ص ٨٠ تحت عنوان (قاعدة في الفاظ يظن بها الترادف وليست منه) .

(٥) انظر قصة ابي سعيد الخدري ورافع بن خديج وزيد بن ثابت عند مروان بن الحكم في تفسير ابن كثير ص ٤٣٧ ج ١ قال مروان يا ابا سعيد ارايت قوله تعالى [**لا تحسبن الذين يفرحون** ..] ونحن نفرح بما اتينا ونحن ان نحمد بما لم نفعل ؟ فقال ابو سعيد : ان هذا ليس من ذاك ، انما ذاك ان ناسا من المنافقين ..الخ فقال مروان : اين هذا من هذا ؟ فقال ابو سعيد وهذا يعلم هذا ؟ فقال مروان : اكذاك يا زيد ؟ فقال نعم صدق ابو سعيد . ثم قال ابو سعيد : وهذا يعلم ذاك - يعني رافع بن خديج - ولكنه يخشى ان اخبرك ان تنزع قلائصه في الصدقة فلما خرجوا قال زيد لابي سعيد الخدري : الا تحمدني على ما شهدت لك ؟ فقال له ابو سعيد شهدت الحق . فقال زيد : اولا تحمدني على ما شهدت الحق ؟ وانظر الرواية في مخطوط العجاب في الاسباب لابن حجر ص ١٧٢ أ وفي رواية اخرى عنه فقال زيد لرافع وهو يمزح معه اما تحمدني لما شهدت لك فقال رافع واي شيء هذا احمدك على ان تشهد بالحق . قال زيد نعم قد حمد الله على الحق اهله .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بدلالة الوعيد الشديد ، وبدلالة سياق الايات ولذلك اعرض ابن عباس رضي الله عنه عن فهم مروان بن الحكم من ان الآية نزلت في الذين يفرحون بما فعلوا من خير ويحبون ان تسند اليهم الافعال الحميدة وان لم يقوموا بها فقال " ما لكم ولهذه الاية " اي ان الاستشهاد بالآية ليس في محله . وقوله " انما نزلت في اليهود .. " اي توجيه لفعل الشر ، واعمال المنكر التي يفعلونها وربط ذلك بالآية التي قبلها وهي اخذ الميثاق من اهل الكتاب . واما قوله " ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا " فاليهود يحبون ان يوصفوا بالصلاة والطاعات وهم في نفس الوقت يكفرون بمحمد ويكتمون بعض ما انزل الله عليهم ، ويخونون الميثاق الذي بينهم وبين الله تعالى . وهذه هي المحمدة الباطلة . اي انهم فرطوا بالتمسك بعروة الحق وحمل دعوة الله للناس وهم يحبون ان يوصفوا بانهم القيمون على دين الله ، الممثلون لشريعة الله ، الحفاظ لكتاب الله ، المبينون لدينه .

وبذلك ينتهي الاشكال او يرد الاشكال الذي فهمه مروان بن الحكم والرد آت من فهم سياق الآيات وليس من معرفة سبب التنزيل حيث ان الاية لا يوجد لها سبب تنزيل ، ولم تصلح رواية مما ذكرنا لسبب التنزيل وبصيغة اخرى لم تتحقق شروط صحة اعتماد رواية اسباب التنزيل في هذه الروايات التي نافت عن العشرة فلم تذكر حادثة معينة وقعت (١) حتى يقال عنها انها سبب تنزيل وجميع ما ذكر مفاهيم عامة ، وصفات عامة في اليهود وفي المنافقين ، فوصف الحدث المحدد انتفى فيكون الاصل في الرواية غير موجود فلا تبحث هذه الروايات في أسباب التنزيل وانما تدرج كلها في التفسير كما اسلفنا . وتعدد الروايات في اليهود والتي تجاوزت الثمانية ، وفي المنافقين ذكرت روايتان يختلف موضوع الاولى عن الثانية ، فالاولى في التخلف عن الجهاد ، والثانية في ابطان الكفر واظهار الاسلام كل ذلك يدل على انه لم يثبت سبب لتنزيل الآية . واما قول ابن حجر في فتح الباري وفي العجاب في الأسباب من احتمال اجتماع سبب نزول الآية في اليهود وفي المنافقين فيدخل في موضوع التفسير كما قيل عن المفسرين الذين ذكروا الروايات المتعددة والتي تجاوزت الخمسة عند كل منهم ، ومفهوم الآية وسياق الآيات يرفض روايات المنافقين مع انه صح منها في الصحيحين . وروايات اليهود عامة ومتفاوتة في الزمن وعليه فلا سبب نزول لهذه الآية مما ذكرنا والله اعلم .

١٠ [**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ، ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين * وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين * واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون * ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**] (١٢٥-١٢٨) . سورة النحل

---

(١) قال ابن حجر في فتح الباري (تنبيه) : الشيء الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنه اليهود لم اره مفسرا وقد قيل انه سألهم عن صفته عندهم بامر واضح فاخبروه عنه بامر مجمل) ص ٢٣٥ ج ٨ شرح احاديث باب ١٦ من كتاب التفسير وهي ٤٥٦٧ - ٤٥٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الروايات

١ لما كان يوم احد اصيب من الانصار اربعة وستون رجلا ، ومن المهاجرين ستة ، منهم حمزة ، فمثلوا بهم ، فقالت الانصار : لئن اصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم قال : فلما كان يوم فتح مكة ، فانزل الله [**وان عاقبتم** ..] الآية . فقال رجل : لا قريش بعد اليوم ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كفوا عن القوم الا اربعة (١) .

٢ ان النبي -صلى الله عليه وسلم- وقف على حمزة بن عبد المطلب حين استشهد ، فنظر الى شيئ لم ينظر الى شيئ كان اوجع منه لقلبه ، ونظر اليه قد مثل به ، فقال : رحمة الله عليك ، فانك كنت - ما عرفتك فعولا للخيرات . وصولا للرحم ، ولولا حزن من بعدك عليك لسرني ان ادعك حتى تحشر من افراد شتى ، اما والله مع ذلك لامثلن بسبعين منهم . فنزل جبريل والنبي - صلى الله عليه وسلم - واقف بخواتيم النحل الايات فصبر النبي ، وكفر عن يمينه ولم يمثل باحد (٢) .

٣ لما اصيب في احد المثلى ، فقال المسلمون : لئن اصبناهم لنمثلن بهم فقال الله [**وان عاقبتم** ..] الآيات . وروي ان الكفار مثلوا بقتلى المسلمين الا حنظلة بن ابي عامر الراهب كان مع ابي سفيان فتركوا حنظلة لذلك (٣) .

---

(١) انظر لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي ص ١٣٦ ، احكام القرآن لابن العربي ص ١١٧٨ ج ٣ ط ٢ عيسى البابي الحلبي تفسير الخازن ص ١٥٢ ج ٣ - فتح القدير للشوكاني م ٣ ص ٢٠٥ طبعة دار المعرفة بيروت . الدر المنثور للسيوطي ص ١٧٨ م ٥ طبعة دار الفكر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي م ٤ ص ٥٠٧ طبعة المكتب الاسلامي - دلائل النبوة للبيهقي م ٣ ص ٢٨٩تحقيق عبد المعطي قلعجي دار الكتب العلمية بيروت ط ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥ م

(٢) انظر اسباب النزول للواحدي ص ٢٩٠ لباب النقول ص ١٣٥ وقال اخرجه الحاكم والبيهقي في الدلائل والبزار عن ابي هريرة احكام القران لابن العربي ص ١١٧٨ ج ٣ ط ٢ عيسى البابي الحلبي تحقيق علي محمد البجاوي تفسير ابي السعود ص ١٥٢ ج ٥ دار احياء التراث العربي بيروت ، تفسير البغوي ص ٩١ م ٣ ج ١٤ طبعة دار المعرفة ط ١ ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، تفسير الخازن ص ١٥٢ ج ٣ فتح القدير للشوكاني م ٣ ص ٢٠٥ طبعة دار المعرفة بيروت - تفسير ابن كثير ص ٥٩٢ م ٢ تفسير الدر المنثور للسيوطي م ٥ ص ١٧٩ طبعة دار الفكر - التفسير الكبير للرازي ص ١٤١ ج ٢٠ طبعة طهران وانظر دلائل النبوة للبيهقي - ص ٢٩٠ م ٣ تحقيق د. عبد المعطي قلعجي .

(٣) انظر اسباب نزول القران للواحدي ص ٢٩١ تفسير الطبري ص ١٩٥ ص ١٩٦ ج ١٤طبعة دار الفكر ، الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ٣٤٩ تفسير البغوي ص ٩١ ج ١٤ م ٣ دار المعرفة ط ١ ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م تفسير الخازن ص ١٥٢ ج ٣ احكام القرآن للجصاص ص ١٩٤ ج ٣ طبعة دار الكتاب العربي لبنان ، مجمع البيان للطبرسي ج ٦ ص ٦٠٥ توزيع دار الباز بمكة ، تفسير ابن كثير م٢ ص ٥٩٢ . تفسير زاد المسير في علم التفسير م ٤ ص ٥٠٨ طبعة المكتب الاسلامي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤ قال الطبري : (وقال اخرون : لم يعن بهاتين الايتين شيئا مما ذكر هؤلاء وانما عنى بها ان من ظلم بظلامة فلا يحل له ان ينال ممن ظلمه اكثر مما نال الظالم منه . وقالوا : الاية محكمة غير منسوخة [١]

٥ نزلت من اجل ان رسول الله - -صلى الله عليه وسلم- - واصحابه اقسموا حين فعل المشركون يوم احد ما فعلوا بقتلى المسلمين من التمثيل بهم ان يجاوزوا فعلهم في المثلة بهم ان رزقوا الظفر عليهم يوما ، فنهاهم الله عن ذلك بهذه الآية[٢] .

٦ قال ابن زيد في قوله تعالى [**وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به**] قال : امرهم الله ان يعفوا عن المشركين ، فاسلم رجال لهم منعه ، فقالوا : يارسول الله ، لو اذن الله لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب ، فنزل القرآن الآية [٣] .

٧ قال الحسن : نزلت الاية قبل ان يؤمر النبي - -صلى الله عليه وسلم- - بقتال المشركين على العموم وامر بقتال من قاتله ونظيره قوله [**فان قاتلوكم فاقتلوهم**] [٤] .

دراسة الروايات ومناقشتها

اختلفت الروايات في زمن نزول الآية ، فالرواية الاولى تنص على انها نزلت في فتح مكة (فلما كان فتح مكة فانزل الله - الآية - فقال رجل لا قريش بعد اليوم ..) قال ابن كثير في تفسيره اخرج الترمذي وحسنه ، وعبد الله بن احمد في زوائد المسند ، والنسائي ، وابن المنذر ، وابن ابي حاتم ، وابن خزيمة في الفوائد ، وابن حبان ، والطبراني ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل ، والضياء في المختاره عن ابي بن كعب وذكر الرواية [٥] ..

---

(١) انظر تفسير الطبري ص ١٩٧ ج ١٤ م ٨ طبعة دار الفكر تفسير البغوي ص ٩١ م ٣ ج ١٤ وفيه قال النخعي والثوري ومجاهد وابن سيرين تفسير الخازن ص ١٥٢ ج ٣ وزاد عن الشعبي . احكام القرآن للجصاص ص ١٩٤ ج ٣ طبعة دار الكتاب العربي لبنان مجمع البيان للطبرسي ج٦ ص ٦٠٥ توزيع دار الباز بمكة عن مجاهد وابن سيرين وابراهيم - البحر المحيط لابي حيان الاندلسي ص ٥٤٩ ج ٥ طبعة دار الفكر ص ٢ ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م - تفسير القرطبي ص ٢٠١ م ١٠ قال معاذ . الماوردي عن ابن سيرين ومجاهد .

(٢) انظر تفسير الطبري ص ١٩٥ ج ١٤ م ٨ طبعة دار الفكر عن عطاء بن يسار تفسير ابن كثير ص ٥٩٢ م ٢ تفسير الدر المنثور م ٥ ص ١٧٩ .

(٣) تفسير الطبري ص ١٩٦ ج ١٤ م ٨ طبعة دار الفكر تفسير الدر المنثور م٥ ص ٤٨٠ .

(٤) مجمع البيان للطبرسي ص ٦٠٥ ج ٦ تصحيح وتحقيق هاشم الرسول المحلاتي وفضل الله اليزدي الطباطبائي دار المعرفة بيروت ط١ ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م - فتح القدير لمحمد علي الشوكاني ص ٢٠٥ ج ٣ طبعة دار المعرفة بيروت التفسير الكبير للفخر الرازي ص ١٤١ ج٢٠ طبعة طهران .

(٥) انظر تفسير ابن كثير ص ٢٠٥ ج ٣ طبعة دار المعرفة - والدر المنثور للسيوطي ص ١٧٨ م٥ طبعة دار الفكر والفتح الرباني لترتيب مسند الامام احمد بن حنبل ص ١٩٢ ج ١٨ طبعة دار احياء التراث العربي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى ذلك تكون الآيات مدنية . والرواية الثانية تنص على انها نزلت في احد لما رأى الرسول -صلى الله عليه وسلم- حمزة وقد مثل به فقال ما قال ونزلت الآية والرسول -صلى الله عليه وسلم- واقف على جثة حمزه . قال ابن كثير في تفسيره [1] : اخرج ابن سعد والبزار وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابو نعيم في المعرفة ، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابي هريرة .. ونحو هذه الرواية الثالثة لكن المتلفظ بالفاظ التهديد بالمثلة هم المسلمون وليس الرسول -صلى الله عليه وسلم- وعلى ذلك تكون الآيات مدنية ومثلها كذلك الرواية الخامسة وجمعت المتلفظين بالتهديد الرسول -صلى الله عليه وسلم- والصحابة رضوان الله عليهم ومنهم الانصار. والرواية الرابعة صريحة في ان الآيات لم تنزل فيما قيل سابقاً وانما هي في رد الظلم بمثله ولا تدل هذه الرواية على مكيّة او مدنية الآيات ، ولكنها تصلح للفترتين[2] .

والرواية السادسة لم تحدد وقت نزول للآية لكن الرواية تقول (امرهم الله ان يعفوا عن المشركين) ولا يسمى العفو عفوا الا اذا كان عن مقدرة فقد يشتم منها رائحة القول انها نزلت بالمدينة . والرواية السابعة والاخيرة تدل على انها نزلت قبل شروع القتال اي انها مكيّة لان القتال لم يشرع الاّ في المدينة [3]. قال ابن كثير . واخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس في قوله [**وان عاقبتم** ..] الآية قال: هذا حين امر الله نبيه ان يقاتل من قاتله [4]. وقال القرطبي: (اطبق [5] جمهور اهل التفسير ان هذه الاية مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة في يوم احد ، ووقع ذلك في صحيح البخاري في كتاب السير) [6] .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٥ طبعة دار المعرفة . وانظر الدر المنثور للسيوطي م ٥ ص ١٧٩ طبعة دار الفكر .

(٢) تفسير الطبري ص١٩٧ م٨ ج١٤ طبعة دار الفكر .

(٣) اول آية في القتال نزلت اثناء هجرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- [**أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير**] سورة الحج آية ٣٩ قال ابن كثير ٢٢٥ ج٣ (وقال مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف كان ابن عباس ومجاهد وعروة بن الزبير أن زيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة وغيرهم هذه اول آية نزلت في الجهاد .

(٤) انظر تفسر ابن كثير م٣ ص٢٠٥ طبعة دار المعرفة .

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي م١٠ ص٢٠١ - ونقله الألوسي في روح المعني ج١٤ ص٢٥٧ دار إحياء التراث العربي - وانظر البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج٥ ص٥٤٩ طبعة دار الفكر

(٦) ذكر البخاري في كتاب المغازي ٦٤ الحديث ٤٠٧٢ باب ٢٣ قتل حمزة بن عبد المطلب ص٣٦٧ من فتح الباري ج٧ ولم يذكر ان هذه القصة سبب نزول الآية ، ولم يذكر في كتاب التفسير أيّ سبب أو تفسير للآيات ، وفي شرح الحديث قال ابن حجر ص٣٧١ روى البزار والطبراني بإسناد فيه ضعف عن أبي هريرة فقال فنزل القرآن .. وقال : وعند عبد الله بن أحمد في زيادات المسند / والطبراني من حديث أبيّ بن كعب .. وعند ابن مردويه من طريق مقسم عن ابن عباس نحو حديث ابي هريرة باختصار ثم قال : " وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً " أي أن جميع هذه الطرق ضعيفة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهل الآيات مكيّة أم مدنية ياترى ؟

ان الذين قالوا بمدنية هذه الايات بنوا اقوالهم على هذه الروايات : قال الفخر الرازي بعد ان ذكر احدى الروايات (فتلى احد وقد مثل بحمزة) قال وعلى هذا قالوا ان سورة النحل كلها مكيّة الاّ هذه الآيات الثلاث) (١). وقال محمود شكري الألوسي بعد ان ذكر الرواية (فهي على هذا مدنية) (٢) وكذلك الرواية التي تقول انها نزلت في فتح مكة تعدها مدنية على الاصطلاح المشهور ان ما نزل قبل الهجرة فهو مكي وما نزل بعدها فهو مدني ولا عبرة لمكان النزول في هذا التقسيم وقال النحاس : انها مكيّة والمعنى متصل بما قبلها من المكي اتصالاً حسناً لانها تتدرج الرتب من الذي يدعى ويوعظ ، الى الذي يجادل ، الى الذي يجازى على فعله (٣) . وقد رجح الفخر الرازي هذا القول وقال : (فهذا هو الوجه الصحيح الذي يجب حمل الاية عليه) (٤)

ولا يقال بالجمع بين هذه الروايات في اسباب التنزيل لتباعد زمن حدوث الوقائع ، قبل الهجرة وفي السنة الثانية للهجرة والسنة الثامنة للهجرة .

واما ابن الحصار فقد جمع بين هذه الاقوال فقال : انها نزلت اولا بمكة ثم ثانياً باحد ، ثم ثالثا يوم الفتح تذكيراً من الله لعباده (٥) وقال (كل نوع من المكي والمدني منه ايات مستثناه الا ان من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل) (٦) . ولا شك ان استثناءهم لهذه الآيات من سورة النحل هو اجتهاد لا يعتمد على التدقيق في النقل . وقال ابن حجر في شرح صحيح البخاري : قد اعتنى بعض الائمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السور المكية . قال واما عكس ذلك وهو نزول شيء من سورة بمكة تأخر نزول تلك السورة الى المدينة فلم اره الا نادراً (٧) . وقال ابو بكر الباقلاني في نكت الانتصار : واما المكي والمدني فلا بد من حفظ الصحابة او جمهورهم له والاحاطة به ، غير انه لم يكن للنبي -صلى الله عليه وسلم- في ذلك نص وتوقيف) (٨) .

والذي اراه صوابا في هذه المسألة هو ان الآيات مكيّة وان سورة النحل نزلت بمكة كلها دون استثناء اي اية منها . والقول بمدنية هذه الآيات قول اجتهادي يسقط امام محاكمة الروايات فقد سبق ان اثبتنا (٩) ان التعبير بنزول الآية في كذا يعني : دلت الآية على كذا وليس من الضروي ان يكون المعنى ان سبب النزول هو كذا فهو تفسير في اكثر الحالات .

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ص١٤١ج٢٠ طبعة طهران .

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود شكري الألوسي ج١٤ ص٢٥٧ طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي م١٠ ص٢٠١ .

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٠ ص١٤١ طبعة طهران .

(٥) لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي ص١٣٦ . وانظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي٤٥ ج١ .

(٦) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص١٩ .

(٧) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص١٩ .

(٨) نكت الانتصار لنقل القرآن لأبي بكر الباقلاني ص٩٠ تحقيق د. محمد زغلول سلام ط١٩٧١ الناشر منشأة دار المعارف بالاسكندرية .

(٩) انظر الفصل الأول من هذه الرسالة مبحث الفاظ دالة على اسباب التنزيل ومبحث اسباب التنزيل عند الصحابة والتابعين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكما قال عبد الوهاب غزلان لا مزيّة للفظ انزل ومشتقاتها على غيرها في مجال أسباب النزول بل تفيد دلت الآية على كذا [1] .

بالاضافة الى انه كان من عادة الصحابة والتابعين من بعدهم (التعبير بنزلت الآية في كذا ويريدون ان الآية تتضمن تلك الحادثة .

ومفهوم الآيات يقرر ان الروايات تفسيرية وليست سبباً للتنزيل فليس من شريعتنا من لطمك على خدك الايمن فادر له الايسر فليس من سنة الإسلام ان يجعل الرد على المشركين الذين مثلوا بالمسلمين في ساحة الوغى ان يدعوهم الى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي احسن ، وان يصبروا على مثل هذا الاذى لانه خير من مقارعة السلاح فهذا هو الذل والضعف بعينه لا سيما انهم كانوا اهل منعة ولهم شوكة فهم يتمتعون بدولة ذات كيان متميز يستمد النصر من الله الواحد القهار وفي هذا قلب لمفاهيم الإسلام ، لقد كان اسلوب الدعوة بهذه الاساليب الثلاث مرسوماً للمسلمين قبل ان يملكوا دولة تطيح بالرؤوس والتيجان وتهدم العروش وتقوض الاركان فقد كانوا مستضعفين لا يملكون الا اللسان او الفرار من الاذى بالهجرة ، اما بعد ان ملكوا السنان فلم يكن امامهم الا خوض غمار المعركة وقذف الرعب في قلوب اعداء الله ليركعوهم تحت اقدام المسلمين هم ومن توسوس له نفسه باسنادهم ففي غزوة بدر نزل قوله تعالى [**يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار * ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال او متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**][2] وفي بدر نزل قوله تعالى [**فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ..**] [3] ونزل قوله تعالى [**واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ..**][4] فروايات مقتل حمزة ، والانتقام الذي كان يمكن ان يحدث في فتح مكة كلها روايات تفسيرية ليس غير لجزء من آية . وهو الذي راه الفخر الرازي صوابا يجب حمل الآيات عليه ، وهو الذي رجحه النحاس كما اسلفنا قبل قليل .

واما رأي اهل التوفيق كابن الحصار فهو غير مقبول لان تكرر نزول الآيات او السور امر يعوزه الدليل ، وهو رأي لا يستند الى دليل . والوحي والحديث عنه لا يقبل الا بنفس الوحي اي لا بد من آية او حديث حتى يقبل ولم يرد اي شيء من هذا القبيل وسنعرض لهذا الامر بتوسع في بحث الاشكالات في الفصل القادم ان شاء الله تعالى .

---

(١) انظر البيان في مباحث من علوم القرآن ص١٠٦ لعبد الوهاب عبد المجيد غزلان طبعة ١٣٠٤هـ/ ١٩٦٥م .

(٢) سورة الانفال الآيات ١٥ ، ١٦ .

(٣) سورة الانفال الآية ٥٧ .

(٤) سورة الانفال الآية ٦٠ وانظر سورة الانفال كلها بشكل عام فهي تبيّن سنة الجهاد وكيف يقابل اعداء الله بعد ان وجد للمسلمين دولة ، وأصبح لهم كيان يملك السنان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والرأي الذي اخترناه وهو ان الآيات مكية وليست مدنية يقويه ما نقله ابن الجوزي حيث يرى ان اية [**ادع الى سبيل ربك بالحكمة ..**] نزلت مع الذي بعدها [1] ويؤيد هذا ان الاية بدأت بالعطف عما قبلها [**وان عاقبتم ..**] ولم يرد ان اية نزلت ابتداء منفردة بحرف العطف لان القران لم يكن قد اكتمل نزوله ، ولم يعلم تمام ترتيب الايات في السور الا بعد موت الرسول -صلى الله عليه وسلم- وانقطاع الوحي . وامر اخر ، فقد ذكر الطبري والجصاص وابن الجوزي وابو حيان الاندلسي وغيرهم ، ونسبوا القول لمجاهد والنخعي وابن سيرين [2] وزاد البغوي انه قول للثوري [3] كذلك وذكر الخازن انه رأى للشعبي [4] ايضا ، وقال ابن كثير انه رأي للحسن البصري [5] : فقد قالوا جميعا ان الاية نزلت فيمن ظلم بظلامة فلا يحل له ان ينال اكثر مما نال الظالم منه) ويشهد لهؤلاء السياق القرآني كما قال الفخر الرازي : ان الاية تأمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بدعوة الخلق الى الاسلام باحدى الطرق الثلاث : الحكمة ، والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي احسن ، وهذا من شأنه ان يعرض حملة الدعوة الى الشتم او الضرب او القتل من قبل اعداء الله فاذا تعرض المسلمون الى تلك السفاهات فعليهم مقابلة ذلك بالعدل والانصاف وترك الزيادة [6] . وعقب على ذلك بقوله (فهذا هو الوجه الصحيح الذي يجب حمل الاية عليه) [7] .

واما ما قاله القرطبي : (اطبق اهل التفسير انها نزلت في غزوة احد) فهو يدخل في التفسير لا في سبب التنزيل والاية تقرر مبدأ عاما في المقابلة بالمثل سواء اكان في رد الاعتداء بمثله اثناء قيام حامل الدعوة بمهمته ، او كان في اتون الحرب ومقارعة الاعداء بالسلاح .

---

(١) انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي م٤ ص٥٠٦ ونسب القول لابن عباس .

(٢) تفسير الطبري ١٩٧ ج١٤ م٨ ، احكام القرآن للجصاص ص١٩٤ ج٣ ، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ص٥٠٨ م٤ ، البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ص٥٤٩ ج٥ .

(٣) معالم التنزيل للبغوي ص٩١ م٣ ج١٤ .

(٤) تفسير الخازن ص١٥٢ ج٣ .

(٥) تفسير ابن كثير ص٥٩٢ م٢ .

(٦) بتصرف من التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٠ ص١٤١ طبعة طهران .

(٧) التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٠ ص١٤١ طبعة طهران . وقال محمد علي الشوكاني بعد أن ساق معنى الآية كما ذكر الفخر الرازي تقريباً ، وقال قال ابن جرير : أنزلت هذه الآية فيمن أصيب بظلامة أن لا ينال من ظالمه إذا تمكن إلاّ مثل ظلامته لا يتعداها إلى غيرها " وهذا صواب لأن الآية وإن قيل ان لها سبباً خاصاً كما سيأتي فالاعتبار بعموم اللفظ . وعمومه يؤدي هذا المعنى الذي ذكره " فتح القدير م٣ ص٢٠٣ طبعة دار المعرفة . فكأن الشوكاني يضعف روايات أسباب النزول لأنه ساق الخبر بصيغة التمريض .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الآيات المكية نزل قبلها ما يشبهها في سورة الشورى (حم عسق) فقد نزلت في مكة قبل سورة النحل [1] .

قال تعالى : [**وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل**] [2] . وهي نفس معنى ايات سورة النحل [**وان عاقبتم**] وما يليها حتى نهاية السورة . وهذا المبدأ عام في الاسلام ولذلك تكرر في السور المدنية ففي سورة المائدة وهي مدنية - [**والجروح قصاص**] ثم اعقبها بقوله [**فمن تصدق به فهو كفارة له**] [3] والخلاف بين المفسرين في مكيّة أو مدنية هذه الايات مشهور ولذلك يحمل ما قاله القرطبي (اطبق اهل التفسير ..) انها تتضمن هذا الحدث وقد وقف محمود شكري الالوسي موقفا بين بين فقال (فلا فرق في الارتباط [4] بحسب المآل بين ان تكون مكية وان تكون مدنية وخصوص السبب لا ينافي عموم المعنى) [5] وهذه حقيقة لا خلاف عليها عند من يعتد برأيهم في التفسير وموضوع البحث هنا هل الايات مكية ام مدنية ؟ والذي اراه قويا ان الايات مكية وان سورة النحل كلها مكية . ورأي الجمهور يحمل علي التفسير وبذلك لا نكون قد قدحنا ببعض الروايات الصحيحة التي تدل على النهي عن المثلة لاننا نقول ان الواقعة تدخل في عموم الاية [6] هذا وقد قال النحاس (انها مكيّة وليست في شأن التمثيل بحمزة رضى الله عنه) [7] .

فضلاً عن ان الايات ليست في المثلة وليست في القتال بل هي في مقابلة اذى اعداء الله في سبيل حمل الدعوة الاسلامية . ومن الجدير بالذكر ان البخاري لم يذكر سبب نزول لخواتيم سورة النحل وذكر قصة مقتل حمزة في كتاب المغازي باب ٢٣ ولم يذكر انها سبب تنزيل الايات في القران . وقد ذكر ابن حجر في الشرح ما رواه الطبراني والبزار وعبد الله ابن احمد وابن مردويه وقال انها اسانيد ضعيفة ولكنه قال في نهاية المطاف (وهذه طرق يقوي بعضها بعضا)[8]

---

(١) انظر فضائل القرآن لابن الضريس تحقيق غزوة بدير ص٣٤ . وانظر تحقيق مسفر سعيد أحمد دماس ص٦١ وانظر الفتح الرباني لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل تاليف احمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي م١٨ ص١٩٢ طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت وانظر تفسير ابن كثير ص٥٩٢ م٢ طبعة دار المعرفة - وانظر أحكام القرآن لأبي بكر احمد بن علي الجصاص م٣ ص١٩٤ دار الكتاب العربي بيروت .

(٢) الآيات ٤٠ ، ٤١ من سورة الشورى وكذلك انظر الآيتين التاليتين لهما .

(٣) سورة المائدة آية ٤٥ .

(٤) موضوع الارتباط يقصد به ارتباط الآيات في السياق القرآني فهناك من ذهب إلى تفكك النظم القرآني إذا قلنا أن الآيات نزلت في غزوة أحد أو في فتح مكة لأن الآيات تتعلق بأساليب حمل الدعوة وما ينبغي أن يكون عليه حامل الدعوة إذا اعترضته سفاهات أهل الجاهلية وكان هذا بمكة قبل إقامة الدولة بالمدينة .

(٥) تفسير الألوسي " روح المعاني " ج١٤ ص٢٥٧ ، ص٢٥٨ .

(٦) انظر تفسير الفخر الرازي ج٢٠ ص١٤١ طبعة طهران .

(٧) انظر روح المعاني للألوسي ج١٤ ص٢٥٧ .

(٨) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري م٧ كتاب المغازي الحديث ٤٠٧٢ ص٣٧١ ، ص٣٧٢ طبعة المطبعة السلفية تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد نظر ابن كثير في اسانيد هذه الروايات فقال عن رواية محمد بن اسحاق عن بعض اصحابه عن عطاء بن يسار [1] : وهذا مرسل وفيه رجل مبهم لم يسم) اي انه منقطع فلا يحتج به وقال : وقد روى هذا من وجه اخر متصل فقال الحافظ ابو بكر البزار : حدثنا الحسن بن يحيى ، حدثنا عمرو بن عاصم ، حدثنا صالح المري عن سليمان التيمي عن ابي عثمان عن ابي هريرة رضي الله عنه [2] .. ثم قال . وهذا اسناد فيه ضعف لان صالحا هو ابن بشير المري ضعيف عند الائمة وقال البخاري هو منكر الحديث [3] .

وخلاصة القول : ان الآية لم تتزامن مع نزول الحدث فقد تأخر وقوع الحدث بسنوات كثيرة فقد نزلت سورة النحل قبل غزوة احد بما لا يقل عن ثلاثة اعوام ، فلا تصلح الروايات ان تكون سببا لنزول الاية . ومن جهة ثانية فان السياق القرآني يؤكد ان الآيات نزلت متناسقة في مكة في تعليم الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومن معه اساليب حمل الدعوة للناس حين زاد اذى المشركين عليهم ، فرخص لهم رد الاذى بمثله ولا يزيدون ، وان يصبروا فهو خير لهم ، ولا علاقة لهذه الايات بمقتل حمزة رضي الله عنه ، وان كانت القصة مما يمكن ادراجها تحت عموم لفظ الاية هذا وقد اختلف العلماء هل الاية محكمة ام منسوخة باية القتال والصواب انا محكمة لانها ليست في موضوع القتال حتى يقال نسخت باية القتال (السيف) . وهذا باق الى يوم القيامة .

واما من حيث السند فهي روايات ضعيفة ولكن لا نردها من هذا الباب وحده لان هناك من يرى كابن حجر انها روايات يقوي بعضها بعضا . ورأي عدد من كبار التابعين ان الاية في المظالم ومقابلة الظلم ، ورأي الشوكاني ان هذا هو الصواب . فاختلاف الروايات انها في مقتل حمزة او في دفع الظلم ، او نزولها قبل تشريع القتال يدل على ان هذه الروايات كلها تفسيرية . والسياق القرآني يرجح انها في رد الاذى ، ودفع الظلم الذي يقع على حملة الدعوة من اعداء الله وبذلك لم يثبت سبب صحيح لنزول هذه الايات والله أعلم .

---

(١) قال : نزلت سورة النحل كلها بمكة ، وهي مكيّة إلاّ ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة بعد أحد حين قتل حمزة رضي الله عنه ومثل به فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (لئن أظهرني الله عليهم لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم) فلما سمع المسلمون ذلك قالوا : والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط فأنزل الله [**وإن عاقبتم**] إلى آخر السورة . تفسير ابن كثير م٢ ص٥٩٢ طبعة دار المعرفة .

(٢) ان رسول الله -صل الله عليه وسلم- وقف على حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حين استشهد فنظر إلى منظر لم ينظر إلي منظر أوجع للقلب منه أو قال لقلبه فنظر إليه وقد مثل به فقال : " رحمة الله عليك إن كنت ما علمتك الاّ وصولاً للرحم فعولاً للخيرات .. "

(٣) تفسير ابن كثير ج٢ ص٥٩٢ طبعة دار المعرفة بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولو قلنا ان الآيات نزلت في مقتل حمزة لترتب على هذا القول ان الله امرنا اذا مثل اعداء الإسلام بنا في المعركة فعلينا ان ندفع هذا بالدعوة الى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي احسن او ان نرد عليهم بالمثل، وان نصبر ولا نرد عليهم يكن الصبر خيرا لنا من مقارعتهم بالسيوف وفي هذا القول قلب لمفاهيم الإسلام ، واعطاء للدنية في ديننا ، وتشجيع لاعداء الله على النيل من معشر المسلمين ، وحاشا لله ان تكون هذه مفاهيم اسلامية وعليه فلا سبب نزول لهذه الآيات ، وهي آيات مكية تتعلق باساليب حمل الدعوة عند اشتداد اذى المشركين على المسلمين قبل ان تكون لهم دولة تنافح عن افرادها ، وتحمي من يحمل تابعيتها ، وتعز من يتفيأ ظلالها ، وتذل كل من يحاول ان يتطاول عليها ، او يمس كيانها بسوء .

فالقول ان هذه الروايات سبب لتنزيل الاية يؤدي الى عدم الانسجام بين منطوق ومفهوم الايات وبين الروايات . وهذا مما يخرج الروايات عن دائرة اسباب التنزيل ، والله أعلم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

معالجة الاشكالات الواردة على اسباب التنزيل

سنعرض في هذا الفصل لطائفة من الروايات التي زعم انها سبب تنزيل لآيات معينة والتي يترتب عليها اشكال ، فنزيل الاشكال بتوجيه الرواية او ردها حسب مقتضيات البحث ، فمعالجة اشكال عدم مزامنة الرواية لنزول الآية يختلف عن معالجة اشكال القول بتكرر نزول الايات او السور ويختلف هذا عن معالجة تعميم سبب نزول الآية على ما يماثلها وهذا كله يختلف عن معالجة اشكال نزول جزء من اية على حدث معين ثم بعد وقوع رد فعل ينزل جزء اخر من الآية نفسها . فلكل اشكال علاج خاص في الرواية المحددة وفي الآية المعينة ولا يجوز ان نعمم في العلاج فلكل حالة لبوسها . واليك الاشكالات الواردة على روايات اسباب التنزيل مع الامثلة وعلاج اشكال هذه الروايات * .

الاشكال الاول

عدم المزامنة

نقرأ كثيرا من الروايات التي تتحدث عن وقائع وقعت بمكة ويقال انها سبب نزول ايات نزلت بالمدينة او روايات حدثت بالمدينة ويقال انها سبب نزول لآيات نزلت بمكة وربما كانت روايات اسندت لما قبل نزول القرآن سواء أكانت اسرائيليات ام ما نزل على الانبياء السابقين او حدث بعد نزول الاية ولو كان مباشرة . فنجمع بين هذه الامور باشكال واحد اطلقنا عليه اسم : عدم المزامنة اي عدم مزامنة حدوث الواقعة او السؤال لنزول الآية او الآيات لان من شرط اعتماد رواية أسباب التنزيل ان تكون الواقعة او المسألة وقعت قبيل نزول الآية : ويؤيد هذا قول السيوطي (والذي يتحرر في سبب النزول انه ما نزلت الآية ايام وقوعه) [1].

واليك امثلة على ما سبق

١. ان تكون الآية مكية وسبب نزولها وقع بالمدينة

سورة الاخلاص مكية ، وكذلك سورة العاديات وسورتا المعوذتين [2] ايضاً : وعند البحث في روايات أسباب تنزيل هذه السور وجدنا مايلي:

سورة الاخلاص

قال الواحدي : قال قتادة والضحاك ومقاتل جاء ناس من اليهود الى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا : صف لنا ربك فإن الله انزل نعته في التوراة فاخبرنا : من اي شيء هو ؟ ومن اي جنس هو ؟ (من) ذهب هو ، ام نحاس ام فضة ؟ وهل يأكل ويشرب ؟ وممن ورث الدنيا ؟ ومن يورثها فانزل الله تبارك وتعالى هذه السورة وهي نسبة الله خاصة [3].

---

* عقد هذا الفصل لبيان الإشكالات ولذلك قد تتكرر بعض الروايات السابقة للاستشهاد على الاشكال وليس لدراستها.

(١) الاتقان في علوم القرآن ص٤٢ ج١ ، لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي كذلك ص٤ . وانظر مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ص٣٥٠ ج٢ لاحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده - دار الكتب العلمية بيروت .

(٢) انظر فضائل القرآن لابن الضريس ص٣٣ تحقيق غزوة بدير ، وانظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ج١ ص١٩٣ نقلاً عن كتاب التنبيه على فضل علوم القرآن لأبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري - الاتقان في علون القرآن للسيوطي ص١٣و١٤ ج١ .

(٣) اسباب نزول القرآن للواحدي ص٥١٠ . تفسير الطبري ص٣٤٣ م١٥ ج٣٠ طبعة دار الفكر . الدر المنثور للسيوطي ص٦٧٠ م٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال السيوطي : واخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس ان اليهود جاءت الى النبي-صلى الله عليه وسلم- منهم كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب فقالوا : يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك فانزل الله [**قل هو الله احد**] الى آخرها.

واخرج ابن جرير عن قتادة وابن المنذر عن سعيد بن جبير مثله فاستدل بهذا على انها مدنية [1].

ك- واخرج ابن جرير عن ابي العالية قال : قال قتادة : قالت الاحزاب انسب لنا ربك . فأتاه جبريل بهذه السورة[2] واخرج ابو الشيخ في كتاب العظمة من طريق أبان عن أنس قال : اتت يهود خيبر الى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا : يا ابا القاسم خلق الله الملائكة من نور الحجاب وآدم من حمأ مسنون وابليس من لهب النار والسماء من دخان والأرض من زبد الماء فأخبرنا عن ربك ؟ فلم يجبهم فأتاه جبريل بهذه السورة [**قل هو الله احد**] [3] وهناك رواية ذكرها الفخر الرازي تقول انها في النصارى [4] قال القرطبي سورة الاخلاص مكيّة في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر [5] ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي.

ـ فسورة الاخلاص مكيّة فلا تصلح أي رواية وقعت في المدينة أن تكون سبب نزول لها . والذين قالوا بمدنيتها بنوا أقوالهم على هذه الروايات والتي لم يثبت سند رواية منها ولذلك أعرض ابن كثير عنها جميعها وقال سورة الإخلاص مكيّة ثم أفرد عنواناً بذكر سبب نزولها وفضلها وذكر روايات وقعت بمكة وأغفل جميع الروايات التي تنسب الى المدينة.

واما الذين قالوا بتكرر نزولها فهو قول اجتهادي مبني على الروايات دون تحقق من صحة سندها ولم يثبت عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولا عن الصحابة ولا عن التابعين شيء من هذا القبيل فهو رأى لا يعتد به..

والذين قالوا بمدنيتها لم يردوا الروايات التي وقعت بمكة [6] وقيل عنها أنها سبب نزول للسورة . قال محمد السيد طنطاوي وجمهور العلماء على أنها من السور المكيّة وأن نزولها كان بعد سورة الناس وقبل سورة النجم أي انها السورة الثانية والعشرون في ترتيب النزول ويرى بعضهم أنها مدنية والأول أرجح لأنهـا

---

(١) لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي ص٢٤٥ . الدر المنثور للسيوطي ج٨ ص٦٧٩ ، ص٦٧١

(٢) لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي ص٢٤٦ .

(٣) لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي ص٢٤٦ .

(٤) ذكر الفخر الرازي قولاً آخر انها في النصارى - نصارى وفد نجران ص١٧٥ ج٣٢ .

(٥) تفسير القرطبي ص٢٤٤ ج٢٠ ، وانظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج٩ ص٢٦٤ ، وانظر تفسير ابن كثير والفخر الرازي وأبي حيان والكشاف والطبري والسيوطي والألوسي والشوكاني والطبرسي والنسفي وغيرهم ، وانظر تفسير البغوي والخازن وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري وفي ظلال القرآن وغيرها كثير ، وانظر فضائل القرآن لابن الضريّس ص٣٣ تحقيق غزوة بدير طبعة دار الفكر دمشق . وانظر دلائل النبوة للبيهقي ص١٤٢ ج٧ ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ص١٩٣ ج١ ، والاتقان في علوم القرآن للسيوطي ص١٣ ج١ .

(٦) انظر تفسير ابن كثير م٤ ص٥٦٥ - وانظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٥١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جمعت أصل التوحيد وهذا المعنى غالب في السور المكيّة [1]. اقول : يمكن الأخذ بهذه الروايات في ميدان التفسير في حالة ثبوت صحة سندها.

فالروايات التي تشير الى اي حدث في المدينة، ترد فور قراءتها لعدم تحقق شرط اساسي في سبب التنزيل وهو عدم نزول الآية أيام وقوع الحدث فلا بد من التزامن بين الحدث او السؤال وبين نزول الآية ولا يقال نزلت مرتين وكل مرة نزلت بسبب مختلف لا يقال ذلك لان هذا قول لم يستند الى دليل شرعي بل هو قائم على التحليل العقلي ولا محل للعقل في مسألة الوحي من حيث الاثبات فوظيفة العقل البشري هي فهم النصوص التي جاء بها الوحي .

سورة العاديات

قال الواحدي (قال مقاتل : بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سريّة الى حيّ من كنانة ، واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري فتأخر خبرهم فقال المنافقون : قتلوا جميعاً فأخبر الله تعالى عنها فانزل الله تعالى [**والعاديات ضبحا**] وفي رواية اخرى ذكرها بسندها عن ابن عباس قال إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعث خيلاً فاسهبت شهراً لم يأته منها خبر فنزلت [**والعاديات ضبحا**] [2] وقال السيوطي اخرج البزار وابن ابي حاتم والحاكم عن ابن عباس قال : بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خيلاً ولبثت شهراً لا يأتيه منها خبر فنزلت [**والعاديات ضبحا**] [3] قال ابن حجر وفي اسناده ضعف [4] وقال ابن كثير(وقد روى ابو بكر البزار ههنا حديثا غريبا جداً فقال الخبر [5].

فسورة العاديات مكية [6] ولم يكن جهاد في مكة قط ولم يرسل الرسول-صلى الله عليه وسلم- اي سريّة بل ثبت ان الصحابة رضوان الله عليهم استأذنوا الرسول -صلى الله عليه وسلم- في استخدام السلاح ضد قريش لما اشتد اذاها فكان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول لهم : لم نؤمر بعد .

---

(١) التفسير الوسيط محمد سيّد طنطاوي ص٧٥٦ ، ص٧٥٧ ج١٥ طبعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م . وقال النسفي : مكيّة عند الجمهور وقيل مدنية عند أهل البصرة - ص٣٨٣ ج٨ طبعة دار الكتاب العربي بيروت وذكر ابن حجر في فتح الباري الروايات التي ذكرت المشركين في مكة انها سبب نزول وخرجها وأعرض عن الروايات التي تشير الى انها في المدينة كقول اليهود أو النصارى ص٧٣٩ م٨ فتح الباري حديث ٤٩٧٤ .

ملحوظة : لست موافقاً لرأي سيّد طنطاوي في ترجيحه لكون السورة مكية لأنها جمعت أصل التوحيد ، فقد نزل بالمدينة آيات اشتملت على أصل التوحيد كآية الكرسي مثلاً ، والمرجح يجب ان يكون هو النقل وليس العقل ، ونحن قلنا بمكيتها لأن جمهور العلماء قالوا بذلك.

(٢) اسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٩٨ طبعة دار القبلة ، وانظر تفسير القرطبي ج٢٠ ص١٥٥ ، وانظر الدر المنثور م٨ ص٥٩٩ - ص٦٠١ . تفسير الفخر الرازي ص٦٤ ج٣٢ - روح المعاني للألوسي ص٢١٤ ج٣٠ - فتح القدير للشوكاني ج٤ ص٤٨٤ .

(٣) لباب النقول في اسباب النزول ص٢٤١ مجمع البيان للطبرسي ج١٠ ص٨٠٢ .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري م٨ ص٧٢٧ .

(٥) تفسير ابن كثير ص٥٤٢ ج٤

(٦) انظر فضائل القرآن لابن الضريس ص٣٣ تحقيق غزوة بدير ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ج١ ص١٩٣ نقلاً عن أبي القاسم النيسابوري وانظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص١٣ ، ص١٤وانظر دلائل النبوة للبيهقي ج٧ ص١٤٢ وانظر كتب التفسير عامة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستمر الحال حتى في بيعة العقبة الثانية فقالوا للرسول -صلى الله عليه وسلم- (لئن شئت لنميلن عليهم ميلة واحدة) وكان جوابه -صلى الله عليه وسلم- لم نؤمر بعد [1].

وقال الطبري حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال اخبرنا ابو صخر عن ابي معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس حدثه قال بينما انا في الحجر جالس أتاني رجل يسأل عن العاديات ضبحا فقلت له الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي الى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم فانفتل عني فذهب الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو تحت سقاية زمزم فسأله عن [**العاديات ضبحا**] فقال : سألت عنها أحداً قبلي ؟ قال نعم . سألت عنها ابن عباس فقال : الخيل حين تغير في سبيل الله قال : اذهب فادعه لي . فلما وقفت على رأسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله لكانت اول غزوة في الاسلام لبدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد فكيف تكون العاديات ضبحا انما العاديات ضبحا من عرفه الى مزدلفه الى منى قال ابن عباس فنزعت عن قولي ورجعت الى الذي قال على رضي الله عنه [2] قلت ولا يخفى تهافت هذه الرواية كذلك لان الحج كان متأخرا عن الجهاد بكثير فقد كان في السنة التاسعة للهجرة. قال الألوسي : (ولا يخفى ان هذا الجواب لا يتحمل لمزيد ضعفه الا غارة عليه واطلاق اعنة عاديات الافكار اليه والاحرى ان الخبر لا صحة له وتصحيح الحاكم. محكوم عليه عند اهل الاثر بكثرة التساهل فيه وانه غير معتبر ، ثم ان النقل عنه رضى الله تعالى عنه في المراد بالعاديات متعارض فما تقدم ان ابل الحجاج ونقل صاحب التأويلات انه كرم الله تعالى وجهه فسرها بابل بدر وابن مسعود هو الذي فسرها بإبل الحُجاج [3] .

فهذه الرواية كذلك تزيد هوة الزمن بين نزول الآية في مكة وحدوث الواقعة في المدينة فلا يعتد بها في أسباب التنزيل وتغربل وتبعد عنها . ولكن تقبل جميع هذه الامور في مجال التفسير . والقسم في السورة جاء عاماً فقد يشمل الخيل والابل والرجال وكل ما يعدو ، وكذلك [**الموريات قدحا**] فقد تكون الخيل توري النيران قدحا بحوافرها ، والناس يورونها بالزناد ، واللسان مثلا يوري بالمنطق والرجال يورون بالمكر مثلا ، وكذلك المغيرات صبحا فلم يخصص مغير دون مغير ،

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٢٣ طبعة دار صادر وسيرة ابن هشام ص٤٤٨ ج١ القسم الاول ودلائل النبوة للبيهقي ، وانظر تفسير ابن كثير ص٢٢٥ ج٣ .

(٢) تفسير الطبري ج٣٠ م١٥ ص٢٧٢ ، ص٢٧٣ . وانظر الدر المنثور ص٦٠٠ م٨ حيث قال : أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس وذكر القصة الألوسي في روح المعاني ص٢١٧ ج٣٠ وقال وذكر ابن الأنباري في كتاب الأضداد - تفسير ابن كثير ص٥٤١ ج٤ - فتح القدير للشوكاني ج٤ ص٤٨٤ .

(٣) روح المعاني للألوسي ص٢١٧ ج٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيدخل فيه كل مغير في الصباح [1] . وهذه معان رجحها الطبري وكلها تفسير وليست سبب تنزيل . والسورة نزلت ابتداء دون سبب نزول فلم تصح اي رواية تصلح ان تكون سببا لتنزلها . فيحمل ما ورد على التفسير لعدم المزامنة . واذا استعرضت كتب التفسير تجد انهم يعدونها مكيّة ، وعليه فترد جميع هذه الروايات التي تنسب لمكان وقوعها في المدينة لعدم المزامنة .

سورتا المعوذتين

مكيتان [2] والروايات التي ذكرت في سحر الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد كان في السنة السابعة للهجرة بعد عودته -صلى الله عليه وسلم- من الحديبية فترد هذه الروايات وتخرج من دائرة أسباب التنزيل مع انها وردت في الصحيحين [3] .هذا ومن الجدير بالذكر أن الفخر الرازي ذكر روايات وقعت بمكة كسبب نزول للسورتين مع ان التحقيق يقتضي ان السورتين نزلتا ابتداء دون سبب لنزولهما [4] . والله أعلم .

٢ ان تكون الآية مدنية وسببها وقع في مكة.

قال تعالى [**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد**] البقرة الآية ٢٠٧ . قال الواحدي : (قال سعيد بن المسيب : اقبل صهيب مهاجراً نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من قريش من المشركين فنزل عن راحلته ونثر ما في كنانته واخذ قوسه ثم قال : يا معشر قريش ، لقد علمتم اني من ارماكم رجلا وايم الله لا تصلون اليّ حتى ارمي بما في كنانتي ، ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ، ثم افعلوا ما شئتم فقالوا : دلنا على بيتك ومالك بمكة ونخلي عنك ، وعاهدوه ان دلهم ان يدعوه ، ففعل . فلما قدم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : ابا يحيى ربح البيع ، ربح البيع ، وانزل الله (الآية) [5]

---

(١) انظر تفسير الطبري ص٢٧٣ - ص٢٧٥ م١٥ ج٣٠ طبعة دار الفكر . وانظر تفسير القرطبي ص١٥٤ ، ص١٥٥ ج٢٠ ، وتفسير الألوسي " روح المعاني " ج٣٠ ص٢١٧ تفسير ابن كثير ج٤ ص٥٤٢،فتح القدير للشوكاني ج٤ص٤٨٥،تفسير البغوي ج٤ ص٥١٧ ، تفسير الخازن ج٤ص٤٣١

(٢) انظر فضائل القرآن لأبن الضريس ص٣٣ تحقيق غزوة بدير وص٦١ من تحقيق مسفر دماس - وانظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ص١٩٣ ج١ والاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص١٣ - ودلائل النبوة للبيهقي ص١٤٢ ج٧ وانظر كتب التفسير المتعددة .

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١٠ ص١٧٦ وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد م٢ ص١٩٧ وانظر اسباب النزول للواحدي ص٥١٣ وما بعدها - ولباب النقول للسيوطي ص٢٤٦ ، ص٢٤٧ . وانظر كتب التفسير الكثيرة وكتب السير .

(٤) اختصرت الحديث فيها : وقد أشرنا إليها في المبحث الثاني من الفصل الأول ، وهي من الوضوح بمكان لا تحتاج الى مزيد ، وانظر ما ورد في اسباب نزول سورة الماعون وهي مكية فقيل نزلت في المنافقين ومعلوم ان النفاق ابتدأ وجوده في المدينة عندما أصبحت للمسلمين شوكة ويرهب جانب كيانهم .

(٥) اسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٨ ، ص٥٩ طبعة دار القبلة تحقيق سيّد صقر . وانظر لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال المفسرون : اخذ المشركون صهيباً فعذبوه فقال لهم صهيب : اني شيخ كبير لا يضركم أمنكُم كنتُ أم من غيركم ، فهل لكم ان تاخذوا مالي وتذروني ؟ ففعلوا ذلك وكان قد شرط عليهم راحلة ونفقة ، فخرج الى المدينة فتلقاه ابو بكر وعمر في رجال فقال له ابو بكر : ربح بيعك ابا يحيى ، فقال صهيب وبيعك فلا يخسر ما ذاك ؟ فقال : انزل الله فيك كذا ، وقرأ عليه الآية)

المتفحص لهذه الرواية يجد انها حدثت وصهيبٌ مهاجر الى المدينة ، ومعلوم ان صهيباً هاجر قبل الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومشهور ان ابا بكر هاجر مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك [1] .

والرواية الاولى تشير الى ان صهيباً هاجر بعد الرسول -صلى الله عليه وسلم- وفي الثانية ان الذي تلقاه ابو بكر وعمر مع ان ابا بكر قد هاجر مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعد صهيب . والاهم من هذا كله ان القصة حدثت ولم تكن سورة البقرة قد نزلت بعد . فالآية مدنية والحادثة وقعت بمكة عند هجرة صهيب رضى الله عنه . ولذلك لا تصلح هذه الروايات ان تكون سببا لنزول الاية لعدم المزامنة بينهما ، وان كان من حال الرجل مما يندرج تحت مفهوم النص . فتعد الرواية تفسيرا وليست سبب تنزيل .

مثال اخر : قال تعالى [**يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين**] المائدة آية ٦٧

قال الواحدي : (أخبرنا اسماعيل بن ابراهيم الواعظ ، قال اخبرنا اسماعيل ابن نجيد ، قال حدثنا محمد بن الحسن بن الخليل قال حدثنا محمد بن العلاء ، قال : حدثنا الحماني قال : حدثنا النضر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يحرس ، وكان يرسل معه ابو طالب (كل يوم) رجالا من بني هاشم يحرسونه ، حتى نزلت عليه هذه الاية : [**يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك**] الى قوله [**والله يعصمك من الناس**] قال : فاراد عمه ان يرسل معه من يحرسه ، فقال : يا عم ، ان الله تعالى قد عصمني من الجن والانس .) [2]

ان سورة المائدة مدنية بلا خلاف ، وابو طالب توفي قبل ان يهاجر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بسنوات في مكة [3] فالرواية وقعت احداثها في مكة ، والآيات نزلت بالمدينة فلا يستقيم الامر ان يقال انها سبب نزول للاية ولذلك قال السيوطي في لباب النقول : ومن غريب ما ورد في سبب نزولها ما اخرجه ابن مردويه والطبراني عن ابن عباس وذكر القصة ثم عقب عليها بقوله : وهذا يقتضي ان الآية مكيّة والظاهر خلافه [4] .

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ص٤٧٧ القسم الأول ج٢ ط٢ ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥م .

(٢) انظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص١٩٦ وانظر لباب النقول ص٩٣ للسيوطي .

(٣) توفي ابو الطالب في السنة العاشرة للبعثة قبل ان تفرض الصلاة المعهودة . انظر دلائل النبوة للبيهقي م٢ ص٣٥٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص١٢٥ وذكر انه توفي في منتصف شوال من السنة العاشرة للبعثة .

(٤) لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي ص٩٣ ط٢ مصطفى البابي الحلبي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن البديهي ان يكون السند ممايطعن فيه لعدم تطابق القصة مع نزول الآية والزعم انها سبب النزول وفي السند يحيى الحماني وقد قال عنه احمد بن حنبل : كان يكذب جهاراً [١]. والامثلة على هذا النوع كثيرة تمر مع من يُعنّي نفسه بدراسة أسباب تنزيل الآيات [٢] . وهذه الروايات تعد من باب التفسير ولا تدخل في زمرة أسباب التنزيل

٣. ان تكون الرواية واقعة تاريخية حدثت قبل نزول القرآن وتشمل :

١. موضوع الاية او السورة فمثلا سورة الفيل . قال الواحدي : نزلت في قصة اصحاب الفيل وقصدهم تخريب الكعبة ، وما فعل الله تعالى بهم : من اهلاكهم وصرفهم عن البيت . وهي معروفة [٣] فالقصة حدثت قبل نزول الوحي وبالتحديد في السنة التي ولد فيها سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- فلا تصلح ان تكون سببا لنزول الاية لان شرط اعتبار الحادثة سببا للنزول هو تزامنها مع نزول الاية . وهذه القصة هي موضوع الاية وليست سبباً لنزولها [٤]

٢. اسرائيليات واساطير . ومثاله ما ذكر في سبب نزول قوله تعالى [**واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى**] الاية ٢٦٠ البقرة من ان ابراهيم عليه السلام اتى على دابة ميتة وقد توزعتها دواب البر والبحر[٥] فقال (رب ارني كيف تحيي الموتى ؟) .

---

(١) انظر تهذيب التهذيب ج١١ ص٢١٣ - ٢١٨ ترجمة ٣٩٩ وقد سبق الحديث عنه في هذه الرسالة .

(٢) انظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٩٤ ، ص٢٩٥ . وقد مر معنا الآية ٢٩ من سورة الإسراء [**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك**] في الفصل الأول نماذج من تفسير ابن مسعود رقم ٣ في مبحث اسباب النزول عند الصحابة رضوان الله عليهم . وانظر ما قاله ابن حجر في فتح الباري ص٤١ كتاب فضائل القرآن باب تاليف القرآن ٦ في شرح حديث ٤٩٩٦ م٩ (فقد اتفقوا على ان الأنفال مدنية لكن قيل ان قوله تعالى [**وإذ يمكر بك الذين كفروا**] الآية ٣٠ نزلت بمكة ثم نزلت سورة الانفال بالمدينة وهذا غريب جدا).

(٣) اسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٠٠ وانظر تفسير الطبري والقرطبي وابن كثير والبغوي والخازن والتفسير الكبير للرازي والدر المنثور وفتح القدير للشوكاني وغيرهم . وكذلك مخطوط ارشاد ما من به الرحمن لعطية الله الاجهوري ص٣٩٠ أ، ب .

(٤) انظر ما قيل في قوله تعالى [**ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها**] البقرة ١١٤ في التمهيد المبحث الأول : أسباب دخول الدخيل لأسباب النزول ص٢٩ الاختلاف في فهم قول الصحابي نزلت الآية في كذا .

(٥) اسباب نزول القرآن للواحدي ص٧٩ وانظر الروايات الأخرى المشابهة في نفس المكان وفي تفسير الطبري ص٤٨٥ ج٥ طبعة شاكر في الدر المنثور ص٣٢ وما بعدها ج٢ ، وانظر تحقيقنا في الفصل الأول مبحث التفسير عند التابعين سعيد بن جبير المثال الثالث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانظر ما قيل في سبب نزول قوله تعالى [**واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان** ..] سورة البقرة اية ١٠٢ . قال الواحدي بسنده بينما نحن عند ابن عباس ، اذ قال : ان الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء ، فيجيء احدهم بكلمة حق ، فاذا جرب من احدهم الصدق كذب معها سبعين كذبة ، فيشربها قلوب الناس . فاطلع على ذلك سليمان فاخذها فدفنها تحت الكرسي فلما مات سليمان قام شيطان بالطريق فقال : الا ادلكم على كنز سليمان المنّع الذي لا كنز له مثله ؟ قالوا : نعم ، قال : تحت الكرسي ، فاخرجوه فقالوا : هذا سحر . فتناسخته الامم فانزل الله عذر سليمان الاية [١]

٣ ان تكون الحادثة وقعت بعيد نزول الاية ومنه ما ذكره الواحدي في سبب نزول سورة الزلزلة قال بعد ان ذكر السند : نزلت [**اذا زلزلت الارض زلزالها** ..] وابو بكر الصديق رضي الله عنه قاعد فبكى ابو بكر ، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ما يبكيك يا ابا بكر ؟ قال : ابكاني هذه السورة . فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : لو انكم لا تخطئون ولا تذنبون ، لخلق الله امة من بعدكم يخطئون ويذنبون فيغفر لهم [٢] ومنه ما قيل في سورة النصر فقد ذكر الواحدي بسنده عن ابن عباس قال : لما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين ، وانزل الله تعالى [**اذا جاء نصر الله والفتح ..**] قال : يا علي بن ابي طالب ويا فاطمة ! قد جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا ، فسبحان ربي وبحمده واستغفره انه كان توابا) [٣] .فواضح في الرواية الاولى ان بكاء ابي بكر كان لتأثره بمعنى الايات الكريمة في السورة وحديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- لابي بكر لتهدئة ما جاش في نفسه فهذا كله ليس سبباً لتنزيل السورة بل هو رد فعل على تنزيل السورة فلا يصح ان يسمى سبباً لنزولها لان الحدث وقع بعيد نزول السورة [٤]

---

(١) انظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٩ وانظر تفسير الطبري م٢ ص٤٥١ طبعة شاكر ، وتفسير ابن ابن كثير ج١ ص١٣٥ ، والدر المنثور ج١ ص٢٣٣ وما بعدها طبعة دار الفكر ، طبعة دار المعرفة ١٣٨٨ هـ بيروت ، وانظر الروايات والأساطير التي ذكرت تحت سبب نزول هذه الآية ومنها حكاية مسخ امرأة جميلة فصارت كوكب الزهرة الذي في السماء واختلاف الملكين هاروت وماروت عليها لجمالها وقد زنيا بها ومثلا وشربا الخمر فمسخها الله لاغوائها الملكين . وانظر ما قيل في سبب نزول الآية [**افتطمعون ان يؤمنوا لكم**] الآية ٨٥ من سورة البقرة حيث نقل الواحدي ص٢٥ من كتاب اسباب نزول القرآن : نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى ليذهبوا معه الى الله تعالى . فالرواية تنطق انها لم تكن في زمن نزول القرآن بل كانت في زمن موسى عليه السلام وعليه فلا تصلح ان تكون سبب نزول للآية .

(٢) انظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٩٦ ، وتفسير الطبري ج٣٠ ص١٠٥ ، والقرطبي ج٢٠ ص١٤٦ وابن كثير والدر المنثور .

(٣) اسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٠٦ ، وانظر بعض كتب التفسير كالطبري والقرطبي وفتح القدير وابن كثير .

(٤) وانظر ما رواه الواحدي في سبب نزول قوله تعالى [**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**] الانفال الآية ١٧ ص٢٢٨ إنها نزلت في أبي بن خلف يوم أحد حين طعن وكان يخور خوار الثور وظاهر الطعنة انها خدش .. الخ قال القرطبي : وهذا ضعيف لأن الآية نزلت عقيب بدر م٧ ص٣٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والرواية الثانية كذلك في نزول سورة الفتح ، هذا اذا صحت الروايات فنحن بصدد دراسة عدم المزامنة وهناك صيغ تدل على هذا النوع من عدم المزامنة كقولهم : لما نزلت الآية او لما نزل قوله تعالى[1] ..الخ.

فهذا هو الإشكال الأول وهو عدم المزامنة بين نزول الآية ووقوع الحدث او السؤال وعلاج هذا الاشكال يكمن في رد جميع الروايات التي ينطبق عليها عدم المزامنة . ثم ينظر اذا كانت مما يحتمله النص فتدخل في دائرة التفسير والا فترد ولا يؤخذ بها . واما الروايات الإسرائيلية وان كانت مما يحتمله النص فإني ارى ان تقصى كذلك من التفسير فهي علم لا ينفع وجهل لا يضر كما سبق ان بينا .

الإشكال الثاني

القول بتكرار * نزول الآية الواحدة او الآيات او السورة . تبعا لتعدد الروايات الواردة كسبب تنزيل لها . ويدخل في هذا الإشكال إشكال اخر وهو القول بتجزئة نزول الآية ، تبعا لردود فعل الناس على الجزء النازل من الاية ثم ينزل الجزء الاخر من الآية.إن مسألة تكرر نزول الآية او الآيات او السورة امر يتعلق بالوحي ، ودليلها يجب ان يكون من الوحي فهي مسألة نقلية وامر يتعلق بقدسية القرآن الكريم ولا يجوز للعقل البشري أن يُنظِّرَ آراءً في هذا الموضوع ووظيفة العقل البشري في هذه المسألة هو فهم ما يرد الينا عن الوحي ولا يجوز لنا كذلك ان نأخذ اقوالا وننقل اراء دون ان تكون مستندة الى آثار صحيحة فهذه القضية يتوقف الخوض فيها على الادلة الشرعية الواردة فيها وعلينا ان نتحقق من صحة الاسانيد والمتون التي تتعلق بها وقد صرح جماعة من المتقدمين والمتأخرين بان من القرآن ما تكرر نزوله [2] ولكنهم لم يوردوا دليلا واحدا حتى انهم لم يذكروا دليلا ولو بسند ضعيف ، فكيف وهذه القضية الغيبية تحتاج الى دليل قطعي ؟!

---

(١) ومنه ما رود في صحيح البخاري عن سبب نزول قوله تعالى [... **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر** ..] جزء من الآية ١٨٧ من سورة البقرة الأثر ١٩١٦ من فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الصوم باب ١٥ عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : (لما نزلت : [**حتى يتبين لكم الخط الأبيض من الخيط الأسود**] عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي ، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي . فغدوت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فذكرت ذلك فقال : انما ذلك سواد الليل وبياض النهار " ص١٣٢ م٤ . قال ابن حجر في رد هذه الرواية ان تكون سبباً لنزول الآية : " ظاهره أن عدياً كان حاضراً لما نزلت هذه الآية ، وهو يقتضي اسلامه ، وليس كذلك لأن نزول فرض الصوم كان متقدماً في أوائل الهجرة ، واسلام عدي كان في التاسعة أو العاشرة كما ذكره ابن اسحق وغيره من أهل المغازي . فإما أن يقال ان الآية التي في حديث الباب تأخر نزولها عن نزول فرض الصوم وهو بعيد جداً وإما أن يؤول قول عدي هذا على ان المراد بقوله " لما نزلت " أي لما تليت عليّ عند اسلامي أو لما بلغني نزول الآية أو في السياق حذف تقديره لما تنزلت الآية ثم قدمت فأسلمت ونقلت الشرائع فعهدت .. " .

(٢) انظر الاتقان في علوم القرآن ج١ ص٤٧ النوع الحادي عشر ما تكرر نزوله .

* إن مسألة التكرار في القرآن مصطلح يختلف في معناه عما نحن بصدده تكرر النزول : فالأول يعني هل يوجد الفاظ متكررة في القرآن الكريم ؟ أم أن كل لفظ له مدلول معين يختلف حسب موقعه في الآية ؟ وهل يوجد ترادف في القرآن الكريم أم لا ؟ وأما ما نحن بصدده فيعني : هل تنزلت الآية الواحدة أو السورة بواسطة جبريل عليه السلام على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- مرة ثانية وثالثة ؟؟ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان القائلين بهذا الرأي لم يذكروا شيئا من هذا عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن التابعين رضوان الله عليهم جميعا وانما اطلقوا لعقولهم العنان في بحث المسألة وانبرى اخرون للرد عليهم من المنطق نفسه . فقيل ما الحكمة من تكرر نزول القران وما الفائدة ؟ وهذا تحصيل حاصل فرد الفريق الاخر وقد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشأنة وتذكيرا به عند حدوث سبب خوف نسيانه)[1] والحق في هذه القضية ان يكون صعيد البحث هو الأدلة النقلية ليس غير ومعروف ان انزال القران جاء بواسطة جبريل عليه السلام فالحديث كيف تم تنزيل القران وكيف تم ترتيب الايات في السور حتى اكتملت يجب ان يكون بالنقل لا بالعقل[2] فنقول لمن يقول بتكرر النزول اين الدليل الشرعي على صحة هذا القول؟ من هم الصحابة او التابعون الذين قالوا هذا القول في هذه المسألة ؟ فاذا تركنا الامر للعقل فان العقول تتفاوت وتختلف وتحكم على مالا تحس به حكما خاطئا وفي هذا افتراء على ديننا ومنزلق لتحريف الشريعة الاسلامية ومن المعروف ان الاية اذا نزلت امر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ان توضع في محل من السور فاين كان محل الايات التي قيل عن تكرر نزولها أولاً وهل ورد في هذا نص ؟ ومن المتفق عليه عند المسلمين قاطبة ان الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان يقول ضعوا اية كذا في السورة التي ذكر فيها كذا اوضعوا هذه الآيات قبل اية كذا او بعد اية كذا [3]وهل يعقل ان تنزل الآية او الآيات ولا يكون لها مكان ؟ لقد تكرر لفظ ايات في القران ومع ذلك تجد ان هذا الترتيب توقيفي قطعي مثاله قوله تعالى [**فبأي الاء ربكما تكذبان**] تكررت واحدا وثلاثين مرة في سورة واحدة وكانت بيانية بعد كل آية فلا احد يستطيع ان يعرف سبب عدد هذا التكرار الا اذا ورد وحي بذلك قران او سنة ولم يرد شيء قط في هذا السبيل . كما لم يقل احد شيئا عن سبب نزول هذه الآية وعن تكرر نزولها ومادام لم يرد دليل فالقول بتكرار نزول القرآن او شيء منه مردود ولا يعول على الاقوال التي تقال في هذه القضية وانها اقوال اجتهادية وليست نقلية [4] . واذا نظرنا في الحكمة التي قيل عنها في مسألة تكرر النزول وهي تعظيم لشأن المنزل فاننا نرى ان لا تفاوت فيما ورد من آيات عن الله تعالى فكله بنفس العظمة صادر عن الواحد القهار .

---

(١) هذا قول الزركشي في البرهان ج١ ص٢٩ فصل فيما نزل مكرراً .

(٢) قال ابن حجر في الفتح ص٤٠ ج٩ كتاب فضائل القرآن باب تأليف القرآن ٦ : قال القاضي الباقلاني : (ولا خلاف ان ترتيب آيات كل سورة على ما هي عليه الآن في المصحف توقيف من الله تعالى وعلى ذلك نقلته الأمة عن نبيها -صلى الله عليه وسلم- .

(٣) قال ابن حجر في فتح الباري ص٢٢ ج٩ كتاب فضائل القرآن باب كاتب النبي -صلى الله عليه وسلم- وروى أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وصححه ابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن عباس عن عثمان بن عفان قال : كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد ، فكان إذ نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول : ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا " الحديث .

(٤) انظر معاني القرآن بين الرواية والدراية لأحمد حسن الباقوري ص٧٧ حيث يقول " وبهذا يعلم أن للاجتهاد في هذا القسم مدخلاً ، وأن للقصص المتعددة هناك سعة " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن زاوية اخرى وردت احاديث صحيحة غير قطعية ان سيد آي القرآن هي آية الكرسي. ومع ذلك لم يكن قد لحقها شرف التعظيم لانه لم يقل احد منهم انه تكرر نزولها !! والحديث ورد في صحيح مسلم (١).

ولا يقال ان الغرض او الحكمة هو التذكير بها فقد قيل ان سورة الفاتحة نزلت مرتين مرة بمكة واخرى بالمدينة. وهو قول غير مقبول لان الصلاة فرضت على المسلمين من اول ما نزل الوحي على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وكانت ركعتين ثم نزلت الصلوات المعروفة بعد ذلك في مكة في حادث الاسراء ولم يعلم قط ان صلاة كانت بغير الفاتحة * ، فاذا تذكرنا كم مرة يقرؤها المسلم في اليوم فاننا ندرك خطأ القول بتكرر نزول السورة مرة ثانية بالمدينة للتذكير بها واذا توسعت المدارك اكثر وتذكرنا صلوات النوافل وكلها لا تتم الا بقراءة الفاتحة تأكدنا من صحة القول انه لا داعي لتكرر نزولها ، حيث كان التشريع بقراءتها يوميا مرات كثيرة تغني عن تكرر نزولها هذا اذا كان المجال للعقل - والعقل يرد على مثله وهل الحكمة في التكرار ليعلمها الرسول -صلى الله عليه وسلم- ؟ فالرسول قد حفظها منذ اللحظة الاولى التي نزلت عليه والله تعالى تعهده برعايته فلا ينساها ابدا ولا يجوز في حقه ان ينسى الوحي [**سنقرؤك فلا تنسى**] فضلا عن ان جبريل عليه السلام كان يتدارس القرآن مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- مرة كل عام في رمضان ومرتين في السنة التي توفي فيها . وان كانت تكررت لتحفظ عند الصحابة -رضوان الله عليهم- فالقرآن كان يدون فور نزوله وكان كتبة الوحي يكتبون القرآن على الرسم الذي يوحيه الله لرسوله بالاضافة الى حفظه في صدور الرجال ولذلك كان جمع القرآن في عهد ابي بكر هو جمع اللخف والعسب والرقاع التي كان القرآن مدونا عليها أمام عين الرسول -صلى الله عليه وسلم- في مكان واحد (٢). واذا كان تكرر النزول من اجل القراءات كما قال السخاوي في جمال القراء فالسور كلها فيها قراءات وهذا يقتضي ان تكون كل السور قد نزلت مرتين ولم يقل بهذا الرأي اصحاب القول بتكرر النزول والاصل في نقاش هذا الرأي هو : اين الدليل على انه تكرر نزول سورة او آية من اجل القراءات ؟! واذا زعم انه كان يتم في العرضات السنوية(٣) لقراءة القرآن التي كانت تتم بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- وجبريل عليه السلام فاين الدليل على هذا الامر المغيب ؟

---

(١) رواه مسلم رقم ٨١٠ في صلاة المسافرين . باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ، وأبو داود رقم ١٤٦٠ في الصلاة باب : ما جاء في آية الكرسي ، والامام أحمد في المسند ٥/ ١٤٠ . ونص الحديث عن أبي بن كعب ان النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له : أي آية في القرآن أعظم ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، فرددها ثلاثاً . قال : آية الكرسي ، وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : لِيَهْنِكَ العِلْمُ أبا المنذر ، والذي نفسي بيده إنّ لها لساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش * . وانظر فضائل القرآن لابن الضريس ص٩٠ تحقيق غزوة بدير ، وفي فضائل القرآن للفريابي : أي آية أشرف ص١٥٨ تحقيق يوسف عثمان فضل الله جبريل رسالة ماجستير نوقشت سنة ١٤٠٥ هـ جامعة الملك سعود بالرياض كلية التربية قسم الدراسات الاسلامية .

* انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ج٩ كتاب فضائل القرآن باب ٧ ، ص٤٣ . وانظر ص٥ .

(٢) انظر حديث ٤٩٨٦ من فتح الباري شرح صحيح البخاري ج٥٩ ص١٠ ويتضمن الحديث عن جمع القرآن .

(٣) قال ابن حجر في فتح الباري : والمعتمد أن جبريل كان يعارض النبي -صلى الله عليه وسلم- في رمضان بما ينزل به عليه في طوال السنة ، كذا جزم به الشعبي فيما أخرجه عنه أبو عبيد وابن أبي شيبة بإسناد صحيح ص٥ ج٩ . وانظر باب ٧ من كتاب فضائل القرآن بان كان جبريل يعرض القرآن على النبي -صلى الله عليه وسلم- ص٤٣ ج٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واذا امعنا النظر في عبارة صاحب هذا القول فانه اورده على سبيل الاحتمال لا على سبيل الجزم فقال: قلت (والقول للسخاوي) : يجوز ان تكون نزلت اول مرة على حرف واحد ، ونزلت الثانية ببقية وجوهها نحو : ملك ومالك ، والسراط والصراط ونحو ذلك ١. هـ "[١]

فانظر الى كلمة (يجوز) فهل الاحتمال يكون دليلا في الشريعة الاسلامية ؟! وخلاصة القول انه لم يرد دليل يثبت صحة هذا القول .ومن القائلين بتكرر نزول بعض الايات والسور ابن تيمية ، وابن كثير ، وابن الحصار[٢] ، والزركشي وابن حجر والسخاوي والسيوطي وغيرهم .

ومن المصرحين برد هذا القول : العماد الكندي في مخطوطه : الكفيل بمعاني التنزيل [٣] وهو تفسير للقران الكريم وطاهر الجزائري في كتابه (التبيان في علوم القران)[٤]والشيخ احمد حسن الباقوري في كتابيه مع القران ومعاني القران بين الرواية والدراية[٥] وفي هذا المقام يقتضي ان نستوفي المسألة ببحث شيء من الايات او السور التي قالوا عنها تكرر نزولها ، وندرس ما قالوا ؟ ونفهم توجيه ما ذهبوا اليه ونناقشه مناقشة فكرية من جميع جوانبه لنؤكد صحة ما ذهبنا اليه في هذا البحث وهو ان القول بتكرر نزول بعض الايات او السور هو قول ينقصه الدليل .

ومما قيل عن تكرر نزوله من السور: الفاتحة، والاخلاص ومن الايات: [**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي**][٦] وقوله تعالى [**واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات**] [٧] وخواتيم سورة النحل . وقوله تعالى [**ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى**][٨] وغيرها.

سورة الفاتحة

ورد فيها اربعة اقوال : ١ مكية ٢ مدنية ٣ نزلت مرتين مرة بمكة واخرى بالمدنية

٤ نصفها نزل بمكة والاخر بالمدينة والاول قال به ابن عباس وقتادة وابو العالية . والثاني قال به مجاهد وعطاء بن يسار والزهري قال الواحدي :

---

(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص٤٨ .

(٢) انظر الاتقان في علوم القرآن ص٤٥ ج١ للسيوطي .

(٣) ذكره السيوطي في الاتقان ج١ ص٤٨

(٤) ص٢٦ كما نقل ذلك الشيخ عبد الوهاب عبد المجيد غزلان في كتابه البيان في مباحث من علوم القرآن..

(٥) معاني القرآن أحمد حسن الباقوري ص٧٤ ط١ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م مركز الأهرام للترجمة والنشر ، والكفيل ذكره السيوطي في الاتقان في علوم القرآن ج١ ص٤٨ .

(٦) الاسراء آية ٨٥ .

(٧) سورة هود آية ١١٤ .

(٨) التوبة ١١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال الحسين بن الفضل لكل عالم هفوة ، وهذه بادرة من مجاهد ، لانه تفرد بهذا القول والعلماء على خلافه [١]

والاخير حكاه ابو الليث السمرقندي[٢] . قال ابن كثير[٣] وهو غريب جدا نقله القرطبي عنه وقال محمد بن يوسف الاباضي ولا دليل لهذا القول [٤] واما الرأي الثالث وهو موضع البحث قال محمد بن يوسف الوهبي الاباضي : وقد يجمع بينهما (الرأيان الاولان) بانها نزلت مرتين فاخبر كل بما علم . او لما حولت القبلة اخبر صلى الله عليه وسلم ان الفاتحة ركن في الصلاة كما بمكة فظن ذلك انزالا[٥] . والصواب ان سورة الفاتحة مكية وترد جميع الاراء الاخرى والدليل على مكيتها :

١ ((قال تعالى : [**ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم**] [٦] يعني الفاتحة ... [٧] وسورة الحجر مكية بلا خلاف ولم يكن الله ليمتن على رسوله بإتيانه فاتحة الكتاب وهو بمكة ثم ينزلها بالمدينة .ولا يسعنا القول بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بمكة بضع عشرة سنة يصلي بلا فاتحة الكتاب . هذا مما لا تقبله العقول .)) [٨] ولا يقال بان السبع المثاني هي السبع الطوال لانها لم تكن نزلت بعد فالبقرة وال عمران والنساء والمائدة نزلت في المدينة

٢ اذا نظرنا لمسألة اول ما نزل من القران من السور والايات تجد انه يقال عنها انها اول سورة كاملة نزلت بمكة[٩] .

اما القول بانها اول ما نزلت من القرآن على الاطلاق فهو غير صحيح لان الحديث الذي رواه البيهقي والواحدي عن ابي ميسرة (عمرو بن شرحبيل) مرفوعا . قال السيوطي عنه انه مرسل. وهو يعارض الحديث المرفوع في صحيح البخاري بأن اول ما نزل على الاطلاق قوله تعالى [**اقرأ باسم ربك الذي خلق**] .

---

(١) اسباب نزول القرآن للواحدي ص١٨ . وهو تعليق على مجاهد لقوله ان الفاتحة مدنية .

(٢) بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي ج١ ص١٩٧ دراسة وتحقيق د. عبد الرحيم احمد الزقة – جامعة بغداد وانظر هيميان الزاد إلى دار المعاد لمحمد بن يوسف الوهبي الأباضي ج١ ص٢٩ ، تفسير الخازن م١ ص١٢ وبهامشه تفسير النسفي طبعة مكتبة المثنى ببغداد بالافست . وانظر معالم التنزي للبغوي ج١ ص٣٧ تحقيق خالد العك وتروان سوار طبعة دار المعرفة بيروت ط١ ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

(٣) تفسير سورة الفاتحة ص٨ م١ من تفسير ابن كثير .

(٤) هيميان الزاد إلى المعاد لمحمد بن يوسف الوهبي الاباضي ج١ ص٩ طبعة سلطنة عمان وزارة التراث القومي ١٤٠١هـ – ١٩٨٠م .

(٥) المصدر السابق نفسه .

* ملحوظة : لقد مر في هذه الرسالة تعليق على الروايات التي قيل انها سبب نزول في الأمثلة السابقة الاخلاص ، وآية الروح الخ فلا داعي لتكرار بحثها .

(٦) سورة الحجر آية ٨٧ .

(٧) انظر تفسير الطبري م١ ص١١٠ طبعة دار القبلة وتفسير الفخر الرازي م١ ص٩٣ .

(٨) اسباب نزول القرآن للواحدي ص١٨ .

(٩) انظر مباحث في علوم القرآن لمناع القطان معرفة اول ما نزل من القرآن ص٦٧ ، ص٦٨ . وانظر البيان في مباحث من علوم القرآن لعبد الوهاب عبد المجيد غزلان ص٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال د. عبد الوهاب غزلان : (وقد اشار الزركشي في البرهان الى هذا الحديث ونقل عن القاضي ابي بكر انه قال هو حديث منقطع ، فيتضح مما تقدم انه قول دليله ضعيف) [١] . والشاهد عندنا ان سورة الفاتحة ليست اول ما نزل من القران ولكنها اول سورة كاملة نزلت بمكة من القران . اي انها مكية

٣ ان النقول التي وصلت الينا عن نزول السور المكية والمدنية تجمع ان سورة الفاتحة مكية ، سواء اكانت النقول في كتب التفسير ام في السيرة ام في كتب علوم القران وفضائل القران [٢] صحيح انه وردت اقوال قيل انها مكية ومدنية ، او نصفها مكي ونصفها مدني ، فحتى هذه الاقوال تقر ان السورة مكية رغم عدم ثبوت صحة هذه النقول . وعليه فان سورة الفاتحة مكية ، ومن يقول غير ذلك لا تجد له حجة ، بل تجد قولَه واهياً لا يقوى امام حجة مكية السورة .

٤ ان الصلاة فرضت في اول نزول الوحي وبعد نزول قوله تعلى [**اقرا باسم ربك الذي خلق** ..] ولم يرد ان صلاة كانت بدون الفاتحة . فهذا يدل على مكية السورة .

قال الشيخ احمد حسن الباقوري تعليقا [٣] على من قالوا بتكرار نزول القران (انه لا يمكن ذلك والمسألة هنا تحتاج الى تدبر وروية فان القول بتكرار النازل نفسه اكثر من مرة ، امر غير مقبول ،وربما اراد العلماء به التوفيق بين الاراء المتعددة او ان تعدد الطرق في تناول الخبر حدا بهم الى القول بتكرار النازل) [٤]

وقال (ان هذه الاقوال التي اشار اليها العلماء قديمهم ومحدثهم – تحمل تبريرات لا يسهل الاخذ بها فيما يبدو . ولن يطمئن اليها تمام الاطمئنان وقد رأينا العديد من الروايات التي تعرضنا لها منها ما هو ضعيف ومنها ما لا يقبل الأخذ به ، وربما ينتهي بنا الامر الى الاخذ برواية واحدة متفق عليها ولن نندفع الى القول بتكرار النازل قبل ان نتحرى الدقة في قبول الرواية) [٥].

---

(١) البيان في مباحث من علوم القرآن . عبد الوهاب عبد المجيد غزلان ص٨١ ، وانظر مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص٦٨ . بعد أن علق على حديث جابر بأن أول من نزل هو المدثر قال (وأما قول من قال من المفسرين أول ما نزل الفاتحة فبطلانه أظهر من أن يذكر) م٢ ص٢٠٨ طبعة دار الفكر .

(٢) انظر جميع كتب التفسير بلا استثناء ، وانظر اسباب نزول القرآن للواحدي ، ولباب النقول للسيوطي ، ومخطوط العجاب في الأسباب لابن حجر ، وانظر فضائل القرآن لابن الضريس ، والاتقان في علوم القرآن للسيوطي ، والبرهان للزركشي ، وغيرها كثير .

(٣) تعليقاً على السيوطي في الاتقان ج١ ص٣٣ .

(٤) معاني القرآن بين الرواية والدراية لأحمد حسن الباقوري ص٥٧ ، طبعة اولى سنة ١٩٨٦م طبعة مركز الأهرام للترجمة والنشر .

(٥) المصدر السابق نفسه ص٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاسباب التي ادت الى القول بتكرار التنزيل

لا بد من التمييز اولا بين التكرار والتعدد . فالاول نزول الاية او السورة نفسها مرتين او اكثر . اما تعدد النزول فانه يعنى تعدد نزول ايات في واقعة واحدة في عدة سور او في اماكن متفرقة من السورة الواحدة . اما الاسباب التي حدت ببعض العلماء بالقول بتكرر النزول فهي:

١ تعدد الروايات التي وصلت الينا في اسباب تنزيل الاية الواحدة . واذا حققنا هذه الروايات فاننا نجدها لا تصلح ان تكون جميعها سبب تنزيل الاية نفسها او السورة كما مر معنا في كثير من المواطن من هذه الرسالة . ومع ذلك تجد من سلك مسلك التوفيق بين هذه الروايات المتعددة فقال بتكرر التنزيل

٢ اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم في استعمال (نزلت الاية في كذا) فمنهم من يستعملها لمحض قصة كانت في زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومنهم من يستعملها فيما انطبقت عليه الاية مما كان في زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم -او قبل زمنه او بعده [١]

٣ (وقد يذكرون حادثة تحققت في تلك الايام المباركة واستنبط النبي حكمها من اية قرأها في ذلك الباب فتراهم يقولون بعد ذلك : ان الاية نزلت في كذا وربما قالوا فانزل الله قوله كذا فكانه اشارة الى استنباطه عليه الصلاة والسلام) والقاء الاية تلك الساعة في خاطره المبارك نوع من الوحي ، ولذلك امكن ان يقال : انزلت الآية) [٢] وهذه الجملة الاخيرة وان كان يطلق عليه وحي الا انه لا يسمى تكرار النزول لان هذا يعنى تكرار نزول القران كله ، ومعارضته جبريل عليه السلام للرسول -صلى الله عليه وسلم -يمكن ان تقال تكرار تنزيل. وهذا غير صحيح وربما لم يقصده من قالوا بتكرار النزول بل لم يشر اليه احد ممن قالوا بتكرار التنزيل .

٤ (المحدثون يذكرون في ذيل ايات القران كثيرا من الاشياء التي ليست من قسم سبب النزول في الحقيقة مثل : استشهاد الصحابة في مناظراتهم او تمثيلهم باية ومثل تلاوته صلى الله عليه وسلم الاية للاستشهاد بها في كلامه الشريف ، ومثل رواية حديث وافق الاية في اصل الغرض)[٣] ثم قال الشيخ الباقوري (ان من جملة الاثار المروية في كتب التفسير بيان سبب النزول ، وسبب النزول على قسمين :

الاول : ان تقع حادثة فيها ايمان المؤمنين ونفاق المنافقين كما وقع في احد والاحزاب وقد انزل الله تعالى مدح هؤلاء وذم اولئك ليكون فيصلا بين الفريقين .

---

(١) انظر كتاب معاني القرآن بين الرواية والدراية لاحمد حسن الباقوري ص٧٦ ، وانظر الفصل الاول المبحث الاول من هذه الرسالة .

(٢) المصدر السابق نفسه حرفياً (الباقوري) وانظر الى التنبيه الذي اشار إليه السيوطي في الاتقان ج١ ص٤٥ فيستعمل الراوي فنزلت بدل مثلاً أو فقال .

(٣) معاني القرآن للباقوري ص٧٦ ، ورأي الباقوري هذا أخذه عن الدهلوي كما أشار في الموضوع نفسه وفي الصفحة نفسها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وربما يقع في مثل هذا من التعريض بخصوصيات الحادثة ما يبلغ حد الكثرة ، فيجب ان يذكر شرح الحادثة مختصرا ليتضح سوق الكلام في نظر القارئين .

الثاني : ان يكون معنى الاية واضحا بعمومها دون حاجة الى العلم بالحادثة التي هي سبب النزول . وذلك ان الحكم لعموم اللفظ لا لخصوص السبب ، وانما ذكر قدماء المفسرين تلك الحادثة قصدا الى الاحاطة بالاثار المناسبة لتلك الاية ، او قصدا الى بيان ما صدق عليه العموم وليس ذكر هذا من الضروريات) [1] ثم قال وبهذا يعلم ان للاجتهاد في هذا القسم مدخلا ، وان للقصص المتعددة هناك سعة.

فمن استحضر هذه النكتة تمكن من حلّ اختلاف اسباب التنزيل بادنى عناية) [2]

وعليه فان المتدبر لروايات أسباب التنزيل المتعددة في الآية الواحدة يستطيع توجيهها او دفع بعضها بحيث يزول الإشكال الذي سببه هذا التعدد عند البعض وحدا بهم للقول بتكرر النزول . والنتيجة ان القول بتكرر النزول قول خاطئ يعوزه الدليل الشرعي فيرد هذا الإشكال .

إشكال القول بتجزئة تنزيل الآية الواحدة

لقد ثبت بالتواتر ان ترتيب الايات في السور توقيفي [3] وان الاية كانت تنزل متكاملة دون تجزئة ،والقول بخلافه لا يقبل الا اذا ورد دليل قطعي عليه .قال الشافعي رحمه الله (ولم اعلم مخالفا ان كل اية انما انزلت متتابعة لا مفرقة ، وقد تنزل الايتان في السورة مفرقتين فاما اية فلا ، لان معنى الاية انها كلام واحد غير منقطع) [4] (يستأنف بعده غيره) * وقال في موضع اخر (لان معنى الاية معنى قطع الكلام) [5] وعليه فلا بد من تأويل او رد رواية سهل بن سعد الساعدي التي رواها البخاري والتي تشير الى ان " لفظ من الفجر") لم يكن قد نزل في الاية في سورة البقرة [**أُحِلَّ لكم ليلةَ الصيام الرَّفَثُ الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون**] ١٨٧

---

(١) المصدر السابق نفسه ص٧٧ .

(٢) المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ج٩ ص٤٠ كتاب فضائل القرآن باب تاليف القرآن .

(٤) أحكام القرآن للشافعيّ ج١ ص١٠٧ . وانظر اختلاف الحديث للشافعيّ تحقيق محمد احمد عبد العزيز ص٥١ دار الكتب العلمية بيروت .

(٤) أحكام القرآن للشافعيّ ج١ ص١٠٧ . وانظر اختلاف الحديث للشافعيّ تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ص٥١ دار الكتب العلمية بيروت .

* هذه الزيادة مأخوذة من كتاب اختلاف الحديث للشافعيّ ص٥١ وقد أثبتها محقق جامع كتاب احكام القرآن للشافعيّ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونص الرواية كما في صحيح البخاري ((انزلت [**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود**] ولم ينزل [**من الفجر**] [1] فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود ولم يزل يأكل حتى يتبين له رؤيتهما فانزل الله بعد [**من الفجر**] فعلموا انه انما يعني الليل والنهار) [2] قال ابن حجر قال القرطبي حديث سهل فانه ظاهر في ان قوله [**من الفجر**] نزل بعد ذلك لرفع ما وقع لهم من الاشكال قال وقد قيل انه كان بين نزولهما عام كامل [3]) وفي رواية البراء ورواية عدي بن حاتم رضي الله عنهما عند البخاري[4] لم تستثن كلمة [**من الفجر**] والناظر في جميع الروايات التي سبقت في سبب نزول هذه الآية واجزائها يرى ان الاشخاص الذين نزلت فيهم (كما ذكرت الروايات) هم عمر بن الخطاب [5] ، وقيس بن صرمه الانصاري [6] واصحاب محمد [7] – صلى الله عليه وسلم – فيكون القول بعدم نزول قوله تعالى [**من الفجر**] هو تفسير من سهل الساعدي رضي الله عنه وان لفظ فانزل في الرواية استعمل بدل : تلا او قرأ وهو الرأي الذي اراه راجحا حسب عادة الصحابة في التفسير لاسيما ان الروايات صدرت بقوله لما نزلت الآية (فيدل على ان القصة وقعت بعد نزول الاية والا فيرد الحديث لمخالفاته المتواتر في نزول الاية الواحدة مجتمعة لا متفرقة [8] . وفي مثل هذه الاية يقال عما ورد في سورة النساء اية ٩٥ [**لايستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما**]

فقد اورد البخاري [9] عن سهل بن سعد الساعدي انه رأى مروان بن الحكم في المسجد فاقبلت حتى جلست الى جنبه فاخبرنا ان زيد بن ثابت اخبره (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم املى عليه [**لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله**] فجاءه ابن ام مكتوم وهو يُملّها عليّ قال : يا رسول الله، والله لو استطيع الجهاد لجاهدت – وكان اعمى – فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي ، فثَقُلت عليّ حتى خِفْتُ ان تُرضّ فخذي ثم سري عنه فانزل الله [**غير اولي الضرر**] [10] .

---

(١) تصور نزول الآية كلها من قوله تعالى [**أحل لكم ليلة الصيام**] إلى قوله تعالى [**لعلهم يتقون**] دون ان ينزل لفظ من الفجر ؟؟ وقد يفهم من روايتهم ان الآية نزلت عدة مرات لأن الوارد في الرواية [**وكلوا واشربوا**] إلى [**من الفجر**] جزء من الآية لا يصل لمقدار ربعها .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ص١٣٢ ج٤ كتاب الصوم باب ١٥ الطبعة السلفية .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ص١٣٤ ج٤ كتاب الصوم باب ١٥ الطبعة السلفية .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ص١٣٣ ج٤ كتاب الصوم باب ١٥ الطبعة السلفية .

(٥، ٦، ٧) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري من ص١٢٩ – ص١٣١ باب ١٥ كتاب الصوم .

(٨) لقد بحثت المسألة من باب تأخير البيان عن وقت الحاجة فيما إذا أخذ بحديث سعد بن سهل فلم يصحح الحديث أكثر الفقهاء والمتكلمين كما فعل ذلك ابن حجر في فتح الباري ص١٣٥ م٤ في شرح الحديث ١٩١٧ .

(٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب التفسير باب ١٨ من سورة البقرة ص٢٥٩ الحديث ٤٥٩٢ المطبعة السلفية .

(١٠) وانظر الأحاديث ٤٥٩٣ ، ٤٥٩٤ ، ٤٥٩٥ من فتح الباري كتاب التفسير باب ١٨ م٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واضيف ان الروايات في تجزئة نزول الاية في بعض الالفاظ تدخل في القراءات غير المتواترة فلا يعتد بها وهي من باب التفسير ومثلها ما ورد في قوله تعالى [**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**] فعن البراء بن عازب فانزلت هذه الاية حافظوا على الصلوات وصلاة العصر ، فقرأناها ما شاء الله ثم نزلت [**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**] [1] ولا يقال عنها انها من باب النسخ لانها لم تتواتر فلا تعد قرانا . وعليه فلا يقال ان الاية الواحدة نزلت مجزأة او مفرقة لان فيه تقطيعاً للمعنى الواحد من كلام رب العالمين والروايات التي ترد في هذا الموضوع تدخل غالبا في باب التفسير من الصحابي ولا يقبل ان يقال ان الاية نزلت ثم بعد رد فعل معين من الصحابة انزل الله اللفظ المبين للمعنى بعد عام او حتى بعد ساعة . فقوله تعالى [**من الفجر**] نزل مع الاية وفي موضعها عند نزول الاية [**احل لكم ليلة الصيام ...**] الى قوله تعالى [**لعلهم يتقون**] وكذلك قوله تعالى في سورة النساء [**غير اولي الضرر**] نزل كجزء من الآية فور نزولها [2] [**لا يستوي القاعدون ...**] الى قوله تعالى [**اجرا عظيما**] وكذلك آية البقرة [**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**] ولم ينزل وصلاة العصر وهي تفسير من الصحابة والا فتردّ هذه الاقوال لمخالفتها المتواتر وبذلك نتخلص من الإشكال الذي سببه القول بنزول بعض الايات مفرقة وما ينجم عنه وهو قول مأخوذ من روايات تفسيرية لم تبلغ حد التواتر والله أعلم.

الإشكال الثالث :
تعدد روايات أسباب التنزيل

إن هذا الإشكال يقتضي من الباحث أن يتحرى الصواب في روايات أسباب التنزيل وأن يسير في طريق الترجيح إن كان من أهله ، حيث تضع الروايات الكثيرة القاريء في حيص بيص ، فقد تكون الروايات متناقضة في الآية الواحدة ، وقد تفكك الآية الواحدة في النزول ، ويجعل لكل جزء من الآية سبباً مستقلاً . وقد توهم أن طائفة من الآيات في سورة واحدة قد نزلت كل آية بسبب خاص فكأن القرآن نزلت فيه كل آية في سبب معيّن .. وقد يقولون بتعدد النازل في سبب واحد أو يعممون سبب التنزيل في الآية على آيات مماثلة لها في اللفظ وتكون الروايات مختلفة في الموضوع . والقاعدة الأساسية في حل هذا الإشكال هو التحقيق في الروايات واعتماد الترجيح قاعدة في إزالة ما ينجم عن ذلك من إشكال . ويتمثل هذا الإشكال في الصور الآتية :

الصورة الأولى :

١- تعميم سبب التنزيل في الآية على آيات مماثلة لها

فقد نقل السيوطي في لباب النقول ان سبب تنزيل قوله تعالى [**ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبرّوا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم**] [3] :

---

(١) الآية ٢٣٨ من سورة البقرة . وانظر الرواية في فتح الباري ص٢٦١ م٨ كتاب التفسير باب ١٨

(٢) في رواية هذه الآية وردت عبارة (لما نزلت [**لا يستوي القاعدون من المؤمنين**] وفي هذا التعبير دلالة على أن القصة وقعت بُعيد نزول الآية فليست سبباً لنزولها . ومثلها يقال عما ورد في روايات [**من الفجر**] حيث نبهنا إليه في نهاية الاشكال الأول " عدم المزامنة " من هذا الفصل .

(٣) الآية ٢٢٤ من سورة البقرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخرج ابن جرير من طريق ابن جريج قال : حدثت أن قوله - الآية نزلت في أبي بكر في شأن مسطح [1] . وذكر السبب نفسه كجزء من حديث الإفك في قوله تعالى في سورة النور [**ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة**] إلى قوله تعالى [**ألا تحبون أن يغفر الله لكم**] [2] .

ويرجح أن سبب التنزيل هذا بشأن آية النور ، وترد الرواية المنسوبة لآية البقرة ، لأن الرواية الأولى صحيحة وردت في صحيح البخاري في حديث الإفك كما اشرنا الى ذلك في موضع سابق من هذه الرسالة . وتكون الرواية الواردة في سورة البقرة من باب التفسير . ويقال مثل ذلك ما رواه الواحدي عن الكلبي في سبب نزول آية البقرة إنها نزلت في عبد الله بن رواحة ينهاه عن قطيعة ختنه بشير بن النعمان ، وذلك أن ابن رواحة حلف أن لا يدخل عليه أبداً ، ولا يكلمه ، ولا يصلح بينه وبين امرأته ، ويقول : قد حلفت بالله أن لا أفعل ولا تحل (لي) إلاّ أن أبَرَّ في يميني فأنزل الله تعالى هذه الآية [3] . وقد تعمم رواية سبب التنزيل ولا تكون سبباً في الآيتين بل من قبيل التفسير ومثاله ما ذكره الواحدي في الآية ٧٩ من سورة البقرة [**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون**] قال : نزلت في الذين غيروا صفة النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وبدلوا نعته . قال الكلبي بالإسناد الذي ذكرنا : إنهم غيّروا صفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، في كتابهم وجعلوه آدم سبطاً طويلاً ، وكان رَبْعَةً أسمر -صلى الله عليه وسلم- وقالوا لأصحابهم وأتباعهم : انظروا إلى صفة النبي الذي يُبعث في آخر الزمان ، ليس يشبه نعت هذا ، وكانت للأحبار والعلماء مأكلة من سائر اليهود ، فخافوا أن تذهب مأكلتهم إن بيّنوا الصفة فمن ثمّة غيروا) [4]

فقد ساق الرواية نفسها للآية ١٧٤ من السورة نفسها [**إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلاّ النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم**] [5] . كما ذكر الرواية نفسها بألفاظ مختلفة في الآية ٧٧ من سورة آل عمران . عن الكلبي وعن عكرمة [6]

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص٣٦ ط٢ مصطفى البابي الحلبي .

(٢) المصدر السابق ص١٥٩ .

(٣) اسباب نزول القرآن للواحدي ص٧٢ طبعة دار القبلة تحقيق سيد صقر ، ومثال آخر فقد ذكر السيوطي سبب نزول آية الوضوء في المائدة الآية السادسة ما ذكره الواحدي في آية التيمم من سورة النساء الآية ٤٣ فليرجع إليه من شاء ذلك . وملخصه ما رواه البخاري ومسلم عن ضياع عقد عائشة رضي الله عنها في احدى الغزوات وتأخر الركب في البحث عنه فلم يجدوا ماء فنزلت الآية تعلمهم التيمم .

(٤) اسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٤ طبعة دار القبلة تحقيق سيّد صقر .

(٥) انظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٤ طبعة دار القبلة تحقيق سيّد صقر .

(٦) انظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص١٠٧ طبعة دار القبلة تحقيق سيّد صقر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونص الآية هو : [**إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**] . فتشابه نصوص الآيات حدا ببعض المهتمين بأسباب التنزيل كالواحدي أن يعمم رواية واحدة على هذه الآيات المتعددة فسبب اشكالاً . لاي آية تكون هذه القصة سبب تنزيل ياترى ؟! ويزول الاشكال بعدّ هذه الرواية تفسيراً يمكن أن تنطبق عليه أجزاء من الآيات الثلاث .

الصورة الثانية :

ذكر أسباب نزول مختلفة لآية واحدة مع تباعد زمن حدوث الوقائع . ومثاله

أ. ما رواه السيوطي في لباب النقول في سبب قوله تعالى [**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**] [1] وقال : (روى الحاكم عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : أقبل أبيّ بن خلف يوم أحد إلى النبي -صلى الله عليه وسلم - فخلوا سبيله ، فاستقبله مصعب بن عمير ورأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ترقوة أبيّ من فُرْجَةٍ بين سابغة الدرع والبيضة ، فطعنه بحربته فسقط عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم ، فكسر ضلعاً من أضلاعه فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور ، فقالوا له : ما أعجزك إنما هو خدش ، فذكر لهم قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بل أنا أقتل أبياً ، ثم قال والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون ، فمات أبيّ قبل أن يقدم مكة ، فأنزل الله الآية .. صحيح الاسناد ، لكنه غريب [2] .

ب. وأخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن جبير أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم خيبر دعا بقوس ، فرمى الحصن فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو في فراشه ، فأنزل الله - الآية ، مرسل جيد الاسناد لكنه غريب . والمشهور أنها نزلت في رمية يوم بدر بالقبضة من الحصباء [3] .

جـ. روى ابن جرير وأبن ابي حاتم والطبراني عن حكيم بن حزام قال : لما كان يوم بدر سمعنا صوتاً وقع من السماء إلى الأرض كأنه صوت حصاة وقعت في طست ، ورمى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بتلك الحصباء فانهزمنا ، فذلك قوله الآية . وأخرج أبو الشيخ عن جابر وابن عباس ، ولابن جرير من وجه آخر مرسلاً نحوه [4] والمدقق في الروايات الثلاث يجد أن الرواية الاولى حدثت في السنة الثالثة للهجرة أي بعد نزول آيات الانفال بعام [5] فكيف يقال عنها أنها سبب تنزيل للآية ؟

---

(١) سورة الأنفال الآية ١٧ .

(٢) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص١٠٦وانظر اسباب نزول القرآن للواحدي ٢٢٩-٢٣٠ .

(٣) المصدر السابق والصفحة نفسها أسباب النزول للواحدي ص٢٢٩ .

(٤) اسباب نزول القرآن للواحدي ص٢١٩ . المصدر السابق نفسه ص١٠٧ .

(٥) وقال القرطبي : وهذا ضعيف لأن الآية نزلت عقيب بدر . ج٧ ص٣٨٥ طبعة دار الفكر وقال ابن هشام : ان كنانه بن الربيع بن أبي الحقيق أبى أن يعترف للرسول بمكان كنز بني النضير ، فقال للزبير : عذبه حتى تستأصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزند في صدره ، حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة) ج٣ ص٢٥١ . هذا ما أشار إليه القرطبي من صورة قتل ابن أبي الحقيق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن ديدن من بحثوا في أسباب تنزيل القرآن ان لايضيرهم لو جمعوا الروايات مع اختلاف زمن حدوثها ، وقالوا إنها جميعاً سبب نزول آية واحدة . أي قالوا بتعدد الأسباب والنازل واحد . فَسَبَّبَ هذا الإشكال . ونقول في الرواية الثانية : التي تدل على أنها وقعت في خيبر أي في السنة الخامسة للهجرة أي بعد نزول الآية بثلاثة أعوام ما قلناه عن الرواية الأولى . قال القرطبي : وهذا أيضاً فاسد ، وخيبر وفتحها أبعد من أحد بكثير والصحيح في صورة قتل ابن أبي الحقيق غير هذا [1] . وأما الرواية الثالثة فالخيال فيها واضح وان تزامنت مع تنزيل الآية فكأن ما رمى به -صلى الله عليه وسلم- في وجوه الكفار من التراب قد نزل خصيصاً من السماء ليفعل ما فعلته قبضة الحصا من يده الشريفة في المعركة . والرواية تشير الى أنها من حكيم بن حزام وهو كافر . فلا تصلح أن تكون سبب تنزيل كذلك [2] . وهناك رواية رابعة تقول أنها يوم حنين [3] .

الصورة الثالثة :

اختلاف موضوع الروايات في سبب تنزيل الآية ومثاله ما ذكر السيوطي في لباب النقول في سبب تنزيل قوله تعالى [**وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم إلى التهلكة**] [4] . قال :

أ- روى البخاري عن حذيفة قال : نزلت هذه الآية في النفقة .

وأخرج أبو داود والترمذي وصححه وابن حبان والحاكم وغيرهم عن أبي أيوب الأنصاري قال : " نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الاسلام ، وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سراً : ان اموالنا قد ضاعت ، وأن الله قد أعز الإسلام فلو أقمنا في اموالنا فأصلحنا ما ضاع منها ، فأنزل الله يرد علينا ما قلنا الآية فكانت التهلكة الاقامة على الاموال واصلاحها وترك الغزو [5] .

ب- وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أبي جبيرة بن الضحاك [6] قال " كانت الانصار يتصدقون ويعطون ما شاء الله ، فأصابتهم سنة فأمسكوا فأنزل الله الآية[7] .

جـ- وأخرج أيضاً بسند صحيح عن النعمان بن بشير قال " كان الرجل يذنب الذنب ، فيقول لا يغفر لي ، فأنزل الله الآية وله شاهد عن البراء أخرجه الحاكم .

---

(١) قال القرطبي : وهذا ضعيف لأن الآية نزلت عقيب بدر ج٧ ص٣٨٥ طبعة دار الفكر وقال ابن هشام : ان كنانه بن الربيع بن أبي الحقيق أبى أن يعترف للرسول بمكان كنز بني النضير ، فقال للزبير : عذبه حتى تستأصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزند في صدره ، حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة) ج٣ ص٣٥١ . هذا ما أشار إليه القرطبي من صورة قتل ابن أبي الحقيق .

(٢) وقد ذكر الرواية كذلك الطبري ج١٢ ص٤٤٣ وابن كثير ج٢ ص٢٩٦ والبغوي والخازن والسيوطي في الدر المنثور .

(٣) انظر تفسير القرطبي ج٧ ص٣٨٤ .

(٤) الآية ١٩٥ من سورة البقرة .

(٥) لباب النقول ص٢٩ .

(٦) هكذا أورده السيوطي ولم أعلم فيما اطلعت عليه ان للضحاك ولداً اسمه أبو جبيرة . والموضوع بحاجة إلى تحقيق .

(٧) لباب النقول للسيوطي ص٢٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذه روايات ثلاث : الاولى في الامساك عن النفقة في الجهاد ، والثانية في الامساك عن الصدقة للجدب الذي حلّ بهم ، والثالثة في جحود مغفرة الله لمن يذنب ذنباً . فهذا التعدد يسبب اشكالاً لاختلاف موضوع الروايات والصواب هو ما رواه البخاري وما في معناه عن أبي أيوب الأنصاري . وأما باقي الروايات فهي من باب التفسير والتوسع فيه لأن سياق الآيات تدل على أنها في الجهاد وقرينة ذلك أنها اقترنت بلفظ في سبيل الله ، ولم يقترن لفظ الانفاق في سبيل الله في القرآن إلاّ كان بمعنى الجهاد فالإخلاد إلى الراحة والاهتمام بإصلاح الأموال والأهل وترك النفقة في الجهاد هو موضوع الآية الذي يؤدي إلي التلهلكة ، وعليه فتقصى الروايتان ب ، جـ وما قيل في معناهما من سبب تنزيل للآية .

الصورة الرابعة :

جعل كل جزء من الآية له سبب خاص ومثاله ما ذكره السيوطي في سبب قوله تعالى [يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لا مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً] [1]

فقد ذكر السيوطي لهذه الآية روايات مختلفة في مواضيع متعددة مما ذكر في الآية وهي :

أ- سبب نزول مطلع الآية [**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**] قال :

روى أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم عن عليّ قال : صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعانا وسقانا من الخمر فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدّموني فقرأت [**قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون**] ونحن نعبد ما تعبدون فأنزل الله الآية . وذكر هذا الجزء من الآية [2] .

ب- سبب نزول [**ولا جنباً**] . قال السيوطي : وأخرج الفريابي وابن أبي حاتم وابن المنذر عن علي قال :

نزلت هذه الآية في المسافر تصيبه الجنابة فيتيمم ويصلي . وأخرج ابن مردويه عن الأسلع بن شريك قال : كنت أرحّلُ ناقة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأصابتني جنابة في ليلة باردة فخشيت أن أغتسل بالماء البارد فأموت أو أمرض فذكرت ذلك لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فأنزل الله **لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى** الآية كلها [3] . وأخرج الطبراني عن الأسلع قال : كنت أخدم النبي -صلى الله عليه وسلم- وأرحل له ، فقال ذات يوم : يا أسلع قم فارحل فقلت : يا رسول الله أصابتني جنابة ، فسكت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأتاه جبريل الصعيد . فقال رسول الله : قم يا أسلع فتيمم ، فأراني التيمم ضربة للوجه ، وضربة لليدين إلى المرفقين ، فقمت فتيممت ثم رحلت له [4] .

---

(١) آية ٤٣ من سورة النساء .

(٢) لباب النقول ص٦٣ ، وانظر اسباب النزول للواحدي ص١٤٦ .

(٣) لباب النقول للسيوطي ص٦٣ .

(٤) لباب النقول للسيوطي ص٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ- سبب تنزيل [**إلا عابري سبيل**] أخرج ابن جرير عن يزيد بن أبي حبيب : أن رجالاً من الأنصار كانت أبْوابُهم في المسجد ، فكانت تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم فيريدون الماء ولا يجدون ممراً إلاّ في المسجد فأنزل الله [**ولا جنباً إلا عابري سبيل**] (١) .

د- سبب نزول قوله تعالي [**وإن كنتم مرضى**] . قال السيوطي :

أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال : نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار ، كان مريضاً فلم يستطع أن يقوم فيتوضأ ، ولم يكن له خادم يناوله فذكر ذلك لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأنزل له - وإن كنتم مرضى الآية . وأخرج ابن جرير عن ابراهيم النخعي قال : نال أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- جراحه ففشت فيهم ، ثم ابتلوا بالجنابة فشكوا ذلك إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فنزلت [**وان كنتم مرضى**] الآية كلها (٢) .

فهذه روايات ست ذكرها السيوطي في سبب نزول أربعة أجزاء من الآية الواحدة وذكر في كل رواية أن الآية نزلت كلها . فيا ترى على أي موضوع نزلت هذه الآية ؟ إن هذا التعدد يسبب ارباكاً لمن يريد التعرف على أسباب التنزيل ويجعل له دواراً في رأسه لو أدخلها في أسباب التنزيل . ويزداد الأمر تعقيداً عندما نعلم أن الواحدي ذكر أن سبب نزول الآية هو أن المسلمين فقدوا الماء في غزوة بني المصطلق في المريسيع بسبب البحث عن قلادة لأسماء رضي الله عنها كانت مع عائشة رضي الله عنها ، ثم وجدت تحت بعيرها . والرواية في صحيح البخاري في كتاب التيمم الحديث ٣٣٤ . ولكن البخاري جعل هذه القصة سبباً لتنزيل آية المائدة المشابهة لهذه الآية في موضوع التيمم .

ومهما يكن من أمر فلا يرد أن يقال إن المسلمين بقوا زمناً في هذه المواضيع لا يعرفون حكمها حتى حدثت هذه الحوادث وأنزل الله في كل حادثة جزءاً من الآية . فالآية الواحدة قد تضم مواضيع عدة كهذه الآية التي نحن بصدد دراسة أسباب تنزيلها ولكنه لا يعني بالضرورة وجود سبب تنزيل لكل موضوع فهو تحصيل حاصل وأمر لم يثبت وقوعه . فالصلاة والوضوء شُرِعا في العهد المكي وفي اوائل نزول الوحي. وكان تشريعهما بالسُنَّة ، ثم جاءت الآيات لتتحدث عن فرضيته واحكامه فلا تُعدّ الروايات سبباً لتنزيل حكم الوضوء والصلاة . أما التيمم فسورة النساء نزلت قبل سورة المائدة بعدة سنوات وفيها عن التيمم وتشريعه . ورواية عائشة رضي الله عنها التي ذكرها البخاري (٣) في سورة المائدة آية ٦ لم تتحدث عن كيفية التيمم وان الذي تحدث هو الآية نفسها فتحدثت عن كيفية الوضوء مع أنه نزلت كيفيته بالسُنَّة منذ بداية الوحي ، وكذلك كيفية التيمم مع أن تشريعه سبق وان نزل في سورة النساء ، فلا يقال أن قصة ضياع القلادة وفقدان الماء كان سبباً في نزول آية المائدة كذلك . فهذه مشيئة الله تعالى وهي ان يثبت هذه الاحكام بالقرآن إلى جانب السُنَّة مع أنها كلها بوحي منه تعالى .

---

(١) لباب النقول للسيوطي ص٦٤ .

(٢) لباب النقول في أسباب النزول ص٦٤ .

(٣) الحديث رقم ٣٣٤ من كتاب التيمم ص٤٣١ م١ من فتح الباري لابن حجر واطراف الحديث في ٣٣٦ ، ٣٦٧٢ ، ٣٦٧٣ ، ٤٥٨٣ ، ٤٦٠٧ ، ٤٦٠٨ ، ٥١٦٤ ، ٥٢٥٠ ، ٥٨٨٢ ، ٦٨٤٤ ، ٦٨٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعليه فتكون هذه الروايات هي واقعات حال تنطبق عليها أجزاء الآية وليست سبباً في نزولها [1] . والذي يقوي هذا الرأي ان رواية لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى تدل على أنها في الحضر وتشكل جزءاً من الآية ، ورواية التيمم تدل على أنها في السفر وتشكل جزءاً من الآية ، وروايات المرضى احدها في الحضر والأخرى في السفر . والمدقق في أسانيد هذه الروايات يجدها انها كلها مرسلة إلاّ رواية علي.والناظر فيها يجد انها تفسيرية كبقية الروايات والله اعلم .

الصورة الخامسة :

توالي ذكر أسباب التنزيل في آيات متوالية لا سيما في السور الطوال وكأن الآية لا تنزل إلاّ على سبب فمثلاً في سورة البقرة ذكر سبب نزول للآيات :

١٩٥ [**وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**] .
١٩٦ [**وأتموا الحجّ والعمرة لله**] .
١٩٧ [**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**] جزء من الآية .
١٩٨ [**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام**] .
١٩٩ [**ثم افيضوا من حيث أفاض الناس**] .
٢٠٠ [**فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او أشدّ ذكرا..**]
٢٠١ [**ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة ..**] .
٢٠٢ [**اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب**] .[2]

وهكذا فقد يقع في روع الإنسان ان القرآن كان ينزل آية آية حسب الحوادث . والمدقق في الآيات التي أشرنا إليها يجد أن الايات من ١٩٦ - ٢٠٣ كلها في موضوع واحد وهو الحج والعمرة وأحكامهما . والروايات التي سيقت بهذا الصدد هي تفسير لا سبب تنزيل . واحكام الحج والأسئلة التي طرحت للاستفسار عن أحكامه كانت والرسول -صلى الله عليه وسلم- معهم في السنة العاشرة . وهذه الأحكام في آيات سورة البقرة كانت منارة للمسلمين عندما أدوا فرض الحج بقيادة أبي بكر الصديق في السنة التاسعة للهجرة ، حيث نزلت هذه الآيات قبل أداء فرض الحج ، ومن المعلوم ان العمرة شرعت قبل الحج وعرف بعض أحكامها في السنة السادسة للهجرة وأكملت بقية الاحكام في السنة السابعة حيث صحب الرسول -صلى الله عليه وسلم- المسلمين إلى مكة حسب اتفاقية صلح الحديبيّة .

---

(١) ومن هذه الصورة ما ذكر في آية البقرة ١٨٧ فذكر سبب لمطلع الآية [**أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم**] ولوسطها سبب آخر [**من الفجر**] ولقبيل آخر الآية سبب آخر [**ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد**] . انظر لباب النقول للسيوطي ص٢٥ ، ص٢٦ ، وانظر أسباب النزول للواحدي ص٤٥ ، ٤٦ . وانظر ما قيل في الآيات ٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٨ من سورة البقرة كذلك .

(٢) انظر لباب النقول للسيوطي من ص٢٩ - ص٣١ . وانظر اسباب نزول القرآن للواحدي من ص٥٠ ، ص٥٧ وانظر ما قيل في أسباب نزول الآيات ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ من سورة البقرة كذلك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولتأكيد صحة ما ذهبت إليه في هذا التعليق الإجمالي أسوق بعض الروايات التي ذكرت في هذ الصدد . قال السيوطي : أخرج ابن أبي حاتم عن صفوان بن أميّة قال : جاء رجل الى النبي -صلى الله عليه وسلم- متضمخاً بالزعفران عليه جبة ، فقال : كيف تأمرني يا رسول الله في عمرتي ؟ فأنزل الله [**وأتموا الحج والعمرة لله**] فقال اين السائل عن العمرة ؟ قال : ها أنذا . فقال له (ألق عنك ثيابك ثم أغتسل واستنشق ما استطعت ، ثم ما كنت صانعاً في حجك فاصنعه في عمرتك) [1] . فالرواية تدلك على أنّ الحَجَّ كان قد عُرِفَتْ أحكامُهُ قبل العُمرة ، وأنّ الرجل خبير بأحكام الحج فدلّه الرسول -صلى الله علَيه وسلم- أن يفعل بالعمرة كما يفعل بالحج وهذا مغاير للواقع فالعمرة واحكامها كانت معلومة في السنة السادسة والسابعة وكان الحج في السنة التاسعة والعاشرة مما يدلك على أن هذه الرواية هي تفسير لا سبب تنزيل .

وفي الآية ١٩٧ [**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**] قال السيوطي : روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال ما كان أهل اليمن يحجون ، ولا يتزودون ، ويقولون نحن متوكلون ، فأنزل الله الآية [2] .

فالآيات نزلت قبل تنفيذ الحج حيث كانت السنة التاسعة للهجرة هي اولى سنوات الحج في الإسلام مما يؤكد أن هذه الرواية سيقت من باب التفسير وليست سبباً في تنزيل هذا الجزء من الآية . ومطلع الآية يشير إلى تحديد وقت الحج [3] وبيان فروض لا بد من مراعاتها في الحج وهي ترك الرفث والفسوق والجدال وفيها من الحث على فعل الخيرات وفي مقدمتها تقوى الله تعالى . وهكذا نقول في بقية الروايات فهي تفسير لا سبب تنزيل .

الصورة السادسة :

تعدد النازل والسبب واحد . وهي كبقية الصور التي سبقتها تحتاج إلى تحرير وتحقيق . ومن الأمثلة على هذه الصورة ما ذكره السيوطي في اللباب [4] قال في سورة النساء في قوله تعالى [**الرجال قوامون على النساء** ..] [5] : أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال : جاءت امرأة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- تستعدي على زوجها أنه لطمها ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : القصاص ، فأنزل الله [**الرجال قوامون على النساء** ..] - الآية ، فرجعت بغير قصاص.

---

(١) لباب النقول ص٢٩ .

(٢) لباب النقول ص٣٠ ، اسباب النزول ص٥٥ .

(٣) الآية هي [**الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزادوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب**] .

(٤) لباب النقول للسيوطي ص٦٢ .

(٥) سورة النساء آية ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخرج ابن جرير من طرق عن الحسن ، وفي بعضها أن رجلاً من الأنصار لطم امرأته فجاءت تلتمس القصاص فجعل النبي -صلى الله عليه وسلم- ، بينهما القصاص ، فنزلت [**ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه**] [1] ونزلت : [**الرجال قوامون على النساء** ..] وأخرج نحوه عن ابن جريج والسدّي . وأخرج ابن مردويه عن عليّ قال : أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- رجل من الأنصار بامرأة له ، فقالت يا رسول الله : انه ضربني فأثرّ في وجهي ، فقال رسول الله : ليس له ذلك ، فأنزل الله [**الرجال قوامون على النساء** ..] الآية فهذه شواهد يقوى بعضها بعضاً " [2] .

والسيوطي رحمه الله أدرك ضعف هذه الروايات فقال : فهذه شواهد يقوّي بعضها بعضاً " . فكيف يقال ان آية سورة طه وهي مكية قد نزلت بالسبب نفسه لآية مدنية في سورة النساء ؟! ثم كيف يخطيء الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الحكم ولا يصدر عنه شيئٌ إلاّ من الوحي [**وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى**] [3] .

فيقول القصاص والآية تنفي حكمه في الحال فهذا غير معهود عنه -صلى الله عليه وسلم- ولا يجوز في حقه الاجتهاد ولأننا نكون مأمورين باتباع الخطأ ، وفي رواية ابن مردويه أنه أثر في وجهها ، والضرب على الوجه منهي عنه في الاسلام ، هذا وقد ساق السيوطي نفسه لآية سورة طه سبباً غير هذا فقال : " أخرج ابن أبي حاتم عن السدّي قال : كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا نزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى شق على نفسه ، فيخاف أن يصعد جبريل ولم يحفظه ، فأنزل الله [**ولا تعجل بالقرآن** ...] الآية .

ثمّ قال : وتقدم في سورة النساء سبب آخر وهذا أصح " [4] فيكون تعدد النازل في هذه الروايات غير وارد ما دام ناقل الروايات نفسه يرى انها ضعيفة في موطن ويقول عن سبب آخر في الآية المكية أنه أصح . وبذلك تكون هذه الصورة غير متحققة بعد تحقيق الروايات والنظر فيها .

ومثال أخر على هذه الصورة ما رواه السيوطي كذلك في سورة الكوثر وهي مكيّة وفي الايات ٥١ ، ٥٢ من سورة النساء وهي مدنية قال : (أخرج احمد وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : لما قدم كعب بن الأشرف مكة . قالت قريش : ألا ترى هذا المنصبر[5] المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ، ونحن أهل الحجيج ، وأهل السدانة ، وأهل السقاية . قال أنتم خير . فنزلت فيهم [**إن شانئك هو الأبتر**] ونزلت [**ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا** ٥١] والآية التي تليها .

---

(١) الآية ١١٤ من سورة طه وهي مكيّة .

(٢) لباب النقول للسيوطي ص٦٢ .

(٣) أية ٣ سورة النجم .

(٤) ص١٤٨- لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي .

(٥) المنصبر : الرجل الفرد الضعيف الذليل بلا أهل وعقب وناصر انظر القاموس المحيط للفيروزأبادي في مادة الصنبور .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالنظر في هذه الرواية تجد أنها لا تتحقق فيها الصورة التي نحن بصددها فالرواية تندرج تحت آية النساء ولا تنطبق على سورة الكوثر . وإذا نظرنا إلي ما نقله السيوطي في موطن سورة الكوثر من روايات أسباب النزول ندرك عدم صحة هذه الصورة . فقد روى هذه الرواية عن البزار وقال عنه بسند صحيح ثم ذكر سبباً آخر أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر عن عكرمة : قال : لما أوحي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- قالت قريش بتر محمد منا فنزلت ان شانئك هو الأبتر [1] .

وذكر رواية أخرى فقال : أخرج ابن أبي حاتم عن السدّي قال : كانت قريش تقول إذا مات ذكور الرجل بتر فلان ، فلما مات ولد النبي -صلى الله عليه وسلم- قال العاص بن وائل بتر محمد ، فنزلت .

وأخرج البيهقي في الدلائل مثله عن محمد بن علي ، وسمي المولود القاسم ، وأخرج عن مجاهد قال : نزلت في العاص بن وائل وذلك أنه قال أنا شانيء محمداً وقال : وأخرج الطبراني بسند ضعيف عن أبي أيوب قال : لما مات ابراهيم ابن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مشى المشركون بعضهم إلى بعض ، فقالوا : إن هذا الصابيء قد بتر الليلة ، فأنزل الله [إنا **أعطيناك الكوثر**] إلى آخر السورة .

وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير في قوله [**فصل لربك وانحر**] قال : نزلت يوم الحديبيّة أتاه جبريل ، فقال : انحر واركع ، فقام فخطب خطبة الفطر والنحر ، ثم ركع ركعتين ، ثم انصرف إلى البدن فنحرها . قلت فيه غرابة شديدة [2] فالسيوطي ذكر سبع روايات في أسباب نزول آية الكوثر ، منها قول قريش لكعب ابن الأشرف عندما قدم مكة ، ومنها ابتداء عند نزول الوحي على محمد -صلى الله عليه وسلم- دون غيره من العرب ، ومنها عند موت ابنه ابراهيم وأخرى عند موت القاسم وغيرها في العاص بن وائل حيث قال انا شانيء محمدا وأخيره يوم الحديبيّة . فهذا التاريخ الطويل في عمر نزول الوحي منذ نزل حتى السنة السادسة للهجرة كيف يقبل أن تؤخذ هذه الروايات كسبب نزول لهذه السورة المكيّة التي نزلت في أوائل العهد المكي[3] . وإذا كان هذا العدد الكبير من الروايات في سبب تنزيل السورة فكيف تزاحم آية النساء في سبب نزولها حتى يقال بتعدد النازل والسبب واحد ؟! وإذا نظرنا إلى موضوع الآيات وموضوع السورة نجد بينهما بُعْداً فلا يرد أن يكون سببهما واحد . وبذلك يضيق أمر روايات أسباب التنزيل وتخرج منه هذه الصورة التي ذكرها المكثرون من أسباب التنزيل [4] .

---

(١) ص٢٤٣ لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي .

(٢) انظر لباب النقول للسيوطي ص٢٤٣

(٣) انظر ترتيب نزول السورة في فضائل القرآن لابن الضريس ص٣٣ تحقيق غزوة بدير . دار الفكر دمشق ط١ سنة ١٩٨٧م .

(٤) وانظر ما ورد في لباب النقول للسيوطي ص٧٥ حيث جعل رواية واحدة سبباً في نزول الآية ٩٧ من سورة النساء والآية ١٠ من سورة العنكبوت والآية ١١٠ من سورة النحل . وانظر لباب النقول ص١٨٦ حيث ذكر سبب نزول واحد لثلاثة آيات هي ٣٥ فاطر ، ١٦٨ الصافات ، ١٥٧ الأنعام .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصورة السابعة والأخيرة

هي تركيب آية كسبب نزول لآية تليها أو على آيات في سور أخرى وربما اخترعوا أسئلة والقرآن يتنزل فتنزل بقية الآية أو الايات التي تليها وهذه الصورة معتمة غير مقبولة جملة وتفصيلاً فهي إمّا أن ترد ولا تقبل وإما أن تعد تفسيراً . وإليك أمثلة توضح هذه الصورة بجوانبها المختلفة .

أ- ما رواه السيوطي في سبب نزول آية ٦٧ من سورة الزمر [**وما قدروا الله حق قدره**] قال : أخرج ابن المنذر عن الربيع بن أنس قال : لما نزلت [**وسع كرسيه السموات والأرض**] قالوا يا رسول الله : هذا الكرسي هكذا فكيف العرش ؟ فأنزل الله [**وما قدروا الله حق قدره**] الآية [1] فسورة الزمر مكيّة . وآية الكرسي مدنية والمدني ما كان بعد هجرة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- فكيف تنزل آية مكيّة بعد نزول الآية المدنية ؟؟ فتركيب آية كسبب نزول على آية من الأمور التي لا تثبت ويحتاج إنزالها والقول بها إلى دليل .

ب- تركيب قصة كسبب نزول لآيات متعددة في سور من القرآن الكريم بحيث ترتب على نزول آية آية أخرى . مثال : ما نقله السيوطي من سبب نزول قوله تعالى [**قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم**] [2] قال : أخرج الطبراني بسند فيه ضعف عن ابن عباس قال : بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه كيف تدعوني ؟ وأنت تزعم أن من قتل أو زنى أو أشرك يلقَ أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ، وأنا صنعت ذلك فهل تجد لي من رخصة ؟ فأنزل الله [**إلاّ من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً**] [3] الآية . فقال وحشي هذا شرط شديد إلاّ من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فلعلي لا أقدر على هذا ، فأنزل الله [**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**] [4] فقال وحشي : هذا أرى بعده مشيئة فلا أدري أيغفر لي أم لا ، فهل غير هذا ؟ فأنزل الله [**يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله**] الآية .

قال وحشي : هذا نعم فأسلم [5] فظاهر ان هذه الرواية مصنوعة صناعة لا تخفى على من عنده دراية بأسباب التنزيل . فكأن آية الفرقان نزلت أولاً لتقنع قاتل حمزة بالإسلام . فلما امتنع نزلت آية النساء ، ولما اعترض على المشيئة فيها نزلت الآية الثالثة من سورة الزمر وهي مكيّة فجعل الآيات المكيّة تنزل بعد العهد المدني وهذا غير مقبول البتة .

ونذكر هنا أن الآية مكية والسورة كلها مكيّة ، وكأن قاتل حمزة وهو كافر كان يحفظ القرآن الكريم الذي نزل بمكة واستشهد به مقتبساً ألفاظ الآيتين ٦٨ ، ٦٩ . ومعلوم أن قاتل حمزة لم يسلم إلاّ في المدينة .

---

(١) انظر لباب النقول ص١٩١ . وانظر لباب النقول ص٢٠٦ لترى مثالاً آخر عن سورة الذرايات كيف جعل آية ٥٤ سبباً لنزول الآية ٥٥ من السورة نفسها .

(٢) سورة الزمر آية ٥٣ وهي مكيّة .

(٣) آية ٧٠ سورة الفرقان .

(٤) آية ٤٨ سورة النساء .

(٥) آية ٥٣ سورة الزمر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثال آخر ما أورده السيوطي في سبب تنزيل قوله تعالى [**أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم**] [1] قال : أخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس قال : لما بعث الله محمداً رسولاً أنكرت العرب ذلك أو من أنكر ذلك منهم ، فقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً ، فأنزل الله [**أكان للناس عجباً** ..] الآية . وأنزل [**وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً** ..] [2] الآية فلما كرر الله عليهم الحجج قالوا : وإذا كان بشراً فغير محمد كان أحق بالرسالة [**لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**] [3] يقولون أشرف من محمد يعنون الوليد بن المغيرة من مكة ، ومسعود بن عمرو الثقفي من الطائف ، فأنزل رداً عليهم [**أهم يقسمون رحمة ربك**] [4] الآية .

فمن هذه الأمثلة تدرك أن القول بتعدد روايات أسباب التنزيل بصوره السبعة أمر لا يستقيم . وبعد النظر في الروايات اما أن تقصى جميعها وإما أن تثبت رواية واحدة ويقصى بقية الروايات كسبب نزول ، ورب قائل أن آيات اللعان نزلت في روايتين صحيحتين في عويمر العجلاني وفي هلال بن امية . والصواب في المسألة ان آيات اللعان [5] نزلت في هلال بن أمية حيث قذف زوجته عند النبي -صلى الله عليه وسلم- بشُرَيْك بن سَحْماء [6] ، وأما قصة عويمر العجلاني فقد كانت بعيد نزول الآيات في هلال بن أمية . وتكون قصة عويمر مما تنطبق عليها الآية . والدليل على ذلك أن رواية عويمر تقول فجاء عويمر فقال : يا رسول الله ، رجلٌ وجد مع امرأته رجلاً ، أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع ؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك فأمرهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالملاعنة) [7] . وأما في قصة هلال فقال هلال : (والذي بعثك بالحق إني لصادق ، فلينزلن الله ما يُبْرِئ ظهري من الحد . فنزل جبريل وأنزل عليه الآية) [8] . فرواية هلال أكثر دلالة على أنها سبب تنزيل . ورواية عويمر قد أنزل الله القرآن فيك وفي أمثالك كهلال بن أمية . ويكون الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد أبلغه الحكم الذي سبق نزوله في هلال بن أمية . ويؤيد هذا أن في حديث أنس عند أبي يعلى قال : " أول لعان كان في الإسلام أن شريك بن سحماء قذفه هلال بن أمية بامرأته " [9] .

---

(١) آية ٢ سورة يونس .
(٢) آية ١٠٩ سورة يوسف .
(٣) آية ٣١ سورة الزخرف .
(٤) آية ٣٢ سورة الزخرف .
(٥) الآيات ٦- ١٠ من سورة النور .
(٦) انظر فتح الباري كتاب التفسير ج٨ باب ٣ الحديث ٤٧٤٧ .
(٧) انظر فتح الباري الحديث ٤٧٤٥ من كتاب التفسير .
(٨) الحديث ٤٧٤٧ .
(٩) انظر فتح الباري ص٤٥ م٨ كتاب التفسير شرح الحديث ٤٧٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك أمر آخر يدل على ان قصة عويمر تالية لقصة هلال في ان حديث سهل في البخاري [1] ورد فيه صفات شريك بن سحماء كما وردت في حديث هلال بن أمية وقد ذكر اسمه صريحاً وذكرت صفات المولود المنتظر[2]. ولم يرد أن شريك بن سحماء كان رجلاً مشتركاً في القضيتين وعليه فيندفع القول بتعدد القصص والنازل واحد . وإن كان يمكن عقلاً لكن الواقع بخلاف ذلك بعد التحقيق . والذين قالوا بالجمع بين القضيتين كان للتخلص من الإرباك الذي واجهوه في صحة الرواية ويزول هذا الإرباك بتصحيح الروايتين وجعل قصة هلال هي سبب التنزيل وقصة عويمر مما يندرج الحكم عليه وتنطبق عليه الآية . وهكذا نرى أن القول بتعدد القصص أو روايات أسباب التنزيل غير متحقق في الواقع . والذين قالوا به لم يتحققوا من صحة الروايات أو أنه استوى عندهم التفسير وأسباب التنزيل .

الإشكال الرابع

أسباب نزول الآيات المصدرة بـ (يسألونك) ، (يستفتونك) ، (يقولون)

أ- يسألونك

يغلب على الروايات التي سيقت كأسباب تنزيل للآيات المصدرة بهذه الصيغ الثلاث الضعف وعدم الصحة ومع ذلك فلا يجوز أن ننفي أن يكون السؤال أو الاستفتاء أو القول قد وقع بالفعل لأن المخبر وهو الله تعالى مقطوع في صدقه ، ولا يتطرق الشك أبداً إلى صحة وقوعه . وقد يكون السؤال مبهماً ولكن الآية تصحح ما ينبغي أن يسأل عنه وفي هذه الحالة يمكن فهم قصة سبب التنزيل من الآية نفسها . وإن كنّا لا نستطيع أن نحدد مَنْ السائل ولكننا نجزم بوقوع السؤال لأن المخبر هو الله تعالى . وفي هذا الإشكال يغلب انتزاع قصة سبب التنزيل من النص نفسه فهو المرجح لرواية دون غيرها ، فالرواية التي تحمل موضوع الآية وسندها صحيح تعتمد كسبب تنزيل وإلاّ فترجح الرواية التي ذكرها التابعون أو المفسرون ويقال عنها إنها رواية بالمعنى ، ومن هنا ذكرنا أسباب تنزيل هذا النوع من الآيات في باب الإشكالات حيث نعتمد الرواية مع علمنا بضعف السند وذلك لأن المرجح لمعنى الرواية هو المخبر الصادق المقطوع بصدقه . وربما لا يكون تحديداً في الزمان ولا في المكان ولا في الأشخاص ومع ذلك نجزم بوجود سبب تنزيل للآية ننتزعه من منطوق ومفهوم الآية . وهذا بخلاف روايات أسباب نزول الآيات الأخرى حيث لا يوجد فيها تصريح بالسؤال أو الاستفتاء أو القول . والأجوبة عن هذه الأسئلة والإستفتاءات والأقوال تشكل مع السؤال موضوع سبب التنزيل . وإليك نماذج من روايات هذا الشكل في أسباب التنزيل

أ- آيات مصدرة بالسؤال

١- قال تعالى [سأل سائل بعذاب واقع] الآية ١ من سورة المعارج

قال الواحدي : فنزلت في النضر بن الحارث حيث قال [**اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك**] الآية فدعا على نفسه وسأل العذاب ، فنزل به ما سأل يوم بدر فقتل ونزل فيه... الآية [3]. وذكر السيوطي في لباب النقول الرواية نفسها وقال أخرج

---

(١) الحديث ٤٧٤٥ فتح الباري .

(٢) الحديث ٤٧٤٧ فتح الباري .

(٣) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٧٤ . وانظر لباب النقول للسيوطي ص٢٢٥ . والقرطبي ص٢٧٨ ج١٨ وغيره من كتب التفسير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النَّسائي وابن أبي حاتم عن ابن عباس - وفي رواية عن السدي . فالرواية فيها إشكال واضح لأن الآية مكيّة ، والقول في الآية [**اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم**] في سورة الأنفال وهي مدنية نزلت بشأن غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة . فكيف ينسب السؤال في سورة المعارج إلى رجل قال قولاً بعد نزول الآية بسنوات كثيرة . فهذا مما يرفض أن يكون سبب تنزيل لعدم تحقق المزامنة . وتكون هذه الرواية من باب التفسير . ومثل هذه الرواية روايات أخر ذكرها القرطبي في تفسيره وهي : (قيل أن السائل هنا هو الحارث بن النعمان الفهري . وذلك أنه لما بلغه قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في علي رضي الله عنه : " من كنت مولاه فعليٌ مولاه " ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح ثم قال : يا محمد ، أمرتنا عن الله نشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله فقبلناه منك ، وأن نصلي خمساً فقبلناه منك ، ونزكي أموالنا فقبلناه منك ، وأن نصوم شهر رمضان في كل عام فقبلناه منك ، وأن نحج فقبلناه منك ، ثم لم ترضَ بهذا حتى فضّلت ابن عمك علينا! أفهذا شيء منك أم من الله ؟ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : والله الذي لا إله إلاّ هو ما هو إلاّ من الله " فولّى الحارث وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم . فوالله ما وصل إلى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت الآية [1] .

هذه الرواية مثل شقيقتها غير مقبولة ان تكون سبباً لتنزيل الآية ولكنها حالة يستشهد بها في التفسير لأن أحداثها تدل على أنها وقعت بالمدينة (الزكاة ، والصوم والحج) . وسورة المعارج مكيّة باتفاق كما قال القرطبي في السورة فضلاً عن أن الرواية لا تخفى أنها من وضع الشيعة أو وضعت لإرضائهم .

وهناك رواية أخرى تقول أن السائل هو أبو جهل وهو القائل لذلك قاله الربيع [2] . وقيل إنه قول جماعة من كفار قريش وقيل : هو نوح عليه السلام سأل العذاب على الكافرين . وقيل هو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أي دعا عليه السلام بالعقاب وطلب أن يوقعه الله بالكفار [3] . ومن هذه الاختلافات الكثيرة نجد ان الروايات لا يعقل أن تكون أسباب تنزيل لكثرتها وعدم تزامنها مع نزول الآية أو لعدم صحة سندها ، ومع هذا كله نقول ان السؤال قد وقع قطعاً لأن المخبر هو الله تعالى ولا مجال للشك في وقوع السؤال عن عذاب الله تعالى يصيب الكافرين يوم القيامة هل يقع أم لا فالله تعالى يجيبهم عن السؤال وعن موقف الكفار أنهم يرون وقوعه بعيدَ الحدوث ، ويراه جلّ وعلا قريب الوقوع . ووصف هذا العذاب كيف يكون . فهذا المعنى انتزعه من نص الآية ، فأي رواية تدور حول هذا المعنى يمكن الأخذ بها كسبب نزول للآية . وهذه تعد صورة لسبب نزول الآية ، ولا يجوز أن تدخل في أسباب التنزيل لأنها لم ترد إلينا عن الصحابة والتابعين . وأسباب التنزيل لا تعتمد إلاّ إذا كانت قد وصلتنا بالرواية والسماع . وخلاصة القول : إنه لم يثبت لدينا رواية تصلح أن تكون سبب تنزيل لهذه الآية ، ومع ذلك يجب ان يكون هناك سائلاً سأل ، عن عذاب الله في الآخرة ونجزم بذلك لأن المخبر مقطوع بصدقه .

---

(١) تفسير القرطبي ج١٨ ص٢٧٨ .

(٢) تفسير القرطبي ص٢٧٩ ج١٨، وانظر الرواية في صحيح البخاري ج٦٢/٦ وصحيح مسلم ١٢٩/٨ .

(٣) انظر هذه الأقوال كلها في تفسير القرطبي ج١٨ ص٢٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- قال تعالى [**يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً**] [١]

قال الواحدي (نزلت في اليهود ، قالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- : إن كنت نبياً فأتنا بكتاب جملة من السماء ، كما أتي به موسى فأنزل الله تعالى هذه الآية) [٢] .

وقال السيوطي (أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال : جاء ناس من اليهود إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا : إن موسى جاءنا بالألواح من عند الله ، فأتنا بالالواح حتى نصدقك ، فأنزل الله الآية إلى قوله **[بهتاناً عظيماً]**- فجثا رجل من اليهود ، فقال ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً ، فأنزل الله - **[وما قدروا الله حق قدره]** الآية [٣] .

فرواية الواحدي يؤخذ بها كسبب نزول وإن لم يوردها بسندها لأنها تحمل معنى الآية وسؤال أهل الكتاب قد وقع بالفعل ، أما رواية السيوطي فتؤخذ لغاية قوله فأنزل الله الآية . لأن هذا الحد من الرواية رواه ابن جرير فعلاً عن محمد بن كعب القرظي [٤] . أما باقي الرواية فالخلط فيها واضح وقد أضاف نزول آية أخرى مكية على هذا السبب وردت في سورة الأنعام وفي سورة الزمر وهذا التركيب في أسباب التنزيل مما يرد ولا يؤخذ به ، وعليه فيكون ما أورده الطبري عن محمد بن كعب القرظي مما يقبل في مجال أسباب التنزيل لأن الآية نفسها شهدت بهذا الواقع فتغني عن ذكر السند ، ويكون سبباً بالمعنى وليس بالرواية . والسؤال قد وقع قطعاً لقوله تعالى [**يسألك أهل الكتاب**] . والسائل هم أهل الكتاب والمسؤول عنه هو تنزيل كتاب من السماء وهذا كله بنص الآية فتغني عن صحة سند الرواية .

٣- قال تعالى : [**يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ...**] الآية [٥]

قال الواحدي : (قال معاذ بن جبل : يا رسول الله ، ان اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا عن الأهلة فانزل الله تعالى هذه الآية . وقال قتادة : ذكر لنا أنهم سألوا نبي الله -صلى الله عليه وسلم- : لم خلقت هذه الأهلة : فانزل الله الآية (وقال الكلبي : نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن عنمه وهما رجلان من الأنصار قالا : يا رسول الله ما بال الهلال يبدو فيطلع دقيقاً مثل الخيط ، ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير ، ثم لا يزال ينتقص ويدق حتى يكون كما كان لا يكون على حال واحدة ؟ فنزلت هذه الآية [٦] وذكر السيوطي عن ابن عباس نحو قول قتاده [٧] . وذكر رواية الكلبي عن سلسلة الكذب كما أوردها الواحدي . وقال

---

(١) آية ١٥٣ سورة النساء .

(٢) أسباب نزول القرآن للواحدي ص١٧٩ .

(٣) لباب النقول للسيوطي ص٨٢ .

(٤) أنظر تفسير الطبري ص٧ م٤ ج٦ .

(٥) سورة البقرة آية ١٨٩.

(٦) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٧ - ٤٨ .

(٧) لباب النقول للسيوطي ص٢٧ . وانظر تفسير الطبري ج٢ ص١٨٥ وتفسير القرطبي ج٢ ص٣٤١ . وأحكام القرآن لابن العربي ج١ ص٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشوكاني أخرج ابن عساكر بسند ضعيف عن ابن عباس وذكر الرواية نفسها [1] ونقل القرطبي ان سبب نزولها سؤال قوم من المسلمين النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الهلال .. قاله ابن عباس وقتادة والربيع وغيرهم [2] وفي رواية عن ابن عباس : سأل ناس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الأهلة [3] فالسائل : هم جماعة من المسلمين بغض النظر عن كونهم سائلين ابتداء ام ان اليهود اثاروا السؤال بقصد الشغب كعادتهم . والسؤال لم يظهر في الرواية ولا في الآية عن اي شيء سألوا ولكن الجواب هو الذي دلنا على موضع السؤال فالجواب [**قل هي مواقيت للناس والحج**] فيدل على ان السؤال كان على وجه الفائدة في تغير حال الاهلة في الزيادة والنقصان فصار القرآن والخبر متطابقين في ان السؤال كان عن هذا المعنى فتعتمد هذه الرواية سبباً لتنزيل الآية وتقصى الرواية التي سندها سلسلة الكذب وهي ما نقلها ابن عساكر بسند ضعيف أنها في معاذ بن جبل وثعلبة بن عنمه لضعف السند ولتحديد أسماء السائلين الذين ثبت ضعف سند روايتهم والله أعلم .

٤ [**يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون**] [4]

قال الواحدي بسنده عن محمد بن اسحاق عن الزهري قال : (بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عبد الله بن جحش ومعه نفر من المهاجرين فقتل عبد الله بن واقد الليثي عمرو بن الحضرمي في اخر يوم من رجب واسروا رجلين واستاقوا العير ، فوقف على ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال : لم آمركم بالقتال في الشهر الحرام . فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام فنزلت الآية) [5] واليك الرواية من سيرة ابن هشام :

(وبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي في رجب مقفله من بدر الأولى وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه ، فيمضي لما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحدا) وقال ابن هشام: (فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فيه فإذا فيه : إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال سمعاً وطاعة ، ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ان امضي الى نخلة ارصد

---

(١) فتح القدير للشوكاني ج١ ص١٨٩ .

(٢) تفسير القرطبي م٢ ص٣٤٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ج١ ص٢٢٥ .

(٤) سورة البقرة آية ٢١٧ .

(٥) أسباب نزول القرآن للواحدي ص٦١ . وانظر الروايات الأخرى من ص٦٠ - ٦٤ . وانظر سيرة ابن هشام ، سرية عبد الله بن جحش ص٦٠١ ج٢ م١ . وانظر لباب النقول للسيوطي ص٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بها قريشاً حتى اتيه منهم بخبر و قد نهاني ان أستكره أحداً منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع . فأما أنا فماض لأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فمضى ومضى معه أصحابه ، لم يتخلف عنه منهم أحد وقال (وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفُرُع يقال له : بحران ، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما ، كانا يتعقبانه فتخلفا عليه في طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة فمرت به عير لقريش تحمل زبيباً وأدُماً وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمي) وقال (فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه فلما رأوه أمنوا وقالوا عُمّار لا بأس عليكم منهم وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجَب فقال القوم والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهرالحرام . فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم ثم شجعوا انفسهم عليهم واجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم ، فرمى واقدُ بن عبد الله التميمي عمروَ بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله ، والحكمَ بن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير وبالأسيرين حتى قدموا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المدينة) وقال ابن اسحق: فلما قدموا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المدينة قال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام فوقف العيرَ والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا فلما قال ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم اخوانهم من المسلمين فيما صنعوا وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال . وقالت يهود : (تفاؤلاً بذلك على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-) عمروُ بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله . عمرو: عمرت الحرب ، والحضرمي: حضرت الحرب . وواقد بن عبد الله: وقدت الحرب . فجعل الله ذلك عليهم لألهم فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله الآية ...[1]

وهكذا جاء القرآن الكريم ليدافعَ عن المؤمنين (سرية عبد الله بن جحش) وما فعلوه حسب اجتهادهم ويضرب بالعرف الدولي * عَرض الحائط ، وهو القتال في الأشهر الحرم . ويبين ان سياسة الدولة الإسلامية في العلاقات الخارجية تقوم على أساس مصلحة الدولة في نشر الإسلام وفي بيان قوة بيضة الإسلام ، وعظمة كيانه . فهذه القصة تعد بحق سبب تنزيل الآية ويؤكد ذلك توقف الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن أخذ الأسيرين والغنائم فلما نزلت الآية أخذ الخمس ، وقسم الغنائم وفدى الأسيرين فكان نزول الآية صفعة لأعداء الله اليهود الذين تفاءلوا بتسعير الحرب في الأشهر الحرم . وصفعة لقريش التي اغتنمتها فرصة لتأليب القبائل ضد محمد -صلى الله عليه وسلم- وصحبه . وهكذا فقد توافقت الرواية ونص الآية في المعنى وفي التزامن وفي وجود سبب تنزيل لهذه الآية .

٥ [**يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين**][2]

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ص١٠٦ - ١٠٥ ج٢ القسم الأول ط٢ ١٩٥٥ تحقيق السقا والأبياري وشلبي .

* ان الاسلام يعترف بهذا العرف الدولي بدليل قوله تعالى [قل قتال فيه كبير] ولكن اذا تعارض العرف الدولي مع مصلحة حمل الدعوة الاسلامية فإن الإسلام يجيز خرق هذا العرف.

(٢) فاتحة سورة الأنفال .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال الواحدي عن عبادة بن الصامت بعد ان ذكر السند : (لما هُزم العدوُ يوم بدر واتبعتهم طائفة يقتلونهم ، وأحدقت طائفة برسول الله عليه السلام واستولت طائفة على العسكر والنهب ، فلما نفى الله العدوَ ورجع الذين طلبوهم ، قالوا لنا النَفْلُ نحن طلبنا العدو وبنا نفاهم (الله) وهزمهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- والله ما أنتم بأحق به منا ، نحن أحدقنا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، لا ينال العدو منه غِرَّةً ، فهو لنا . وقال الذين استولوا على العسكر والنهب : والله ما أنتم بأحق به مِنا نحن أخذناه واستولينا عليه فهو لنا فأنزل الله الآية فقسمه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالسوية [1]

فهذه الرواية مشهورة في صحتها فقد نقلها صاحب المستدرك وأحمد بن حنبل في مسنده والنسائي في السنن الكبرى والخازن والبغوي وغيرهم من المفسرين وعلماء السيرة [2] . ولا عجب في اختلاف الصحابة في تقسيم الغنائم فإنها أول غزوة يشترك فيها هذا العدد وهم يجهلون حكم تقسيمها وكانت العرب في الجاهلية يتفاخرون بكثرة الغنائم لأنها تدل على مدى بلاء الجندي في المعركة ، فالصحابة رضوان الله عليهم حريصون على أن ينالوا من الغنائم لمفاهيم الأعماق عندهم في الجاهلية ، وحب التملك من مظاهر غريزة حب البقاء ، ويتشوق إليه إذا كان من الأعداء ، لا سيما إذا كان العدو قد أمعن في إيذاء وإذلال الخصم المنتصر . والمسلمون في بدر طردهم عدوهم (كفار قريش) من أرضهم مكة ، فمن كمال شفاء ما في صدور المسلمين أن يأخذوا أموالهم ويملكوها انتقاماً لأموالهم التي استولى عليها اعداؤهم . وقد خيرت قريشُ بعضَ المسلمين بين أموالهم وبين الفرار بدينهم الى المدينة . فاختاروا الهجرة ، وتركوا جميع أموالهم . منهم عبد الرحمن بن عوف وصهيب الرومي . فالتنازع بين المسلمين على اقتسام الغنائم طبيعي جداً في اول معركة . وبعد :

فمن هذا كله ندرك ان السائل جماعة وليس فرداً أي ليست الصيغة [**يسألونك**] هنا من باب ما بال القوم يقولون كذا أو يفعلون كذا والقائل أو الفاعل فرد معين . وعليه فهذا سبب تنزيل الآية الأولى من سورة الأنفال ونص الآية يؤكد صحة الرواية . فالسائل هم جماعة الصحابة المشتركون في المعركة وصيغة الآية جاءت بالجمع (يسألونك) والمسؤول عنه هو حكم الأنفال كيف يتم توزيعها ومن هو أحق بها . وجاء الجواب يفصح عن ذلك بقوله تعالى [**قل الانفال لله والرسول**] وحدث التنازع بينهم عليها وجاء الجواب [**فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم ان كنتم مؤمنين**] فالحكم على الرواية هو نص الآية وتكون هذه القصة هي سبب تنزيل الآية ولا مجال للشك في ذلك .

وهكذا يقال عن جميع الآيات التي تم فيها البلاغ عن السؤال نحو [**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما**] [3] وقوله تعالى [**ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**] [4]

---

(١) اسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٢٨ . وانظر كتب التفسير المختلفة، وكتب السير وهناك تفصيلات أخرى .

(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري ج٢ ص١٣٥ - ١٣٦ . ومسند أحمد ج٥ ص٣٢٢- ٣٢٤ طبعة الحلبي. والسنن الكبرى ٦/ ٢٩٢ وكتب التفسير في موضع تفسير الآية الأولى من سورة الأنفال . وكتب السيرة في موضع غزوة بدر الكبرى .

(٣) سورة البقرة آية ٢١٩ . (٤) سورة البقرة آية ٢٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب يستفتونك

والاستفتاء والسؤال من نفس الفصيلة ، فهي كلها استفسار عن شئ . ونظراً لكون المخبر مقطوعاً بصدقه فلا بد أن يكون قد وردت هذه الآيات المصدرة بيستفتونك على سبب نزول معين وان كانت الروايات التي وصلتنا قد تكون بدون سند أو بسند ضعيف لأن الآية قطعية في دلالتها بانه ورد استفتاء . ومن أمثلة هذا النوع آيتان اثنتان وردتا في كتاب الله تعالى في سورة النساء ، الأولى هي : [**ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما**] (١)

قال الواحدي : وقد ذكر السند عن عائشه رضي الله عنها قالت : (ثم ان الناس استفتوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الآية قالت : والذي يتلى عليهم في الكتاب الآية الاولى ، التي قال فيها [**وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا** ..] قالت عائشة رضي الله عنها : وقال الله تعالى في الآية الاخرى [**وترغبون ان تنكحوهن**] رغبة أحدكم عن يتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال . فنهوا ان ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن) (٢)

فرواية عائشة رضي الله عنها واضح فيها أنها تفسير للآية ، وليست في وصف حدث معين ، ولكن النص صريح في الاستفتاء . فتقبل رواية عائشة على الرغم من انها تفسيرية ان تكون سبب تنزيل للآية . وتعد سبب تنزيل بالمعنى لان القصة اكتسبت صفة الشرعية في دخولها دائرة أسباب التنزيل من النص القراني نفسه الذي يفيد القطع في وجوب وجود سبب تنزيل للآية . لاسيما ان الرواية قد ثبتت في الصحيحين فيزداد الأمر قوة .

والثانية : قوله تعالى [**يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم**] (٣)

قال الواحدي وقد ذكر السند عن جابر قال (اشتكيت فدخل عليَّ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- وعندي سبع أخوات فنفخ في وجهي ، فأفقت ، فقلت: يارسول الله اوصي لاخواتي بالثلثين ، قال : احبس (٤) فقلت : الشطر . قال: احبس . ثم خرج فتركني قال ثم دخل عليَّ وقال لي: يا جابر ، اني لا أراك تموت في وجعك هذا ، ان الله قد أنزل فبيّن الذي لأخواتك (جعل لأخواتك) الثلثين. وكان

---

(١) سورة النساء آية ١٢٧ .

(٢) انظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص ١٧٦ ، وانظر صحيح مسلم شرح النووي ج١٨ كتاب التفسير ص١٥٦. وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر م٨ كتاب التفسير رقم ٤٦٠٠ ص٢٦٥ المطبعة السلفية . وانظر لباب النقول ص٨٠ للسيوطي . وانظر كتب التفسير المختلفة لتفسير آيات الكلالة من سورة النساء .

(٣) سورة النساء آية ١٧٦ وهي آخر آية في السورة .

(٤) هكذا وردت . وفي رواية النسائي (أحْسِن) ذكره صاحب فتح الباري من كتاب التفسير ج٨ ص٢٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جابر يقول نزلت هذه الآية فيّ [1] وقد شُهرَت هذه الآية بانها آية الصيف قال عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- إني والله لا أدع شيئا أهم اليّ من أمر الكلالة وقد سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (عنها) فما اغلظ لي في شيء ما اغلظ لي فيها حتى طعن باصبعه في جنبي أو في صدري ثم قال : (يا عمر الا تكفيك آية الصيف التي انزلت في آخر سورة النساء) [2]

فهذه الروايات من حيث السند قد وردت في الصحيحين وقد نزلت في جابر ابن عبد الله ونص الآية يقتضي ان يكون لها سبب تنزيل فتكون آية الصيف هذه قد ثبت لها سبب تنزيل من النص ومن الرواية .

جـ لفظ (يقولون)

ان الآيات التي ورد فيها مشتقات لفظ (القول) لا تدل قطعاً على وجوب وجود سبب للتنزيل ، فهي ليست كلفظ (يسأل) و(يستفتي) فاللفظان الاخيران يدلان قطعا على وجوب وجود سبب تنزيل للآية . وباستقراء جميع ألفاظ القول ومشتقاتها في القرآن الكريم تبين لي أن الآيات لا تختلف عن باقي الآيات في القرآن كله فقد يكون للآية سبب تنزيل وقد لا يكون . فلا بد من النظر في الروايات والتحقق من صلاحيتها لان تكون سبب تنزيل أولاً . فمثلا لفظ (يقول) يدل على الحاضر والمستقبل وقد يدل على الماضي إذا أُدخلت عليه (إذ) مثال ذلك قوله تعالى في سورة التوبة [**إلاّ تنصروه فقد نصره الله إذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم**] [3] ومن المعلوم ان الآية نزلت في السنة التاسعة في غزوة تبوك وفي هذه الآية ضرب الله مثلاً للمؤمنين وعرّض بالمنافقين بأن النصر من عند الله تعالى وحده كما حدث عندما تآمرت قريش على قتل الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهو في بيته في مكة ثم استمرت الملاحقة بعد ذلك ولم يكن إلا الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومعه ابو بكر -رضي الله عنه- فأنزل الله السكينة على رسوله -صلى الله عليه وسلم- وأنزل جنوداً لم يرها البشر وتمم الله أمره بجعل الرسول -صلى الله عليه وسلم- رئيساً لدولة مكّنها للمسلمين فصارت كلمة الله هي العليا في التطبيق في الحياة ، وفي مقارعة أفكار الكفر وأهلها مادياً حتى صارت هي العليا على جميع أنحاء الجزيرة العربية وذابت جميع الكيانات الكافرة آنذاك وانتهت من الوجود فلفظ (يقول) في الآية يدل على احداث وقعت في الماضي في العهد المكيّ وقرينته (إذ) هي التي خصصته بالماضي .

ومثال آخر : ومن الآيات التي ذكر فيها لفظ (يقولون) وقد ورد فيها سبب تنزيل صحيح تحققت فيه الأطر الخمسة قوله تعالى [**هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يعلمون يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون**] [4] .

---

(١) انظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص١٨٠ ، لباب النقول للسيوطي ص٨٢ . صحيح مسلم شرح النووي ج١٨ كتاب التفسير . وانظر فتح الباري كتاب التفسير باب ٤ الحديث ٤٥٧٧ . وانظر تفسير ابن كثير ج١ ص٥٩٢ . وتفسير القرطبي ص٢٨ ج٦ .

(٢) تفسير القرطبي م٦ ص٢٩ .

(٣) سورة التوبة آية ٤٠ .

(٤) الآيات ٧ – ٨ من سورة المنافقين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن زيد بن أرقم قال : كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبيّ يقول : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل فذكرت ذلك لعمي او لعمر فذكره للنبي -صلى الله عليه وسلم- فدعاني فحدثته فارسل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الى عبد الله بن أبيّ وأصحابه فحلفوا ما قالوا فكذبني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصدقه فاصابني هَمٌ لم يصبني مثله قط فجلست في البيت فقال لي عمي ما أردتَ إلاّ أن كذبك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومقتك فأنزل الله تعالى الآيات ..) فبعث الى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقرأ فقال إن الله قد صَدقَكَ يازيد [1] وفي رواية (قال فبينما أنا أسير مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سفر قد خفقت برأسي من الهم إذ أتاني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يفرك اذني وضحك في وجهي فما كان يسرني اني لي بها الخلد في الدنيا) رقم ٣٣٦٨م٥ من سنن الترمذي . وفي رواية (فلما نزلت ، اخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأُذن زيد فقال : يا زيد ان الله صدقك وأوفى بأُذنك) [2] والغزوة هي غزوة المريسيع وقعت في شعبان في السنة الخامسة للهجرة [3] وتسمى غزوة بني المصطلق [4] والروايات الأخرى عند الترمذي واحمد والنسائي وسيرة ابن هشام وغيرها اكثر تفصيلا . وقول زيد فذكرت ذلك لعمي : يعني سعد بن عباده [5]، وليس عمه حقيقة فهو سيد الخزرج . وعمه الحقيقي هو: ثابت بن قيس ، وله صحبة . وفي هذه الرواية ورد الشك لعمي ، أو لعمر ، وباقي الروايات في البخاري بغير شك ، وفي هذه الغزوة نزلت آية التيمم عندما ضاعت قلادة عائشة -رضي الله عنها- .

---

(١) فتح الباري كتاب التفسير م٨ الحديث ٤٩٠٠ وأطرافه في ٤٩٠١ ، ٤٩٠٢ ، ٤٩٠٣ ، ٤٩٠٤، وانظر سنن الترمذي م٥ الأحاديث ٣٣٦٧، ٣٣٦٨، ٣٣٦٩، ٣٣٧٠، وكلها مذيلة بقوله : هذا حديث حسن صحيح . طبعة دار الفكر بيروت تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان . وانظر الفتح الرباني م١٨ تاليف أحمد عبد الرحمن البنا ، ص٣٠٦ سورة المنافقين . الحديث ٤٦٩ . وانظر تفسير الطبري ج٢٨ م١٤ ص١١٣ وما بعدها، طبعة دار الفكر ، ومجمع البيان للطبرسي طبعة دار المعرفة ج٩ ص٤٤٢ ، وتفسير ابن كثير م٤ ص٣٧٠ . وتفسير القرطبي م١٨ ص١٢٠ وما بعدها وسيرة ابن هشام القسم الثالث ، الجزء الثاني ص٢٩٠ وما بعدها ط٢ تحقيق السقا ورفقاه ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م . مصطفى الحلبي . وانظر تفسير الشوكاني ص٢٣٢ م٥ طبعة دار المعرفة . وانظر تاريخ الطبري ج٢ ص٦٠٤ وما بعدها تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم طبعة ذخائر العرب ط٢ .

(٢) اسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٦١ .

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد م٢ ص٦٣ ، وانظر مختصر سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- لمحمد بن عبد الوهاب وولده عبد الله ص٢٦٦ طبقة مكتبة الرياض الحديثة - الرياض . وانظر هامش سيرة ابن هشام في تحقيق ما قاله ابن اسحق من أنها نزلت في السنة السادسة ص٢٨٩ تحقيق السقا وزميليه ط٢ ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م . وانظر هامش دلائل النبوة في تثبيت ما قاله البيهقي من أنها وقعت في شعبان من السنة الخامسة للهجرة . تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي .

(٤) سميت بالمريسيع نسبة إلى المكان الذي وقعت فيه الغزوة وهو عين ماء ، وغزوة بني المصطلق نسبة للقوم وهم من خزاعة .

(٥) انظر فتح الباري ص٦٤٥ شرح الحديث ٤٩٠٠ كتاب التفسير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي هذه الغزوة وقع حادث الإفك ، ونزلت سورة النور لتبرئ أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- . واستمر غياب الرسول -صلى الله عليه وسلم- في هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوماً . فهذه الرواية تُوافق التنزيلَ مع وقوع احداثها . وسندُها صحيح بالإضافة إلى ان مفهوم ومنطوق النص يتناسب تماماً مع الرواية ويتناسق مع السياق في الآيات . ولا يتعارض مع اي نص مثله ، أو أقوى منه فتعتمد الرواية وتسجل في باب أسباب التنزيل .

مثال ثالث

لقد استعرضت ما قاله المفسرون ، والقائلون بأسباب التنزيل [1] في قوله تعالى [**وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما اننا لمبعوثون**] [2] فلم أجد من ذكر سبباً لتنزيلها مع ان القول من الكفار قد وقع قطعاً لان المخبر مقطوع بصدقه فتكون الآية مما نزل ابتداء لمعالجة ما عليه المجتمع من كفر بالوانه المختلفة فلفظ يقولون : هنا في الآية لم يرد فيه سبب تنزيل مما يؤيد ما ذهبنا إليه [3] . (ورب قائل : لماذا جَوَّزتَ استنباط سبب تنزيل للآيات التي فيها يسأل ويستفتي وهنا تقول نزلت ابتداءً في لفظ القول مع ان جميع الألفاظ صادرة عن الله تعالى ؟ والجواب عن ذلك ان سبب التنزيل هو ما اقتضى نزول قرآن او ما نزل بشأنه قرآن . وحكاية القول وردت عن الانبياء السابقين وما جرى مع اقوامهم للعبرة والعظة فلا يقتضي لفظ القول أن يكون نزل القرآن بسببه بخلاف لفظ يسأل ويستفتي) والله أعلم .

---

(١) انظر اسباب نزول القرآن للواحدي ، ولباب النقول للسيوطي ، وتفسير الطبري ، والقرطبي وابن كثير ، والتفسير الكبير للفخر الرازي ، وروح المعاني للألوسي ، ومعالم التنزيل للبغوي ، وتفسير الخازن ، والدر المنثور للسيوطي وغيرها في تفسير سورة الواقعة الآية ٤٧ وقد ورد نفس المعنى في سورة الإسراء الآيات ٤٩ ، ٩٨ [**وقالوا ائذا كنا عظاماً ورفاتاً اننا لمبعوثون خلقاً جديدا**] . وفي سورة المؤمنون آية ٨٢ [**قالوا ائذا متنا وكنا تراباً وعظاماً اننا لمبعوثون**] ولم يذكر الواحدي لها سبب تنزيل .

(٢) سورة الواقعة آية ٤٧ .

(٣) وانظر ما نزل في آيات التحدي بالاتيان بمثل هذا القرآن أو بشيء منه وفيها لفظ يقولون سورة يونس آية ٣٨ [**ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعو امن استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين**] ، وسورة هود آية ١٣ [**ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين**] . وكذلك آية ٣٥ من نفس السورة [**أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعليّ إجرامي وانا بريء مما تجرمون**] وكلها مكيّة ، ولم يورد الواحدي ولا السيوطي ولا الطبري ولا القرطبي ولا ابن كثير ، وكذلك لم يذكر الفخر الرازي ولا الألوسي ولا البغوي أو الخازن شيئاً عن أسباب نزول هذه الآيات مما يدل على أن الآيات نزلت ابتداءً تتحدى أفكار الكفر ومن يعتنقها بأن هذا القرآن من لدن خالق مدبر للكون وأن الذي بلّغهم إياها رسول من الله تعالى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اما صيغة (سيقول) بالإفراد والجمع فهي تدل على المستقبل فهي تكشف معالم المستقبل حتى لو كان في نفوس الناس ومثاله قوله تعالى [**سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا ، بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا**] [١] وانظر قوله تعالى [**سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا**] [٢] . فالآيات بل السورة كلها نزلت في السنة السادسة للهجرة في منصرف الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومن كان معه بعد ان وَقّعوا معاهدة الحديبية ، فهي من قبيل العلم بالغيب في الامور القادمة فهذه الصيغة [٣] لا علاقة لها باسباب التنزيل في شيء وهي نظير قوله تعالى [**الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين**] [٤] وقوله [**وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون**] [٥]

واما صيغة الماضي (قال) فلا تدل كذلك على وجوب وجود سبب للتنزيل فمثلا قوله تعالى [**واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقران غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم**] [٦] فلم يذكر السيوطي لها سبب تنزيل وذكر الواحدي فقال قال مجاهد نزلت في مشركي مكة وقال مقاتل وهم خمسة نفر : عبد الله بن ابي امية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله ابن ابي قيس العامري والعاص بن عامر قالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- ائت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى . وقال الكلبي نزلت في المستهزئين قالوا يا محمد : ائت بقران غير هذا فيه نسألك) [٧] . فلم تسند الرواية ومثل هذه النقول لا تدل على سبب التنزيل في شيئ لا سيما اذا وردت على لسان الكلبي ومقاتل . هذا ولم تفصح الروايات عما هو مقصود من التبديل في الآية . وقال الطبري والتبديل الذي سألوه فيما ذكر : ان يحول اية الوعيد آية وعد ، وآية الوعد وعيداً ، والحرام حلالاً والحلال حراماً فأمر الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- ان يخبرهم ان ذلك ليس اليه . وان ذلك الى من لا يرد حكمه ولا

---

(١) سورة الفتح الآيات ١١، ١٢ .

(٢) سورة الفتح آية ١٥ .

(٣) ومثلها قوله تعالى [**سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها**] سورة البقرة آية ١٤٢ .

(٤) فاتحة سورة الروم . (٥) سورة النور آية ٥٥ .

(٦) سورة يونس آية ١٥ .

(٧) اسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٦٧ ، وانظر البغوي ج٢ ص٣٤٧، تفسير الخازن ج٢ ص٣٠٥ وهي نفس رواية الواحدي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعقب قضاؤه وانما هو رسول مبلغ ومأمور متبع) [1] ولا يخفى ان هذا تفسير من الطبري ولم يذكر فيها روايات ابدا ومن الجدير بالذكر ان لفظ (قال) يكون قد وقع القول فيه قطعا لان المخبر مقطوع بصدقه ولكن لا يعنى ان له سبب تنزيل وقد يكون لفظ قال يدل على ما سيقع في المستقبل والتعبير بالماضي لقطعية صدق المخبر وبان القول سيقع قطعا ومنه قوله تعالى [**ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى اذا الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيدهم اخرجوا انفسكم ٠ اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون**] [2] فالآية نزلت كلها بمكة في السنة الخامسة فالآية تتحدث عن ثلاثة ألوان من الكفر وهي : افتراء الكذب على الله والزعم بالنبوة ، والاشراك بالالوهية بفعل الايحاء وتنزيل قران اخر . وهذه اشد الوان الكفر ووصفت الاية حالهم عند الموت فحدثت احداث بعد ذلك في المدنية، فارتد عبد الله بن ابي السرح وزعم مسيلمةُ والاسودُ العَنْسي وسُجاحُ النبوةَ وحاولوا تأليف مثل القرآن فجاءوا بأسقط كلام عرفه العرب ، ثم جاء المفسرون [3] يقولون ان هذه الآيات نزلت في عبد الله ابن ابي السرح وفي مسيلمة الكذاب وواقع الحال ان هذه الآيات تنطبق عليهم او هم ممن يندرجون تحتها فهي ليست سبباً لتنزلها ولذلك جزأ الواحدي نزول الآية وجعل كل جزء نزل في شخصية غير الاخرى فذكر مسيلمة انه قال أوحي الي ولم يوح اليه ، وذكر عبد الله بن ابي السرح انه قال سأنزل مثل ما انزل الله .وأما امام المفسرين الطبري فقوله يشفي الغليل وترتاح اليه النفس ويطمئن اليه القلب (واولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب ان يقال : ان الله قال تعالى (الآية) ولا تمانع بين علماء الأمة ان ابن أبي السرح كان ممن قال اني قلت مثل ما قال محمد وانه ارتد عن إسلامه ولحق بالمشركين فكان لا شك بذلك من قيله مفتريا كذبا وكذلك لا خلاف بين الجميع ان مسيلمة والعنسي الكذابين ادعيا على الله كذباً انه بعثهما نبيين وقال كل واحد منهما ان الله اوحى اليه وهو كاذب في قيله . فان كان ذلك كذلك فقد دخل في هذه الآية كل من كان مختلفاً على الله كذباً وقائلاً في ذلك الزمان وفي غيره اوحى الله إليه وهو في قيله كاذب لم يوحِ الله اليه شيئا . فأما التنزيل فإنه جائز ان يكون نزل بسبب بعضهم وجائز ان يكون نزل بسبب جميعهم وجائز ان يكون عنى به جميع المشركين من العرب إذ كان قائلو ذلك منهم فلم يغيروه فعيرهم الله بذلك وتوعدهم بالعقوبة على تركهم نكير ذلك) [4] .

---

(١) ص٩٥ ج١١ م٧ تفسير الطبري .

(٢) سورة الأنعام آية ٩٣ .

(٣) انظر أسباب نزول القرآن للواحدي ص٢١٥، ٢١٦ . وانظر تفسير الطبري م٥ ج٧ ص٢٤٧ وانظر لباب النقول للسيوطي ص١٠١ ، والدر المنثور ج٣ ص٢١٧ ، وتفسير القرطبي ج٧ ص٤٠ وما بعدها . وقال : وروى حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث لأنه عارض القرآن فقال (والطاحنات طحناً، والعاجنات عجناً ، فالخابزات خبزاً، فاللاقمات لقماً) ص٤١ . وانظر تفسير البغوي والخازن في تفسير هذه الآية .

(٤) تفسير الطبري م٥ ص٢٧٤ ج٧ طبعة دار الفكر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالطبري رحمه الله جعل كل ذلك جائز بما فيه انها نزلت ابتداء وهو الذي عبر عنه بقوله عنى جميع المشركين من العرب لان ما ورد في الاية كائن فيهم . وهذا هو الذي ارجحه لان السورة مكيّة نزلت في السنة الخامسة للبعثة حيث اشتد الصراع الفكري بين دعوة الإسلام وكفار قريش ولم تثبت اي رواية تدل على ان هذه الآيات نزلت بالمدينة والمقطوع به ان السورة مكيّة واخراج آيات منها نزلت بالمدينة يحتاج الى دليل ولم يثبت ذلك كما انها لم تنزل جملة واحدة فالروايات ضعيفة [١] ويبقى عندنا القول بالمقطوع به وهو ان السورة نزلت بمكة والله أعلم .

أما صيغة الامر (قل) فهي امر رباني بالذي ينبغي ان يكون فيه المخاطب قال تعالى [**قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا**] [٢] وقوله [**قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل**] [٣] [قل **للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي بأس شديد**] [٤] ومن المواقف العقدية [**قل يا ايها الكافرون لا اعبد ماتعبدون**] [٥] [**قل هو الله احد**] [٦] [**قل اعوذ برب الفلق**] [٧] [**قل اعوذ برب الناس**] [٨] [**وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا**] [٩] [**وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق**] [١٠] الى غير ذلك من الآيات . فان لفظ قل يفيد طلب الفعل في المستقبل فلا دلالة فيه على وجوب وجود سبب للتنزيل والله أعلم .

وهكذا فان لفظ القول لا يوجد فيه صيغة محددة تدل على سبب التنزيل ، فقد يوجد سبب تنزيل وقد لا يوجد لكن صيغة المستقبل سواء كانت بفعل الأمر أم بالفعل المصدر بالسين فانه لا يرد فيها سبب تنزيل .

---

(١) قال القرطبي ص٣٨٣ ج٦ : ان الأخبار الواردة في نزولها جملة واحدة . قال ابن الصلاح : لم نر له اسناداً صحيحاً . كما نقل السيوطي ذلك في الاتقان ج١ ص٥٠ ، وذكر السيوطي عدة أخبار وقال : فهذه شواهد يقوّي بعضها بعضاً مما يدل على ضعف آحادها . وقال ابن الضريس الاثر ١٩٦ عن ابن عباس (نزلت سورة الأنعام ليلاً جملة) قال عليّ بن موسى : بمكة ليلاً وحولها سبعون ألف ملك تحدق بها بالتسبيح) فضائل القرآن لابن الضريس ص٩٤ تحقيق غزوة بدير . وقال مسفر بن سعيد أحمد دماس . الخبر ضعيف فقال وفي سند هذا الحديث علي بن عثمان : لا بأس به ، وعلي بن يزيد : ضعيف انظر التقريب ج٢ ص٣٨٢ رقم ٤٥٧ ، وبهذا يصبح السند ضعيفاً والله أعلم ص١٥٥ ورسالة مسفر تحقيق فضائل القرآن لابن الضريس ورق ستانسل لاستكمال متطلبات درجة الماجستير .

(٢) سورة التوبة أية ٨٣ .

(٣) سورة الفتح أية ١٥ .

(٤) سورة الفتح أية ١٦ .

(٥) سورة الكافرون .

(٦) سورة الإخلاص .

(٧) سورة الفلق .

(٨) سورة الناس .

(٩) سورة الاسراء أية ٨١ .

(١٠) الاسراء أية ٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإشكال الخامس

تَقَدُّمُ نزول الاية على الحكم وتقدم الحكم وتأخر النزول

ان اقحام هذا العنوان في أسباب التنزيل هو الإشكال ، وليس في العنوان اي إشكال ، وهو بحث أصولي يفيد منه الفقهاء وقد قام الزركشي ببحث المسألة في البرهان وتبعه السيوطي فجعله نوعاً [1] مستقلاً والواقع انه لا محل لبحثه في أسباب التنزيل فهو بحث يتعلق بالأصوليين وبالفقهاء ولكنني اثرت تثبيته لان وضعه في أسباب التنزيل مشكل . والأمثلة التي ضربت صحيحة في باب الفقه واستنباط الأحكام . فآيات الزكاة وردت في مكة ولم يعرف الحكم إلا في المدينة قال ابن الحصّار: قد ذكر الله الزكاة في السور المكيات كثيراً تصريحاً وتعريضاً بان الله سينجز وعده لرسوله ويقيم دينه ويظهره حتى يفرض الصلاة والزكاة وسائر الشرائع ، ولم تؤخذ الزكاة الا بالمدينة بلا خلاف واورد من ذلك قوله تعالى [**واتوا حقه يوم حصاده**] [2] وقوله في سورة المزمل [**واقيموا الصلاة واتوا الزكاة**] [3] واما تقدم الحكم وتأخر النزول فمثاله الصلاة نزلت ابتداء . هي والوضوء بعد نزول الآية الأولى من القرآن فنزل جبريل عليه السلام وعلم سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- الوضوء والصلاة وقد أمّ جبريل بالرسول عليهما الصلاة والسلام ثم علم الرسولُ -صلى الله عليه وسلم- خديجة -رضي الله عنها- ثم علم كُلَّ من كان يسلم . وآية الوضوء نزلت بالمدينة مع آية التيمم في اية واحدة في سورة المائدة واما آيات الصلاة فنزلت بمكة كما نزلت بالمدينة والمهم انها بعد ان اقامها الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومن آمن معه من المؤمنين ثم جاءت الآيات تركز على وجوبها وتمدحها وتهدد وتذم من لم يقمها ففي سورة الأنعام قال تعالى [**وان اقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون**] [4] وفي سورة يونس [**واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة وبشر المؤمنين**] [5] الى غير ذلك من عشرات الآيات .

وخلاصة القول ان هذا الموضوع هو بحث من أبحاث الأصوليين والفقهاء ولا علاقة له بأسباب التنزيل وبحثه في أسباب التنزيل يكوّن إشكالا حيث لا علاقة له بالروايات المتعلقة بأسباب التنزيل فهو كمسألة العموم والخصوص مسألة أصولية لا علاقة لها بأسباب التنزيل .

---

(١) انظر كتاب الزركشي البرهان في علوم القرآن ج١ ص٣٢ ، وانظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص٤٨ ، ص٤٩ النوع الثاني عشر . ومن الجدير بالذكر ان العنوان في كتاب الزركشي (تقدم نزول الآية على الحكم) هو من وضع المحقق د. محمد ابو الفضل ابراهيم ولكن مادة الحديث هي التي من الزركشي وضعها تحت عنوان فصل ونوّه بخصوص السبب وعموم الصيغة وكانها بمثابة ملحوظات أو تنبيهات .

(٢) سورة الأنعام أية ١٤١ .

(٣) سورة المزمل جزء من آية ٢٠ وقول ابن الحصّار هذا ذكره السيوطي في الاتقان ص٤٩ ج١ في النوع الثاني عشر ومن أمثلة الآيات المكيّة التي اشتملت على الزكاة قوله تعالى [**ورحمتي وسعت كلّ شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون**] الاعراف آية ٥٦ وقوله [**وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون**] سورة الروم آية ٣٩ . وقوله [**الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون**] سورة لقمان آية ٤ . إلى غير ذلك من الآيات .

(٤) سورة الانعام أية ٧٢ .

(٥) سورة يونس أية ٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١-خلاصة دراسة الروايات
٢-نماذج من المواضيع التي ثبت لها سبب تنزيل
٣-ثوابت في علم أسباب التنزيل

١-خلاصة دراسة الروايات

نفيد من الدراسة السابقة أن أسباب التنزيل علم من علوم القرآن ، ويحتاج إليها المفسر قبل شروعه في تفسير الآية . ونفيد كذلك ان تفسير القرآن لا يتوقف على الإحاطة بأسباب التنزيل بل بعض الآيات فقط هي التي يتوقف فهمها على أسباب التنزيل والدليل على ذلك ان جل ايات القران لم يثبت لها سبب تنزيل.

ولقد علمنا ان الأقدمين والمعاصرين نوهوا الى ضرورة تحرير روايات أسباب التنزيل ، ولكن هذا هو اول بحث -فيما اعلم- لَمَّ شتات الأُطُر التي يجب ان تتوافر في رواية أسباب التنزيل ، وهو أول بحث جمع شمل كثير من روايات أسباب التنزيل على أساس هذه الأطر.

ومن الجدير بالذكر ان تسمة الروايات بأسباب التنزيل هو من قبيل التجوز والتساهل . والحقيقة انها مناسبات وقعت فنزل بشأنها قرآن فهي ليست من قبيل الأسباب في مصطلح أصول الفقه.

ولقد جاءت أسباب التزيل تشمل جميع الناس على اختلاف عقائدهم ومشاربهم . وتتجلى بوضوح في ايات الاحكام في كثير من المواضيع التي يحتاج اليها المسلم في حياته.

اما بالنسبة للتزامن بين الرواية ونزول الايات فهو غير محدد بفترة معينة فقد تطول وقد تقصر، فمثلا قصة ابطاء الوحي قيل بلغت اسبوعين حتى نزلت سورة والضحى والليل اذا سجى. وفي قصة الأسئلة الثلاثة التي وجهتها قريش بدافع من اليهود للرسول -صلى الله عليه وسلم- قد طال امد حصول الجواب ونزلت الإجابة عن أهل الكهف وعن ذي القرنين في سورة الكهف ؛ وسؤال الروح جاء في سورة الإسراء وأما حديث الإفك فقد جاءت تبرئة أم المؤمنين بعد ما زاد على الشهر كما وردد في فتح الباري شرح صحيح البخاري كما سنثبته بعد قليل.

وكذلك هدم مسجد الضرار فقد أجل الرسول -صلى الله عليه وسلم- اتخاذ موقف تجاهه حتى فرغ من غزوة تبوك، وقد استغرقت شهراً. والضابط في المسألة ان يكون نزول القرآن بشأن ما ورد في الرواية حتى لو تأخر نزول الآيات.

وفي قصة الظهار نزل الوحي فوراً . وكذلك في تصديق زيد بن ارقم في غزوة المريسيع (بني المصطلق) فيما قاله عبد الله بن أبيّ ليخرجن الأعز منها الاذلّ. ومثلها في سرية عبد الله بن جحش نزل قوله تعالى [**ويسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه**] فور وصول الأسيرين والغنائم التي غنموها. ومثله في أبي لبابه وما نزل بشأنه في بني قريظة. وكذلك حاطب بن أبي بلتعه وما صدر منه من فعل التجسس وغير ذلك مما سيأتي معنا بعد قليل ان شاء الله تعالى .

ان معرفة الوقت الذي نزلت فيه الآية او الآيات لا يعني ان ذلك سبب تنزيل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لها . فوقوع الحدث هو الذي يشير الى وجود سبب تنزيل للاية ولذلك فما قيل من أنواع أسباب التنزيل ما نزل ليلاً أو نهاراً ، صيفاً أو شتاء ، في الحضر او في السفر ، فهذا ليس من أنواع أسباب التنزيل في شيء لان تنزيل الوحي ليس لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- أي اختيار فيه وكذلك المكان فالله تعالى وحده الذي ينزل الوحي كيف ومتى وأين يشاء والمعهود ان القرآن تنزل في ثلاثة وعشرين عاماً في فترات متقطعة ومنها ما نزل على أحداث معينة فسميت هذه الأحداث أسباباً ومعرفة الوقت والمكان يعين على معرفة سبب التنزيل ويفيد اكثر في باب معرفة المكيّ والمدني . والمؤشر القوي الذي يدل على سبب التنزيل هو: إما وقوع حدث نزلت الآيات على أثره لتبين حكمه وتوضح ما ينبغي أن يكون الموقف فيه . وإما ان يشير النص القرآني نفسه إلى وجوب وجود سبب تنزيل كالآيات التي اشتملت على السؤال أو الاستفتاء نحو يسألونك يستفتونك . أما إذا اقترن السؤال بصيغة المستقبل السين أو إذْ أو إذا أو ان فهذه تحول المعنى للإحتمال أو إلى ماسيكون عليه الأمر أو ربما تذكر بالماضي فإنها في هذه الحالة تضعف في دلالتها عن وجوب وجود سبب للتنزيل ومثاله : [**سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا** ..] (١) [**سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله**] (٢) [**وإذا سالتموهن متاعاً فسئلوهن من وراء حجاب**] (٣) [**ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب**] (٤) [**ولئن سالتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله**] (٥) [**وإذا سالك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعِ إذا دعان**] (٦) . وكذلك إذا وقع السؤال في القرآن بعد القول فيكون حكاية لذلك القول فلا يعد من أسباب التنزيل في شيء مثاله [**قال رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم**] (٧) . وهكذا فان السياق القرآني في بعض الحالات يدل على وجوب وجود سبب للتنزيل ، وكثير منه لا يدل على وجوب وجود سبب . فلمعرفة سبب التنزيل نحتاج إلى معرفة الرواية وإلى النظر في النصوص نفسها والرواية ما دامت محتملة للتفسير ولسبب التنزيل فهي تحتاج إلى مرجح ومساعد للدلالة ، والنص نفسه خير مرجع وخير معين على ذلك .

والنقول عن السابقين بحاجة الى انعام النظر فيها ، وتمحيصها من حيث دلالتُها على سبب التنزيل لأنه ثبت يقيناً ان نقولهم في السببية تعني المراد من الآية ، أو ان هذا مما يندرج الحكم فيه ، لا سيما أنه لم تثبت أي صيغة قطعية تدل على أسباب التنزيل حتى لو أقسم الصحابي على ذلك . كما مر معنا في قسم أبي هريرة . لا سيما ان هذا العلم لم يرد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولو وجد لتناقله الصحابة -رضوان الله عليهم- ولوصل إلينا كما وصل الحديث .

---

(١) سورة الفتح آية ١١ .
(٢) سورة الفتح آية ١٥ .
(٣) سورة الاحزاب ٥٣ .
(٤) سورة التوبة آية ٦٥ .
(٥) سورة لقمان ٢٥ ، والزمر ٣٨ .
(٦) سورة البقرة آية ١٨٦ .
(٧) سورة هود ٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا لا يعني أنهم قللوا من شأن هذا العلم ، فعلماء الحديث حوت كتبهم من أخبار الجاهلية الشيء الكثير فنجد هذا في أصح كتب الحديث وهما صحيحا البخاري ومسلم ، وذلك لأن الوحي تنزل على هذه الوقائع ، فيفيدنا في فهم أبعاد النص ومراميه مما يعين على استنباط أحكام جديدة للوقائع المستجدة في الحياة . ومعرفة سبب تنزيل قوله تعالى في سورة البقرة [**يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا**] افدنا منه انه يحرم الأخذ بمصطلحات الكفار التي تتعلق بوجهة النظر في الحياة كالمناداة بالحريات العامة وبالديمقراطية وبالملكية وبالجمهورية وبالاشتراكية لان في هذا تحريفاً للإسلام وتمييعاً لمفاهيمه ، وإبعاداً لنصوصه عن مفاهيم الوحي.

والمدقق في روايات أسباب التنزيل يرى أنها ثلاثة أنواع:

١- روايات مرفوضة نهائياً ان تكون من أسباب التنزيل ومن التفسير وهي الاسرائيليات وما يدور في فلكها.

٢- روايات تعدّ من أسباب التنزيل وهي التي تحققت فيها الأطر الخمسة.

٣- روايات تتأرجح بين التفسير وبين أسباب التنزيل.

٢-نماذج من المواضيع التي ثبت لها سبب تنزيل

من تمام الفائدة وحسن ختم الفصول، أن أضع خلاصة روايات أسباب التنزيل التي تحققت فيها الأطر الخمسة ، وأن أذكر الموضوع والاية ، والرواية مشيراً إلى بعض أماكن وجودها ، وإليكها في القرآن مرتبة على المواضيع .

١ الآيات التي تتعلق بكشف أكابر المجرمين الذين وقفوا في وجه الدعوة الإسلامية سواء أكان بذكر أسمائهم مباشرة ، أو كان بذكر صفاتهم ، وسواء أكان بمكة أم بالمدينة ومنها

ما نزل في الوليد بن المغيرة سورة المدثر الآيات ١١-٢٦ وكانت بمكة في بداية الدعوة . وقد ذكر بالوصف الآيات [**ذرني ومن خلقت وحيدا] * وجعلت له مالا ممدودا * وبنين شهودا * ومهدت له تمهيدا * ثم يطمع ان ازيد * كلا انه كان لآياتنا عنيدا * سارهقه صعودا * انه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم ادبر واستكبر * فقال ان هذا الا سحر يؤثر * ان هذا إلا قول البشر ساصليه سقر** *]

سبب التنزيل :

قال الفخر الرازي : (اجمعوا على ان المراد ههنا الوليد بن المغيرة)[1] . قال البيهقي (حدثنا محمد بن عبد الله الحافظ ، قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي الصنعاني بمكة ، قال حدثنا اسحق ابن ابراهيم قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب السختياني ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : (ان الوليد بن المغيرة جاء الى النبى -صلى الله عليه وسلم- فقرأ عليه القرآن فكانه رق له ، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال : ياعم ! ان قومك يرون ان يجمعوا لك مالا . قال لِمَ ؟قال ليعطوكه . فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله ، قال : قد علمت قريش أني مِن أكثرها مالاً ، قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك انك منكر له (أو انك كاره له) قال : وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ولا

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ص١٩٨ ج٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بقصيدته مني ، ولا بأشعار الجن . والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، ووالله ان لقوله الذي يقول حلاوةً وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وانه ليعلو وما يعلا ، وانه ليحطم ما تحته . قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال : فدعني حتى افكر فيه ، فلما فكر ، قال : (هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت .) هكذا حدثناه موصولاً) [1]

ومنها ما صرحت الآيات باسمه إمعاناً في التهديد وبسوء المنقلب الذي ينتظره كما في سورة المسد فذكر ابو لهب وزوجته (ام جميل) [**تبت يدا ابي لهب وتب * ما اغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى نارا ذات لهب * وامراته حمالة لحطب * في جيدها حبل من مسد** *].

سبب التنزيل

روى البخاري بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان النبي -صلى الله عليه وسلم- خرج إلى البطحاء ، فصعد إلى الجبل فنادى : ياصباحاه ، فاجتمعت اليه قريش فقال : أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم . أكنتم تصدقوني ؟ قالوا : نعم : قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : ألهذا جمعتنا! تبا لك فأنزل الله عز وجل [**تبت يدا ابي لهب**] [2] . وفي رواية : لما نزلت [**وأنذر عشيرتك الأقربين**] خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى صعد الصفا ...الخ) وهذا مما كان بمكة وفي أهل قريش .

وأما في المدينة فقد ورد بحق كبير المنافقين ، عبد الله بن أبي ، كثير من الآيات منها على سبيل المثال ما ورد في سورة المنافقين :

---

(١) دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ ص١٩٨ ج٢ باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى . وقال د. عبد المعطي قلعجي مخرج أحاديث الكتاب في الهامش ص١٩٨ . والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢: ٥٠٦ وقال هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ، ونقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٣: ٦١) وانظر اسباب نزول القرآن للواحدي بنفس السند ص٤٧٥ ، ٤٧٦ . وانظر سيرة ابن هشام ص٢٧٠ ، ص٢٧١ ج١ من القسم الأول بعنوان تحيّر الوليد بن المغيرة فيمايصف القرآن . وهو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وانظر تفسير الطبري م١٤ ج٢٩ ص١٥٢ وما بعدها . وانظر الكشاف للزمخشري ص١٥٧ ج٤ ، وتفسير ابن كثير ج٤ ص٤٤٢ ، ص٤٤٣ بنفس سند البيهقي ، وانظر لباب النقول للسيوطي ص٢٣٠ وقال أخرج الحاكم . وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٩ ص٧٤ ، ص٧٥ .

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر الحديث كتاب التفسير ٤٩٧١ ، ٤٩٧٢ ، ٤٩٧٣ ص٧٣٧ م٨ وانظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٥٠٧ ، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد ص٢٠٠ م١ ، وانظر الفتح الرباني شرح مسند الامام أحمد ج١٨ في تفسير سورة الشعراء باب وأنذر عشيرتك الأقربين ص٢٢٥ ، ص٢٢٦ ، وكرره في سبب نزول سورة المسد ص٣٤٢ ، وقال في تخريجه رواه الدارقطني والترمذي في سننه والنسائي . وانظر لباب النقول للسيوطي ص٢٤٥ ، وتفسير الطبري ص٢٣٧ م١٥ ج٣٠ ، وانظر كتب التفسير والسيرة الأخرى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

[هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون * يقولون لئن رجعنا الى المدنية ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون *].

سبب التنزيل

روى البخاري بسنده إسرائيل عن أبي اسحاق عن زيد بن ارقم قال : كنت في غزاة فسمعت عبد الله ابن أبي يقول : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الاعز منها الاذل ، فذكرت ذلك لعمي - او لعمر - فذكره للنبي -صلى الله عليه وسلم- ، فدعاني ، فحدثته . فارسل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الى عبد الله بن ابيّ واصحابه فحلفوا ما قالوا ، فكذبني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصدقه ، فاصابني هم لم يصبني مثله قط ، فجلست في البيت ، فقال لي عمي : ما اردت إلى ان كذبك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومقتك ، فأنزل الله تعالى [**إذا جاء المنافقون**] فبعث اليّ النبي -صلى الله عليه وسلم- فقرأ فقال : (إنّ الله قد صدقك يا زيد) [1] والغزوة هي غزوة بني المصطلق نسبة للقوم ، أو المريسيع نسبة لعين الماء والمقصود بعمه هنا هو سعد بن عبادة كما قال صاحب الفتح الرباني وهو عند الطبراني وابن مردويه وليس عمه حقيقة وإنما هو سيّد قومه ، وقال ابن حجر في فتح الباري . وعم زيد بن أرقم الحقيقي هو ثابت بن قيس له صحبة . وعمه زوج أمه عبد الله بن رواحة خزرجي أيضاً .

ويبدو ان هذا السبب كان سبباً في تنزيل السورة كلها وليس الآيتين المذكورتين فحسب لأن الرواية تقول فانزل الله [**إذا جاءك المنافقون**] والله أعلم .

ومما كان بالمدينة مما ورد في حق النصارى وفد نجران وكانوا ستين راكباً وعلى رأسهم العاقب والسيد وابو حارثة وهم الذين يؤول إليهم الأمر . ففي سورة آل عمران من أولها إلى نيف وثمانين آية ومنها قوله تعالى [**ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين * فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** *]

سبب التنزيل

روى البخاري [2] عن حذيفة قال (جاء العاقب والسيد صاحبا نجران الى

---

(١) الحديث في فتح الباري رقم ٤٩٠٠ وأطرافه في ٤٩٠١ ، ٤٩٠٢ ، ٤٩٠٣ ، كتاب التفسير م٨ ص٦٤٤ وما بعدها وانظر سنن الترمذي الاحاديث ٣٣٦٧ ، ٣٣٦٨ ، ٣٣٦٩ ، ٣٣٧٠ م٥ ص٨٧- ص٩٠ وانظر الفتح الرباني شرح مسند الامام أحمد كتاب التفسير ، ص٣٠٦ ج١٨ . وقال رواية النسائي في غزوة تبوك . وعند أهل السير هي غزوة المريسيع ، وانظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٥٧ -ص٤٦١ . وانظر تفسير الطبري م١٤ ص١١٢ وما بعدها ج٢٨ - لباب النقول للسيوطي وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ص١٢٠ ج١٧ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم . وانظر كتب التفسير والسير المختلفة .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب المغازي باب ٧٢ قصة أهل نجران الحديث ٤٣٨٠ - ٤٣٨٢ . وانظر سيرة ابن هشام ص٥٧٣ - ص٥٨٤ القسم الاول - ج٢ ط٢ ١٩٥٥م بتحقيق السقا وشركاه . وانظر دلائل النبوة للبيهقي م٥ ص٣٨٢ -ص٣٩٣ باب وفد نجران وشهادة الأساقفة لنبينا -صلى الله عليه وسلم- وامتناع من امتنع منهم من الملاعنة . وانظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٩٠ ، ص٩١ ، ص٩٨ ، ٩٩ . وانظر مخطوط العجاب في الأسباب ورقة١٣١ - ١٣٤ لابن حجر ، وانظر تفسير الطبري ص١٥٠ وما بعدها م٦ طبعة شاكر . تفسير البغوي ص٢٧٦ ج١ ، تفسير الرازي ص١٥٤ ، ص١٥٥ ج٧ ، تفسير القرطبي م٤ ص٤ ، تفسير ابن كثير م١ ص٣٦٨ وما بعدها ، وانظر لباب النقول للسيوطي ص٤٣ ، ص٤٥ ، وغيرها من كتب التفسير والحديث والسيرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يريدان ان يلاعناه . قال احدهما لصاحبه : لا تفعل ، فوالله لئن كان نبيا فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا قالا : انا نعطيك ما سألتنا ، وابعث معنا رجلاً امينا ، ولا تبعث معنا الا أميناً . فقال لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين ، فاستشرف له أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال : قم يا أبا عبيدة بن الجراح . فلما قام ، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : هذا أمين هذه الأمة) . وهذه رواية مختصرة فمن أراد التوسع فليعد إلى المراجع المثبتة في هذه الصفحة . وقد ذكرت هذه المصادر أنه نزل نيف أو بضع وثمانون [1] آية بسبب هذه الحادثة التي تفضح سادة النصارى فأبو حارثة ابن علقمه كان يعلم ان محمداً رسول الله ولكنه أنكر ذلك لأن ملوك الروم من النصارى شرّفوه ومولوه وأخدموه ، وبنوا له الكنائس فحتى لا تضيع منه هذه المكاسب . والدليل على ذلك أنه (لما عثرت بغلة أبي حارثة قال له أخوه (كوز) وكان معه في الركب : (تعس الأبعد) (يريد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست ! فقال : ولم ياأخي ؟ قال : والله إنه للنبي الذي كنا ننتظر ! فقال له كوز : ما يمنعك منه وأنت تعلم هذا ؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرفونا ومولونا وأكرمونا ، وقد أبوا إلا خلافه ، فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فاضمر عليه منه أخوه كوز بن علقمه حتى أسلم بعد ذلك) [2]

٢ كشف المؤامرات التي حيكت ضد المسلمين من أعدائهم . ففي حق المنافقين ، وردت فضيحة مسجد الضرار في سورة التوبة قال تعالى : [**والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون * لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين * أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين * لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم** *] الآيات ١٠٧ - ١١٠ .

فقد تآمر أبو عامر الراهب من بني غنم مع المنافقين في المدينة لترصّد حركات المسلمين ليأتي ابو عامر الراهب بجيش مجهز من الروم ليقضوا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعلى دولته .

---

(١) انظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٩١ ، لباب النقول ص٤٣ للسيوطي ، سيرة ابن هشام ص٥٧٦ القسم الاول ، الجزء الثاني تفسير الطبري ج٦ ص١٥٠، ص١٥٣ طبعة شاكر ، تفسير القرطبي ص٤ ج٤ ، تفسير الفخر الرازي ص١٥٥ ج٧ ، تفسير البغوي ص٢٧٦ ج١ ، تفسير ابن كثير ج١ ص٣٦٨ .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ص٥٧٣ ، ص٥٧٤ القسم الاول الجزء الثاني ، وانظر دلائل النبوة للبيهقي ص٣٨٣ ج٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سبب التنزيل

قال ابن اسحق : (ثم أقبل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى نزل بذي اوان (موضع منسوب إلى بئر بهذا الاسم) بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يارسول الله انا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وانا نحب ان تأتينا فتصلي لنا فيه ، فقال : إني على جناح سفر ، وحال شغل ، أو كما قال -صلى الله عليه وسلم- ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم ، فصلّينا لكم فيه . فلما نزل بذي اوان ، أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ، ومعن بن عدي ، أو أخاه عاصم بن عدي ، أخا بني العجلان ، فقال : انطلقا الى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدماه وحرقاه . فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي ، فدخل الى أهله ، فأخذ سعفاً من النخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرّقاه وهدّماه ، وتفرقوا عنه ونزل فيهم من القرآن ما نزل [**والذين اتخذوا مسجدا ضرارا** ..] .. الى آخر القصة) [1]

ومنها ما نزل في كشف يهود بنو النضير وغيرهم [2] . ففي بني النضير نزلت سورة الحشر :

[**سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم * هو الذي اخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار** *] الى آخر السورة .

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ص٥٢٩ ، ص٥٣٠ القسم الثاني الجزء الرابع ، وانظر دلائل النبوة للبيهقي م٥ ص٢٥٦ - وما بعدها ، وانظر اسباب النزول للواحدي ص٢٦٠ - ص٢٦٢ ، وانظر لباب النقول للسيوطي ص١٢٤ ، ص١٢٥ وانظر تفسير الطبري ص٢٣ ، ص٢٦ م٧ ج١١ طبعة دار الفكر . وانظر التفسير الكبير للفخر الرازي ص١٩٢ وما بعدها ج١٥ وانظر تفسير البغوي ج٢ ص٣٢٦ - ص٣٢٧ ، وتفسير القرطبي م٨ ص٢٥٣ - ص٢٥٤ ، وتفسير ابن كثير م٢ ص٣٨٧ - ٣٨٩ وغيرها .

(٢) أول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع فحاربهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في شوال بعد وقعة بدر فنزلوا على حكمه -صلى الله عليه وسلم- وأراد قتلهم فاستوهبهم منه عبد الله بن أبي وكانوا حلفاءه فوهبهم له ، وأخرجهم من المدينة إلى أذرعات ثم نقض العهد بنو النضير فأجلاهم إلى الشام وقد حملوا أمتعتهم واموالهم على الإبل دون السلاح . وكان ذلك على رأس ستة أشهر من وقعة بدر وقبل وقعة أحد . ثم بنو قريظة وعلى رأسهم حيي بن أخطب فور انتهائهم من غزوة الأحزاب ، وقتلوا وسبوا وغنمت املاكهم ، وأخيراً يهود خيبر بعد منقلب الرسول -صلى الله عليه وسلم- من الحديبيّة سنة ٦ للهجرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سبب النزول

قال البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : سورة التوبة ؟ قال : التوبة هي الفاضحة مازالت تنزل : ومنهم ، ومنهم ، حتى ظنوا انها لم تبق أحداً منهم إلا ذكر فيها . قال : قلت سورة الأنفال ؟ قال : نزلت في بدر . قال قلت : سورة الحشر ؟ قال : نزلت في بني النضير [1] وكانت غزوة بني النضير كما اخرج البخاري عن عروة على رأس ستة اشهر من وقعة بدر[2] وليس كما قال ابن اسحاق سنة ٤هـ [3] قال الواحدي وابن حجر بسنده حدثنا عبد الرزاق ، اخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن كعب بن مالك ، عن رجل ، من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- [4] : ان كفار قريش كتبوا بعد وقعة بدر الى اليهود : إنكم أهل الحَلْقة والحصون ، وانكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا ، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم - وهي الخلاخل - شيء فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير (على) الغدر ، وأرسلوا الى النبي -صلى الله عليه وسلم- ان اخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا فان آمنوا بك اتبعناك . ففعل فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر فأرسلت امرأةمن بني النضير إلى أخ لها من الأنصار فحصرهم يومه ، ثم غدا على بني قريظة فحاصرهم فعاهدوه ، فانصرف عنهم إلى بني النضير ، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما اقلّت الأبل إلا السلاح فاحتملوا حتى أبواب بيوتهم ، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم فيهدمونها ، ويحملون ما يوافقهم من خشبها) . وكذا أخرج عبد بن حميد في تفسيره عن عبد الرزاق ، وفي ذلك رد على ابن التين في زعمه انه ليس في هذه القصة حديث بإسناد . قلت (والقول لابن حجر) فهذا أقوى مما ذكر ابن اسحق من أن سبب غزوة بني النضير طلبه -صلى الله عليه وسلم- أن يعينوه في دية الرجلين لكن وافق ابن اسحاق جُلّ أهل المغازي

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر الحديث رقم ٤٨٨٢ كتاب التفسير سورة الحشر ص٦٢٨ المطبعة السلفية ج٨ .

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر باب ١٤ كتاب التفسير حديث بني النضير وانظر دلائل النبوة للبيهقي ص١٧٦ ج٣ .

(٣) انظر سيرة ابن هشام ص١٩٠ القسم الثاني ج٢ ط٢ ١٩٥٥م ، وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد م٢ ص٥٧ .

(٤) وقد ذكر هذا السند ابن حجر في فتح الباري في شرح الاحاديث ٤٠٢٨ - ٤٠٣٢ وقال وروى ابن مردويه قصة بني النضير بإسناد صحيح إلى معمر عن الزهري " أخبرني عبد الله بن عبد الرحمن ابن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : وهو نفس سند الواحدي وانظر المغازي النبوية تصنيف ابن شهاب الزهري توفي سنة ١٢٤هـ ص ٧١ تحقيق د. سهيل زكّار ط ١٤٠١ طبعة دار الفكر دمشق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالله أعلم) [1] ومهما يكن من سبب في إخلال بني النضير العهد مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فالمهم ان الآية نزلت في بني النضير وإجلائهم عن المدينة لنقضهم العهد .[2]

٣ الحظر على المسلمين من استعمال مصطلحات الكفار التي تنبع من وجهة النظر في الحياة فلا يجوز ان نقول الاشتراكية الإسلامية أو الديمقراطية في الإسلام ، او الجمهورية الإسلامية او الملكية الإسلامية أو غير ذلك مما له مفهوم معين عند الكفار . قال تعالى في ذلك عن اليهود : [**يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم** *] فلفظ (راعنا) وان كان عربياً إلا ان له معنى معيناً عند اليهود وهو السب القبيح فكانوا يُورُّنه في استعماله مع المسلمين فنهى الله تعالى عن استعمال هذا اللفظ لأنه مصطلح ذا معنى معين عند اليهود .

سبب التنزيل

روى الواحدي : قال ابن عباس في رواية عطاء : وذلك ان العرب كانوا يتكلمون بها ، فلما سمعتهم اليهود يقولونها للنبي -صلى الله عليه وسلم- أعجبهم ذلك ، وكان (راعنا) في كلام اليهود السب القبيح فقالوا : انا كنا نسب محمداً سراً فالان أعلنوا السب لمحمد لانه من كلامهم فكانوا يأتون نبي الله -صلى الله عليه وسلم- فيقولون يا محمد ، راعنا ويضحكون فقطن بها رجل من الأنصار وهو سعد بن عبادة وكان عارفاً بلغة اليهود فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفس محمد بيده لئن سمعتها من رجل منكم لأضربن عنقه فقالوا : ألستم تقولونها (له ؟) فأنزل الله الآية)[3]

٤ خرق بعض الأعراف الدولية السائدة آنذاك عند تعارضها مع مصلحة حمل الدعوة

قال الله تبارك وتعالى في سورة البقرة [**يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** *]

سبب التنزيل :

قال الواحدي بسنده عن الزهري قال :

---

(١) فتح الباري ص٣٣١، ص٣٣٢ م٧ كتاب المغازي وانظر المغازي النبوية تصنيف ابن شهاب الزهري ت١٢٤ تحقيق سهيل زكار. طبعة ١٤٠١هـ دار الفكر بدمشق باب حديث بني النضير.

(٢) انظر اسباب نزول القرآن لواحدي ص٤٤١، ص٤٤٢، وانظر دلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص١٧٨-ص١٨٤، وفيه رواية الواحدي نفسها. وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد م٢ ص٥٧ وفيه ذكر طلب الرسول -صلى الله عليه وسلم- مساعدة يهود بني النضير في دية القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري، وانظر سيرة ابن هشام ص١٩٠ م٢ الجزء الثالث. وانظر تفسير الطبري م١٤ ج٢٨ وما بعدها، تفسير البغوي م٤ ص٣١٣ وما بعدها، الفخر الرازي ص٢٧٨، وما بعدها ج٢٩ تفسير الخازن ج٤ ص٢٦٢ -تفسير الطبري م١٨ ص٢ وما بعدها، تفسير ابن كثير ص٣٣٠ ج٣ وما بعدها. الفتح الرباني ج٢١ ص٦٥ وانظر المغازي النبوية للامام محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ت١٢٤ ص٧١، ص٧٥ تحقيق سهيل زكار طبعة دار الفكر ١٤٠١هـ/ وما بعدها.

(٣) انظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٣١ وقد سبق تخريج الرواية في الفصل الثالث فليرجع اليها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(اخبرني عروة بن الزبير ان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، بعث سريه من المسلمين وأمر عليهم عبد الله بن جحش الأسدي فانطلقوا حتى هبطوا نخلة فوجدوا بها عمر بن الحضرمي في عير تجارة لقريش ، في يوم بقي من الشهر الحرام فاختصم المسلمون فقال قائل منهم : لا نعلم هذا اليوم إلا من الشهر الحرام ولا نرى ان تستحلوه لطمع اشفيتم عليه . فغلب على الأمر الذين يريدون عرض الدنيا ، فشدوا على ابن الحضرمي فقتلوه وغنموا عيره ، فبلغ ذلك كفار قريش وكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المسلمين وبين المشركين فركب وفد من كفار قريش حتى قدموا على النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا : اتحل القتال في الشهر الحرام ؟ فأنزل الله تعالى [**يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه ..الى اخر الاية**] [1] وفي رواية أسروا أسيرين واستاقوا العير فوقف على ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال لم امركم بالقتال في الشهر الحرام . فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام فنزلت الآية أي قد كانوا يفتتونكم وأنتم في حرم الله بعد إيمانكم وهذا اكبر عند الله ان تقتلوهم في الشهر الحرام مع كفرهم بالله ..) قال الزهري لما نزل هذا قبض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- العير وفادى الأسيرين . ولما فرج الله تعالى عن أهل تلك السرية ما كانوا فيه من غم طمعوا فيما عند الله من ثوابه فقالوا : يا نبي الله انطمع ان تكون غزوة ولا نعطى فيها أجر المجاهدين في سبيل الله فأنزل الله الآيات التالية) [2]

ويجب علينا ان نهاجم في وقتنا الحاضر الأعراف الدولية السائدة اليوم كإنشاء هيئة الأمم وما ينجم عنها من مؤسسات استعمارية كصندوق النقد الدولي ، وعدم الاعتراف بأي دولة إلا إذا اعترفت بها هيئة الأمم ، والتي هي في واقعها مؤسسة للاستعمار الامريكي ليكون استعماراً شرعياً من وجهة النظر الدولية ، ومنها عدم البدء بالقتال حتى لو كان المقاتل معتدياً وظالما كما يجري الآن في فلسطين حيث استولى اليهود على نصفها عام ١٩٤٨ بتسليم من الانجليز ثم استولوا على بقيتها عام ١٩٦٧ بمسرحية لم تخف على الناس . ومع ذلك فأي اعتداء عليها يسمى في العرف الدولي ارهاباً وتقوم الدنيا له وتقعد . أما إذا قامت إسرائيل واعتدت على أي دولة قريبة او بعيدة فانه يُبرر لها ، فهيئة الأمم هي المظلة الدولية لحماية إسرائيل ربيبة بريطانيا وأمريكا (الدول الكافرة المستعمرة للعالم) . وهكذا فيجب العمل على تعرية الأعراف الدولية السيئة التي تعرقل مصالح المسلمين في الحياة .

ومن الآيات التي نزلت لتحارب الأعراف الدولية التي كانت سائدة آنذاك قوله تعالى في نفس سورة الحشر [**ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين** ..] آية ٥ فقد شن اليهود على الرسول -صلى الله عليه وسلم- وعلى المسلمين حملة لان المسلمين بادروا بقطع النخيل المحيط بحصن يهود بني النضير والذي اعترض سبيل فتح حصنهم وكانت المحافظة على الشجر المثمر من الأعراف المتفق علقيها . فقطعه منكر حتى ان الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان يوصي الجيش في غزواته بعدم قطع الشجر أو قتل الطفل

---

(١) انظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٦٠ ، ٦١ وقد سبق تخريج الرواية فليرجع إليه .

(٢) انظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٦١ ، ص٦٢ وقد سبق تخريج الرواية وانظر احكام القرآن للشافعي ج٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أوالمرأة ..الخ ولكن إذا كان العرف الدولي يحول دون تحقيق مصلحة المسلمين من فتح حصن أو غيره فانه يهمل ويعمل على تحقيق هدف المسلمين [١]

٥ وجوب التحاكم الى الاسلام وتحريم التحاكم لغيره فقد نزلت في اليهود وفي النصارى وفي المسلمين على حد سواء ففي حق المسلمين نزل قوله تعالى في سورة النساء [٢]

[فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت وسلموا تسليما *]

سبب التنزيل

روى البخاري : (حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا محمد بن جعفر أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة قال : خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شريج بن الحرة فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : اسق يا زبير ثم أرسل الماء الى جارك فقال الأنصاري يارسول الله ، ان كان ابن عمتك ؟ فتلّون وجهه ، ثم قال : اسق يازبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر ثم ارسل الماء الى جارك . واستَوْعى النبي -صلى الله عليه وسلم- للزبير حق في صريح الحكم حين احفظه الأنصاري وكان اشار عليهما بأمر لهما فيه سعة . قال الزبير : فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك [فلا وربك لا يؤمنون ..] [٣]

ففي الآية الكريمة تبين انه لا يكفي ان ينزل المسلم عند حكم الشرع فحسب بل لا بد من القبول والرضا بهذا الحكم فلا يوجد في النفس فيه أي شيء بل أكثر من ذلك ويسلموا تسليماً مطلقاً عن رضا وقناعة بهذا الحكم الشرعي فقد يخضع المرء إلى حكم شرعي ولكنه في قرارة نفسه غير راض فهذا غير مقبول منه عند الله بل لا بد من الرضا والتسليم بهذا الحكم وبهذه النتيجة .

وأما في حق اليهود فقد وردت آيتان في سورة المائدة متتاليتين وهما :

[ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون *] [ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون *] ولم تنزل هذه الآيات بهذا التحديد بل كانت كل آية تنتهي بهذا المقطع من الآية والآيات كاملة هي : **[إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون *]**

---

(١) انظر المصادر المذكورة في ذكر سبب نزول سورة الحشر في الهامش قبل قليل .

(٢) لقد نزلت سورة النساء قبل سورة المائدة بعدة سنوات ، انظر فضائل القرآن لابن الضرّيسي ص٣٤ تحقيق غزوة بدير .

(٣) انظر فتح الباري الحديث ٢٣٥٩ ، ٢٣٦٠ كتاب الأشربة والمساقاة باب ٦ سكْر الأنهار م٥ ص٣٤ وانظر كتاب التفسير ٦٥ م٨ باب ١٢ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ص٢٥٤ ، وانظر كتاب أحكام القرآن لمحمد بن ادريس الشافعي ص٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

[**وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون** *] والآيات من ٤١ - ٤٥ جاءت تتحدث عن الموضوع نفسه وسبب التنزيل فيها جميعا هو

سبب التنزيل

روى مسلم عن البراء بن عازب قال مَرَّ على النبي -صلى الله عليه وسلم- بيهودي مُحَمَّماً مجلوداً فدعاهم -صلى الله عليه وسلم- فقال هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ قالوا : نعم : فدعا رجلا من علمائهم فقال : أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ قال : لا ، ولولا إنك نشدتني بهذا لم أخبرك ، نجده الرجم ، ولكنه كثر في اشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد . قلنا تَعالَوْ فلنجتمع على شئ نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه فأمر به فرجم فأنزل الله عز وجل [**يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر**] إلى قوله [**ان اوتيتم هذا فخذوه**] يقول ائتوا محمداً -صلى الله عليه وسلم- فان أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم (فاحذروا) فانزل الله تعالى [**ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون**] [**ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون**] [1] وهذه الرواية أرى انها تفسيرية وان رواية سبب التنزيل هي ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمر (ان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أُتِيَ بيهودي ويهودية قد زنيا فانطلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى جاء يهود فقال ما تجدون في التوراة على من زنى قالوا : نسوّد وجوههماونحملهما ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما . قال : فاتوا بالتوراة إن كنتم صادقين فجاءوا بها فقرأوها حتى إذا مروا بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها فقال له عبد الله بن سلاّم وهو مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مره فليرفع يده فرفعها فإذا تحتها آية الرجم فأمر بهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فرجما . وقال عبد الله بن عمر كنت فيمن رجمهما فلقد رايته يقيها من الحجارة بنفسه) [2] فقول من شهد الواقعة وهو عبد الله بن عمر يرجح

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي م٦ ج١١ كتاب الحدود ، حد الزنا ص٢١٠ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ص٢٠٨ م٦ ج١١ كتاب الحدود ، حد الزنا ، ، وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر كتاب الحدود ٨٦ باب ٣٧ احكام أهل الذمة وإحصانهم ص١٦٦ م١٢ الحديث رقم ٦٨٤١ ، انظر تفسير ابن كثير ص٥٨ ، ص٥٩ م٢ ، اسباب نزول القرآن للواحدي ص١٨٨ ، ١٨٩ ، لباب النقول للسيوطي ص٨٩ صحيح مسلم شرح النووي ص٢٠٨ حد الزنا م٦ ج١١ ، فتح الباري شرح صحيح البخاري الحديث رقم ٦٨٤١ باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا للإمام ص١٦٦ ج١٢ كتاب الحدود ٨٦ ، وانظر تفسير الطبري ص٢٣٢ م٤ ج٦ طبعة دار الفكر وانظر ص٢٥٣ ، وانظر عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم أبادي م١٢ ط٣ ١٩٧٩م طبعة دار الفكر بيروت كتاب الحدود باب ٢٦ باب في رجم اليهوديين الأحاديث ٤٤٢٢ - ٤٤٣١ من ص١٣١- ص١٤٥ . قال المنذري في حديث البراء بن عازب : وأخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ، وانظر التفسير الكبير للفخر الرازي ص٢٣٢ ج١٢ ، وانظر تفسير القرطبي م٦ ص١٧٦ وذكر ثلاثة أقوال في اسباب التنزيل وقال : (وقيل إنها نزلت في زنى اليهوديين وقصة الرجم ، وهذا أصح الأقوال ، رواه الأئمة مالك والبخاري ومسلم والترمذي وأبو داود ..) الخ ثم ذكر الروايات عند الأئمة الذين ذكرهم ص١٧٧ م٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على قول من نقلت اليه (البراء بن عازب) . وقد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره سبباً آخر في تنزيل هذه الآيات (٤١-٤٥)

(وقال الإمام احمد حدثنا ابراهيم بن العباس حدثنا عبد الرحمن بن ابي الزناد عن أبيه عن عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : إن الله أنزل [**ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون**] [**واولئك هم الظالمون**] [**واولئك هم الفاسقون**] قال : قال ابن عباس انزلها الله في الطائفتين من اليهود وكانت احداهما قد قهرت الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا واصطلحوا على ان كل قتيل قاتلته العزيزة من الذليلة قديته خمسون وسقاً ، وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة قديته مائة وسق . فكانوا على ذلك حتى قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلاً فأرسلت العزيزة إلى الذليلة ان ابعثوا لنا بمائة وسق فقالت الذليلة وهل كان في حيين دينهما واحد ونسبهما واحد وبلدهما واحد دية بعضهم نصف دية بعض . انما اعطيناكم هذا ضيماً منكم لنا وفرقا منكم فأما إذ قدم محمد فلا نعطيكم فكادت الحرب تهيج بينهما ثم ارتضوا على ان يجعلوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بينهم ثم ذكرت العزيزة فقالت والله ما محمد بمعطيكم منهم ضعف ما يعطيهم منكم ، ولقد صدقوا ما أعطونا هذا إلا ضيماً منا وقهراً لهم فدسوا إلى محمد من يخبر لكم رايه ان اعطاكم ما تريدون حكّمتموه وان لم يعطكم حذرتم فلم تحكموه . فدسوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ناساً من المنافقين ليخبروا لهم رأي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أرادوا فأنزل الله تعالى [**يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسرعون في الكفر**] إلى قوله [**الفاسقون**] ففيهم والله انزل ، واياهم عنى الله عز وجل . ورواه ابو داود من حديث ابي الزناد عن ابيه بنحوه) [١] وذكر ان ابن جرير ذكر بسنده : انما انزلت في المدينة في بني النضير وبني قريظة وقال رواه ابو داود والنسائي وابن حبان والحاكم في المستدرك من حديث عبد الله بن موسى بنحوة . وهكذا قال قتادة ومقاتل بن حبان وابن زيد وغير واحد . وقد روى العوفي وعلي بن ابي طلحة الوالبي عن ابن عباس ان هذه الآيات نزلت في اليهود بين الذين زنيا كما تقدمت الأحاديث بذلك وقد يكون اجتمع هذان السببان في وقت واحد فنزلت هذه الآيات في ذلك كله والله أعلم . ولهذا قال بعد ذلك [**وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين**] إلى أخرها وهذا يقوي ان سبب النزول قضية القصاص والله سبحانه وتعالى اعلم) [٢]

وروى ابن جرير بسنده عن الشعبي [**ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون**] قال هذا في المسلمين [**ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون**] قال هذا في اليهود [**ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون**] قال هذا في النصارى) [٣] . ولا يخفى ان هذا تفسير من الشعبي ان صح النقل عنه لان سياق الآيات لا يسعفه والصواب كما يدل عليه السياق القرآني ان [**الكافرون**] و[**الظالمون**] نزلت في حق اليهود و[**الفاسقون**] نزلت في حق النصارى . وان كان كما يقول الأصوليون : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ص٦٠ م٢ . لباب النقول للسيوطي ص٨٨ ، تفسير الطبري ص٢٥٤ م٤ ج٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ص٦١ م٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ص٦١ م٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد رجحت رواية عبد الله بن عمر وهي في الزنا لان عبد الله بن عمر كان شاهداً في القصة وهو أحد الذين رجموا وأرجحها كذلك على قصة القتل والحيين من اليهود لان الراوي هو عبد الله بن عباس وعند نزول الآية كان صغيراً والتفسير فيها واضح لقوله ان الآيات الكافرون والظالمون والفاسقون نزلت في الطائفتين من اليهود وساق الخبر مع ان الفاسقين لم تنزل في حق اليهود بل نزلت في حق النصارى والسياق يدل على ذلك قال تعالى [**وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم** ..] الى قوله [**فاولئك هم الفاسقون** ..] وفوق ذلك فان قصة الرجم حدثت في السنة الرابعة في ذي القعدة [1] كما قال القسطلاني فيتوافق هذا مع نزول السورة .

واما كون الرواية تتعلق بالقتل والآيات فيها النفس بالنفس .. الخ فالخلاف في الرواية على الدية هل هي خمسون وسقاً أو مائة وسق وليس في عقوبة القتل أو غير القتل ، ووجود مواضيع جديدة في الجواب زيادة عما في السؤال فهذا شيء مألوف في القرآن وفي الحديث . فلا تعد هذه من المرجحات على رواية ابن عمر الذي شهد الواقعة . وهي وحدها سبب تنزيل وما عداها يعد تفسيراً والله اعلم .

أما في النصارى فقد ورد وجوب التحاكم بقوله تعالى [**ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون**] والسياق القرآني يعين على ذلك إلا انني لم أعثر على سبب لتنزيل هذه الآية . والسياق القرآني يفيد كذلك انه ينبغي ان لا يكون سبب تنزيل في حق النصارى لأن الحديث عن أهل الكتاب اليهود منهم ثم تحدث بطريق الإلتفات إلى الماضي عن النصاري بمجيء عيسى عليه السلام بعد انتهاء نبوة موسى عليه السلام . وهذا يقتضي ان لا يكون سبب نزول لهذه الآية والله أعلم .

٦- في مجال محاربة الإشاعات الكاذبة وكيف ينبغي أن تجابه نزلت الآيات ١١- ٢٦ من سورة النور :

[**إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم** *] إلى قوله تعالى [**الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين ، والطيبون للطيبات اولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم** *] .

روى البخاري عن الليث بن سعد عن يونس عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقّاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها الله مما قالوا - وكلٌ حدّثني طائفة من الحديث ، وبعض حديثهم يُصدّق بعضا ، وإن كان بعضُهم أوعى له من بعض - الذي حدّثني عروةُ عن عائشة رضي الله عنها أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- قالت : (كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- معه ، قالت عائشة : فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي ، فخرجت مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعدما نزل الحجاب ، فأنا أُحمَلُ في هودجي وأُنزل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من

---

(١) انظر عون المعبود ص١٣١ م١٢ لشمس الحق العظيم أبادي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو على المنبر يا معشر المسلمين ، من يَعْذِرُني من رجل قد بلغني أذاهُ في أهل بيتي ؟ فوالله ما علمتُ على أهلي إلاّ خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلاّ خيراً . وما كان يدخلُ على أهلي إلاّ معي ، فقام سعد بن معاذ الأنصاريّ ، فقال : يا رسول الله ، أنا أعذرك منه ، إن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك . قالت : فقام سعدُ بن عبادة - وهو سيّد الخزرج ، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ، ولكن احتملته الحمية - فقال لسعد : كذبتَ لعمرُ الله، لا تقتله ولا تقدرُ على قتله . فقام أُسَيدُ بن حضير وهو ابن عمّ سعد بن معاذ - فقال لسعد بن عبادة : كذبتَ لعمرُ الله لنقتلنه ، فإنك منافقٌ تجادلُ عن المنافقين . فتساوَر الحيّان الأوسُ والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- قائم على المنبر ، فلم يزلْ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يُخفضهم حتى سكتوا وسكت . قالت : فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم . قالت فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً لاأكتحلُ بنوم ولا يرقأ لي دمع يَظُنان أن البكاء فالقٌ كبدي . قالت : فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت عليّ امرأةٌ من الأنصار فأذنْتُ لها ، فجلست تبكي معي ، قالت : فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فسلّم ثم جلس ، قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها ، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني قالت : فتشهّد رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- حين جلس ثم قال : أما بعدُ : يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئةً فسيبرّؤك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإنّ العبد إذا اعترف بذَنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه . قالت : فلما قضى رسول الله مقالتَهُ قلص دمعي حتّى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي أجبْ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما قال. قالَ : والله ما أدري ما أقول لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- . فقلت لأمي : أجيبي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قالت : ما أدري ما أقولُ لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- . قالت فقلت - وأنا جارية حديثة السنّ لا أقرأ كثراً من القرآن - : إني والله لقد علمتُ لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرّ في أنفسكم وصدّقتم به ، فلئن قلت لكم إني بريئة - والله يعلم إني بريئة - لا تصدّقونني بذلك ، ولئن اعترفتُ لكم بأمر الله يعلم أني منه بريئة - لتصدّقنّي . والله ما أجد لكم مثلاً إلاّ قول أبي يوسف ، قال [**فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون**] . قالت ثم تحوّلت فاضجعت على فراشي . قالت وأنا حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مُبرّئي ببرائتي ، ولكن والله ما كنت أظنُّ أن الله منزلٌ في شأني وحياً يُتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم اللهُ فيّ بأمر يُتلى ولكنْ كنتُ أرجو أن يرى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في النوم رؤيا يبرّؤني الله بها . قالت : فوالله ما رام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولا خرج أحدٌ من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرُحاء حتى إنه لينحدر منه مثل الجُمان من العرق وهو يوم شات من ثقل الذي ينزلُ عليه . قالت سُرّي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سُرّي عنه وهو يضحك ، فكانت أوّل كلمة تكلم بها : يا عائشة ، أما والله عزّ وجل فقد برّأك . فقالت أمي : قومي إليه . قالت فقلت : والله لا أقومُ إليه ، ولا أحمدُ إلاّ اللهَ عزّ وجل . وأنزل الله [**إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه** ...] العشر الآيات كلها [1] .. (قالت عائشة وكان رسول الله -صلى الله

---

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري م٨ كتاب التفسير ٦٥ باب ٦ [**لولا إذ سمعتموه** ...] ص٤٥٢ - ص٤٥٥ الحديث ٤٧٥٠ ، وانظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٣٠ - ص٢٣٥ وقال رواه البخاري ومسلم كلاهما عن أبي الربيع عن الزهراني ، وانظر لباب النقول للسيوطي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليه وسلم- يسأل زينب ابنة جحش عن أمري فقال : يا زينب ، ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت : يا رسول الله ، أحمي سمعي وبصري ، ما علمتُ إلاّ خيراً . قالت وهي التي كانت تأمني عن أزواج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فعصمها الله بالورع وطفقت أختُها حمنة تحاربُ لها ، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك] .

٧- وفي مجال الإحسان لمن أساء إليك نزل قوله تعالى [**ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسّعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم** *] سورة النور

سبب التنزيل

روى البخاري في حديث عائشة السابق : (فلما أنزل اللهُ في براءتي قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه ، وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله (الآية) قال أبو بكر : بلى والله ، إني أحبُ أن يغفر اللهُ لي فَرَجَعَ إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبدا) [(١)] .

٨- وفي الملاعنة لمن اتهم زوجته ولم يك له شهود نزلت الآيات ٦-١٠ من سورة النور [**والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلاّ أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين * والخامسةُ أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين * ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين * والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين * ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم** *] .

سبب التنزيل

روى مسلم عن انس بن مالك فقال (إنّ هلال بن أميّة قذف امرأته بشريك بن سحماء وكان أخا البراء بن مالك لأمه وكان أول رجل لاعن في الإسلام قال فلاعنها فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبصروها فإن جاءت به أبيض سَبِط قَضِيء العينين فهو لهلال بن أميّة وإن جاءت به أكْحَل بعداً حمش الساقين فهو لشريك ابن سحماء قال فأُنْبِئْتُ أنها جاءت به أكحل حمش الساقين) [(٢)] وقد روى البخاري [(٣)] ومسلم [(٤)] ، قصة اللعان في عويمر العجلاني . وقد سبق أن حققنا هذا من أنها نزلت أولاً في هلال بن أميّة ولمزيد من التأكيد أنقل ما قاله النووي في شرح صحيح مسلم في كتاب اللعان :

= ص١٥٧- ص١٦٠ ، وانظر تفسير الطبري ص٩٠ - ص٩٥ م١٠ ج١٨ وانظر تفسير القرطبي ص١٩٧ - ص١٩٨ ج١٢ ، تفسير البغوي ص٣٢٨ - ص٣٣١ ج٣ ، تفسير الخازن ص٣٣٩ - ص٣٤١ ج٣ وغيرها من مصادر السيرة والتفسير والحديث .

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري م٨ كتاب التفسير ٦٥ باب ٦ [**ولولا إذ سمعتموه ..**] ص٤٥٥ . الحديث ٤٧٥٠ وانظر المصادر السابقة كلها . فهي متصلة الحديث ، وقد سبق تخريج سبب التنزيل هذا .

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي كتاب اللعان ص١٢٨ ، ص١٢٩ م٥ ج١٠ .

(٣) فتح الباري الحديث ٤٧٤٨ وأطرافه في ٥٣٠٦ ، ٥٣١٣ ، ٥٣١٤ ، ٥٣١٥ ، ٦٧٤٨ ، الأول في كتاب التفسير والباقي في كتاب الطلاق والأخير في كتاب الفرائض باب ميراث الملاعنة ١٧ .

(٤) كتاب اللعان ص١١٩ - ١٣٤ صحيح مسلم بشرح النووي م٥ ج١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(واختلف العلماء في نزول آية اللعان هل هو بسبب عويمر العجلاني أم بسبب هلال بن أميّة فقال : بعضهم بسبب عويمر العجلاني ، واستدل بقوله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي ذكره مسلم في الباب أولاً لعويمر (وقد أنزل الله فيك وفي صاحبتك) وقال جمهور العلماء سبب نزولها قصة هلال بن أميّة واستدلوا بالحديث الذي ذكره مسلم بعد هذا في قصة هلال . قال وكان أول رجل لاعن في الإسلام . قال الماوردي من أصحابنا في كتابه الحاوي قال الأكثرون قصة هلال بن أميّة أسبق من قصة العجلاني قال والنقل فيهما مشتبه ومختلف . وقال ابن الصباغ من أصحابنا في كتابه الشامل قصة هلال تبيّن أن الآية نزلت فيه أولاً . قال وأما قوله -صلى الله عليه وسلم- لعويمر ان الله قد أنزل فيك وفي صاحبتك فمعناه ما نزل في قصة هلال لأن ذلك حكم عام لجميع الناس . قلت (والقول للنووي) ويحتمل أنها نزلت فيهما جميعاً فلعنتهما سألا في وقتين متقاربين فنزلت الآية فيهما وسبق هلال باللعان فيصدق أنها نزلت في ذا وفي ذاك ، وإن هلالا أول من لاعن والله أعلم . قالوا وكانت قصة اللعان في شعبان سنة تسع من الهة وممن نقله القاضي عياض عن ابن جرير الطبري) [1] . ونحن نرجح قصة هلال للنصوص الواردة والتي بيّنها الجمهور أما رأي النووي وغيره بالتوفيق فهو احتمال ، والاحتمال لا يقوى أمام النصوص . والله أعلم .

٩- في الظهار وهو أن يقول الرجل لزوجته أنت علي حرام كظهر أمي . نزل في ذلك قوله تعالى في سورة المجادلة [**قد سمع الله وقل التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير* الذين يظاهرون منكم من نسائكم ما هُنَّ أمهاتهم إن أمهاتهم إلاّ اللائي ولدنهم وإنّهم ليقولون منكراً من القول وزورا وإن الله لعفو غفور * والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون كما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسّا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير * فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسّا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذابٌ أليم *]** .

سبب التنزيل :

قال القرطبي (التي اشتكت إلى الله هي خولة بنت ثعلبة ، وقيل بنت حكيم ، وقيل اسمها جميلة وخولة أصح ، وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت ، وقد مرّ بها عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في خلافته والناس معه على حمار فاستوقفته طويلاً ووعظته وقالت : يا عمر قد كنت تدعى عُمَيراً ، ثم قيل لك عمر ، ثم قيل لم أمير المؤمنين ، فاتق الله يا عمر ! فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت ، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب ، وهو واقف يسمع كلامها ، فقيل له : يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف ؟ فقال : والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت إلاّ للصلاة المكتوبة ، أتدرون من هذه العجوز ؟ هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات ، أيسمع ربّ العالمين قولها ولا يسمعه عمر ؟ وقالت عائشة -رضي الله عنها- : تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليّ بعضه ، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهي تقول : يا رسول الله ! أكل شبابي ونثرت له بطني ، حتى إذا كبر سنّي وانقطع ولدي ظاهر منّي ، اللهم إني أشكو إليك ! فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية خرّجه ابن ماجة في السنن . والذي

(١) صحيح مسلم بشرح النووي هامش ص١١٩ ، ص١٢٠ م٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في البخاري من هذا عن عائشة قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المُجادلةُ تشكو إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول : فأنزل الله عز وجل الآية ، وقال الماوردي : هي خولة بنت ثعلبة ، وقيل بنت خويلد ، وليس هذا بمختلف ؛ لأن أحدهما أبوها والآخر جدّها فنسبت إلى كل واحد منهما . وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت)[1] .

وقد سبق أن أشرنا إلى سبب التنزيل هذا فليرجع إليه

١٠- في إلغاء حكم التبني الذي كان سائداً في الجاهلية ، وما يترتب عليه من أحكام ، سورة الأحزاب الآيات ٣-٣٩ ومنها قال تعالى [**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرةُ من أولهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا * وإذ تقلو للذي أنعم الله عليه ، وأنعمتَ عليه > أمسكْ عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحقُّ أن تخشاه فلّما قضى زيدٌ منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قَضَوا منهنّ وطرا وكان أمر الله مفعولا** * ..] الآيات .

سبب التنزيل

قال ابن حجر في فتح الباري (وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدّي فساقها سياقاً واضحاً حسناً ولفظه : " بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش ، وكانت أمها بنت عبد المطلب عمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك ، ثم أنها رضيت بما صنع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فزوّجها إياه ، ثم أعلم الله عز وجل نبيّه -صلى الله عليه وسلم- بعد أنها من أزواجه فكان يسنحي أن يأمر بطلاقها ، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون بين الناس ، فأمره سرول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يمسك عليه زوجه وأن يتقي الله ، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا تزوج امرأة ابنه ، وكان قد تبنى زيدا

---

(١) تفسير القرطبي ص٢٦٩ ، ص٢٧٠ م١٧ ، وانظر تفسير الطبري م١٤ ص٢٨ ص٢ وما بعدها ، وانظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٣٣ ، ص٤٣٥ ، وانظر لباب النقول للسيوطي ص٢١١ ، ص٢١٢ وقال أخرج الحاكم وصححه ، وقال ابن حجر في فتح الباري ، وان الراجح أنها خولة بنت ثعلبة ، وأنه أول ظهار كان في الاسلام كما أخرجه الطبراني وابن مردويه من حديث ابن عباس قال (كان الظهار في الجاهلية يحرم النساء فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس بن الصامت ، وكانت امرأته خولة ..) الحديث ص٤٣٣ في شرح كتاب الطلاق باب الظهار ٢٣ [قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها] . وانظر كتاب التوحيد في فتح الباري باب ٩ وكان الله سميعاً بصيراً الحديث ٧٣٨٩ ص٣٧٣ وغيرها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يخفى ان هذه الرواية بالمعنى فهي من باب التفسير وقد ورد السبب مختصراً عند البخاري [١] ومسلم [٢] والترمذي [٣] (وهذا وقد وردت آثار أخرى أخرجها بان أبي حاتم والطبري ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها ، والذي أوردته منها هو المعتمد) [٤] وقال ابن حجر : والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي -صلى الله عليه وسلم- هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته ، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوّج امرأة ابنه . وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام النبي بأمر لا أبلغ في الإبطال منه وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابنا .

ووقوع ذلك من امام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم [٥] . والروايات الصحيحة المشار اليها عند البخاري ومسلم والترمذي تكفي للدلالة على أن الآيات نزلت في زينب بنت جحش -رضي الله عنها- وفي قصة زواجها من زيد مولى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأمر من الله تعالى ، ثم طلاقها منه بعدما كرهته وباستجابة من الله تعالى لها ، ثم بأمر الله لرسوله أن يتزوجها بعد انقضاء عدتها . وبذلك أبطل حكم النبي الذي كان سائداً في الجاهلية وما يترتب عليه [٦] .

١١- فرض لباس الجلباب على المؤمنين وهو من موافقات عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قال تعالى في سورة الأحزاب [**يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيما** *] لغاية الآية ٦٢ .

سبب التنزيل :

روى البخاري عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- كُنّ يخرجن بالليل إذا تبرّزن إلى المناصع - وهو صَعيدٌ أفيحُ - فكان عمر يقول للنبي -صلى الله عليه وسلم- احجُبْ نساءَك . فلم يكن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يَفعلُ . فخرجت سودة بنتُ زمعة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- ليلة من الليالي عشاء ، وكانت امرأة طويلة ، فناداها عمر : ألا قد عرفناك يا سودة . حرصاً على أن ينزلَ الحجاب ، فأنزل الله آية الحجاب) [٧] .

---

(١) صحيح البخاري في كتاب التفسير الحديث ٤٧٨٧ وطرفه في كتاب التوحيد برقم ٧٤٢٠ وقال نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي باب مناقب الصحابة ، مناقب زيد بن حارثة ص١٩٥ ج١٥ .

(٣) ورواه الترمذي في الآثار ٣٢٦٠ - ٣٢٦٣ ص٣١ - ٣٢ م٥ تفسير سورة الأحزاب .

(٤) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ص٥٢٤ ج٨ كتاب التفسير شرح الحديث ٤٧٨٧ باب وتخفي في نفسك ما الله مبديه .

(٥) المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٦) انظر تفسير الطبري ص١١ وما بعدها ج٢٢ م١٢ ، وانظر تفسير القرطبي ص١٨٨ وما بعدها م١٤ ، وتفسير ابن كثير ص٤٨٩ م٣ وغيرها ..

(٧) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الوضوء باب ١٣ خروج النساء إلى التبراز الحديث رقم ١٤٦ وأطرافه في ١٤٧ ، ٤٧٩٥ ، ٥٢٣٧ ، ٦٢٤٠ . أي وفي كاب التفسير تفسير سورة الأحزاب باب قوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي إلاّ أن يؤذن لكم ، وفي الاستئذان باب آية الحجاب . وانظر صحيح مسلم بشرح النووي كتاب السلام باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان ص١٥٠ - ١٥٢ م٧ ج١٤ ورواية مسلم فيها تفصيل أكثر ، وانظر لباب النقول للسيوطي ١٨٤ ، وانظر كتب التفسير المتعددة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢- وفي مجال العقوبات ، نزل في قضية قطاع الطرق نزل قوله تعالى في سورة المائدة :

[**إنما جزاءُ الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقَتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنْفَوْا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم** *] .

سبب التنزيل :

روى أبو داود عن أنس بن مالك قال (إنَّ قوماً من عُكْل أو قال من عُرَيْنة قدموا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاجتووا المدينة فأمر لهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بلقاح وأمرهم أن يَشْرَبُوا منْ أبوالها وألبانها فانطلقوا فلما صَحّوا قتلوا راعي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- واستاقوا النَّعَم ، فبلغ النبي -صلى الله عليه وسلم- خبرهم منْ أول النهار ، فأرسل النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- في آثارهم ، فما ارتفع النهارُ حتّى جيء بهم ، فأمر بهم فَقُطِعَتْ أيديهم وأرجلُهُم وَسُمِّرَ أعيُنُهمْ وأُلقوا في الحرّة يستسقون فلا يُسْقَوْن) [(١)] وظاهر الرواية أنهم أسلموا ثم ارتدّوا بعدما شفوا من مرضهم . وهذا يرد على من قال ان الآية في المشركين فهي وإن كانت يدخل فيها المشركون من باب أولى إلاّ أن سبب التنزيل كان في المسلمين الذين غدروا بالراعي وفعلوا فعلتهم .

١٣- وفي مجال البذل والإنفاق في الجهاد نزل قوله تعالى في سورة البقرة [**وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** *]

سبب التنزيل :

قال السيوطي : (وأخرج أبو داود والترمذي وصححه وزبن حيان والحاكم وغيرهم عن أبي أيوب الأنصاري

قال : (نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعزّ الله الإسلام ، وكثر ناصروه ، قال بعضنا لبعض سراً : إن أموالنا قد ضاعت ، وإن الله قد أعز الإسلام ، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها ، فأنزل الله يرد علينا ما قلنا (الآية) فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو) [(٢)] .

١٤- وفي مجال المحافظة على أسرار الدولة الإسلامية نزل قوله تعالى في سورة الأنفال :

[**يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** *] .

---

(١) الحديث ٤٣٤٢ باب ٣ ما جاء وفي المحاربة . كتاب الحدود م١٢ عون المعبود شرح سنن ابي داود لشمس الحق العظيم أبادي ، وانظر سنن النسائي بتفضيل أكثر م٤ ج٧ كتاب تحريم الدم تأويل قول الله عز وجل [**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله** ..] واختلاف الفاظ الناقلين لخبر أنس بن مالك فيه ص٩٣ - ص٩٨ . وسنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الامام السندي دار الكتاب العربي بيروت وانظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص١٨٧ ، لباب النقول للسيوطي ص٨٨ ، تفسير الطبري ص٢٠٧ وما بعدها م٤ ج٦ ، وانظر تفسير القرطبي ص١٤٨ فما بعدها ج٦ وغيرها .

(٢) وانظر لباب النقول للسيوطي وانظر ٨٨، واسباب النزول للواحدي ص١٨٧ وقد سبق تحقيق هذا السبب فليرجع إليه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سبب التنزيل :

قال الواحدي : (نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري ، وذلك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة ، فسألوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الصُلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير ، على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرعات وأريحا ، من أرض الشام . فأبى أن يعطيهم ذلك إلاّ أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فأبوْا وقالوا : أرسل إلينا أبا لبابة ، وكان مناصحاً لهم لأن ماله وعياله وولده كانت عندهم ، فبعثه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأتاهم ، فقالوا : يا أبا لبابة ، ما ترى ؟ أننزل علي حكم سعد بن معاذ ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه : إنه الذّبح فلا تفعلوا . قال أبو لبابة : والله ما زالت قدماي حتى علمت أن قد خنتُ رسول الله فنزلت هذه الآية ، فلما نزلت شدّ نفسه على سارية من سواري المسجد وقال : والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله علي . فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً حتى خرّ مغشياً عليه ، ثم تاب الله تعالى عليه ، فقيل له : يا أبا لبابة ، قد تيب عليك ، فقال : لا والله لا أحُلُ نفسي حتى يكون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو الذي يحلني ، فجاءه فحله بيده ، ثم قال أبو لبابة : إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبتُ فيها الذنب ، وأن أنخلع من مالي ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يجزيك الثلث أن تتصدق به) [1] .

ونزل كذلك من هذا القبيل قوله تعالى في سورة الممتحنة [**يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يُخرجون الرسول وإيّاكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرّون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم و،من يفعله منكم فقد ضب سواء السبيل**#] إلى الآية رقم ٩ .

سبب التنزيل :

روى البخاري عن الحميدي بسنده عن كاتب علي يقول : سمعتُ عليا رضي الله عنه يقول : (بعثني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنا والزبير والمقداد قال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإنّ بها ظعينةً معها كتاب فخذوه منها . فذهبنا تَعادَى نبا خيلُنا حتى أتينا الرّوضة ، فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا : أخرجي الكتاب ، فقالت : ما معي من كتاب ، فقلنا لتُخرجَنّ الكتاب أو لنُلْقيَنّ الثياب ، فأخرجته من عقاصها . فأتينا به النبي -صلى الله عليه وسلم- فإذا فيه من حاطب ابن أبي بلتعة إلى اناس من المشركين ممكن بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : ما هذا يا حاطب ؟ قال : لا تعجل عليّ يا رسول الله ، إني كنتُ امرءاً من قريش ولم أكن من أنفُسهم ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يَحمُون بها أهليهم وأموالهم بمكة ، فأحببتُ إذ فاتني من النسب فيهم أن أصطنع إليهم بذا يحمون قرابتي ، وما فعلتُ ذلك كُفراً ، ولا ارتداداً عن ديني ، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : إنه قد صدقكم . فقال

---

(١) انظر مسند ابن حنبل ٣/ ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٥٠٢ طبعة الحلبي ، وانظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٣١ ، ص٢٣٢ ، وانظر لباب النقول للسيوطي ص١٠٧ ، وانظر تفسير الطبري ص٢٢١ م٦ ج٩ ، وانظر تفسير القرطبي ص٤٩٤ م٧ ، وانظر تفسير ابن كثير ص٣٠٠ وما بعدها ج٢ وغيرها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عمر : دعني يا رسول فأضربُ عنقه . فقال : إنه شهد بدراً ، وما يدريك لعلّ الله عز وجل اطّلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) [1] .

١٥- وفي مجال حمل الدعوة - وبيان وجوب حملها بقوة وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق قال تعالى في سورة العنكبوت :

[**ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون (٨)**] .

سبب التنزيل :

روى مسلم عن سعد بن مالك بن أبي وقاص أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال : حَلَفَتْ أُمُّ سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب ، قالت : زعمت أنّ الله وصّاك بوالديك وأنا أمّك وأنا آمرك بهذا ، قال : مكثت ثلاثاً حتى غُشِيَ عليها من الجَهْدِ فقام ابنٌ لها يقال له عُمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية) [2] .

وسعد هو ابن مالك بن أُهيب أبو اسحاق بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنّة ، وهو أول من رمى بسهم في الإسلام ، وهو أحد الستة من أهل الشورى وقال عمر : إن أصابته الإمرة فذاك وإلاّ فليستعن به الوالي . وكان رأس من فتح الطرق ، وولى الكوفى لعمر وهو الذي بناها ، وكان مجاب الدعوة مشهوراً وهو ثالث من أسلم كما وقع في صحيح البخاري توفي سنة ٥٥هـ . وقد اعتزل الفتنة [3] . وفي تفسير الخازن قال لأمه بعدما رأى منها الجَهْد : يا أمّاه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني فكلي إن شئت وإن شئت فلا تأكلي فلما أسيت منه أكلت وشربت فأنزل الله هذه الآية ...)

كما نزل في أمر الدعوة ، أن الأولى حملها لمن يسعى إليها لا للمتمنّعين ولو كانوا أهل جاه وسلطان .

فنزلت سورة عبس والآيات الستة عشر الأولى فقال تعالى [**عبس وتولّى* أن جاءه الأعمى* وما يدريك لعلّه يزّكى* أو يذّكرُ فتنفعهُ الذكرى* أما من استغنى* فأنت له تصدّى* وما عليك ألاّ يزّكّى* وأمّا من جاءك يسعى* وهو يخشى* فأنت عنه تلهى* كلاّ إنها تذكرة* فمن شاء ذكره* في صحف مكرمة* مرفوعةٍ مطهرة* بأيدي سفرة* كرامٍ بررة***] وربما نزلت كل السورة .

---

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري الحديث ٤٨٩٠ كتبا التفسير ص٦٣٣ ، ص٦٣٤ م٨ وانظر كتاب الجهاد باب الجاسوس ، وانظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٤٧ ، ص٤٤٨ ، وانظر لباب النقول للسيوطي ص٢١٦ وقال أخرج الشيخان عن علي .. وانظر تفسير الطبري ص٥٨ وما بعدها م١٤ ج٢٨ ، وانظر تفسير القرطبي ص٥٠ وما بعدها وقد ساق رواية مسلم م١٨ ، وقال لقد روى الحديث الأربعة ، وانظر أحكام القرآن للشافعي ج٢ ص٤٦ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب فضائل الصحابة باب فضل سعبد بن أبي وقاص ص١٨٥ ج١٥ م٨ وانظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٥٧ ، ولباب النقول في اسباب النزول للسيوطي ص١٧٠ ، وقال خرج مسلم والترمذي وانظر تفسير البغوي ص٤٦١ م٣ ، وانظر تفسير الخازن م٣ ص٤٤٦ ، وانظر تفسير القرطبي م١٣ ص٣٢٨ وغيرها .

(٣) انظر الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر القسم الثالث ص٧٣ ، ص٧٧ ترجمة ٣١٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سبب التنزيل :

نزلت هذه السورة في ابن ام مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله بن قيس بن زائدة الأصم من قريش واسم أمه عاتكة بنمت عبد الله بن عنكثة من مخزوم . وهو ابن خالة خديجة ام المؤمنين ، كان من المهاجرين الأولين ، هاجر قبل الرسول -صلى الله عليه وسلم- الى المدينة ، وكان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يستخلفه على المدينة في كافة غزواته ليصلي بالناس وهو المذكور في سورة [**عبس وتولى**] [1] روى الترمذي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : (أُنْزِلَ عبس وتولّى في ابن أُمِّ مكتوم الأعمى أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فجعل يقول يا رسول الله أرشدني ، وعند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رَجُلٌ من عظماء المشركين فجعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يُعْرِضُ عنه ويُقْبِلُ على الآخر ويقول : أترى بما أقول بأساً ؟ فيقولُ لا ، ففي هذا أنزل) هذا حديث حسن غريب . وروى بعضهم هذا الحديث عن هشام بن عروة عن أبيه وليم يذكر فيه عائشة) [2] * .

١٦- وفي مجال حسم الخلاف بين المؤمنين نزلت سورة الأنفال أي ما تحتها [**يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين**]

سبب التنزيل :

روى أحمد بن حنبل عن عبادة بن الصامت قال : خرجنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- فشهدت معه بدراً فالتقى الناس فهزم الله تبارك وتعالى العدو فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون فأكبت طائفة على العسكر يحوونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يصيب العدو منه غرة : حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض . قال الذين جمعوا الغنائم : نحن الذين حويناها وجمعناها فليس لأحد منها نصيب ، وقال الذين خرجوا في طلب العدو لستم بأحق بها منّا نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- لستم بأحق بها منّا ، نحن أحدقنا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به فنزلت [**يسألونك عن الأنفال**] فقسمها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على قواق (يعني على سواء) بين المسلمين) [3] .

---

(١) انظر الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر القسم الرابع ترجمة ٥٧٦٨ ص٦٠٠ - ص٦٠٢ .

(٢) انظر الحديث ٣٣٨٧ من سنن الترمذي ص١٠٣ ، ص١٠٤ ج٥ كتبا التفسير سورة عبس ، وانظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ولباب النقل للسيوطي ص٢٣٣ وقال أخرجه الترمذي والحاكم عن عائشة ، وانظر تفسير القرطبي ص٢١١ ج١٩ ، وانظر تفسير الطبري م١٥ ج٣ ص٥٠ ، ص٥١ وغيرها .

* وانظر سبب نزول آية ٥٢ من سورة الأنعام [**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه**] انظر رواية مسلم ج٧ ص١٢٧ .

(٣) انظر الفتح الرباني شرح مسند الامام أحمد كتاب التفسير سورة الانفال ص١٤٧ ج١٨ ، وقد سبق ذكر هذا السبب وتم تحقيقه فليرجع إليه في فصل الإشكالات ، يسألونك .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٧- وفي مجال المعارك والحروب فقد نزلت سورة الأحزاب في غزوة الأحزاب وما تعلق بها من غزو بني قريظة .

ونزلت سورة الفتح على أثر توقيع معاهدة الحديبيّة وبيان النتائج التي اسفرت عنها هذه الاتفاقية ، وما تبعها من غزو خيبر .

ونزلت سورة الأنفال في غزوة بدر ، وسورة آل عمران في غزوة أحد الآيات ١٣٩ وما بعدها لغاية ١٤٨ .

وسورة التوبة في غزوة تبوك ، وسورة الحشر في غزو بني النضير وهكذا [١] .

١٨- وفي مجال تأييد تغيير المنكر باليد نزل قوله تعالى في سورة آل عمران [**لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ، ونقولُ ذوقوا عذاب الحريق***]

سبب التنزيل :

عن الواحدي : قال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحاق : دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ذات يوم بيت مدْراس اليهود ، فوجد ناساً من اليهود قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له : فنْحاص بن عازورا ، وكان من علمائهم ، فقال ابو بكر لفنحاص: اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله ، قد جاءكم بالحق من عند الله ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة ، فآمنْ وَصَدّق ، وأقرض الله قرضاً حسناً يدخلك الجنّة ، ويضاعف لك الثواب . فقال فنحاص : يا أبا بكر ، تزعم أن ربنا يستقرض أموالنا ، وما يستقرض إلاّ الفقير من الغني ، فإن كان ما تقول حقاً فإن الله إذاً لفير ونحن أغنياء ، ولو كان غنياً ما استعرضنا أموالنا ، فغضب أبو بكر رضي الله عنه ، وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة ، وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله . فذهب فنحاص إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال : يا محمد انظر إلى ما صنع بي صاحبك ؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأبي بكر : ما الذي حملك على ما صنعت ؟ فقال : يا رسول الله إن عدو الله قال قولاً عظيماً ، زعم أن الله فقيراً وأنهم (عنه) أغنياء ، فغضبت لله وضربت وجهه . فجحد ذلك فنحاص ، فأنزل الله عز وجل رداً على فنحاص وتصديقاً لأبي بكر) [٢] .

١٩- وفي هدم عبادة أهل الجاهلية ووضع العبادة الصحيحة بدلها نزل قوله تعالى في سورة الأعراف

[**يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا وشاربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين***]

سبب التنزيل :

روى مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يُعيرني تِطْوافاً تجعلُهُ على فَرْجها وتقول :

---

(١) ليرجع إلى اسباب تنزيل كل منها في موضعه لمن شاء التوسع .

(٢) انظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص١٢٨ ، وانظر مخطوط العجاب في الأسباب لابن حجر ورقة ١٧٠-أ،ب ، ص١٧١أ وانظر لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي ص٥٥ ، وانظر تفسير القرطبي ص٢٩٤ م٤ . وانظر تفسير ابن كثير ج١ ص٤٣٤ ، تفسير الطبري ص١٩٤ م٣ ج٣ وغيرها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اليوم يبدو بعضُهُ أوْ كُلُّهُ فما بدا مِنْهُ فلا أُحِلُّهُ

فنزلت هذه الآية)[1]

وانظر سبب نزول آية ١٥٨ من سورة البقرة [**إن الصفا والمروة من شعائر الله ...**]

٢٠- وفي مجال الأسئلة والاستفتاءات : نزل في سورة النساء آيتين في الاستفتاء هما :

الآية ١٢٧ [**ويستفتونك في النساء ...**] والآية ١٧٦ [**يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة**] الآية ١٧٦ . وقد سبق ذكر أسباب نزولهما في باب إشكالات يسألونك ويستفتونك ويقولون

وفي سورة الحج نزل قوله تعالى [**يسألونك عن الأهلة ، قل هي مواقيت للناس والحج***]

وفي سورة البقرة نزلت الآيات ٢١٧ - ٢٢٣ :

يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه

يسألونك عن الخمر والميسر

ويسألونك عن اليتامى

ويسألونك عن المحيض . والآية التي تليها [**نساؤكم حرث لكم**]

وهذا لا يعني أنني تقصيت جميع الآيات التي ورد لها سبب تنزيل في القرآن كله بل اعطيت نماذج وإلاّ فإن سورة التوبة حافلة بأسباب التنزيل سواء ما كان يتعلق بالمنافقين أم بالمؤمنين الذين تخلفوا عن الجهاد بلا عذر شرعي وهم هلال بن أميّة وكعب بن مالك ومكرارة بن الربيع . وكذلك سورة الأحزاب وما فيها من مواقف نساء الرسول -رضوان الله عليهن- تجاه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في طلب النفقة ، وما فيها من نهي عن المكوث في بيت الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعد الطعام والحث على الانتشار . وفي سورة النور وما ورد في حق عبد الله بن أبي من إكراه فتياته على البغاء ، وفي سورة الممتحنة وما جاء في امتحان النسوة اللائي هاجرن من مكة الى المدينة بعد توقيع اتفاقية الحديبيّة . وسورة الجمعة والانفضاض عن الصلاة من أجل التجارة [2] ، وسورة الضحى وما فيها من قصة ابطاء الوحي وقول المرأة من قريش ما أرى شيطانك يا محمد إلاّ قد فلاك إلى غير ذلك مما يمكن اثباته بعد التحقق من توفر شروط أسباب التنزيل في رواياته .

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي كتاب التفسير ص١٦٢ ج١٨ م٩ . وانظر لباب النقول للسيوطي ص١٠٣ وانظر اسباب نزول القرآن للواحدي ص٢٢١ ، وانظر تفسير الطبري ص١٥٩ ، ص١٦٠ م٥ ج٨ ، وغيرها .

(٢) قال الشافعي في احكام القرآن : (ولم أعلم مخالفاً أنها نزلت في خطبة النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم الجمعة وفي رواية جابر لم يبق معه صلى الله عليه وسلم إلاّ اثنا عشر رجلاً فانزلت هذه الآية ص٩٥ وانظر الأم للشافعي كذلك ج١ ص١٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣- ثوابت في علم اسباب التنزيل

هذه دراسة لأسباب التنزيل من كتب متخصصة في أسباب التنزيل ومن كتب التفسير وكتب السيرة والحديث ، ولا يسع القاريء بعد هذا إلاّ أن يقول أنه لا فرق بين ما قيل عنه كتب متخصصة كأسباب نزول القرآن للواحدي ولباب النقول في أسباب النقول للسيوطي والعجاب في الأسباب لابن حجر وبين كتب التفسير ، كتفسير الطبري والقرطبي وابن كثير . اللهم إلاّ أن الكتب المتخصصة، اختصت بآيات معينة ، وكتب التفسير شملت جميع آيات القرآن . وإن الكتب المتخصصة اعتمدت على الرواية وحدها وكتب التفسير ضمت الرواية والدراية معاً إلاّ كتاب الدر المنثور للسيوطي فقد انفرد بالرواية وحدها .

ومن هذه الدراسة كذلك تبيّن أن كتاب الواحدي هو أول كتاب وصل إلينا في هذا الموضوع ، وان كتاب السيوطي لباب النقول مصنوع منه .

والدارس لأسباب التنزيل عليه أن يلاحظ أسباب دخول الدخيل لهذا العلم قبل أن يشرع في دراسته فإنها تحميه من العثار ، وتقيه من الانزلاق .

كما أن الدارس لهذا العلم عليه أن يضع الثوابت الآتية نصب عينيه لا يحيد عنها أبداً :

١- ان الآية القرآنية الواحدة لم تنزل إلاّ دفعة واحدة سواء كانت منفردة أو مع طائفة من الآيات أو في السورة كلها . وأنه لم يثبت قط بل لا يجوز ان نقول ان الآية الواحدة نزلت مفككة مجزأة .

٢- أن يكون وقوع الحدث ونزول القرآن بشأن متزامناً ، فهو يشكل المحك الأساسي لمعرفة ارتباط الرواية بالآية كسبب نزول .

٣- ان اقوال الصحابة والتابعين فأنزل الله أو فنزلت الآية أو فيّ نزلت الآية تحتمل التفسير وسبب ولا تدلخ في أحد المعينين إلاّ بقرينة .

٤- ان آيات يسألونك ويستفتونك تفيد قطعاً أنها مرتبطة بسؤال وقت التنزيل .

٥- إن قرائن أحوال الروايات والنصوص والسياق القرآني هي محور معرفة سبب التنزيل وليس الألفاظ التي قال عنها بعض العلماء كمادة نزل ومشتقاتها أو فاء السببية أو كلمة سبب .

٦- ان الآية قد تحمل أحكاماً جديدة بالإضافة الي حكم الواقعة التي نزل بشأنها قرآن فلا يدل تعدد المواضيع في الآية على عدم كونها سبباً في التنزيل . أو أنه يجب ان تتعدد أسباب التنزيل حسب المواضيع فزيادة الجواب عما في سؤال ، أو اضافة أحكام لأمور أخرى غير حكم الواقعة شيء مألوف في القرآن والسنة ولا منافاة لكونه سبب تنزيل أي لا يشترط ان يكون النص مقصوراً على الواقعة فحسب ولا يضم إليه أحكاماً أخرى .

٧- ان بحث الخصوص والعموم ، وبحث نزول النص قبل الحكم أو بالعكس ، هي من مواضيع أصول الفقه وليست من أسباب التنزيل .

٨- لا يجوز أخذ أقوال العلماء السابقين مسلمات في الموضوع ، فقد ثبت أنهم ذكروا فوائد لأسباب التنزيل وهي ليست كذلك ، وقد ثبت أنهم جعلوا سبب نزول وقع بالمدينة لآية مكيّة أو بالعكس وهذا خطأ والصواب أن مثل هذه النقول تدخل في التفسير . كما ثبت أنّهم جرّموا بعض أفراد الصحابة كثعلبة بن أبي حاطب والوليد بن عقبة بن أبي المعيط ، وعثمان بن مظعون ، وعمرو بن معدي كرب وغيرهم وهم براء مما ألصق بهم . والموقف الصحيح هو التثبيت والتحقق مما وصلنا قبل الأخذ به . وأن ننظر إلى أن جميع الصحابة رضوان الله عليهم أنهم عدول . وهم الذين نقلوا إلينا الوحي. ولا ندعي لآحادهم العصمة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩- ان الآيات التي نزلت بسبب تتعلق بالأحكام ، أما الآيات التي نزلت ابتداء فتحدثت عن أمور العقيدة ، ووصف مشاهد القيامة ونعيمها ، والنار وأهوالها ، كما نتحدث عن الأمم الغابرة ، وما حلّ بها ، وتتحدث عن الرسل في أقوالهم ، كما تتناول والأمور المستقبلة .

١٠- إن موضوع أسباب التنزيل لم يخل من الهنات فقد رأينا جانباً منها تمثل في تعدد الروايات وآخر في القول بتكرار نزول القرآن تبعاً لتعدد هذه الروايات ، وهذا يقتضي من الباحث في هذا الموضوع أن يتحرى الدّقة في روايات الأسباب بعد أن تتهيأ له سبل الترجيح والقبول .

١١- ان القول بتعدد الأسباب غير دقيق والصواب تعدد القصص الحوادث وفي هذه الحالة لا بدّ من الترجيح والتغليب .

١٢- إن القول بتعدد النازل والسبب واحد غير ثابت ، لأن جلّ القرآن نزل ابتداء فآيات الزكاة والحج مثلاً نزلت في اماكن متعددة وقبل تطبيق هذين الفرضين ، وحكم الأسرى والأنفال نزل في سورة محمد (أو سورة القتال) والرسول -صلى الله عليه وسلم- في طريقه للهجرة من مكة إلى المدينة أي قبل سرية عبد الله بن جحش وقبل غزوة بدر ، وعليه فتعدد النازل لا يعد لسبب واحد . والقول به ينقصه الدليل .

١٣- إن القول بتكرار نزول القرآن أو آيات أو سور لا سبيل للأخذ به . فهو قول عارٍ عن الدليل ، فلا يجوز الأخذ به وهو مبني على الاحتمال أو على تعدد الروايات غير الثابتة أو التي يمكن ترجيح احداها على غيرها .

١٤- كثر الضعف في اسانيد روايات أسباب التنزيل وقد اتسع الخرق على الراقع فصعب رتقه ويحسن بنا ان نسجل الفصل الجامع الذي عقده ابن حجر في مخطوطه العجاب في الأسباب عن حال من نقل عنه التفسير من التابعين ومن بعدهم لأنه يفيدنا كثيراً في تمييز الروايات الصحيحة من الضعيفة. قال ابن حجر (من ورقة ٤ الى ورقة ٦):

(ومن قبل الخوض في المقصود اقدم فصلاً جامعاً لبيان حال من نقل عنه التفسير من التابعين ومن بعدهم يغني عن التكرار فالذين اعتنوا بجمع التفسير من طبقة الأئمة الستة أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ويليه: أبو بكر: محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري. وأبو محمد: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس الرازي. ومن طبقة شيوخهم عبد بن حميد الكشي. فهذه التفاسير الأربعة قلّ أن يشذ عنها شيء من التفسير المرفوع والموقوف على الصحابة، والمقطوع عن التابعين. وقد أضاف الطبري الى النقل المستوعب أشياء لم يشاركوه فيها، كاستيعاب القراءات والإعراب، والكلام في أكثر الآيات على المعاني، والتصدي لترجيح بعض الأقوال على بعض. وكل من صنف بعده لم يجتمع له ما يجتمع فيه؛ لأنه في هذه الأمور في مرتبة متقاربة، وغيره يغلب عليه فن من الفنون فيمتاز فيه، ويقصر في غيره.

والذين اشتهر عنهم القول في ذلك من "التابعين" أصحاب "ابن عباس" وفيهم ثقات وضعفاء. فمن "الثقات": "مجاهد بن جبر" ويروي التفسير عنه من طريق ابن أبي نجيح ، عن مجاهد. والطرق إلى ابن أبي نجيح قوية فإذا ورد عن غيره بيّنته. ومنهم "عكرمة" ويروى التفسير عنه من طريق الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عنه. ومن طريق محمد بن اسحاق، عن محمد بن أبي محمد، مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو سعيد بن جبير -هكذا بالشك- ولا يضر؛ لكونه على ثقة. ومن: طريق معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن عباس. و"علي"

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صدوق، ولم يلق ابن عباس، لكنه إنما حمل عن ثقات أصحابه. فلذلك كان البخاري وأبو حاتم وغيرهما يعتمدون على هذه "النسخة".

ومن طريق ابن جريج، عن عطاء ابن أبي رباح، عن ابن عباس لكن فيما يتعلق بالبقرة وآل عمران، وما عدا ذلك يكون عطاء هو: الخراساني، وهو لم يسمع من ابن عباس، فيكون منقطعاً. إلا إن صرح ابن جريج بأنه عطاء ابن أبي رباح.

ومن روايات "الضعفاء عن ابن عباس": .التفسير المنسوب لأبي النضر محمد بن السائب الكلبي؛ فانه عن أبي صالح- وهو: مولى أم هانئ- عن ابن عباس و"الكلبي" اتهموه بالكذب. وقد مرض فقال لأصحابه في مرضه: كل شيء حدثتكم عن أبي صالح- كذب.

ومع ضعف الكلبي قد روى عنه تفسيره -مثله، أو أشد ضعفاً، وهو: "محمد بن مروان السدي الصغير" رواه عن محمد بن مروان، مثله، أو أشد ضعفاً، وهو "صالح بن محمد الترمذي".

وممن روى التفسير عن "الكلبي" من "الثقات": سفيان الثوري، ومحمد بن فضيل بن غزوان.

ومن "الضعفاء من قِبَل الحفظ" حبان بكسر المهملة، وتثقيل الموحدة- وهو ابن علي العنزي -بفتح المهملة، والنون، بعدها زاي منقوطة.

ومنهم: "جويبر بن سعيد" وهو واه، روى التفسير عن الضحاك بن مزاحم. وهو صدوق عن ابن عباس، ولم يسمع منه شيئاً.

وممن روى التفسير عن "الضحاك" علي بن الحكم وهو ثقة، وعبيد بن سليمان وهو صدوق. وأبو رَوْق: عطية بن الحارث. وهو لا بأس به.

ومنهم "عثمان بن عطاء الخراساني" يروي التفسير عن أبيه، عن ابن عباس. ولم يسمع أبوه من ابن عباس.

ومنهم: "اسماعيل بن عبد الرحمن السدي" بضم المهملة، وتشديد الدال- وهو كوفي صدوق، لكنه جمع التفسير من طرق منها: عن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة بن شراحبيل، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة، وغيرهم. وخلط روايات الجميع فلم تتميز رواية الثقة من الضعيف. ولم يلق السدي من الصحابة إلا أنس بن مالك. وربما التبس بالسدي الصغير الذي تقدم ذكره.

ومنهم: "إبراهيم بن الحكم بن أبان العدني" وهو ضعيف، يروي التفسير عن أبيه، عن عكرمة. وإنما ضعفوه لأنه وصل كثيراً من الاحاديث بذكر ابن عباس. وقد روى عنه تفسيره: عبد بن حميد.

ومنهم: "إسماعيل بن زياد الشامي. وهو ضعيف، جمع تفسيراً كثيراً فيه الصحيح والسقيم. وهو في عصر أتباع التابعين.

ومنهم: "عطاء بن دينار" وفيه لين. روى عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس تفسيراً رواه عنه ابن لهيعة. وهو ضعيف.

ومن تفاسير التابعين ما يروى عن "قتادة" وهو من طرق:

منها رواية: عبد الرزاق عن معمر، عنه.

ورواية آدم بن أبي إياس وغيره، عن سفيان عنه.

ورواية يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة عنه.

ومن "تفاسيرهم" تفسير الربيع بن أنس بعضه، عن أبي العالية، واسمه رفيع الرياحي- بالمثناة التحتانية، والحاء المهملة- وبعضهم لا يسمي فوق الربيع أحداً: وهو يروى من طرق منها:

رواية: عبد الله بن أبي جعفر الرازي، عن أبيه، عنه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنها "تفسير مقاتل بن حبان" من طريق: محمد بن مزاحم عن بكير ابن معروف عنه. و"مقاتل" هذا صدوق. وهو غير "مقاتل بن سليمان" الآتي ذكره.

ومن "تفاسير ضعفاء التابعين فمن بعدهم" : "تفسير زيد بن أسلم"، من رواية ابنه عبد الرحمن، عنه. وهي "نسخة" كبيرة، يرويها ابن وهب، وغيره، عن عبد الرحمن عن أبيه. وعن غير أبيه. وفيها أشياء كثيرة لا يسندها لأحد. و"عبد الرحمن" من الضعفاء، و"أبوه" من الثقات.

ومنها: "تفسير مقاتل بن سليمان" وقد نسبوه الى الكذب. وقال "الشافعي" مقاتل قاتله الله تعالى. وإنما قال الشافعي فيه ذلك لأنه اشتهر عنه القول بالتجسيم.

وروى تفسير مقاتل هذا، عنه: أبو عصمة: نوح بن أبي مريم الجامع، وقد نسبوه الى الكذب.

ورواه ايضاً عن مقاتل: الحكم بن هذيل. وهو ضعيف، لكنه اصلح حالاً من أبي عصمة.

ومنها "تفسير يحيى بن سلام المغربي" وهو كبير في نحو ستة أسفار. أكثر فيه النقل عن التابعين وغيرهم. وهو لين الحديث. وفيما يرويه مناكير كثيرة. وشيوخه مثل سعيد بن أبي عروبة ومالك والثوري.

ويقرب منه: "تفسير سنيد" بمهملة، ونون مصغراً. واسمه: الحسين بن داود وهو من طبقة شيوخ الأئمة الستة. يروى عن حجاج بن محمد المصيصي، كثيراً، وعن انظاره. وفيه لين. وتفسيره "نحو "تفسير يحيى بن سلام" وقد أكثر بن جريج التخريج منه.

و"من التفاسير الواهية" لوهاء رواتها: "التفسير الذي جمعه موسى ابن عبد الرحمن الثقفي، الصنعاني" وهو قدر مجلدين، يسنده الى ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس. وقد نسب ابن حبان موسى هذا الى وضع الحديث. ورواه عن موسى: "عبد الغني بن سعيد الثقفي. وهو ضعيف.

* * *

وقد يوجد كثير من "أسباب النزول" في كتب "المغازي": فما كان منها من رواية: معتمر بن سليمان، عن أبيه. أو من رواية: اسماعيل بن ابراهيم بن عقبة، عن عمه: موسى بن عقبة -فهو أصلح مما فيها من كتاب محمد بن اسحاق. وما كان من رواية ابن اسحاق" أمثل مما فظ فيها من رواية الواقدي". وانما قدمت هذه المقدمة ليسهل الوقوف على أوصافهم لمن تصدى للتفسير فتقبل من كان أهلاً للقبول ويرد من عداه)

وبهذا أكون قد فرغت من الفصل الرابع والأخير من هذه الرسالة ، وأسأل الله أن أكون قد وفقت فيها والحمد لله رب العالمين .

ملحوظات:

١- لقد تعرضت لذكر هذا النوع من روايات أسباب التنزيل دون غيره في هذا الفصل لأن غاية البحث هو التوصل لفرز الروايات المعتمدة في أسباب التنزيل عن غيرها. ولأن الفصل عقد من أجل تثبيت نتائج الدراسة، فهو خلاصة لدراسة الروايات.

٢- الروايات التي سبق وأن درست في الفصول السابقة اكتفيت بذكرها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دون تعليق. أما الروايات الأخرى فقد درستها بإيجاز.

٣- ما ورد في الرسالة من روايات ويبدو فيه أنه مكرور، فقد يكون استشهاداً في كل موطن من زاوية غير الزاوية الأخرى في الموطن الآخر.

وقد يكون لتثبيت المفهوم في ذهن القارئ لأنه جديد لم يسبق ان تعرضت له كتب التفسير قاطبة، نحو قوله تعالى:

[يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا]

[يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه]

[ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين]

٤- رقم ٢ من الفصل الرابع (نماذج من المواضيع...) دليل على ما ورد في القضية الثانية من الفقرة الرابعة ان العقيدة الاسلامية عقيدة سياسية حيث لم ترد روايات في هذا الفصل تتعلق بالعبادات المشهورة كالصلاة والصوم والزكاة والحج. والروايات تتعلق في شؤون الحياة المختلفة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

الدارس لهذه الرسالة يدرك أن أسباب التنزيل ليست وحياً من الله تعالى ، وإنما هي مناط تنزل الوحي ، فهي وإن كانت تاريخاً إلا أنه تاريخ نزل بشأنه قرآن يتلى . فمن هنا اكتسب الموضوع أهمية بالغة يقتضي أن ينظر منها إلى أسباب التنزيل .

كما يلاحظ أن الرسالة اهتمت بنقد متن الرواية إلى جانب الاهتمام بسندها . بل ربما ظهر عليها دراسة المتن ، وفاق دراسة السند لأنه كما قال ابن حجر (فائدة مهمة عزيزة النقل كثيرة الجدوى والنفع ، وهي من المقرر عندهم أنه لا تلازم بين الإسناد والمتن ، إذ قد يصح السند أو يحسن لاجتماع شروطه من الاتصال والعدالة والضبط ، دون المتن لشذوذ أو علّة ، وقد لا يصح السند ويصح المتن من طريق أخرى) [1] وروايات أسباب التنزيل بحاجة ماسة إلى دراسة المتن قبل دراسة السند لتتبدى الصورة الحقيقية لرواية سبب التنزيل عن غيرها .

ويخلص القارىء إلى أن الرسالة ترد على من بالغوا في الإكثار من روايات أسباب التنزيل ، فحاولوا جعل جلّ آيات القرآن الكريم تحظى بسبب تنزيل ، كما ترد على من يبالغ في الإقلال من عددها لدرجة أنها لم تبلغ عدد أصابع اليد الواحدة أو اليدين . فذكرنا في الفصل الرابع عدداً لا بأس به من الروايات الصحيحة والمعتبرة في أسباب التنزيل في مواضيع شتى . والنتيجة المبنية على الدراسة تقرر أن روايات أسباب التنزيل قليلة إذا ما قيست بعدد آيات القرآن الكريم . وقد خلصت إلى هذه النتيجة بعد أن درست روايات أسباب التنزيل كلها الواردة في كتابيْ الواحدي والسيوطي وبعد موازنتها بما ورد في كتب التفسير المختلفة .

ويلاحظ على روايات أسباب التنزيل أنها بالمعنى فيختلف التعبير عن الواقع أو الحدث أو السؤال من صحابي لآخر ، لكن المعنى يظل واحداً . ولذلك يقتضي الاهتمام بالتعليقات والزيادات من الرواة في الرواية . وعلينا أن نحكم النص القرآني والسياق القرآني في آراء رواة الروايات . وهذا يتوقف على مدى إحاطة القارىء بالروايات المتعلقة بالنصوص القرآنية. وقد كثر التساهل في نقل روايات أسباب التنزيل عن أهل الكتاب دون يشيروا الى ذلك وسببه ان القصص لا تمس جوهر العقائد ولا تتعلق بالأحكام.

وفي مجال الأسئلة . فقد تكون سؤالاً عن الماضي ، كما ورد في سورة الكهف ، [**ويسالونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا**] ٨٣ . فقد عرف موضوع السؤال انه عن الماضي من النص القرآني ، وقد يعرف السؤال من الرواية نفسها كما حدث في رواية الأسئلة الثلاثة عن أهل الكهف وذي القرنين وعن الروح [2] وجاءت سورة الكهف تتحدث عن أهل الكهف دون الإشارة إلى سؤال . ولكن قوله تعالى [**ويسالونك عن ذي القرنين**] [3] بالعطف أفاد وجود سؤال أخر تقدم على هذا السؤال ، وهو الجواب المتقدم في السورة عن أهل الكهف . فالأمر يحتاج إلى فقه الروايات وإلى فقه النصوص . وقد يكون السؤال عن الحاضر كقوله تعالى : [**يسالك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء**] [4] وكقوله تعالى : [**يسالونك**

(١) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار لمحمد بن اسماعيل الأمير – صاحب كتاب سبل السلام– ص١٩٥ ج١ المطبعة السلفية المدينة المنورة تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م

(٢) لباب النقول للسيوطي ص١٤٤ ، الدر المنثور ج٥ ص٣٥٧ وغيرها .

(٣) سورة الكهف ٨٣ . (٤) سورة النساء آية ١٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن الشهر الحرام قتال فيه] [1] وقد يكون السؤال مما يتعلق بالمستقبل كقوله تعالى : [يسألونك عن الساعة ايان مرساها] [2] فيكون سبب التنزيل هو السؤال نفسه وليس الواقع أو الحدث . فالتزامن المطلوب هنا هو توافق تنزيل القرآن مع طرح السؤال أو الاستفتاء .

ومن الجدير بالذكر أن الدارس لهذه الرسالة يجد بصمات معالجة الإشكالات قد تركت في مجموع الرسالة من المقدمة إلى الخاتمة ، ولم تقتصر على الفصل الذي عقد لمعالجتها .

كما يرى أن الإسرائيليات لا موقع لها في هذا البحث . إلاّ بالرد عليها وبيان عدم صلاحيتها لما نحن بصدده . وإن رأينا فيها أنها علم لا ينفع وجهل لا يضر .

هذا وقد قعّدت قواعد ، لتمييز رواية سبب التنزيل عن غيرها ، وهي المتمثلة بالأطر الخمسة الواردة في المبحث الثاني من الفصل الأول . كما ذكرنا من الثوابت التي انطلقنا منها في دراسة أسباب التنزيل في نهاية الفصل الرابع لنحمي من ينبري لدراسة هذا العلم من الزلل والعثار . وخلاصة ذلك هو ربط الرواية بالنص الذي أسندت إليه للتأكد من صحة كونها سبباً للآية ونكون بذلك قد عالجنا الخلط بين الأقوال التي تحكي أسباب التنزيل .

وقد حرصت على تحري الدقة في روايات الأسباب ، وعدم التسليم بكل ما ورد في هذا المجال ، وكان الترجيح هو السمة الغالبة في تعدد الروايات ، وليس الجمع بينها ، مما عصمني من الإنزلاق وراء من خاضوا في هذا الموضوع . والتقليد الأعمى فيه هو الذي قاد أصحابه إلى كارثة الخلط في روايات أسباب التنزيل ، وهو الذي قضى على سمات وقسمات رواية سبب التنزيل .

وبعد :

فإنني أكثر على من يبقى سادراً في غيّه بعد دراسة هذا البحث -متتبعاً لسَنَن الخائضين في هذا العلم دون أن يجعل من الأطر الخمسة مقياساً له ، ودون أن يَجعل من الثوابت نبراساً له يهتدي بها للوصول إلى الرواية الصحيحة في أسباب التنزيل .

والمدقق في الروايات المعتمدة يجد أنها تتعلق في غالبها بآيات الأحكام وكانت قليلة في آيات العقائد ومنها ما نزل في قوله تعالى: [قال من يحيي العظام وهي رميم] ٧٨ يس وأنها نزلت في أبيّ بن خلف [3] ، ولم تشمل آيات وصف الجنة أو النار ، أو الثواب أو العقاب ، أو الأخبار التي ستقع في المستقبل ، فضلاً عن عدم تعلقها بالآيات التي تحدثت عن الأمم السابقة ، والأزمان السالفة لنزول الوحي على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- .

وفي نهاية المطاف أرجو أن أكون قد وفيت الموضوع حقه وانني توّاق لرؤية بحث آخر يخرج إلى حيّز الوجود يحرر جميع روايات أسباب التنزيل في القرآن كله ، مما علق بها . وأحمده تعالى ، حمد الشاكرين ، حمداً يوازي نعمه علينا ، ويكافئ مزيده ، فهو تبارك وتعالى سبب كل توفيق .

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٧ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٧ .

(٣) انظر أسباب نزول القرآن للواحدي ص٣٨٥ طبعة دار القبلة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً : كتب التفسير .
ثانياً : كتب علوم القرآن .
ثالثاً : كتب السيرة والمغازي .
رابعاً : كتب الحديث وعلومه .
خامساً : كتب التراجم والسير .
سادساً : كتب أصول الفقه .
سابعاً : كتب المعاجم .
ثامناً : كتب في مواضيع مختلفة .

ملحوظات :

١- استعملت في الهامش الرموز والاصطلاحات الآتية :
جـ = جزء . ص = صفحة . ط = طبعة .
٢- هناك بعض الكتب لم أشر فيها إلى الطبعة نظراً لعدم وجودها .
٣- لم أذكر بعض المراجع مكتفياً بذكرها في مواضع النقل منها .
٤- لم أتقيد بذكر مصدر النقل في الهامش بحسب الترتيب الذي أسسه علماء البحث في العصر الحديث من ذكر المؤلف ثم الكتاب ثم الصفحة والجزء والطبعة وسنتها ومكانها . أو الكتاب والمؤلف ثم الصفحة والجزء ... الخ مكتفياً بوجود ذلك في المصادر والمراجع العامة ، واقتصرت على ما يعرف القارىء بمكان وجود النقل بذكر الجزء والصفحة . ونادراً ما أهمله لبداهة معرفة مكان وجوده في موقع تفسير الآية من الكتاب . أو لأنني أشرت إليه في موضع آخر من نفس الرسالة .
٥- اكتفيت في الهامش بتثبيت بعض المراجع وغالباً ما توجد في أماكن أخرى تجنبت ذكرها للاختصار .

أولاً : كتب التفسير

١- الشافعي - ت٢٠٤هـ - محمد بن ادريس الشافعي - أحكام القرآن- دار الكتب العلمية -بيروت ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
٢- الطبري - ت٣١٠هـ - أبو جعفر محمد بن جرير - جامع البيان عن تأويل آي القرآن - طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م . وطبعة دار المعارف المصرية ط٢ تحقيق وتخريج محمود وأحمد شاكر .
٣- الجصاص ت٣٧٠هـ - أبو بكر أحمد علي الرازي الجصاص - أحكام القرآن - دار الكتاب العربي بيروت مصورة عن الطبعة الأولى المطبوعة بمطابع الأوقاف الإسلامية . في دار الخلافة العلية ١٣٣٥هـ .
٤- ابو ليث السمرقندي ت٣٧٥هـ - نصر أحمد ابراهيم - بحر العلوم . دراسة وتحقيق د. عبد الرحيم الزقة ط١ مطبعة الارشاد ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م بغداد .
٥- الثعلبي ت٤٢٧ هـ - أحمد بن محمد ابراهيم الثعلبي النيسابوري أبو اسحاق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مخطوط الكشف والبيان عن تفسير القرآن رقمه ٧٨٨١ بمكتبة الأسد - دمشق . وبدار الكتب القومية بالقاهرة ٢٥٦ تفسير ميكروفيلم ٤٦٩٣٦ .

٦- البغوي ت٥١٦هـ - أبو محمد حسين بن مسعود الفراء البغوي - معالم التنزيل - تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار ، طبعة دار المعرفة بيروت ط١ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

٧- الزمخشري ت٥٣٨هـ - محمود بن عمر الزمخشري - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ويليه الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر العسقلاني طبعة دار المعرفة بيروت . طبعة مصورة بدون تاريخ .

٨- ابن العربي ت٥٤٣هـ - أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي - أحكام القرآن ، تحقيق علي محمد البجاوي ط٢ عيسى البابي الحلبي ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .

٩- ابن عطية ت٥٤٦هـ - عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي الغرناطي - المحرر الوجيز .

١٠- الطبرسي ت٥٤٨هـ - الفضل بن الحسين بن الفضل - مجمع البيان في تفسير القرآن - طبعة دار المعرفة بيروت ، توزيع دار الباز مكة المكرمة ط١ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

١١- ابن الجوزي ت٥٩٦هـ - أبو الفرج ، عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي - زاد المسير في علم التفسير . طبعة المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بيروت ، ط١ .

١٢- الرازي ت٦٠٦هـ - فخر الدين الرازي - محمد بن عمر بن حسين - التفسير الكبير المشهور بمفاتح الغيب . ط٢ . دار الكتب العلمية - طهران .

١٣- القرطبي ٦٧١هـ - أبو عبد الله - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - تصوير عن الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م مصححه أحمد عبد العليم البردوني - جهة التصوير غير معروفة .

١٤- البيضاوي ت٦٨٥هـ - ٦٩٢هـ - ناصر الدين أبي سعيد / عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل . مطبعة العهد الجديد بالقاهرة . ١٣٨٠هـ .

١٥- النسفي ت٧٠١هـ - أبو البركات / عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل والشهير بتفسير النسفي . الناشر دار الكتاب العربي بيروت .

١٦- الخازن ت٧٢٥هـ - علاء الدين ، علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن - لباب التأويل في معاني التنزيل وبهامشه تفسير النسفي . طبعة بالأفست مكتبة المثنى ببغداد عن طبعة دار الكتب العربية الكبرى - مصطفى البابي الحلبي .

١٧- النيسابوري ٧٢٨هـ - نظام الدين / الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان تحقيق ابراهيم عطوه عوض - مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط١ ١٣٨١هـ/

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٩٦٢م .
١٨- أبو حيان الأندلسي ت٧٥٤هـ - محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي - تفسير البحر المحيط وبهامشه تفسير النهر الماد من البحر لأبي حيان نفسه ، وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط للامام تاج الدين الحنفي النحوي تلميذ أبي حيان - ط٢ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م دار الفكر للطباعة والنشر .
١٩- ابن كثير ت٧٧٤هـ - أبو الفداء - اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - تفسير القرآن العظيم . طبعة دار المعرفة بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م .
٢٠- السيوطي ت٩١١هـ - جلال الدين السيوطي / عبد الرحمن بن الكمال - الدر المنثور في التفسير المأثور - طبعة دار الفكر بيروت ط١ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
٢١- ابو السعود العمادي ت٩٥١هـ - محمد بن محمد العمادي - ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - دار إحياء التراث العربي بيروت مصورة بدون تاريخ .
٢٢- العجيلي الشهير بالجمل ت١٢٠٤هـ - سليمان بن عمر العجيلي - الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين . مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر .
٢٣- الشوكاني ت١٢٥٥هـ - محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . طبعة دار المعرفة - بيروت . تاريخ الطبع غير معروف .
٢٤- الألوسي ت١٢٧٠هـ - محمود شكري الألوسي البغدادي - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت . ط٤ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م مصورة عن الطباعة المنيرية .
٢٥- اطفيش الأباضي ١٣٣٢هـ - محمد بن يوسف اطفيّش الوهبي الأباضي - هيميان الزاد إلى دار المعاد . طبعة سلطنة عمان - وزارة التراث القومي والثقافة ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م .
٢٦- القاسمي ت١٣٣٢هـ - محمد جمال القاسمي - محاسن التأويل طبعة عيسى البابي الحلبي - تعليق محمد فؤاد عبد الباقي ط٢ .
٢٧- محمد رشيد رضا - تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار - مطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة . ط٣ ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م .
٢٨- دروزة - محمد عزت دروزة - التفسير الحديث - مطبعة عيسى الحلبي .
٢٩- محمد حسن الطباطبائي - الميزان في تفسر القرآن منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت . ط٢ ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .
٣٠- ابن عاشور ت١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م محمد الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير . ط١ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م وطبعة اخرى للدار التونسية للنشر ١٩٨٤م .
٣١- تفسير ابن مسعود وما روي عنه في التفسير د. محمد أحمد عيسوي رسالة ماجستير ١٩٧٨ القاهرة - وقد طبعت على نفقة مؤسسة الملك فيصل الخيرية ١٩٨٥م .
٣٢- عبد الله بن مسعود وما روي عنه في تفسير سورة الزمر الى نهاية القرآن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكريم / عبد العزيز سليمان أبو صقر/ ١٤٠٤هـ رسالة ماجستير كلية التربية جامعة الملك سعود/ الرياض - ستانسل

٣٣- مرويات ابن مسعود في الكتب الستة وموطأ مالك ومسند أحمد د. منصور بن عون العبدلي / ط١ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م دار الشروق / جدة .

٣٤- تفسير ابن عباس ومروياته من كتب السنّة . جمع وتحقيق د. عبد العزيز بن عبد الله الحميدي . جامعة ام القرى بمكة . الكتاب الثالث والخمسون من التراث الإسلامي .

٣٥- تفسير عائشة - جمع وتحقيق ودراسة د. عبد الله أبو السعود بدر . الجزء الأول ط١ ١٩٨٤ ، والجزء الثاني ستانسل لنيل درجة الدكتوراه في الآداب - القاهرة ١٤٠١هـ/ ١٩٨٦م .

٣٦- تفسير مجاهد - دراسة وتحقيق د. أحمد اسماعيل نوفل - رسالة دكتوراه ١٩٧٨م كلية اصول الدين بالأزهر ستانسل .

٣٧- تفسير مجاهد - دراسة وتحقيق د. احمد اسماعيل نوفل - رسالة دكتوراه ١٩٧٨م - كلية اصول الدين بالأزهر ستانسل .

٣٨- تفسير سعيد بن جبير - جمع وتحقيق د. ابراهيم محمد عوض النجار - رسالة ماجستير ١٩٧٨م القاهرة ستانسل .

٣٩- تفسير سفيان الثوري ت١٦١هـ - تفسير سفيان الثوري رواية أبي جعفر محمد عن أبي حذيفة النهدي عنه . دار الكتب العلمية - بيروت ط١ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م . وهي نسخة محققة عن نسخة الهند من قبل امتياز علي عرشي .

٤٠- هاشم عبد ياسين المشهداني - سفيان الثوري وأثره في التفسير - رسالة ماجستير في علوم القرآن - جامعة الأزهر دار الكتاب للطباعة - بغداد ط١ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً : كتب علوم القرآن

١- ابن الضريس ت٢٩٤هـ - أبي عبد الله محمد بن أيوب بن الضريس البجلي - فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة تحقيق غزوة بدير ط١ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م - نسخة اخرى تحقيق مسفر سعيد احمد دماس - ستانسل رسالة ماجستير الثقافة الاسلامية كلية التربية جامعة الملك سعود .

٢- الباقلاني ت٤٠٣هـ - ابو بكر محمد بن الطيب محمد بن جعفر البصري البغدادي . نكت الانتصار لنقل القرآن ، تحقيق د. محمد زغلول سلاّم . الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية ط١ ١٩٧١م .

٣- الواحدي ت٤٦٨هـ - أبو الحسن / علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - اسباب نزول القرآن - تحقيق سيّد أحمد صقر - طبعة دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدّة ط٢ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

٤- ابن تيمية ت٧٢٨هـ - مقدمة في اصول التفسير - تحقيق د. عدنان زرزور - طبعة دار القرآن الكريم - الكويت ط١ سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م .

٥- الزركشي ت٧٩٤هـ - بدر الدين / محمد بن عبد الله الزركشي - البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط١ ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م - دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي .

٦- ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ - احمد بن علي بن حجر ، مخطوط العجاب في الأسباب . نسخة مصورة من الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة - مصورة عن نسخة خزانة ابن يوسف العمومية بمراكش رقم ٢٢٨ ، وهي نسخة قديمة كتبت سنة ٨٨٩هـ .

٧- السيوطي ت٩١١هـ - جلال الدين / عبد الرحمن بن الكمال .

أ- الاتقان في علوم القرآن وبأسفل الصحائف اعجاز القرآن للباقلاّني - دار المعرفة بيروت مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط٤ ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م .

ب- لباب النقول في أسباب النزول - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ط٢ .

٨- ابن عطية الأجهوري ت١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م - مخطوط ارشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه والتجويد ، مخطوط موجود بدار الكتب القومية بالقاهرة تفسير ٤٢ رقم الميكروفيلم ٢٠٩٠. وتوجد منه نسخة اخرى برقم تفسير تيمور ٤٠٨ ورقم الميكروفيلم ٤٤٨٤ .

٩- الزرقاني - محمد عبد العظيم الزرقاني - مناهل العرفان في علوم القرآن . دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع مكة المكرمة . ط٣ بدون تاريخ .

١٠- صبحي الصالح ت١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م - مباحث في علوم القرآن - دار العلم للملايين - بيروت ط٣ ١٩٦٤م .

١١- غزلان - د. عبد الوهاب عبد المجيد غزلان - البيان في مباحث من علوم القرآن- مطبعة دار التأليف بمصر ١٣٨٤هـ- ١٩٦٥م .

١٢- أمير عبد العزيز - دراسات في علوم القرآن - جامعة النجاح نابلس مؤسسة الرسالة- دار الفرقان عمان ط١ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٣- الوادعي - مقبل بن هادي الوادعي - الصحيح المسند من أسباب النزول - دار الأرقم الكويت .
١٤- عبد الفتاح القاضي - اسباب النزول عن الصحابة والمفسرين . دار الندوة الجديدة - بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .
١٥- زرزور - د. عدنان زرزور :
أ- القرآن ونصوصه ..١٤هـ/ ١٩٨٠ مطبعة خالد بن الوليد .
ب- علوم القرآن ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
١٦- الباقوري - الشيخ احمد حسن الباقوري :
١- معاني القرآن بين الرواية والدراية - مركز الاهرام للترجمة والنشر ط١ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م القاهرة .
٢- مع القرآن- مكتبة الآداب ومطبعتها القاهرة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
١٧- عليوي بن خليفة عليوي - جامع النقول في اسباب النزول وشرح آياتها - ط١ ١٤٠٤هـ مطابع الإشعاع - الرياض .
١٨- زلط - د. قصبي محمود زلط - مباحث في علوم القرآن - دار القلم ط٢ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م دولة الامارات العربية / دبي .
١٩- عناية - غازي حسين عناية - اسباب النزول القرآني - دار الشهاب للطباعة باتنة - قسطينة بالجزائر ط١ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .
٢٠- حلوة - د. حماد عبد الخالق حلوة - اسباب نزول القرآن مصادرها ومناهجها - رسالة دكتوراه ١٩٨٧م .
٢١- مناع القطان - مباحث في علوم القرآن - مؤسسة الرسالة ط٢١ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م بيروت .
٢٢- عبد الرحمن عميرة :
١- رجال أنزل الله فيهم قرآناً - دار اللواء للنشر - الرياض ط٢ ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
٢- نساء أنزل الله فيهن قرآناً - دار اللواء للنشر - الرياض ط٢ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٢٣- ابو شهبه - د. محمد ابو شهبة .
١- المدخل لدراسة القرآن الكريم - دار اللواء للنشر - الرياض ط٣ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م
٢- الاسرائيليات والموضوعات في التفسير .
٢٤- وسيلة بلعيد - وسيلة بلعيد بن حمدة - مباحث في علوم القرآن - علم أسباب النزول - دار الجويني للنشر تونس ط١ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٢٥- محمد الفاضل بن عاشور ت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م - التفسير ورجاله . دار الكتب الشرقية - تونس ١٩٦٦ - سلسلة البحوث الاسلامية الكتاب الثالث عشر ط٢ .
٢٦- غانم قدّوري حمد - محاضرات في علوم القرآن . جامعة بغداد - دار الكتاب للطباعة - بغداد ط١ سنة١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٢٧- سيد احمد عبد الغفار - قضايا في علوم القرآن تعين على فهمه - ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٢٨- محمد خليفة - مع نزول القرآن مكتبة النهضة المصرية ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
٢٩- كفافي - محمد عبد السلام كفافي وعبد الله الشريف. في علوم القرآن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً : كتب السيرة والمغازي

١- ابن شهاب الزهري ت١٢٤هـ - الامام محمد بن مسلم بن عبد الله - المغازي النبوية - حققه وقدم له د. سهيل زكّار . طبعة دار الفكر بدمشق ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢- ابن هشام ت٢١٣هـ - عبد الملك بن هشام ابن أيوب الحميري - السيرة النبوية (سيرة بن هشام) تحقيق وضبط وشرح السقا والابياري وشلبي ط٢ ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥ - مصطفى البابي الحلبي .

٣- ابن سعد ت٢٣٠ هـ - محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري - الطبقات الكبرى - دار صادر بيروت - تقديم احسان عباس ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .

٤- البيهقي ت٤٥٨هـ - ابو بكر احمد بن الحسين - دلائل النبوة - وثق اصوله عن عشر نسخ خطية وخرّج احاديثه وعلق عليه د. عبد المعطي قلعجي - دار الكتب العلمية - بيروت ط١ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٥- السهيلي ت٥٨١هـ - ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي - الروض الأنف شرح السيرة النبوية لابن هشام دار المعرفة بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

٦- الكلاعي ت٦٣٤ - ابو الربيع - سليمان بن موسى الكلاعي الاندلسي - الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء تحقيق مصطفى عبد الواحد نشر لأول مرة على نسختي طلعت والتيمورية مكتبة الخانجي بالقاهرة ومكتبة الهلال بيروت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.

٧- ابن قيم الجوزية ت٧٥١هـ - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد - زاد المعاد في هدى خير العباد . طبعة احياء التراث العربي بيروت - راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف طه ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٨- ابن الديبع الشيباني ت٩٤٤هـ - ٩٥٠هـ - عبد الرحمن بن علي بن محمد - حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار تحقيق عبد الله ابراهيم الأنصاري - اشرف على طبعه يحيى عبّارة ، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن محمد آل ثاني أمير دولة قطر - مطبعة محمد هاشم الكتبي بدمشق - بدون تاريخ .

٩- محمد بن عبد الوهاب ت١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م - محمد بن عبد الوهاب وولده عبد الله - مختصر سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- مكتبة الرياض الحديثة - الرياض ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

١٠- الحلبي ت١٠٤٤هـ - علي بن برهان الدين الحلبي - انسان العيون في سيرة الامين لمأمون الشهير بالسيرة الحلبية . مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط١ سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

١١- دروزة - محمد عزة دروزة - سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- صور مقتبسة من القرآن الكريم وتحليلاته ودراسات قرآنية . ط٢ مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً : كتب الحديث وعلومه

أ- كتب مصطلح الحديث :

١- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث/ أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح ت٦٤٢هـ/ ١٢٤٢م . دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٢- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير تأليف احمد محمود شاكر - مكتبة دار التراث ٧٧٤هـ القاهرة ط٣ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣- فتح المغيث - شرح الفية الحديث للعراقي / للامام شمس الدين / محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت٩٠٢هـ . ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان / المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ط٢ ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٤- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي ت٩١١هـ/ دار الكتب الحديثة تحقيق ومراجعة عبد الوهاب عبد اللطيف ط٢ ١٢٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

٥- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار / محمد بن اسماعيل الأمير الحسني الصنعاني / صاحب سبل السلام ت١١٨٢هـ/ حققه محمد محي الدين عبد الحميد - المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

٦- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل / ابو الحسنات / محمد عبد الحي اللكنوي الهندي. ت١٣٠٤هـ . حققه وخرّج نصوصه عبد الفتاح أبو غدة ط٣ مكتب المطبوعات الاسلامية / حلب ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧- منهج المحدثين عند علماء الحديث النبوي / د. صلاح الدين بن احمد الأدلبي منشورات دار الأفاق الجديدة بيروت ط١ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

ب- كتب الحديث :

١- مالك ت١٧٩هـ - مالك بن أنس - الموطأ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٢- الشافعي ت٢٠٤هـ - ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي - اختلاف الحديث - تحقيق محمد احمد عبد العزيز - دار الكتب العلمية - بيروت - توزيع دار باز للنشر مكة المكرمة ط١ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣- الزرقاني ت١١٢٢هـ - شرح الامام محمد عبد الباقي بن يوسف محمد الزرقاني على الموطأ - دار الفكر للطباعة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٤- احمد بن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي ت١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م - الفتح الرباني لترتيب مسند الامام احمد مع مختصره شرح بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني . دار إحياء التراث العربي بيروت ط٢ ويبدو أنها تصوير ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٥- الدارمي ت٢٥٥هـ - أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي - سنن الدارمي . طبعة دار الفكر - القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٦- البخاري ت٢٥٦هـ - أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري - صحيح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البخاري - المكتبة الاسلامية استانبول تركيا ١٩٨١م توزيع مكتبة العلم بالسعودية - جدّة .
٧- ابن حجر ت٨٥٢هـ - احمد بن علي بن حجر العسقلاني فتح الباري شرح صحيح البخاري - تحقيق وتخريج وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب - المطبعة السلفية القاهرة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.
٨-النووي ت٦٧٦هـ - محي الدين أبو زكريا / يحيى بن شرف الشافعي - دار الفكر للطباعة والنشر ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م. تصوير بتصريح من محمد محمد عبد اللطيف صاحب المطبعة المصرية.
٩- ابن ماجة ٢٧٣هـ - محمد بن يزيد بن ماجة القزويني - سنن المصطفى الشهير بسنن ابن ماجة دار الفكر العربي ، تحقيق وتخريج محمد فؤاد عبد الباقي بدون تاريخ .
١٠- أبو داود ت٢٧٥هـ - سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، سنن أبي داود - طبعة دار الفكر ضبط وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد ، بدون تاريخ .
١١- شمس الحق العظيم أبادي ولد سنة ١٢٧٣هـ ولم يعرف تاريخ وفاته - أبو الطيب محمد ، عون المعبود شرح سنن أبي داود مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية . ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان - طبعة دار الفكر بيروت ط٣ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
١٢-الترمذي ت٢٧٩هـ - محمد بن عيسى بن سورة الترمذي - سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، طبعة دار الفكر بيروت ط٢ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
١٣- المباركفوري ت١٣٥٣هـ - أبو علي محمد بن عبد الرحمن - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي صحح اصوله عبد الوهاب عبد اللطيف ١٠ مجلدات . طبعة دار الفكر بيروت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م ، وهي نسخة مصورة .
١٤- النسائي ت٢٧٩هـ - احمد بن شعيب بن دينار - المجتبى المعروف بسنن النسائي . طبعتان بدون تاريخ دار الكتاب العربي والثانية دار إحياء التراث العربي بيروت . بشرح السيوطي وحاشية الإمام السندي .
١٥- الدارقطني ت٣٨٥هـ - ابو الحسن علي بن عمر .
١٦- الحاكم النيسابوري ت٤٠٥هـ - ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري الحاكم- المستدرك على الصحيحين - وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي دار الكتاب العربي بيروت وطبعة دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
١٧- السيوطي ت٩١١هـ - عبد الرحمن الكمال - اللمع في أسباب النزول (اسباب ورود الحديث) تحقيق يحيى اسماعيل احمد - طبعة دار الكتاب العلمية بيروت ط١ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
١٨- ابن حمزة الحسيني ت١١٢٠هـ - الشريف ابراهيم بن محمد بن كمال الدين الحسيني - البيان والتعريف في اسباب ورود الحديث الشريف المكتبة العلمية - بيروت ط١ ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. بتحقيق د. حسين عبد المجيد هاشم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جـ- كتب في الموضوعات وما اشتهر على ألسنة الناس :
١- الغماز على اللماز في الأحاديث المشتهرة / أبو الحسن نور الدين السمهودي ت٩١١هـ تحقيق وتخريج محمد اسحاق محمد ابراهيم السلفي - دار اللواء للنشر والتوزيع الرياض ط١ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .
٢- اللاليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة / جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت٩١١هـ . طبعة دار المعرفة بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣.
٣- تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث . عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الديبع الشيباني ت٩٤٤هـ/ دار الكتب العلمية - بيروت ط٣ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م .
٤- الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة . عبد الحي بن محمد عبد الحليم اللكنوي ت١٣٠٤هـ تحقيق محمد سعيد بسيوني زغلول . دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م .
٥- الاسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (الموضوعات الكبرى) نور الدين علي بن محمد بن سلطان ت١٠١٤هـ المشهور بالملا علي القاري - دار الكتب العلمية - بيروت ط١ ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٦- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس اسماعيل بن محمد العجلوني ت١١٦٢هـ . دار الكتب العلمية - بيروت ط٣ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خامساً : كتب التراجم والسير :

أ- المصنفات في معرفة الصحابة :

١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب / يوسف بن عبد البر النمري القرطبي ت٤٦٣هـ - طبعة السعادة تصوير دار صادر بيروت .

٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة/ عز الدين بن الأثير ابو الحسن/ علي بن محمد الجزري ت٦٤٠هـ تحقيق محمد ابراهيم البنا ومحمد احمد عاشور . ط دار الشعب.

٣- الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ طبعة دار نهضة مصر بالقاهرة تحقيق علي محمد البيجاوي ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .

ب- كتب في الطبقات :

١- الطبقات الكبرى لابن سعد ابو عبد الله بن سعد كاتب الواقدي ت٢٣٠هـ .

٢- حلية الأولياء وطبعة الأصفياء - أحمد بن عبد الله أبي نعيم الأصفهاني ت٤٣٠هـ . دار الكتاب العربي/ بيروت ط٣ ١٩٨٠م وطبعة مطبعة السعادة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

٣- طبقات المفسرين - محمد أحمد بن عثمان الذهبي ت٧٤٨هـ ط١ القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .

٤- طبقات المفسرين/ للداوودي/ محمد بن علي بن أحمد ت٩٤٥- ط١ القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

جـ- كتب رواة الحديث عامة :

١- التاريخ الكبير للإمام البخاري / محمد بن اسماعيل ت٢٥٦هـ - دار الفكر بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٢- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي/ محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الرازي ت٣٢٧هـ ط١ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن الهند/ ١٢٧١هـ/ ١٩٥٢م. وصورتها دار إحياء التراث العربي بيروت .

٣- سير أعلام النبلاء للذهبي / ت٧٤٨هـ مؤسسة الرسالة تحقيق شعيب الأرناؤوط ط٢ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ عبد الحي بن العماد الحنبلي ت١٠٨٩هـ/ طبعة القاهرة ١٣٥١هـ .

د- كتب في رجال كتب مخصوصة :

١- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للإمام الذهبي ت٧٤٨هـ/ دار الكتب العلمية ط١ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢- تهذيب التهذيب للحافظ بن حجر ت٨٥٢هـ/ طبعة دار الفكر بيروت ط١ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣- تقريب التهذيب للحافظ بن حجر ت٨٥٢هـ/ طبعة دار المعرفة بيروت ط٢ ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٤- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة / دار الكتاب العربي بيروت .

هـ- كتب في الضعفاء خاصة :

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- الضعفاء والمتروكين للنسائي / أبي عبد الرحمن/ أحمد بن شعيب ت٣٠٣هـ - تحقيق بوران الضناوي وكمال يوسف الحوت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ط١ ١٤٨٥هـ/ ١٩٨٥م.
٢- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان ت ٣٥٤هـ - تحقيق محمود ابراهيم واسماعيل بن عياش طبعة دار المعرفة بيروت.
٣- الضعفاء والمتروكين للدارقطني/ أبي الحسن / علي بن عمر البغدادي ت٣٨٥هـ - دراسة وتحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر - مكتبة المعارف بالرياض ط١ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٤- ميزان الاعتدال للذهبي ت٧٤٨هـ - دار المعرفة بيروت - تحقيق محمد علي البجاوي ١٩٦٣ . مصورة عن طبعة عيسى الحلبي .
٥- لسان الميزان لابن حجر ت٨٥٢هـ/ ط١ حيدر أباد ١٣٣١هـ .

و- كتب في العلل والمدلسين والمختلطين :

١- العلل لابن المديني / علي بن عبد الله . ت٢٣٤هـ شيخ البخاري . تحقيق وتعليق د. عبد المعطي قلعجي دار الوعي - حلب ط١ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٢- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس / احمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري ومحمد احمد عبد العزيز - دار الكتب العلمية - بيروت ط١ سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
٣- شرح علل الترمذي - لابن رجب الحنبلي / عبد الرحمن بن أحمد ت٧٩٥هـ - تحقيق د. همام سعيد .

ز- كتب في الثقات الخاصة :

١- كتاب الثقات لابن حبان/ محمد بن احمد بن حيان البُستي ت٣٥٤هـ .
٢- تذكرة الحفاظ للذهبي ت٧٤٨هـ طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد / الهند ط٤ ١٩٦٨م.

ح- كتب في التاريخ العام :

تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الأمم والملوك) / تاريخ الطبري / ابو جعفر محمد بن جرير ت٣١٠هـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف بمصر - ذخائر العرب ط١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- الضعفاء والمتروكين للنسائي / أبي عبد الرحمن/ أحمد بن شعيب ت٣٠٣هـ - تحقيق بوران الضناوي وكمال يوسف الحوت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ط١ ١٤٨٥هـ/ ١٩٨٥م.
٢- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان ت ٣٥٤هـ - تحقيق محمود ابراهيم واسماعيل بن عياش طبعة دار المعرفة بيروت.
٣- الضعفاء والمتروكين للدارقطني/ أبي الحسن / علي بن عمر البغدادي ت٣٨٥هـ - دراسة وتحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر - مكتبة المعارف بالرياض ط١ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٤- ميزان الاعتدال للذهبي ت٧٤٨هـ - دار المعرفة بيروت - تحقيق محمد علي البجاوي ١٩٦٣ . مصورة عن طبعة عيسى الحلبي .
٥- لسان الميزان لابن حجر ت٨٥٢هـ/ ط١ حيدر أباد ١٣٣١هـ .

و- كتب في العلل والمدلسين والمختلطين :

١- العلل لابن المديني / علي بن عبد الله . ت٢٣٤هـ شيخ البخاري . تحقيق وتعليق د. عبد المعطي قلعجي دار الوعي - حلب ط١ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٢- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس / احمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري ومحمد احمد عبد العزيز - دار الكتب العلمية - بيروت ط١ سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
٣- شرح علل الترمذي - لابن رجب الحنبلي / عبد الرحمن بن أحمد ت٧٩٥هـ - تحقيق د. همام سعيد .

ز- كتب في الثقات الخاصة :

١- كتاب الثقات لابن حبان/ محمد بن احمد بن حيان البُستي ت٣٥٤هـ .
٢- تذكرة الحفاظ للذهبي ت٧٤٨هـ طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد / الهند ط٤ ١٩٦٨م.

ح- كتب في التاريخ العام :

تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الأمم والملوك) / تاريخ الطبري / ابو جعفر محمد بن جرير ت٣١٠هـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف بمصر - ذخائر العرب ط١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سادساً : كتب أصول الفقه :

١- الشافعي ت٢٠٤هـ/ محمد بن ادريس الشافعي/ دار الكتب العلمية بيروت تحقيق احمد محمد شاكر ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

٢- الآمدي ت٦٣١هـ - سيف الدين ابي الحسن/ علي بن محمد الإحكام في اصول الأحكام مؤسسة الحلبي وشركاه ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٣- الشاطبي ت٧٩٠هـ - ابو اسحق/ ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المشهور بالشاطبي الموافقات في اصول الأحكام - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة محمد علي صبيح ١٩٦٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سابعاً : كتب المعاجم :

معجم الآيات

١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ محمد فؤاد عبد الباقي . مطابع الشعب.

معاجم الحديث

٢- مفتاح كنوز السنة نقله الى العربية/ محمد فؤاد عبد الباقي ط١ ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية .

٣- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف . لفيف من المستشرقين .

معاجم الكتب

٤- الفهرست لابن النديم محمد بن اسحاق الوراق ت٤٣٨هـ .

٥- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون/ مصطفى بن عبد لله القسطنطي الشهير بالملاّ كاتب الجلبي والمعروف بحاجي خليفة ت١٠٦٧هـ . طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٦- ايضاح المكنون على ذيل كشف الظنون اسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم . الباباني أصلاً والبغدادي مولداً ، نفس الطبعة ت١٣٣٩هـ .

٧- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة/ للكتاني ت١٣٤٥هـ/ محمد بن جعفر ، دار البشائر الاسلامية - بيروت ط٤ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٨- معجم مصنفات القرآن الكريم/ د. علي شواخ اسحاق/ منشورات دار الرفاعي / الرياض ط١ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

معاجم المؤلفين

٩- هدية العارفين/ اسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون / اسماعيل باشا البغدادي دار الفكر بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٠- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية/ عمر رضا كحالة - طبعة دار إحياء التراث العربي .

١١- الاعلام/ خير الدين الزركلي ط٢ ١٩٥٩م مصر .

معجم الموضوعات

١٢- مفتاح السعادة ومصباح السيادة لأحمد بن مصطفى بن خليل الرومي الشهير بطاش كبرى زادة ت٩٦٨ هـ .

معاجم لغوية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٣- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين/ احمد بن فارس بن زكريا ت٣٩٥هـ تحقيق عبد السلام محمد هارون دار الكتب العلمية - ايران .
١٤- أساس البلاغة للزمخشري ت٥٢٨هـ طبعة كتاب الشعب ١٩٦٠م مصر .
١٥- لسان العرب لابن منظور/ جمال الدين/ محمد بن مكرم بن منظور المصري ت٧٧١هـ ط١ بيروت ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
١٦- القاموس المحيط/ للفيروزأبادي/ مجد الدين بن يعقوب ت٨١٧هـ - ط٢ ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢ مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

معجم مفردات القرآن

١٧- المفردات في غريب القرآن / أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت٥٠٢هـ تحقيق وضبط محمد سيّد كيلاني - دار المعرفة بيروت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثامناً : كتب في مواضيع مختلفة :

١- فضائل القرآن للنسائي ت ٢٧٩هـ - تحقيق د. فاروق حمادة - دار الثقافة - الدار البيضاء المغرب ط١ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢- الناسخ والمنسوخ للنحاس/ أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس ت٣٣٨هـ ط١ مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٣هـ . نسخة مصورة .

٣- كتاب العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني ابو محمد / عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيّان ت٣٦٩هـ . دراسة وتحقيق رضاء الله بن محمد ادريس المباركفوري طبعة دار العاصمة الرياض ١٤٠٨هـ ط٢ رسالة دكتوراه مطبوعة .

٤- الأوائل لأبي هلال العسكري / الحسن بن عبد الله بن سهل ت٣٨٢هـ دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٥- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- لابي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ت٥٤٣هـ خرج احاديثه محمود مهدي الاستانبولي / حققه وعلق حواشيه محب الدين الخطيب - مكتبة السنة / القاهرة ط٥ ١٤٠٨هـ .

٦- مجموعة فتاوي ابن تيمية ت ٧٢٨هـ - المجلدات ١٤ - ١٧ - مقدمة في التفسير واربعة اجزاء في التفسير جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي - تصوير ط١ ١٣٩٨هـ .

٧- التحبير في علم التفسير للسيوطي ت٩١١ هـ - حققه ووضع فهارسه د. فتحي عبد القادر فريد. دار المنار - القاهرة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٨- حياة الصحابة/ محمد يوسف كاندهلوي - دار المعرفة بيروت .

٩- الاسلام بين العلماء والحكام - عبد العزيز البدري- منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ط١٩٦٦م.

١٠- النظر الفسيح عن مضايق الأنظار في الجامع الصحيح - محمد الطاهر بن عاشور -الدار العربية للكتاب -تونس -ليبيا ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

١١- الاسرائيليات في التفسير والحديث- محمد السيد حسين الذهبي- مجمع البحوث الاسلامية السنة الثالثة الكتاب السابع والثلاثون.

١٢- أباطيل يجب ان تمحى من التاريخ د. ابراهيم علي شعوط - المكتب الاسلامي ط٥ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ .

١٣- ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه عداب محمود الحمش ط٢ / دار بدر للنشر ١٩٨٥م.

١٤- روايات غزوة بني المصطلق - جمع وتحقيق ودراسة د. ابراهيم بن ابراهيم قريني رسالة دكتوراه بالجامعة الاردنية .

١٥- ونزل القرآن / احمد فراج - طبعة دار الشروق القاهرة وبيروت وجدة ط١ ١٩٧٥م.

١٦- رجال أنزل الله فيهم قرآناً - عبد الرحمن عميرة دار اللواء الرياض ط٤ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

١٧- نساء انزل الله فيهن قرآناً - عبد الرحمن عميرة دار اللواء الرياض ط٤ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الآيات

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
الفاتحة	غير المغضوب عليهم ولا الضالين	٧	٤٠
البقرة	الم * ذلك الكتاب	٢،١	٢٣
	إن الذين كفروا سواء عليهم أانذرتهم	٦	١٧
	وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض	١١	٢٤
	وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا	١٤	٢٦، ٢٧، ٩٣
	أو كصيب من السماء	١٩	٢٨
	يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم	٢١	٢٤
	إن الله لا يستحيي ان يضرب مثلاً	٢٦	١٧
	واستعينوا بالصبر والصلاة	٤٥	١٩
	إن الذين آمنوا والذين هاجروا	٦٢	٢٨
	افتطمعون أن يؤمنوا لكم	٧٥	١٧، ٢١، ٢٦، ٣٤، ٥٦، ١٦٨
	وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا	٧٦	٧٨
	أتحدثونهم بما فتح الله عليكم	٧٦	١٠٥
	فيويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم	٧٩	١٧٩
	من كان عدواً لجبريل	٩٧	٣٠، ١١١
	واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان	١٠٢	١٩، ٢٥، ٣٤، ٥٦، ٩٢، ١٠٢، ١٦٨
	يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا	١٠٤	٥، ١٠٧، ٢٠٥، ٢١١
	ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها	١١٤	٣٩، ١٦٧
	ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله	١١٥	٧٩
	واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا	١٢٣	٢٥
	سيقول السفهاء من الناس ما ولاّهم عن قبلتهم	١٤٢	٢٠٠
	وما كان الله ليضيع ايمانكم	١٤٣	٩٤
	ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل اللهغ	١٥٤	٣٣
	إن الصفا والمروة من شعائر الله	١٥٨	٦٨
	فمن حج أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوّف بهما	١٥٨	٢٢٨
	إذ تبرا الذين اتُبعوا من الذين اتّبعوا	١٦٦	٥٨
	إنما حرّم عليكم الميتة والدم لحم الخنزير	١٧٣	١٤
	إن الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب	١٧٤	١٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم	١٧٤	١٧٩
وإذا سالك عبادي عني فإني قريب	١٨٦	٨٧ ، ٢٠٥
احل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم	١٨٧	١٧٦ ، ١٨٤ ، ١٧٨
وكلوا واشربوا حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض		
من الخيط الأسود من الفجر	١٨٧	١٦٩ ، ١٧٧ ، ١٨٤
ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد	١٨٧	١٨٤
ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا		
بها الى الحكام	١٨٨	٨٣
يسالونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس	١٨٩	١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٢٨
والحج	١٩١	١٥٣
فإن قاتلوكم فاقتلوهم		
وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى	١٩٥	٥ ، ٦ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ٢٢٣
التهلكة	١٩٦	١٨٤ ، ١٨٥
وأتموا الحج والعمرة لله		
الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهم الحج فلا		
رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا	١٩٧	١٨٤ ، ١٨٥
من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد	١٩٨	٦٧ ، ٦٨ ، ١٨٤
التقوى	١٩٩	١٨٤
ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلاً من ربكم	٢٠٠	١٨٤
ثمّ افيضوا من حيث افاض الناس	٢٠١	١٨٤
فإذا قضيتم مناسككم	٢٠٢	١٨٤
ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة	٢٠٧	٦٥ ، ٩١ ، ١٠١
اولئك لهم نصيب مما كسبوا	٢١٧	٧ ، ١٩٣ ، ٢٠٤ ، ٢١٢ ، ٢٢٨،
ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله		٢٣٢
يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه	٢١٩	١٩٥ ، ٢٢٨
يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير	٢٢٠	٢٢٨
ومنافع للناس	٢٢٢	١٩٥ ، ٢٢٨
ويسالونك عن اليتامى	٢٢٣	١٠٦ ، ٢٢٨
ويسالونك عن المحيض	٢٥٥	٦١
نساؤكم حرث لكم	٢٣٨	١٧٨
لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم	٢٥٥	١٨٨
حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى		

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

	وسع كرسيه السموات والأرض	٢٥٧	٥٥
	الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور	٢٦٠	٢٠. ٨٤. ١٠٢. ١٦٧
آل عمران	وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى	٥٩	٢٠٨
		٧٧	٨٣. ١٨٠
	إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم	٩٦	٨٠
	إن الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلا	٩٧	٨٠
	إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة	١٥٩	٨٦. ١٠٥
	ولله على الناس حج البيت		
	ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك	١٨١	٢٢٧
	لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء	١٨٧	١٤٧. ١٤٩
	وإذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس		
	ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من	١٨٨	١٤٧. ١٥٠
النساء	العذاب	٣	٦٢. ٦٣
		١٧	١٤٠
	وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى	٣٤	١٨٥. ١٨٦
	انما التوبة على الله للذين يعملون السيئات		
	الرجال قوامون على النساء		
	يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى او	٤٣	١٨٢. ١٨٣
	على سفر ...	٤٨	١٨٨
	إن الله لا يغفر ان شرك به ويغفر ما دون ذلك	٥١	٣٢
	لمن يشاء	٥١	١٨٦
	الم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب	٥٨	١١٨
	الم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب		
	إن الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات إلى اهلها	٧٨	١٦. ٢٢
	اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة	٨٨	٩٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

	فما لكم في المنافقين فئتين	٨٩	٩٤ , ٩٥ , ٩٦
	فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله	٩٥	١٧٨
	لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر		
	وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح ان	١٠١	٢ , ٦٨
	تقصروا من الصلاة إن خفتم ان يفتنكم الذين	١٢٥	١٠٢
	كفروا	١٢٧	٦٢ , ٢٢٨
	واتخذ الله ابراهيم خليلا	١٢٨	٦٤
	ويستفتونك في النساء	١٢٨	٦٥
	وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً	١٥٣	١٩٢ , ٢٣١
	واحضرت الأنفس الشح	١٥٦	١٩٢
	يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً	١٧٦	٢٢٨
	بهتاناً عظيما		
المائدة	يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة	٣	٨١
	اليوم اكملت لكم دينكم	١١	٨٠
	يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم		
	إذ هم قوم	٣٣	٢٢٣
	إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون		
	في الأرض فساداً	٤١	٢١٤ , ٢١٥
	يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في		
	الكفر	٤٤	٢١٣ , ٢١٥
	ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم		
	الكافرون		
	والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له	٤٥	١٥٨ , ٢١٣ , ٢١٤ , ٢١٥
	ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم	٤٦	٢١٦
	الظالمون		
	وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم	٤٧	٢١٥ , ٢١٦
	ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم	٥٥	٧ , ٤١ , ٤٢
	الفاسقون	٦٧	٨٢
	إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا		

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

	والله يعصمك من الناس	٩١	١٢
	إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة	٩٣	٥٤
	والبغضاء في الخمر والميسر		
	ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح	١٠١	٢٧
	يا ايها الذين آمنوا لا تسالوا عن اشياء ان		
الأنعام	تبدو لكم تسؤ كم	٥٢	٢٢٦
		٧٢	٢٠٣
	ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي		
	واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة	٩١	١٠٣ ،٨٥
	وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله	٩٣	٢٠١
	عليه بشر من شيء	٩٤	٥٨
	ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً	١٠٨	٧٩
	لقد تقطع بينكم		
	ولا تسبوا الذين يدعونم من دون الله	١٤١	٩١ ،٩٠
	وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب		
	المسرفين	١٤٥	١٢
	قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرّماً على طاعم	٢٠٤	١٠٣
	يطعمه		
	وإذا قريء القرآن فاستمعوا له وانصتوا		
الاعراف		٣١	٢٢٧
		٥٦	٢٠٣
	يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد		
	ورحمتي وسعت كل شيء	١٧٥	٣٠ ،٢٠
	واتل عليهم نبا الذي آتيناه اياتنا فانسلخ	١٨٧	٢٣٢
	منها		
	يسالونك عن الساعة ايّان مرساها		
	هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها	١٨٩-١٩٠	٨٢
	زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً		
الانفال	خفيفاً		
		١	١٩٥ ،٢٢٦
	يسالونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول		
	فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم	١٥	١٥٦
	يا ايها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا	١٦	١٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

	زحفاً فلا تولوهم الأدبار	١٧	١٦٨ . ١٨٠
	ومن يولهم يومئذ دبره	١٩	١٨
	وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى	٢٧	١٤٢ . ٢٢٣
	إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح	٣٠	١٦٧
	يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله ورسوله		
	وإذ يمكر بك الذين كفروا	٣٢	١٩٠ . ١٩١
	اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر	٥٧	١٥٦
	علينا حجارة من السماء	٦٠	١٥٦
	فإما تثقفنهم ف يالحرب فشرد بهم من خلفهم		
	واعدوا لهم ما استطعتم من قوة		
التوبة		٢٣	١٠٣
	يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم	٢٨	٨٣ . ٨٤
	واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الإيمان	٣٤	٢٠
	يا ايها الذين آمنوا إنما المشركون نجس	٤٠	١٩٧
	والذين يكنزون الذهب والفضة		
	الا تنصروه فقد نصره الله	٤٢	١٤٢ . ١٤٦
	وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ولو	٤٩	١٤٢ . ١٤٦
	كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك	٥٨	١٤٦
	ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتنّي	٦٥	٢٠٥
	ومنهم من يلمزك في الصدقات		
	ولئن سالتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب		
	ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله	٧٥	٦ . ١٤٠ . ١٣٧ . ١٤٢
	لنصدقنّ فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم	٨٣	٢٠٢
	يلقونه		
	قل لن تخرجوا معي أبداً	١٠٣	١٣٨ . ١٤٠
	خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم	١٠٧-١١٠	٢٠٩
	بها		
	والذين اتخذوا مسجداً ضراراً	١١٣	١٣١
	ما كان للنبي الذين آمنوا ان يستغفروا		
يونس	للمشركين	٢	١٨٩
		١٥	٢٠٠
	اكان للناس عجباً	٣٨	١٩٩
	وإذا تتلى عليهم اياتنا بينات	٨٧	٢٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هود	ام يقولون افتراه	٥	١٠٤
	واجعلوا بيوتكم قبلة	١٣	١٩٩
	الا إنهم يثنون صدروهم ليستخفوا منه	٣٥	١٩٩
	ام يقولون افتراه		
	ام يقولون افتراه	٤٧	٢٠٥
	قال رب إني أعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم	١١٤	٧٥ ، ٧٦ ، ١٧٢
يوسف	واقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل	١٨	٢١٨
		١٠٩	١٨٩
	فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون		
الرعد	وما ارسلنا من قبلك الا رجالا	٧	١٣٠
		٢٧	١٣٠
	ويقول الذين كفروا لولا انزل علينا اية من ربه	٣٠	١٢٩
	وهم كفروا لولا انزل علينا اية من ربه	٣٠	١٢٩ ، ١٣٠
	وهم يكفرون بالرحمن	٣٤	١٣٠
	كذلك ارسلناك في امة		
ابراهيم	وما لهم من دون الله من والد	٢٨-٢٩	١٠٨
	الم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا	٦	٣٣
	وانه كان رجال من الأنس يعوذون برجال من		
الحجر	الجن	٢٣	١٠٤ ، ١١٩ ، ١٢٢
	وإنا لنحن نحيي ونميت	٢٤	٦ ، ١٠٤ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١
	ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا	٢٥	١٢٢ ، ١٢٣
	المستاخرين	٨٧	١٠٩
	وان ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم	٨٨	١٩
	ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم	٩٤	١٢٦
	لا تمدنّ عينيك إلى ما متعنا به ازواجاً منهم		
النحل	فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين	١٢٥	١٥١ ، ١٥٧
		١٢٦	١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩
	ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة		
الإسراء	وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به	٢٩	٧٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

	ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك	٤٩	١٩٩
	وقالوا ائذا كنا عظاماً ورفاتاً اننا لمبعوثون	٧٣	٢٠
	خلقاً جديداً	٨٠	٢٠٢، ٦٩
	وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك	٨١	٢٠٢
	وقل رب ادخلني مدخل صدق	٨٢	١١
	وقل جاء الحق وزهق الباطل	٨٥	١٧٢، ١٠٠، ٧٣
	وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين	٨٧	١٧٣
	ويسالونك عن الروح		
	ولقد آتيناك سبعاً من المثاني	١١٠	١٣٠، ٦٣
	قل ادعو الله أو ادعو الرحمن ولا تجهر بصلاتك		
الكهف	ولا تخافت بها	٢٨	٢١
		٨٣	٢٣١
	ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا	٨٤	٥٨
	ويسالونك عن ذي القرنين		
طه	إنا مكنا له في الأرض ... سبباً	١١٤	١٨٦
		١٣١	١٢٧
	ولا تعجل بالقرآن		
الأنبياء	ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به	١٠٧	١١
الحج	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين	١٩	١٠٠، ٨٨
		٢٢	٣٣
	هذان خصمان اختصموا في ربهم	٢٨	١٢
	لن ينال الله لحومها ولا دماؤها	٣٩	١٥٤، ٧٠
	ليشهدوا منافع لهم	٥٢	٤١
	اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا		
المؤمنون	وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي		
		٨٢	١٩٩
	قالوا ائذا متنا وكنا تراباً وعظاماً اننا		
النور	لمبعوثون		
		٦-١٠	٢١٩
	والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء	١١	٢١٦، ٢١٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

	إلاّ انفسهم	١٦	٢١٩
	ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم		
	ولولا إذ سمعتموه	٢٢	٢١٩ ,١٧٩ ,١٠١ ,٦٤
	ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ... الا	٢٦	٢١٦
	تحبون ان يغفر الله لكم	٣٣	١٩
	الخبيثات للخبيثين والطيبات للطيبين	٥٥	٢٠٠ ,١٠٣
	ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا		
الفرقان	وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات	٧	١٣٣
		١٠	١٣٣ ,٢١
	ما لهذا الرسول يأكل الطعام	٢٠	١٣٣
	تبارك الذي ان شاء جعل لك خيراً من ذلك	٦٠	١٣٠ ,١٢٩
	وما أرسلنا قبلك من المرسلين	٧٠	١٨٨
	وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن		
الشعراء	الاّ من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً	١٩٣	١٣٥
		٢١٤	٢٠٧ ,١٢٦
	نزل به الروح الأمين		
النمل	وأنذر عشيرتك الأقربين	٣٥	٨٥
القصص	وإني مرسلة اليهم بهدية	٨	١١
		٣٥	٤٢
	فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا	٥٦	١٣١
	سنشد عضدك باخيك		
العنكبوت	إنك لا تهدي من احببت	٨	٢٢٥
		٦٠	١٣٥
	ووصينا الإنسان بوالديه حسنا		
الروم	وكاين من دابة لا تحمل رزقها	١	٢٠٠
		٣٩	٢٠٣
	الم* غلبت الروم في ادنى الأرض		
لقمان	وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله	٤	٢٠٣
		١٣	١١٢
	الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة	٢٥	٢٠٥
	إن الشرك لظلم عظيم		

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السجدة	ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض	١٩	٥٨
الأحزاب	فلهم جنات المأوى نزلا	١	٧٢
		٤	٧١
	يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين		
	ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه	٤-٣٩	٢٢١
	وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله امراً	٢٨	٢٢٢
	يا ايها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين	٥٣	٢٠٥
	وإذا سالتموهن متاعاً ما سالوهن من وراء حجاب	٥٨	١٠٤ . ٢٠ .
	والذين يؤذون المؤمنين والمؤنات بغير ما		
الزمر	اكتسبوا	٣٨	٢٠٥
		٥٣	١٨٨
	ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض	٦٧	١٩٢ . ١٨٨ . ٧٨ . ٧٧ . ٣٨
	قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم		
غافر	وما قدروا الله حق قدره	٦٠	٨٧
الشورى	إن الذين يستكبرون عن عبادتي	٤٠ . ٤١	١٥٨
الزخرف	وجزاء سيئة سيئةٌ مثلها	٣١	١٨٩
	لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم	٣٢	١٨٩
الفتح	أهم يقسمون رحمة ربك	١١ . ١٢	٢٠٠ . ٢٠٥ . ٢٠٠ . ١٠٣
	سيقول لك المخلفون من الاعراب		
	سيقول المخلفون إذا انطلقتم الى مغانم	١٥	٢٠٥ . ٢٠٢ . ٢٠٠
	لتاخذوها دعونا نتبعكم قل لن تتبعونا	١٦	٢٠٢
	كذلكم قال الله من قبل		
الحجرات	قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى		

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

		٦	١٤١ ,٤٥ ,٧
	يا ايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ		
ق	فتبينوا	٣٠	٥٤
الذاريات	يوم نقول لجهنّم هل امتلأت	٥٦	١٢
النجم	وما خلقت الجن والأنس إلاّ ليعبدون	٣	١٨٦
		٤	١١٢ ,٦٦
	وما ينطق عن الهوى	١٩ ,٢٠	٤١
	إن هو إلاّ وحي يوحى		
القمر	افرايت اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى	٢٦	٢٥
الرحمن	وإذ بوانا لإبراهيم مكان البيت	١٣	١٧٠
الواقعة	فباي الاء ربكما تكذبان	٤٧	١٩٩
المجادلة	وكانوا يقولون انذا متنا وكنا تراباًوعظاماً	١	٢٢١
		١–٥	٢٢٠
	لقد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها		
الحشر	وتشتكي الى الله	١	٢١٠
	سبح لله ما في السموات وما في الارض	٥	٢١٣ ,٧
	ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على		
الممتحنة	اصولها فباذن الله	١	٢٢٤ ,١٤٢
	يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم		
المنافقون	أولياء	١	٢٠٧
	إذا جاءك المنافقون	٨ ,٧	٢٠٧ ,١٩٧
	هم الذين يقولون لا تنفقوا على مَنْ عند رسول		
التحريم	الله... ليخرجنّ الاعز منها الاذلّ	٦	٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القلم	لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون	٤	٨٦ ، ١٠٥
المعارج	وإنك لعلى خلق عظيم	١	١٩٠
الجن	سأل سائل بعذاب واقع	١	٢٩
		١٨	٣٤
	قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن		
المزمل	وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا	٢٠	٢٠٣
المدثر	واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة	١١-٢٦	٢٠٦
عبس	ذرني ومن خلقت وحيدا	١-١٦	٢٢٥ ، ٢٢٦
		٥-٦	٨٩
	عبس وتولى		
المطففين	اما من استغنى فانت له تصدى	١	٣٢
الأعلى	ويل للمطففين	٦	١٧١
الزلزلة	سنقرؤك فلا تنسى	١	١٦٨
العاديات	إذا زلزلت الأرض زلزالها	١	١٦٣
التكاثر	والعاديات ضبحاً	١ ، ٢	٣٥
الفيل	الهاكم التكاثر ، حتى زرتم المقابر	١	٥٦
الكوثر	الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل	١	١٨٧
		٢	١٨٧
	إنا اعطيناك الكوثر	٣	٣٢ ، ١٨٦
	فصل لربك وانحر		
الكافرون	ان شانئك هو الأبتر	١	١٨٢ ، ٢٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢ المقدمة .
٥ المسوغات لاختيار الموضوع .
٨ اهمية اسباب التنزيل
٨ القضية الاولى: اقوال بعض العلماء القدامى والمحدثين في بيان اهمية علم اسباب التنزيل
١٠
١١ القضية الثانية: فوائد معرفة اسباب التنزيل .
١١ القضية الثالثة: مناقشة بعض الفوائد المنسوبة لأسباب التنزيل .
١٣ مناقشة الفائدة الاولى - اسباب التنزيل تفيد وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .
١٤ مناقشة الفائدة الثانية - دفع توهم الحصر عما يفيد بظاهره الحصر .
١٥ مناقشة الفائدة الثالثة - تخصيص الحكم بالسبب .
١٦ مناقشة الفائدة الرابعة -معرفة سبب التنزيل غير خارج عن حكم الاية إلاّ بورود مخصص
١٦ التمهيد
١٧ المبحث الاول - بعض جهود القدماء في اسباب التنزيل .
٢٢ كتاب الواحدي - اسباب نزول القرآن .
٢٦ مخطوط العجاب في بيان الاسباب لابن حجر العسقلاني .
٣٠ كتاب لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي .
٣٢ مخطوط ارشاد الرحمن لاسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن للاجهوري .
٣٢ المبحث الثاني - بعض جهود المعاصرين .
٣٢ كتاب مقبل بن هادي الوادعي - الصحيح المسند من اسباب النزول .
٣٣ كتاب اسباب نزول القران مصادرها ومناهجها للدكتور حماد عبد الخالق حلوة .
٣٤ كتاب اسباب النزول عند الصحابة والمفسرين للشيخ عبد الفتاح القاضي .
٣٥ كتاب جامع النقول في اسباب النزول وشرح اياتها - عليوي خليفة عليوي .
٣٥ كتاب اسباب النزول القراني للدكتور غازي عناية .
٣٦ جهد الدكتور سيد احمد صقر في تحقيق كتاب الواحدي .
٣٧ جهدي في الموضوع .
٣٧ المبحث الثالث اسباب دخول الدخيل الى اسباب التنزيل .
٤٠ اولا - الاختلاف في فهم دلالة قول الصحابي .
٤١ ثانيا - حذف الأسانيد في فترة من الفترات ودخول الوضع .
٤٥ ثالثا - دخول الاسرائيليات في اسباب التنزيل .
٥٥ رابعا - الثقة المفرطة بالعلماء السابقين ادت الى عدم تحرّي الدقة والركون الى نقولهم .
خامسا - عدم تقيد فرسان هذا الميدان بحد اسباب التنزيل .
٥٧
٥٨ الفصل الاول
٥٩ المبحث الاول معنى سبب التنزيل لغة واصطلاحا .
٦٠ اسباب التنزيل في الاصطلاح .
٦١ معنى سبب التنزيل عند الصحابة رضوان الله عليهم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦١ نماذج من تفسير عائشة ام المؤمنين رضي عنها .
٦٢ لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ..
٦٣ وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى ..
٦٤ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ..
٦٤ ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ..
٦٧ وان امرأة خافت من بعلها نشورا ..
٦٧ نماذج مختارة من تفسير ابن عباس
٦٨ ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم .
٦٩ كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم .
٧٠ وقل رب أدخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق .
٧١ أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير.
٧٣ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه .
٧٣ نماذج من تفسير ابن مسعود
٧٥ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي
٧٦ واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل
٧٧ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
٧٨ وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة
٧٨ **معنى سبب التنزيل عند التابعين**
٧٨ نماذج مختارة من تفسير مجاهد
٧٩ واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا
٨٠ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله
٨٠ ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة.
٨٢ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
٨٣ هو الذي خلقكم من نفس واحدة
٨٣ نماذج مختارة من تفسير سعيد بن جبير
٨٣ ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل .
٨٤ يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس .
٨٥ واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى .
٨٥ واني مرسله اليهم بهدية .
٨٧ وما قدروا الله حق قدره وإذْ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء .
٨٧ نماذج مختارة من تفسير سفيان الثوري
٨٨ واذا سألك عبادي عني فاني قريب .
٨٩ هذان خصمان اختصموا في ربهم .
٩٠ اما من استغنى فانت له تصدى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩١ ولا تسرفوا انه لايحب المسرفين .
٩٢ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله .
٩٣ **معنى سبب التنزيل عند المفسرين .**
٩٤ واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا .
٩٤ وما كان الله ليضيع ايمانكم .
٩٩ فما لكم في المنافقين فئتين .
٩٩ المبحث الثاني تحديد طريقة معرفة اسباب التنزيل
١٠٢ أ . بحث الالفاظ التي قيل انها تدل على سبب التنزيل .
١٠٢ ب . اطر لا بد منها لاعتماد رواية اسباب التنزيل .
١٠٣ **أولا** تزامن نزول الاية مع وقوع الحدث .
١٠٤ **ثانيا** ضرورة مناسبة الرواية مع منطوق ومفهوم النص .
١٠٥ **ثالثا** ضرورة تناسب الرواية مع سياق الاية او الايات .
١٠٥ **رابعا** عدم معارضة الرواية لنص اقوى منها .
١٠٩ **خامسا** ان نتحقق من صحة الرواية .
جـ . عموم لفظ الاية وخصوص سببها .
١١١ المبحث الثالث
١١١ اسباب ورود الحديث وصلته باسباب تنزيل القرآن .
١١٥ معنى سبب ورود الحديث .
١١٥ اهم الاشكالات الواردة على اسباب ورود الحديث .
١١٦ **الاشكال الاول** : تحقيق معنى سبب ورود الحديث .
١١٦ **الاشكال الثاني** : تزامن ورود الحديث مع وقوع سببه .
١١٨ موازنة بين اسباب نزول القران وبين اسباب ورود الحديث .
١١٨ المبحث الرابع
الفرق بين سبب التنزيل ومناسبة الايات والعلاقة بينهما .
١٢٠
١٢٠ الفصل الثاني
١٢٠ دراسة تطبيقية لبعض مرويات اسباب التنزيل .
١٢٤ ١ . ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين .
١٢٧ ٢ . سورة المسد .
١٢٩ ٣ . ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم .
١٣١ ٤ . وهم يكفرون بالرحمن .
١٣٣ ٥ . انك لا تهدي من احببت .
١٣٥ ٦ . تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك .
١٣٧ ٧ . وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم .
١٤٧ ٨ . ومنهم من عاهد الله لئن اتنا من فضله لنصدقن .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٥١ ٩. لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا .
١٠ ادع الى سبيل ربك بالحكمة ... وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما
١٦١ عوقبتم به ... واصبر وما صبرك الا بالله .
١٦١ الفصل الثالث
١٦١ معالجة الاشكالات الواردة على اسباب التنزيل .
١٦٩ **الاشكال الاول** : عدم المزامنة .
١٧٥ **الاشكال الثاني** : القول بتكرار نزول الاية او الايات او السور .
١٧٦ الاسباب التي ادت الى القول بتكرار التنزيل .
١٧٨ اشكال القول بتجزئة نزول الاية الواحدة .
١٧٨ **الاشكال الثالث** : تعدد روايات اسباب التنزيل
الصورة الاولى - تعميم سبب التنزيل في الاية على ايات مماثلها
١٨٠ لها
١٨١ **الصورة الثانية** - ذكر اسباب تنزيل مختلفة لاية واحدة
الصورة الثالثة - اختلاف موضوع الروايات في سبب تنزيل الآية
١٨٢ **الصورة الرابعة** - جعل كل جزء من الاية له سبب خاص
١٨٤ **الصورة الخامسة** - توالي ذكر اسباب التنزيل في ايات متوالية
١٨٥ **الصورة السادسة** - تعدد النازل والسبب واحد
١٨٨ **الصورة السابعة** - تركيب اية كسبب تنزيل لآية تليها او لآيات
في سور اخرى
١٩٠ **الاشكال الرابع** : اسباب نزول الايات المصدرة بـ :
١٩٠ أ- يسألونك
١٩٦ ب- يستفتونك
١٩٧ جـ- يقولون
٢٠٣ **الاشكال الخامس** : تقدم نزول الاية على الحكم، وتقدم الحكم وتأخر النزول
٢٠٤ الفصل الرابع
٢٠٤ خلاصة دراسة الروايات
٢٠٦ نماذج من المواضيع التي ثبت لها سبب تنزيل وقد توافرت في رواياتها الاطر الخمسة
٢٠٦ ١. الايات التي تتعلق بكشف اكابر المجرمين الذين وقفوا في وجه الدعوة الاسلامية
٢٠٦ ما ذكر بالوصف
٢٠٧ ما ذكر بالاسم
٢٠٧ ما ذكر بالوصف
٢٠٨ ذكر القوم
٢٠٩ ٢. كشف المؤامرات التي حيكت ضد المسلمين .
٢٠٩ فضح مؤامرة ابي عامر الراهب والمنافقين في بناء مسجد الضرار .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فضح امر يهود بني النضير . ٢١٠
٣٠ الحظر على المسلمين من استعمال مصطلحات الكفار التي تتعلق بوجهة النظر في الحياة . ٢١٢
٤٠ خرق بعض الاعراف الدولية السائدة انذاك عند تعارضها مع مصلحة حمل الدعوة . ٢١٢
القتال في الاشهر الحرم . ٢١٢
قطع الشجر المثمر في الحرب . ٢١٣
٥٠ وجوب التحاكم الى الاسلام وتحريم التحاكم لغيره . ٢١٤
ما نزل في حق المسلمين . ٢١٤
ما نزل في حق اليهود . ٢١٥
ما نزل في حق النصارى . ٢١٧
٦٠ كيف ينبغي ان تجابه الاشاعات الكاذبة . ٢١٧
حادث الافك . ٢١٧
٧٠ الاحسان لمن اساء اليك . ٢٢٠
٨٠ في الملاعنة . ٢٢٠
٩٠ في الظهار . ٢٢١
١٠ الغاء حكم التبني . ٢٢٢
١١ فرض لباس الجلباب على افراد الرعية في الدولة الاسلامية . ٢٢٣
١٢ مجال العقوبات . ٢٢٤
قطاع الطرق . ٢٢٤
١٣ البذل والإنفاق في الجهاد . ٢٢٤
١٤ وجوب المحافظة على اسرار الدولة الاسلامية . ٢٢٤
١٥ وجوب حمل الدعوة بقوة . ٢٢٦
الاولى حمل الدعوة لمن يسعى اليها لا للمتمنعين بغض النظر عن مكانتهم . ٢٢٦
١٦ حسم الخلاف بين المؤمنين . ٢٢٧
١٧ مجال المعارك والحروب . ٢٢٧
١٨ تغيير المنكر باليد . ٢٢٨
١٩ رسم الخط المستقيم بجانب الخط الاعوج . ٢٢٨
(هدم عبادة اهل الجاهلية ووضع العبادة الصحيحة) .
٢٠ مجال الاسئلة والاستفتاءات . ٢٢٩
ثوابت في علم اسباب التنزيل . ٢٣٠
الخاتمة . ٢٣٥
المصادر والمراجع . ٢٣٧
فهرس الآيات . ٢٥٣
فهرس المواضيع . ٢٦٦

٣٨٤٦٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit